

قصة

بهرام شاه

ابن

ازدشير شاه

بقلم

الفقير اليه تعالى

نخله قلفاط

(طبع بالمطبعه العموميه بمصر سنة ١٨٩٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

كان في قديم الزمان على بلاد ايران ملك من بني ساسان اسمه ازدشير جلس على التخت في الخامسة والعشرين من العمر لا يعرف الخداع والمكر . وقد صرف نحواً من عشرين سنة على العرش حتى ظهر عليه الكبر وبدأت في جسمه علامات الكهولة وكان قد ولد له الى ذلك الحين عدة أولاد لكن لم يعش واحد منهم بل ماتوا الواحد بعد الاخر . ولذلك كان حزيناً جدا لانه لم يتلذذ في حين صباه بلذات هذه الدنيا ولم يخلف ولداً ليكون ولياً لعهده . يصرف أوقاته بالتأوه والغموم كلما قرب من الشيخوخه . ففي ذات يوم انفرد في خلوة وصلى وبعد الصلاة رفع يديه الى قاضي الحاجات وقال . ربي ومعبودي ارحمني وأفرج كربتي ولا تغلق بابك عن عائلة بني ساسان فتمنع عني الولد الوارث للملك الذي أعطيتهم فاتضرع اليك ان تشفي أوجاع قلبي وتفرج كربتي فانت السميع المجيب

وبعد ان انتهى من صلاته اتي زوجته وهو يؤمل ان الله يفرج كربتهُ ويجيب طلبته وبالحقيقة ان الله سمع دعاه وأجاب نداه فبعد مضي عدة أيام ظهر الحمل على زوجته فبعثت اليه تبشره بذلك فتلقى البشارة بالفرج والمسرة وقام وقعد عدة مرات على كرسي العرش كانه في أول العمر وقد تجدد فيه زمن الصبا . وفي الحال فتح الخزائن وأخرج الاموال ففرقها على الفقراء والمحتاجين ودام على مثل ذلك كل مدة الحمل وهو في فرح لا يوصف . وبعد ان مضى على حمل زوجته تسعة اشهر وتسعة ايام وتسع ساعات وتسع دقائق وضعت غلاماً ذكراً . فزاد سرور الملك ونشاطه وحسب نفسهُ في ذلك الحين من اسعد الناس وكذلك الاهلون فانهم فرحوا بابن الملك الجديد واقاموا الافراح في كل ناح . وامر الملك ان تزين العاصمة

وأرسل الى كل البلاد التابعة له يأمرهم بالتزيين والاحتفال مدة شهر على التمام واعفى الرعية من الضرائب مدة سبع سنين وجاء المنجمون والسحرة وأخذوا الولد على أيديهم وقد نظروا في طالعه وراجعوا كتبهم في هذا المعنى وحسبوا الابراج والمنازل فقالوا للملك اعلم يا سيدنا ان هذا الولد سيكون سعيد الطالع جدا وتبين لنا انه يملك السبعة أقاليم ما لم يملكه غيره من ملوك ساسان فتضاعف فرح الملك وغمر المنجمين بالانعام والاكرام ودعى اسم الطفل بهرام وأخذ ينظر فى أمر تربيته والاعتناء به

وأما المنجمون فانهم بعد ان رجعوا الى منازلهم عقدوا مجلس مشورة وقالوا اذا كان الطفل يبقى فى المدينة ويتربي فيها يتخلق باخلاق ابيه وتسري اليه بساطة القلب والتراخى فيصبح عديم السياسة وهذا يبعث على تكدير الاهلين ويوجب نفورهم منه فيلزم ان ننظر منذ الان فى وسيلة نبعده بها عنه . وبعد التفاوض والمخابرة نهضوا وجاءوا الملك فامرهم بالجلوس مظهراً لهم كل الاحترام والاكرام ثم سألهم عن سبب رجوعهم اليه . فقالوا له بكمال الوقار والاحترام اعزك الله أيها الملك السعيد وأطال عمرك وأبقاك اننا ما اتينا اليك ثانية الا لصالح الملك والمملكة وأنت تعلم انه ولد لك قبل الان عدة أولاد ولم يعش واحد منهم والان ننظر في أمر حياة الطفل الجديد وقد رأينا من الواجب ان يتربى في مكان حسن المناخ عذب الماء ناشف الهواء غير هذه البلاد وهذا سبب لحياته ووسيلة لبقائه فى هذه الدنيا

فلما سمع الملك كلام المنجمين رآه موافقاً وقد خاف من موت الطفل ولم يخطر له ان الاجل اذا دنا لا يمنعه المناخ والموقع . وبناء على ذلك جمع اليه الوزراء ووكلاء الدولة وعرض عليهم ما سمعه من المنجمين فاستحسنوا هذا الامر وغاصوا في التفكر وأخيراً قال أحد الوزراء انه لمن المعلوم عند سيدى الملك انه لا يوجد في هذه الدنيا قوم اتصفوا بالشجاعة والاقدام والفصاحة وعلم الكلام والمروءة والكرم وكل مزية حسنة الا العرب . وقد امتاز من العرب أهل اليمن فاذا وافق

سيدى الملك على ما أعرضه لديه فليستدع اليه الملك النعمان والى اليمن فهو مطيع لنا صادق فى خدمة دولتنا فيسلمه الغلام . ومن المحقق انه يعتنى به ويربيه على ما يشتهى خاطرنا . ولما سمع باقى الوزراء والاركان ما قاله الوزير قالوا له عن لسان واحد أحسنت واصبت فان الملك النعمان لا يقصر في مثل هذه الخدمة وبلاده من أحسن البلاد . وأظهروا للملك استحسانهم وانضمام آرائهم الى رأي رفيقهم . وفي الحال أمر الملك ان تسطر رسالة لحاكم اليمن يطلب فيه حضوره اليه فكتب الكاتب الرسالة ودفعها الى الملك فقراها وختمها ودفعها الى الرسول وأمره بسرعة السير الى اليمن

. فسار الرسول ليلا ونهاراً يقطع البرارى والقفار والسهول والاوعار حتى وصل الى اليمن فدخل على الملك النعمان فقبل يديه ودعا له بدوام العز والاقبال وقال له لقد أتيتك على جناح الاستعجال أحمل اليك هذه الرسالة باسمك من سيدى الملك ازدشير وناوله الرسالة فاخذ الملك النعمان التعجب ووقع بالحيرة وقال فى نفسه ما هو الموجب يا ترى حتى بعث لي الملك الاكبر برسالة مستعجلة . وفي الحال أخذ الرسالة من يد الرسول وفتحها ولما قرأها وعرف انه ولد للملك ازدشير غلام وان فى نيته ان يسلمه اياه ليتولى أمر تربيته كاد يطير من الفرح . وفي اليوم التالى أعد ما يحتاج اليه في سفره . وسلم أمر تدبير البلاد الى ولده المنذر وكان شجاعاً مقداماً وحكيما عاقلا ثم اختار له ١٥٠ فارساً ليكونوا تحت أمره فى رحلته وركب قاصداً ايران ولما قرب من المدينة أرسل رسوله الى الملك يخبره بوصوله فامر الملك فى الحال ان تخرج الوزراء والاعيان لملاقاة الملك النعمان وان يدخلوه الى المدينة بالاجلال والاكرام

ولما قرب الملك النعمان من عرش الملك خرّ على وجهه الى الارض كما جرت العادة فرفعه ازدشير عن الارض وأخذه من يده وأجلسه على سرير عال بجانب سريره وترحب به ترحباً عظيما وكذلك الملك النعمان دعا له بدوام العز وطول البقاء وبارك له بالغلام الجديد . ولم يمر على ذلك ساعة حتى نهض ازدشير شاه وذهب الى

حرمه بعد ان قدم للنعمان قصراً عظيما مزيناً بالاثاث الفاخر وفيه الخدم والحشم وسأله ان يستريح فيه من مشاق السفر فدخل النعمان القصر واغتسل من عثار الطريق وغير ألبسته ونام براحة الى المساء

وكان الملك ازدشير بعد ان صرف وقت الراحة خرج الى تخت السلطنة واجتمع من حوله الوزراء واكابر الدولة ولما لم يأت النعمان أرسل اليه أحد الحجاب فدخل عليه الحاجب ودعا له بكل حشمة وأدب ثم أخبره ان الملك بانتظاره فنهض النعمان حالا وسار الى قصر السلطنة وحال دخوله وقف له الوزراء ومن كان حاضراً في الديوان حتى الملك نفسه نهض له وأخذه الى جانبه. وقد أحضر الى ذلك المجلس المباخر الذهبية والشمعدانات المرصعة . وادخلت صفرة الطعام محمولة من خمسة عشر نفراً بالالبسة النظيفة الفاخرة وعليها من اشكال الطعام ما تشتاق اليه النفوس . وقام يطوف حول الصفرة خمسة عشر نفراً بالملابس الذهبية وعلى يد كل واحد منهم شمعدان من الذهب المرصع وكانوا مرداً لانبات في وجوههم من اجمل خلق الله حسناً ومما زاد في حسنهم ملابسهم المرصعة ولمعان الشمعدانات الوهاجة التى كان يشتعل فيها شموع من الكافور المصبوب بالمسك والند . فجلس الملك واجلس النعمان الى جانبه وامر ايضاً الوزراء والامراء ان يجلسوا في الجهة الثانية على حسب مراتبهم ومن ثم باشروا تناول الطعام نوعاً فنوعاً . حتى فرغوا فنهضوا وقدمت لهم اباريق الذهب محمولة على ايدى اولئك الاقمار خدام المائدة فغسل في الاول الملك ازدشير ثم النعمان وبعده الوزراء والاعيان بالترتيب وبعد ذلك عادوا الى مجلسهم الاول كل في مقامه . وبعد ساعة دخل عليهم الخدم يحملون الاقداح الفضية وقناني الشراب الذهبية . فطافوا على الجلوس واحداً واحداً بذلك الشراب المنعش والمرطبات التى تحيي النفوس بعد الفناء . وبعد ذلك دخل المغنون والمطربون وبايديهم النايات والاعواد وجعلوا يغنون ويضربون على آلاتهم حتى كاد المجلس يرقص طرباً وطرب الملك طرباً عظيما فخطر على باله ولده فامر ان يوتى به الى المجلس في تلك الساعة فاتى به فاخذه على يده وقبله في فمه وعينه وعنقه ثم قدمه للنعمان فلما رآه ورأى ما هو عليه من البهاء والجمال وشاهد

ما طبع على جبهته من حسن الطالع احبه كثيراً ومن عظم ما لحق بمن الفرح سقط من عينيه بعض نقط من الدموع . فلما نظر الملك ازدشير حالة النعمان وما وقع في قلبه من محبة الغلام طار قلبه من السرور وامل انه يسير به بقلب مملوء من الحب فسأله الاعتناء والاهتمام به . فقال النعمان لو سلم لي طفل كهذا وكان ابناً لاكبر عدو لي لربيته كما أربي ولدى فكم بالحرى هو ابن سيدى الملك الذى احبه كنفسى فشكره ازدشير شاه واثنى عليه . ثم أمر بان يعاد بهرام الى امه

ولما بلغ ام بهرام ان ولدها سيؤخذ الى بلاد اليمن ويتربي هناك ويبقى الى ان يشب ويكبر وقع الحزن في قلبها وشعرت بان مرارتها انفطرت ولم تعد تعى على شئ وأخيراً قررت فى نفسها ان تطلب الى الملك ان يرجع عن عزمه فاذا اصر تسأله ان يسمح لها بالسفر والبقاء مع ولدها واذا ابى شربت السم وقتلت نفسها واما الملك فانه بعد ان صرف السهرة مع الملك النعمان على الحظ والصفاء وقد ادرك النعاس الجميع أمرهم بالانصراف كل الى منزله وركب هو الى حرمه ولما رأته ام بهرام داخلا استقبلته وصاحت الرحمة ياسيدى والقت بنفسها على رجليه ورلمت ذيله على رأسها وقالت له اذا كنت تفصلنى عن ولدى وحشاشة كبدى فاني هالكة لا محالة فارحم ضعفى وساعد حنو قلبى ولا تميتنى بيدك وتقتلنى ظلما وأنت سيدى وفخرى واذا كنت مصمما على ابعاد ولدى وسند حياتي فابعدني معه ودعنى اعيش معه اين كان وكيف أخذ فارحمنى واجبر كسر قلبى . ثم اخذت بالبكاء واسكاب الدموع على اقدامه فلما نظر الملك عمل زوجته تحركت الشفقة في قلبه وسقطت الدموع من عينيه بالرغم عليه فرفعها بيدها وقبلها فى خدها وقال لها لك ماتريدين فاذهبي برفق ولدك وكوني معه كل زمان غربته . فلما سمعت اذن الملك شعرت بان الحياة عادت اليها من جديد ودعت له بالبقاء وطول العمر ودخل الملك الى سريره فنام وعند الصباح خرج الى العرش فجلس معه النعمان وباقى الاعيان فاخبر الملك ما كان من أمر زوجته وانه سمح لها معه ففرح النعمان لهذا الخبر علما منه بان لا احد يعتنى بالولد كامه واظهر

للملك صوابية هذا الامر

وبعد ان صرف النعمان في بلاد ايران مدة سبعة ايام على المسرة والحظ والصفا استأذن الملك الاكبر بالسفر الى بلاده فامر الملك ان تهيئ معدات السفر وان ينصب لبهرام ووالدته تخت روان وان تحمل المؤن والذخائر والاموال التى تنفق عليهما . فامتنع النعمان عن قبول شيء من ذلك وقال له ان عندى من انعام سيدى الملك كثير مما تامر به ولا تسمح لى نفسى ان اخذ شيئاً فكل مافى بلاد اليمن هو ملكك وتحت امرك فلا حاجة لان نحمل شيئاً من هنا فالح عليه ازدشير فابي واصر على عزمه . وفي ثانى الايام رفعت الاحمال اللازمة على ظهور البغال وركبت الملكة هودجها وعلى صدرها ولدها بهرام وركب النعمان وجماعته وخرجوا من المدينة فرافقهم الملك بموكبه عدة ساعات ثم عاد تاركا برفقتهم قلبه وخاطره . وسار النعمان في طريق اليمن وهو مسرور القلب والخاطر من عمل الملك وركونه له وكان يسير الهوينا رفقاً ببهرام ووالدته من التعب وحر الطريق . وكان في المساء يضرب صيوان الملكة الى جانب صيوانه ويقوم بنفسه في خدمتها ولا زال على مثل ذلك حتى قرب من اليمن فارسل بالرسل الى ولده المنذر يخبره بوصوله فخرج بامراء العشائر لاستقباله ولما دنا منه قبل يديه وقبل بهراماً وقد سر به كثيراً ومن ثم دخلوا المدينة بطنطنة وضجة وانزل النعمان بهراماً ووالدته في قصره الخاص وعين لهما الخدم والحشم وكل ما يكفل راحتهما واختار لنفسه قصراً آخر يسكن فيه . وكان المنذر لما شاهد جمال بهرام احبه كثيراً فكان يأتي القصر فى كل يوم اربع أو خمس مرات يراه ولا يرتاح الا عند مشاهدته وقد مر على ذلك نحو الشهرين تقريباً . وبعد الشهرين دعا النعمان بولده المنذر وقال له انت تعلم ياولدى ان الملك الاكبر قد خصنا بتربية ولده والاعتناء به الى ان يشب ويكبر وتحتاجه البلاد للجلوس على التخت ولذلك وجب علينا الاهتمام به اكثر من اللازم وانى الان في قلق من اجله لان فى المدينة حر شديد وجسم بهرام لطيف نحيف فربما لايوافقه شدة الحر ولذلك يلزم ان تفتش على مكان لطيف الهواء حسن المناخ عذب الماء فنضع فيه ابن الملك ونضع له من يربيه ويخدمه فاستحسن المنذر راى ابيه وقال له انى من هذه الساعه

اسعى فى المكان المطلوب عساى اجد المحل المناسب الذى تامرني به

وخرج المنذر فركب وركب معه اثنا عشر اميراً وأخذوا يطوفون في تلك الاطراف من جهة الى ثانية حتى اهتدوا الى مكان مناسب جداً موافق لغرض الملك لايمكن ان يكون اعظم منه في كل بلاد اليمن فعاد الى ابيه واعلمه بالموقع الذى رأه فذهب الملك النعمان مع ولده والبعض من المهندسين الى ذالك المكان وتحققوا ان لا نظير له فى كل البلاد وسر الملك جدا لان ذلك الموقع كان مرتفعاً يكشف الجهات الاربع وقصد ان يبنى فيه قصراً عظيما شامخاً فاظهر رغبته هذه للمهندسين الذين أصحبهم معه ولما كانوا يعرفون غاية الملك عرضوا له انهم عاجزون عن الاتيان بغرضه على حسب ما يريد . فحزن الملك من هذا الامر وقال ماذا يا ترى يجب ان أعمل الا يوجد فى مملكتى رجل يبنى لي قصراً على هذه الاكمة يكون نادر المثال فى هذا الزمان . فقالوا كلا يا سيدى لا يوجد فى كل مملكتك من يقدر ان يشفى غرضك ولا يقدر على بناء القصر الذى تشير اليه الا رجل مشهور فى بلاد الروم اسمه سنمار وهو وحده القادر على اتمام رغائبك

فلما سمع النعمان هذا الكلام سر جدا وفى الحال بعث بالرسل الى بلاد الروم وأمرهم بالتفتيش على سنمار وان يأتوا به ويعدونه بالاموال الغزيرة والثروة الدائمة فسار الرسل الى الروم وبحثوا عن سنمار حتى اهتدوا اليه فاخبروه بالقصة من أولها الى اخرها وقالوا له ان انت بنيت للملك القصر المطلوب غمرك بالعطاء واغناك الى اخر ايامك ففرح لهذا الخبر ووافق الرسل على السير معهم الى بلاد اليمن فهيأ نفسه وسار حتى وصل الى اليمن ودخل على الملك النعمان فترحب به واكرمه غاية الاكرام وقربه اليه وأخبره بعزمه على بناء القصر بشرط ان لا يكون قد ابتنى مثله قبله ملك فقال اني رهين أمر سيدى الملك فلا احد غيرى يقدر على مثل هذه الخدمة انما القصر النادر المثال يلزم ان يكون فى موقع نادر المثال فارنى الموضع الذى ترغب بناء القصر فيه لارى اذا كان يصلح ام لا . فركب الملك وسنمار الى المكان الذي اختاره المنذر . فلما رأه سنمار اعجبه جدا وتعهد للملك

باتمام مقاصده وان يبني له قصرًا لم يبنَ مثله في سالف الاعصار فمدح الملك من مهارته ووعده بكل جميل ووضع تحت امره خزينته كلها يأخذ منها ما يريد وما يحتاج اليه من الدنانير لبناء القصر وفرشهِ

وفي الحال باشر سنمار باستحضار المواد اللازمة واخذ بالعمل وفي مدة خمس سنين بنى قصرًا جميلاً مزينًا بالنقوش الفاخرة متين البناء واسع الهيكل مزخرف الحيطان مرتبًا على نسق لم يرَ مثله ملك وقد اتقن فرشه واستحضر من بلاد اليونان والرومان والعجم كل ما هو نفيس وفاخر من الاقمشة والمصنوعات البيتية ووضع عليه من الخارج الجواهر الكبيرة المضيئة فكانت كالشمس لا يقدر الراءي ان يحدق نظرهُ بها ومع ان حيطانه لم تكن من زجاج لكن الراءي كان يرى نفسه فيها اجلى من المرآة الصافية وكانت في ظرف ١٢ ساعة تتغير الى ثلاثة الوان ابيض واصفر ومائي فعند الصباح اي عند شروق الشمس وارسال اشعتها على القصر كانت تظهر بلون مائي وفي نصف النهار تصير من شدة وهج الشمس صفراء كالذهب وعند المساء بيضاء كالفضة (وهذا القصر مشهور في الدنيا و يسمى الخورنق)

والحاصل ان سنمار بعد ان انهى بناء القصر وفرشه كما تقدم قدمه للملك النعمان فلما رآه اندهش من صناعته ومن كل ما راه فيه وتاكد انه ما رأى مثله ولا سمع بمثله في شرق الدنيا وغربها ولذلك اظهر امتنانه من سنمار وافرغ عليه خزائن الاموال والجواهر اضعاف ما كان يؤمل حتى اندهش سنمار ايضًا من عطاء الملك وكاد يطير عقله وقال للملك لو كنت اعلم انك ستعطيني كل هذه الاموال لكنت اعتنيت بالقصر اكثر مما اعتنيت فجاء اعظم مما هو بثلاثة اضعاف وعوض ان يتغير في النهار الى ثلاثة الوان فقط لكنت جعلته يتغير الى مئة لون . فلما سمع النعمان هذا الكلام تغيرت احواله واضطرب في داخله وسئل سنمار اتقدر على بناء قصر اعظم من هذا اذا دفع لك اموال كثيرة . فاجابه سنمار نعم يا سيدي فاني قادر ان اقيم قصرًا لا يحسب هذا القصر شيئًا بالنسبة اليه . فزاد غضب الملك واحتدم من الغيظ وقال اني متاكد ان لا نظير لهذا القصر في الدنيا فاذا بقي سنمار في قيد الحياة بنى قصرًا اعظم منه فينحط شأن القصر وتذهب شهرته . ثم امر ان يؤخذ سنمار في الحال ويرمي من اعلا القصر الى اسفله فرمى وقضى نحبه (وقد ضرب في ذلك المثل فيقال عند مجازاة المليح بالقبيح . جوزي كما جوزي سنمار)

وبعد ان تم بناء القصر وقتل سنمار نقل اليه الملك بهرام ووالدته واخذ يهتم بامر تربيته . وكان قد بلغ السادسة . وبعد صيت ذلك القصر وانتشرت اخباره في الافاق فاخذت

الناس في ان ترد افواجاً افواجاً للتفرج عليه وكان كل من راهُ يعجب من صنعه ويأسف على بانيه وقد زرعت حوله الرياحين والزهور وحفت به الحدائق والرياض حتى كانت الروائح العطرية تشم على بعد ساعة من اربع جهات القصر ٠ وعلى الخصوص عندهبوب نسيم الصباح فان الاماكن المجاورة كانت تنعش بذاك النعيم متوهمة ان هناك الجنة التي يسمعون عنها ٠ ومذ نقل بهرام الى ذاك المكان والملك النعمان ملازم للقصر لا ينفك عنه دقيقة واحدة معتنياً بامر الغلام تربيته ٠ ففي ذات يوم كان النعمان جالساً مع وزيره في القصر فجعل يفكر في حسن انشاء القصر وزخرفته وما حف به من الرياحين والعطريات فقال لوزيره اني متحقق ان في الدنيا جميعها لم يبن قصر جميل مزين بالنقوش والصور كهذا القصر فالدقيقة التي يصرفها الانسان فيه تزيد في عمره الف سنة ٠ فاجابه الوزير ان ما اشرت اليه من جهة القصر فهو الحقيقة لكن الله سبحانه وتعالى قد انصف في عباده وعدل ورحم فما الثروة والنعمة بنافعة للانسان ولو صرف المرء الف سنة في هذا القصر لا يمكن ان يزيد عمره دقيقة واحدة فلا بد من الموت ليتساوى به صاحب هذا القصر وغيره ممن لا مأوى لهم ويتجارى في مضمار واحد السيد والعبد والمالك والمملوك

فلما سمع النعمان من وزيره هذا الكلام تأثر له جداً وتغير لون وجهه واصبح اصفر كالزعفران وامتلأ من الخوف والرعب وصار يصيح كالمجنون ونهض بعجلة واعينه تسكب الدموع وخرج من القصر واستلم اطراف البراري وهو يبكي وينتحب وغاب عن العيون ٠ واما الوزير فندم على ما ابداه للملك ولكن لم يبق من فائدة ٠ فذهب الى المنذر ابن النعمان واخبره بما كان من امر ابيه فركب المنذر وركب رجال الدولة وفرسان المملكة وطافوا تلك الاطراف واوسعوا في الاربع جهات يبحثون على الملك فلم يقفوا له على اثر كأن الارض ابتلعته فرجعوا وهم على اليأس والحزن وكذلك المنذر فانه رجع قانطاً وبكى على فراق ابيه وما اصابه ثم امر ايضاً ان ترسل الرسل الى الممالك والبلاد وتسير الخطار في البراري والقفار ويسألون عنه الغوادي والروائح علهم يعرفون له مقراً فسار الرسل والسعاة اشهراً واياماً دون جدوى ولا فائدة فعادوا الى المنذر واخبروه بحبط مساعيهم فزاد كدره لكن صبر على حكم الزمان وجلس في مكان ابيه يتعاطى تدبير امور الرعية والنظر في احوالها حتى نسي اباه شيئاً فشيئاً وكان للمنذر ايضاً ولد اسمه النعمان كاسم ابيه وهو من عمر بهرام بن ازدشير فكانا يعيشان معاً ويدرسان على استاذ واحد ويأكلان على مائدة واحدة وكان المنذر محبوباً من الجميع تطيعه قبائل العراق جميعها وتدعو له بطول العمر والبقاء

وقد صرف اعتناءه الى تربية بهرام اكثر من ابيه حتى انه كان لا يرضى بان يفارقه دقيقة واحدة . ولما وصل بهرام الى التاسعة تعين له الاساتذة والمعلمين فكانوا يدرسونه العلوم والفنون ويعلمونه طرق الاداب والكمال وكان مع صغر سنه على جانب عظيم من الذكاء والفطنة والفهم والاجتهاد . وكثيراً ما كان يفحم اساتذته عند ما يأخذ معهم بالجدال وطرح الاسئلة الصعبة ولذلك لم يمر عليه ثلاث سنين حتى اتقن العلوم اتقاناً عظيماً وبرع في كل من اللغة العربية والفارسية والهندية حتى ان اساتذته كانوا يتعجبون من فرط زكائه وحذقه وقد تعلم علم الهندسة والرياضيات وباقي العلوم المتفرعة عنها بطريقة يعجزون عنها هم انفسهم ولذلك لم يعد في حاجة اليهم . وكانت محبة المنذر لبهرام تزيد يوماً فيوماً فكانت تطوف حوله كالفراشة

واما بهرام فكان مع فرط زكائه واجتهاده جميلاً وكلما تقدم يوماً في العمر تفرغ عليه يد العناية جاماً من الحسن فيزيد بهاء وجمالاً حتى كان الذي يراه لحظة واحدة . يعلق قلبه به وتنطبع صورته في مخيلته فلا تعود تفارقه لحظة واحدة . وبعد ان ادرك بهرام السنة الثانية عشرة وهو على ما هو عليه من الحسن والجمال والاداب والكمال والبراعة في العلوم وغزارة المعارف عين له البهلوانات والفرسان لاجل تعليمه الفنون الحربية وركوب الخيل ولكي يتفرد ايضاً في ذلك لازمه المنذر بنفسه وجعل يدربه ويعلمه . فكانوا في كل يوم ياخذونه الى ميدان وسيع ويعلمونه رمي السهم وضرب السيف وزج الحراب وضرب الدبوس واستعمال كل انواع السلاح . وفي ظرف ثلاث سنين برع بهرام ايضاً في كل هذه الالعاب وامتاز بها على سواها اي انه لم يبلغ الخامسة عشرة من سنه حتى صار كاملاً في كل فن وصار يتخرج من نفسه بكل انواع القتال وعلى الخصوص رمي السهام فكان يذهب الى الفسحات الوسيعة ويضع علامة صغيرة على مسافة بعيدة ويأخذ السهام فيرميها بها ولا يخطئها مرة واحدة . وكان المنذر ورجاله عند ما يرون منه هذه الاعمال تاخذهم الدهشة والحيرة ويثنون عليه ويمدحون من شجاعته وبراعته في كل فنون القتال . ومن ذلك الحين تولع بهرام بالقنص فكان كل يوم يخرج الى البراري في طلب الوحوش والغزلان . وكان يميل كثيراً لمطاردة حمار الوحش فيصطاد منه دائماً . ولما كان يقال لهذا الحيوان باللغة الفارسية كور وكان بهرام مولعاً بصيده اشتهر بهذا اللقب عند الفرس وهو المشهور في العالم باسم (بهرام كور) والقصد بهرام صياد حمار الوحش . وعليه فكان بهرام يصرف نهاره في البراري على الصيد والقنص وفي الليل على الحظ والمسرات . ومما هو جدير بالتعجب

ان بهرام كان يصطاد هذا الحيوان بالكمند اي بالشرك فيقبض عليه حيًا والذي كان لا يتجاوز عمره الاربع سنوات كان يطلقه وما زاد عن اربع سنين كان يبقيه وكل حيوان يطلقه كان يطبع على رحله اليمنى ختمه اي اسمه ويقصد بذلك ان يظهر للذي يقع في يده حيوان من هذه انه طليقه ولكي يعرف هو ايضًا ذاك الحيوان فيما بعد اذا وقع في يده

والحاصل ان هذا كان عمل بهرام بعد ان تمم علمه ودخل في سن الفتوة . ففي ذات يوم خرج الى الصيد والقنص وخرج معه المنذر وكثير من رجاله ولما صاروا في البراري جعلوا يطوفون في طلب الصيد وفيما كان بهرام مشغلاً بطلب حمار الوحش كعادته وجد غبارًا يرتفع الى الجو فتنشره الرياح فاطلق لجواده العنان قاصدًا ذاك الغبار ومع ان المنذر وجماعته ساروا في اثره لكنهم لم يدركوه لسرعة سيره . وعندما قرب من محل ذاك الغبار وجد اسدًا عظيما كبير الهيكل افطس الانف قابضًا على حمار الوحش وقد ركب فوقه وعزم على افتراسه فلما رأى بهرام ذلك عدم صبره وطار عقله فتناول سهماً من كنانته واوتره في القوس واطلقه بعزم قوي فخرج من يده كاكرة مدفع وباسرع من لمح البصر وقع في ظهر الاسد فخرج من بطنه وكذلك اصاب حمار الوحش من بعد الاسد فخرقه من جهة الى اخرى وهذه الرواية مشهورة عند الفرس وقد سمِّر الاسد وحمار الوحش معًا . وفي تلك الدقيقة وصل المنذر وجماعته فراوا ذاك المنظر المدهش وتلك القوة العجيبة فكادت تذهب عقولهم من رؤوسهم وقد هالهم الاسد وهو ميت وحينئذٍ اخذوا في ان يمدحوا بهرام ويهنئوه على ما اعطي من القوة والبسالة والتفنن في استعمال السلاح فشكر منهم . ولما رجعوا الى المدينة اخبروا بما كان من امر الاسد وحمار الوحش وكيف ان بهرام قتلهما بسهم واحد فاخذت الناس في ان تتقاطر الى تلك الجهة للتفرج على الاسد . واما المنذر فانه احضر المصورين وامرهم ان يصوروا في الخورنق صورة بهرام وبيده القوس موتورة وصورة الاسد وحمار الوحش وقد دخل فيهما السهم فسمرهما الى بعضهما قد اتقن المصورون عمل تلك الصورة حتى ان الرائي عند وقوع اول نظره عليها لا يقدر ان يدرك انها رسم بل حقيقة

وفي يوم آخر خرج بهرام ايضًا كجاري عادته في طلب الصيد والقنص وكان برفقته المنذر ورجاله ولما صاروا في القفار اطلقوا لخيولهم الاعنه وسار كل واحد في جهة وقد انفرد بهرام الى احد الاطراف بعيدًا عن رفاقه واخذ بمطاردة الوحوش لوحده وفيما هو على مثل ذلك رأى حمار وحش عجيب الشكل غريبه بطنهُ ابيض كالثلج وظهره احمر كالقرمز مرقط بنقط تزين جلده بهيئة لم يسبق ان راى مثلها وقد جاء ووقف امام جواده فكاد يطير

من الفرح والسرور مع ما هو عليه من التعب والعناء. لانه لم يكن شاهد قبل ذلك الحين مثل هذا الحيوان لوناً وانساً امل ان يمسكه حياً فاخذ الكمند في يده وعزم على ان يرميه عليه ولما رأى ذاك الحيوان المسكين آلة الصيد في يده خاف على نفسه فجمع يديه الى رجليه وقفز الى جهة ثانية ومسك الطريق. فعزم بهرام ان لا يرجع ما لم يقبض عليه فتبعه ففر من امامه ووقف بعيداً ناظراً اليه فسار في اثره ولا زال على مثل ذلك مدة اربع ساعات تقريباً وكل ما كان يقرب منه يفر ويبتعد حتى قرب الزوال ولم يبق من النهار اكثر من نصف ساعة وحينئذٍ وجد بهرام انه بعد عن المنذر اكثر من خمس ساعات ورأى ان الليل صار قريباً فاخذه الملل والضجر. ولما لم يكن قد راى منذ يوم خروجه للصيد الى تلك الساعة حمار وحشٍ كهذا سريع الركض عجيب الهيئة واللون وقع في حيرة عظيمة وقال في نفسه يا للعجب أهو عفريت مسحور في صفة حيوان ام انه بالحقيقة حيوان من خلقة الرحمن. ثم عول على الرجوع لكن كان قد تعب من كثرة المطاردة والركض فوقف ينظر الى الحيوان فوجده قد توارى عن عينيه في مغارة عند ذيل جبل هناك. فلما رأى تلك المغارة قال في نفسه لا ريب اني امسكه في داخلها فساق جواده الى الامام ولم يتقدم اكثر من اربعين او خمسين خطوة حتى شعر بوقوع حر عظيم على وجهه وقد وقف جواده عن التقدم وشخر ونخر فزادت حيرة بهرام من ذلك وغاص في بحار التفكر ولا سيما عند ما شعر بان قوة الحر الذي وقع على وجهه بغتة قد انقطع عنه بغتة

وبعد ان وقف مفتكراً مقدار دقيقة حملته جسارته وشجاعته على الدنو من المغارة فارغم جواده على التقدم الى باب المغارة ومد نظره الى الداخل فوجد افعى كالتنين كبيراً لون جلده اسود كالزفت يتلوى ويتقلب على نفسه وعيناه كالمشاعل تقدح ناراً ويخرج من فمه نفثاً كالدخان الاسود شديد الحرارة ينتشر في اطراف المغارة. فلما رأى بهرام هذا المنظر المخيف لحق به بعض الخوف والرعب لكن شجاعته تغلبت فلم يهرب ولا طاوعته بسالته على الرجوع الى الوراء بل وقف في باب المغارة مقدار نصف ساعة تقريباً وهو ينظر في ذاك الحيوان وكبر هيكله حتى قرب المساء وكاد الظلام يغطي وجه الارض بسواده المشابه لسواد الافعى وكان يفتكر ويقول في نفسه ما الذي قادني الى هنا واين ذاك الحيوان حمار الوحش وهل هذا الافعى طلسم يا ترى وما الذي حمل حمار الوحش على ان يقود بي الى هذا المكان لا ريب انه متضرر من هذا الافعى المضر وخائف منه يطلب اليّ ان انتقم له. نعم ان ذاك الحيوان اللطيف البديع قد استجار بي واستنصرني لنجدته وقادني خلفه حتى اوصلني الى هذه

المغارة ومن يعلم ما هي المضرة التي اضره بها أأهلك له ولداً ام زوجاً فبشراك يا ايها الحيوان الظريف الحكيم لقد عرفت كيف تنتقم من عدوك واصبت باستنجادك بفتى لا يخيب املاً ولا يضيع سؤلاً فاصبر قليلاً ترى ما يسرك هوذا الليل قد اقبل ولكنه لا يمنعني عن الانتقام لك من عدوك فهلم وانظر

ثم تناول كنانته واخرج منها سهماً ذا ابرتين فوضعه في القوس ثم نظر الى داخل المغارة فوجد الافعى ملتفاً على بعضه بعلو الجمل وراسه الى باب المغارة وعيناه تقدحان ناراً فكانتا كمصباحين متقدين فصوب السهم اليهما واوتره بعنف ثم اطلقه فخرج من بين اصابعه كالنار وباسرع من لمح البصر وقع في عيني الافعى الاثنتين فاخترقهما فاختبط الافعى ونخ وضرب برأسه المغارة وهو لا يعي من شدة الالم وقد ظن بهرام ان الجبل الذي يعلو المغارة يهتز من عزم اختباط الافعى ولذلك لم يترك له فرصة لينسحب او يرتاح بل اسرع فنزل عن جواده واستل سيفه ودخل المغارة وهو كالاسد الكاسر وجاء من جانب الافعى وضربه بقوة زند تهتز له الجبال فاصاب عنق الافعى فقطعه واندفق من جوفه نهر من الدماء وجرى من باب المغارة الى الخارج · الا ان بهرام لم يقنع بقطع راس الافعى بل اراد ان يشق بطنه ليرى ماذا جرى فيه وعلى ما يطلب حمار الوحش الانتقام منه · و بعد ان شق بطنه وجد اثنين من اجرية حمار الوحش فاحتار من ذلك وقال في نفسه سبحان الله ان للحيوانات عقل وفكر حسن فكيف ان هذا الحيوان قد طاف البراري مفتشاً على من ياخذ له بثاره

والحاصل ان بهرام بعد ان تمم عمله اراد الخروج من تلك المغارة قبل اشتداد الظلام فركب جواده وعزم على المسير وما لبث ان خطا خطوة واحدة من باب المغارة حتى ابصر حمار الوحش قد ظهر واسرع في الدخول الى المغارة فزادت حيرة بهرام واضطر ان يرجع الى المغارة ثانياً وهو يقول متعجباً أمن عدو آخر لهذا الحيوان يتمنى الانتقام منه وما لبث ان دخل حتى وجد في زاوية المغارة لمعاناً و بريقاً فتقدم واذا به يرى ذاك الحيوان قد كشف عن كنز كان مدفوناً في جانب المغارة مملوءاً من الجواهر النفيسة وقطع الماس الكبيرة والذهب الوهاج ومن كل حجر كريم مقدار عظيم لا يوجد في اكبر خزائن الملوك واعظمها فلما راى بهرام هذه الجواهر اندهش وتعجب والذي زاد تعجبه وجود مثل هذا الكنز العظيم في تلك المغارة المنفردة وقد علم ان الحيوان اراد ان يقدم له تلك القيمة في مقابل قتله الافعى التي قتلها اخذاً بثاره · لكنه بعد التفكر برهة عاد فركب جواده وابقى تلك الجواهر في محلها وفي عزمه ان يطلع المنذر عليها فيرفعها الى خزائنه وما سار الا القليل حتى سمع صوت حوافر

الخيل على حصباء تلك الارض وهي تتقدم اليه فعلم ان لا بد ان يكون القادمون المنذر ورجاله يطوفون عليه في تلك النواحي فلبث ينتظر وصولهم ولم يمر بضع دقائق حتى اجتمع بالمنذر . وكان لما غاب بهرام عن اعينهم وهم مشغولون بالصيد ومتفرقون في تلك النواحي ظنوا انه يطارد حمار الوحش كعادته فلم يتأثروه لكن لما طال غيابه وقرب المساء انتظروه فلم يرجع فشغل بال المنذر عليه وقد خاف ان يكون قد وقع بمصيبة لانه يخاطر بنفسه مع صغر سنه فجعل يدور عليه في جهة الطريق التي سار فيه ورجاله خلفه حتى التقى به في ذاك المكان فلما رآه فرح كثيرًا وسأله عن حاله وما سبب تاخيره في ذاك المكان الى مثل تلك الساعة حتى اشغل افكارهم

وكان بهرام قد سرّ كثيرًا من مصادفة المنذر بالقرب من المغارة فاخبره بكل ما وقع له ثم نزل عن جواده واخذه من يده ومشي به الى المغارة فادخله اليها ولما رأى المنذر هيكل تلك الافعى العظيم التي لم يرَ مثله ولا سمع من احد بوجود نظيره وكان الدم لا يزال يجري الى الخارج فتعجب وارتعب وعظم شأن بهرام في عينيه اكثر من قبل وقال له والله يا ولدي انك نادرة زمانك وفريد عصرك واوانك ولو لم ارَ هذه الاعمال بعيني لما صدقتها ولو حكاها لي ابي او قرأتها بكتب الانبياء لعظم عليّ تصديقها فليساعدك الله على حياتك و يحرسك من كل عين و يبعد عنك شر الحاسدين فقبل بهرام يده وشكره ثم قاده الى مكان الكنز واراه الجواهر فزاد تعجبه اكثر من الاول وطار صوابه وقال من اين كل هذه النفائس فلا ريب ان احد الملوك العظام كعاد بن شداد او غيره من الذين ملكوا اكثر اقسام الدنيا دفنها في هذا المكان لسبب لا يعلمه الا الله . ولما كان الوقت قد مضى والليل اشتد بظلامه صرفوا ليلهم في ذاك المكان يتحدثون بامر بهرام واعماله وقد اوقدوا النار وشووا الصيد واكلوا وناموا الى ان اشرق الله الصباح فهبوا من رقادهم وارسل المنذر السعاة الى المدينة فاتوا بالجمال والبغال فحملوا تلك الجواهر المتقدم ذكرها ورفعوا الذهب على ظهورها وكان يبلغ قناطير كثيرة . ومن ثم رجعوا الى المدينة وهناك امر المنذر المصورين ان يخرجوا الى تلك المغارة فيروها و يروا ذاك الافعى ومن ثم يصوروا بهرام وقد اطلق سهمه على الافعى في وسط المغارة فقتلها والدم يجري كالنهر وذلك في القصر بجانب صورة الاسد

وكان قد شاع هذا الخبر في المدينة فاخذ الاهلون كبارًا وصغارًا رجالاً ونساء يتسابقون الى تلك الناحية للفرجة على تلك العجيبة وما من احد الا واندهش وكاد لا يصدق

ان انساناً يقدر على مثل هذا الحيوان الذي لو ضرب جبلاً لزعزعه ولو رأى اسداً لقتله وازدرده دفعة واحدة وزادت محبة بهرام في قلوب الاهلين فكانوا يحلفون به ويجلون قدره ويتمنون ان يروه في كل ساعة لو تسنى لهم واصبح اسمه في فم الكبير والصغير يمدحونه ويدعون له بطول العمر

فهذا ما كان من المنذر ورجال المدينة واما بهرام فانه عاد الى القصر كجاري عادته كانه لم يمر عليه امر من الامور قط ولم يفتكر لا بالجواهر ولا بالافعي ولا بشيء من الاشياء الى ان كان ذات يوم رأى نفسه ضيق الصدر فخرج من غرفته وجعل يتنقل من غرفة الى غرفة ينظر في القصر وبنيانه قاصداً ان يلتهي ويفرج عنه ما يشعر به من الانقباض وفيما هو على مثل ذلك رأى باباً مقفلاً وكان قد رآه قبل ذلك كثيراً لكنه لم يحفل به اما في هذه المرة فقد تاق الى معرفة ما في داخله وقال في نفسه عجباً منذ وجودي في هذا القصر وانا ارى هذا الباب مقفلاً لم يفتح يوماً واحداً فلماذا يا ترى وماذا يكون داخله فلا بد من سبب لذلك . وفي الحال دعى اليه خادم القصر فحضر فقال له اني منذ القديم ارى باب هذه الغرفة مقفلاً ولم ارك ولا ارى احداً من الخدم فتحه فلاي سبب وماذا يا ترى يوجد خلفه قال لا اعلم يا سيدي والذي اعلمه ان الملك النعمان سلمني مفتاح هذا الباب وقال لي ابقه معك الى حين يطلبه منك بهرام واني اعرف ان لا احد يعرف ما داخل هذه الغرفة الا سنمار الذي بنى القصر فانه كان حكيما ماهرا والملك النعمان . فزادت رغبة بهرام الى الوقوف على ما هنالك من الخبايا وقد ثبت له انه يوجد شيء مهيأ له منذ طفوليته وقد اوصى الخادم ان يكتمه الى حين كبره وها قد كبر . ثم اخذ المفتاح من الخادم فوضعه في الباب وفتحه والقى نظره الى الداخل واذا به يرى سبع كرامي مطلية بالذهب الوهاج مرصعة بالجواهر والياقوت وعليها سبع بنات كانهن الاقمار جالسات كالملوك على عروشهن فاخذته الدهشة والرجفة في الحال لانه لم يكن ينتظر مثل هذا المنظر البديع فوقف مبهوتاً وعيناه جامدتان في البنات يرى ولا يعي وبقي غائصاً في بحار الحيرة مقدار ساعة تقريباً ثم بعد ذلك عاد اليه وعيه وشجاعته فتقدم الى الامام ودنا من الاسرة بقلب شائق وعقل تائه واحدق في البنات فاذا هن رسوم لا جسوم قد صنعت بيد غريبة الصنعة لا يقدر ان يميزهن الرائي الا باللمس عن قريب فوعي بهرام لنفسه قليلا لكنه بقي غائصاً متاملاً في وجودهن وصنعتهن وعجيب وضعهن وهو يتأمل ليقدر ان يميز جمال الواحدة عن الثانية

فلم يقدر ان يحكم لواحدة واخذ ذاك الحب ان يتجسم بفعل العناية حتى كاد يقع الى الارض وهو لا يعرف ماذا يفعل وقد زاد تاسفه وهيجانه لما رأى ان تلك الرسوم لم تكن جسوماً وكان قلبه يخفق عند وقوع نظره على كل واحدة منهن والافكار تتلاعب به وتبين له ان لا بد من اصل لتلك الصور القائمة على عروش البهاء والكمال وانها ما وضعت الا لغاية تتعلق به وتعود عليه وقد حفظت كل ذاك الزمان في ذاك المكان على امل ان يراها وقد خصص باني القصر والملك النعمان خادم القصر باخفاء مفتاح تلك الغرفة الى حين يكبر فيسلمه اياه ورجح عنده ان لا بد لذلك من سر عجيب

وفيما هو على مثل ذلك تارة تتجاذبه الافكار وتتلاعب به ايدي المحبة والغرام وطوراً يقف عند حد البحث في سبب وضع هذه الصور في ذاك المكان واحياناً يأتيه الصبر والجلد فيعزم على الخروج والتخلي عن تلك المناظر البديعة التي لا يستفيد منها الا الحسرة والحزن لانها جوامد غير ناطقة واذا به يرى كتابة فارسية باحرف رفيعة على الواح كل منها معلقاً بكرسي صاحبتها فتقرب من الالواح واخذها على يده وقرأها واذا به مكتوب على اللوح الاول (هذه صورة نور بنت ملك الهند) وعلى الثاني (لقمان بنت ملك الصين) والثالث (بري بنت سلطان خوارزم) ٠ والرابع (نسرين بوش بنت ملك سقلاب) ٠ والخامس (درستي بنت كسرى من نسل كيكاوس) ٠ والسادس (هاي بنت قيصر الروم) والسابع (اذر برن بنت سلطان الغرب) ولما قرأ بهرام تلك الكتابات وعرف اسماء صاحبات تلك الصور زاد في الحيرة والاندهاش وجعل يبحث في اطراف الغرفة وتحت الكراسي عله يقف على اثر اخر يستوضح منه شيئاً عن امر تلك الصور او صاحباتهن واذا به عثر بلوح اخر مكتوب عليه ما يأتي « ان المنجمين وعلماء الدولة المطلعين على احوال الملوك وادوار السلاطين والعارفين بحوادث الدنيا وموجوداتها اخبروا ان بهرام ابن الملك ازدشير سعيد الطالع وقد قدر الله سبحانه وتعالى ان يملك السبعة اقاليم ويحصل على السبع بنات لملوكها اجمل بنات الدنيا ويكون له من المجد والعظمة ما لم ينله غيره قبله فلما قرأ بهرام ذاك اللوح وقف متفكراً في امر هذه الدنيا وكيف ان الله سبحانه وتعالى خلق فيها اناساً يبحثون عن احوال المستقبل ويعرفون ما سوف يقع في مستقبل الايام وانهم على الدوام يصيبون ٠ ولذلك استغفر الله وخرّ ساجداً له على عظيم فضله ونعمه وبعد ان صلى وطلب المعونة من الله عاد الى امام صور البنات وقد زادت محبته الى صاحباتهن حتى عاد لا يقدر ان يفارق ذاك المكان بسهولة ٠ ثم قال بنفسه يجب ان ارى اية صورة اجمل وابدع فنظر

في الاولى واحدق بها وقال لا ريب ان هاته ابدع الجميع حسناً وبهاء وجسماً وقدًا وبقي محدقاً بها حاكماً بوحدانية جمالها وكمالها الى ان انتقل الى الثانية فجعل يتأمل فيها وقال لا بل هذه ابدع جمالاً وابهى منظرًا فكل ما فيها كامل ومحبوب وبقي كل ما وقع نظره على صورة يحكم بانها ابهى الجميع حتى حكم للسبع بنات بان كل واحدة احسن من الثانية ودام على حاله مدة من الوقت وقد انسحب قلبه وهطلت دموعه تكرارًا وهو يفكر كيف يعمل للوصول الى البنات وفيما هو على مثل ذلك عاودته شجاعته وبسالته ودبت في جسمه حرارة الجد والسعي فقال في نفسه ما الفائدة من وقوفي في هذه الغرفة امام هذه الاصنام الواقفة لا استفيد منها الا حسرة ولا ازيد الا تأوهاً فالافضل لي ان اتكل على ما اعطانيه الله من الشجاعة والعقل فاسعي خلف صاحبات الصور ولا بد لي ان احصل على الغاية المطلوبة ولو كانت في قلب البحار فما قدره الله لا بد من وقوعه ولو حال دونه الفحائل

ثم انه خرج من تلك الغرفة واقفل الباب ووضع المفتاح في جيبه ورجع الى ما كان عليه قبلاً يخرج الى الصيد في النهار فيصطاد ويعود الى القصر في المساء فيدخل على الصور وينظر اليها وكثيرًا ما كان يخاطبها وهو سكران بخمر جمال صاحباتها « يا ايتها الملائكة الجالسات على عروش البهاء من منكن يلزم ان احب فاخصص لها نفسي لا يمكن ان اعطي قلبي لكنّ دفعة واحدة وهو لا يطاوعني الا على محبة الجميع فماذا يا ترى اعمل » فكان يحزن ثم يتسلي ثم يسرّ ثم يعود الى حزنه واخيرًا يخرج من تلك الغرفة ويعود الى ما كان عليه من الصيد والقنص والمعاشرة والصفاء الى المساء وفي المساء يدخل الغرفة فيصرف وقتاً على ما تقدم وكانت الايام تمر عليه وهو على تلك الحالة الى ان بلغ الخامسة عشرة من العمر

ففي ذات يوم كان جالساً في القصر مع الملك المنذر فاخذا يتباحثان عن كل امرٍ فخطر على فكر بهرام امر ابيه فقال للمنذر عجباً منذ زمن طويل لا اعرف شيئاً عن ابي فلماذا يا ترى هل نسيني ولم اعد اخطر له في خاطر فاجابه المنذر انه بامان عليك وكثرة اشغاله جعلته لا يفكر الا بامر المملكة . فلم يقنع بهرام لهذا الجواب بل في الحال احضر رسولاً وارسله الى ايران لينظر له في احوالها ويرى له اباه احيٌّ هو ام قضى عليه القدر. فسار الرسول وغاب عدة ايام ورجع وهو بحالة حزن ويأس ودخل على بهرام وقبل يديه ووقف ذليلاً حزيناً فخفق قلب بهرام وادرك ان اباه توفي لا محالة فقال للرسول اخبر بما رايت ولا تخف وعليك الامان فقال اعلم يا سيدي اني خرجت من هنا وسرت بعجلة في طريق ايران حتى وصلت من ضواحيها وقبل ان ادخل اليها صادفت فلاحاً في حقله

فسألني ابن تقصد فقلت لهُ المدينة قال ارجع من حيث اتيت فلا احد يقدر ان يدخل المدينة ومن يرونهُ داخلاً يقبضون عليهِ فاما يقتلونهُ واما يبعدونهُ فاني انصح لك ان لا تدخل والسلام ثم دار ظهرهُ ومشى فسألته عن السبب فلم يجبني فزاد اضطرابي ونويت ان لا ارجع فتقدمت وكان الليل قد اقبل فانزويت في احدى الزوايا الى ان مضى اكثر من نصف الليل فانسحبت الى الداخل دون ان يراني احد لكن كنت خائفًا ان اسأل احدًا فيعرفني غريبًا فيقبض عليَّ و بقيت محتارًا الى ان خطر لي خاطر وهو ان اذهب الى بيت اناس كنت اعرفهم قديمًا وهم انسباء زوجتي فاتيت البيت وطرقت الباب ففتحوا لي ولما رأوني تاهلوا بي وادخلوني وسألوني عن امري فقلت لهم قبل كل شيء اريد ان اعرف لماذا منع دخول الغرباء المدينة ولاي سبب . فقالوا لي ان الحكومة الحاكمة الآن منعت دخول كل من يأتي من الخارج ولذلك ترانا متعجبين من دخولك البلد ووصولك الينا . فقلت وما السبب لهذا العمل مع ان الملك ازدشير كان يسمح لكل احدٍ بالدخول والخروج فماذا جدَّ بعد غيابي وهل لا يزال الملك ازدشير حيًا فتأوهوا وقالوا لا تسل يا نسيبنا فان الاحوال قد تغيرت والامور تقلبت وتوفي الملك منذ خمس سنين ومنذ ذلك الحين والطرق مسدودة في وجه الداخلين المدينة وذلك انهُ بعد ان توفي الملك ازدشير كفنوهُ ودفنوهُ وطلب كبراء المملكة واعيانها الى الوزراء والوكلاء ان يستحضروا بهرام ابن الملك فوعدوهم باحضاره واروهم كتابة كتبوها يستدعونهُ بها لكنهم لم يرسلوا الكتابة بل اجتمعوا الى بعضهم البعض واعتمدوا ان لا يضعوا احدًا من اولاد ازدشير شاه فيما بعد وصار كل ما سأل الاهالي عن بهرام وزمن وصولهِ يقولون لهم غدًا يحضر وفي الشهر الاتي يحضر وهو مشغول الآن بالصيد والقنص ويختلقون اقوالاً لا طائل تحتها واخيرًا عرفوا ان لا بد لهذه الحالة من نهاية فتدبروا بان اجلسوا على العرش رجلاً آخر اسمهُ خسرو وسلموه القوة وساعدوهُ على كيد الرعية فالتزمت الرعية على الاصغار والسكوت وخصوصًا انها لا تعرف امرًا عن ابن ملكها ولا تعلم ايأتي ام لا والآن صابرون على حكم القضاء واما الوزراء والملك خسروا فانهم في خوف من اتيان بهرام او من ارسال رسولٍ ولذلك لا يتركون احدًا يدخل المدينة ومن يدخلها يقبض عليه فيطرد واذا اشتبه فيه بانهُ ربما يكون رسول بهرام يقتل كي لا يوصل اليه الخبر . فلما سمعت ذلك خرجت في الحال من البيت دون ان اصغى لدعوتهم لي وانسحبت تحت الغسق من المكان الذي دخلت منه ولما صرت في الخارج امنت على نفسي وشكرت الله على بقائي سالمًا لاصل اليك بخبر

اولئك اللئام الذين حملتهم الخيانة والغدر على اضاعة ملكك من يدك وهذا كل ما رايته وسمعته يا سيدي

ولما سمع بهرام من الرسول هذا الكلام كاد يختنق من الحزن على ابيه ومن الغضب على وزراء المملكة ووكلائها وقد احمر وجهه ثم اصفر واخذ يتلون نحوًا من ربع ساعة حتى هدأ غضبه على نوع ما ورجع اليه بعض روعه وحينئذٍ بكى على والده وسالت دموعه على خديه وفيما هو على مثل ذلك دخل عليه المنذر ولما رآه على ما تقدم كاد يطير صوابه واستفسر من الرسول عن السبب فاخبره بكل ما جرى فاخذ المنذر في ان يسليه و يطيب خاطره وقال له ان موت ابيك يفطر قلوبنا ويحزننا كثيرًا ولكن علينا بالصبر والتعزية لعلمنا اننا سائرون في اثره وسيحزن علينا خلفاؤنا كما نحزن نحن على اسلافنا والرجل العاقل هو الذي يدوس المصائب بقدمه فلا يقع تحتها فتسحقه . واما من جهة ذاك الذي جلس على العرش واغتصب حقوقك فاننا نسير اليه بالجيش ونحاربه ولا بد ان يضم الينا اكثر شعوب الفرس لعلمهم انه مغتصب حقوقك متعدٍ على ميراثك فيقلعونه بالقوة عند ما يرونك واصلاً اليهم و يشاهدون ما انت عليه من الشجاعة والكمال في السجايا والاعمال وها اني انا ورجال العراق بين يديك نفديك بارواحنا ونسير في ركابك اينما سرت فأجل عن قلبك الهم والغم وانهض نهضة الاسد فما انت ممن يعجز عن نيل مراده واخذ ثاره من خصمه . فقال بهرام اما ذهابي الى ايران فلا بد منه فاني سأوافيها بصارمي الابتر واجمع لي جيشًا من محبي ابي ومهما كان عدده فاني اهدم به المدائن وادك اسوارها واجعلها قاعًا صفصفًا وقد ظن اولئك الوزراء الخائنون اني كغيري ممن يعهدون و سيرون سيفًا يقد الحديد وعزمًا تهتز له الجبال لكني لا ارغب في ان اقود بك وبجيشك الى تلك البلاد و يكفاك ما تحملت لاجلي من العذاب والثقلة مدة ١٥ سنة وانت صارف معظم همك واهتمامك كان لا شغل لك الا الاعتناء بي فانا مديون لجميلك الى الابد وكل ما بي من شجاعة او علم او كرامة كنت انت سببها ومصدرها . فاجابه المنذر عبثًا تحاول ياولدي امر الانفصال عنا فانت ربيت عندي كولدي واعزك باعظم من اولادي واهلي ولا اريد ان اتخلى عنك وان كنت انت لا تسير الى ايران فها انا اسير منذ الغد واستعين بالله على هذا الظالم الغدار واخذ بثار ابيك لانه كان يعزنا ويودنا ويركن الينا في اكثر القضايا ولم يرَ من يودعه ابنه الا ابي فانهض فما في الكلام فائدة

ثم ان المنذر امر من تلك الساعة بان تتأهب جيوش اليمن وان يكتب الى قبائل

العرب ان توافيه برجالها وسلاحها فتقاطرت القبائل على خيولها ولم يكن الا القليل من الايام حتى ركب الملك المنذر و بهرام وركب من خلفهما مئة الف فارس من الفرسان المعدودة كلهم بالدروع الداودية والسيوف اليمنية وتحتهم الخيول العربية وساروا يقصدون ايران وتلك النواحي وما زالوا في مسيرهم حتى وصلوا من المدينه فنزلوا في خارجها لاخذ الراحة والنظر في تدبير الامر . ولما بلغ الخبر الملك خسرو وهو الذي اجلسه الوزراء على تخت فارس خاف لانه كان شيخاً وليس فيه من الشجاعة ما يقدر ان يقاوم فيه اخصامه ولا سيما قد ثبت لديه ان الرعية كلها ستجتمع الى ابن ملكها وور يث العرش بعد ابيه ولذلك احضر اليه الوزراء والوكلاء وقال لهم اني اعجب من خيانتكم لملككم السابق وغشكم ملككم الحالي فما دام في الدنيا وارث لتخت فارس فلماذا دعيتموني واجلستموني عليه . فاجابوه عفواً يا مولانا اننا فعلنا ما فعلنا لعدم رغبتنا في بقاء تلك العائلة فاننا لا نريدها واكثر الاهلين ينفرون منها فضلاً عن ان رغبتنا فيك وعلمنا بعلو مقامك ورفعة شأنك هما اللذان حملانا على ان نفعل ما فعلنا . والان لا يرهبنك هذا الغلام فانه ولد لم يتجاوز الخامسة عشر فلا يقدر ان يقاومنا في عزمنا ومن الواجب ان ترسل اليه فتهدده بكثرة الجيوش والابطال وتبين له ان اتكاله على جيوش العرب التي معه لا يدفع عنه شدة وتسأله ان يتفرغ لك عن الملك و يهبك حق الميراث فلا بد ان الخوف يحمله الى اجابة طلبنا فهو طفل على كل حال ونكون بذلك قد ارضينا الرعية عموماً وارتحنا من اللوم والتنديد واستغنينا عن استعمال القوة وابقينا السلام بيننا و بين العرب لانهم من اتباع دولتنا وما اخفينا امر توليك عن الملك المنذر كل هذه المدة الا لعلمنا بوجود بهرام عنده

فاستصوب خسرو ذلك وكتب لبهرام كتاباً يقول لهُ فيه بعد السلام والثناء . اعلم يا ولدي ان الله قد احسن اليَّ بتخت فارس واوصلني اليه لا بسعي وجدٍ ولا بجند وقوة ولا بميراث وحق لكن ارادة الله قضت بذلك لانهُ من المعلوم عند الناس ان الرجل الحسن الطالع تخدمهُ الاقدار . فالآن مهما نظرت الى الملك والعظمة والسلطة فلا ارى نفسي سعيداً لان هذا كلهُ يشبه العسل الممزوج بالسم . واني كنت في غنى عن كل ذلك قانعاً بثروتي ونفوذ كلمتي مرتاحاً عن حمل هموم الغير فاجتمع الرعية والجنود وسحبوني من محل راحتي واجبروني على الجلوس على تخت السلطنة . . . . كلا . كلا . . . انهم لم يقيموني ملكاً بل غفيراً . وفي الامثال . ان نصف الناس اعداء لمن ولي الاحكام هذا ان عدل . وعليهِ فارى ان شاباً مثلك في اول عمرهِ يقدر ان يتنامى الملك و ينصرف الى

الملذات والملاهي و يعيش بنعمة وراحة وسكينة لا يتحمل اثقال الملك ومصاعب رجال الدولة بالنظر لاختلاف مشاربهم وغاياتهم وعلى الخصوص ان اصحاب الامر والنهي في بلاد فارس لا يريدونك ولا يتركونني فاتخلى لك عن الملك الذي اكرههُ . فانت الآن اكثر سعادة مني لانك تتنعم بلذات هذه الدنيا بغير همٍّ فتخرج الى الصيد عند ما تريد وتجلس على موائد الفرح مع اصحابك في اي وقت شئت لا يشغلك عن مشتهاك شاغل مع اني في هم وغصة الليل والنهار اضطرُّ الى مداراة الخواطر ودفع نقمات العدو والتفكر بالتخلص من دسائس الذين لا يمكن لي ان ارضيهم وهذه اقل هموم الملك وكنت ارغب في ان اسلمك العرش بهمومهِ واثقالهِ واعيش كما تعيش انت بالصفا والرخاء لكن الجند والامراء لا يقبلون بك ولا باحد من عائلتك لانهم يرون ان اباك كان ظالماً مرَّ الكلام يحتقر الكبير والصغير ولذلك لا يمكن ان اتخلى عن الملك لمن تكرههُ الرعية ومن الموافق ان تتنازل عن حقوقك ولا ترغب في قوم يكرهونك واذا بقيت مصراً فاكد انك لا تنجح فان جند فارس كثير لا يحصى لهُ عد وفي خزائن المملكة من الاموال ما يكفينا لان نحارب بهِ ملوك العرب والروم والهند والصين وكل ملوك الارض و يترجح لنا الفوز لكثرة الجنود والاموال فانظر في امر نفسك نظر الخبير العاقل ولا تطوح بنفسك فتندم والسلام

و بعد ان فرغ من كتابة هذا الكتاب اخذه اثنان من الوزراء وخمسة من فصحاء الدولة وساروا بـهِ الى جيش العرب ليسلموه الى بهرام و ينذروهُ بالخطر و ينصحوا لهُ ان لا يتصدى لتخت فارس ولم يكن الا القليل حتى دخلوا جيش العرب وارسلوا فاخبروا بهرام بوصولهم اليه فامرهم بالدخول عليه فنزلوا عن خيولهم ودخلوا الصيوان و بعد ان ادوا رسوم السلام والاحترام على حسب عوائدهم وقفوا بين يديه وكان بهرام جالساً على كرسي مرصع بكمال الهيبة والوقار ونور جماله يملأُ المكان فامرهم ان يجلسوا في مكان عند يمينه فجلسوا فترحب بهم وبشَّ لهم . واما هم فانهم عند ما شاهدوا هيبة بهرام وعظمته وما هو عليه من الحسن والاجلال تعجبوا ووقعوا في حيرة وخوف . ومن ثمَّ نهض احد الوزيرين واقفاً على الاقدام و بعد الدعاء ناوله رسالة الملك فاخذها من يده وناولها الى كاتبه وامره ان يقرأَها بصوت عالٍ فاجاب الكاتب امره وقرأَها حرفاً بحرف . ولما سمع بهرام الرسالة وعرف مضمونها احتدم من الغيظ وصار وجهه احمر كالدم وتطاير الشرر من عينيه وصبر على نفسه الى ان استكن وعاد اليه لونه الطبيعي شيئاً فشيئاً و بعد ان جمع حواسه وقبض

على ازمة غضبه اخذ يفكر في الجواب برهة ومن ثم قال للوزراء بكمال الوقار والاحترام
نعم قرأت الرسالة وفهمت جميع ما كتب فيها لقد ارسل ينصح لي و يشير عليَّ ان ابقى في الصفاء والانس فلا يخفاكم ان عندي من الجواهر والاموال ما اقدر ان اشتري به السبع اقاليم واملاك الدنيا من اولها الى اخرها لكن ارى من المفروض عليَّ ان لا اترك البلاد التي ملكها ابي واجدادي والتخت الذي يحق لي ميراثه في تصرف الاخرين. وفي المثل «اذا ادعى ابي الالوهية وجب عليَّ عبادته» . والانسان العاقل لا يطيعه شرفه على التخلي عن حق كهذا كان من رغبة ابيه ايصاله اليه ومع ذلك فان كان ابي ظالمًا فانا عادل وان كان غضوبًا فانا حليم وان كان قاسيًا فانا لين وان كان الجو ليلاً فانا نهار ألا تعلمون ان الليل يولد النهار وان الماس من الصوان . فاذا كنتم تقيسونني بابي فانتم في غلط مبين واما انا فان كنت نائمًا الى الان فها انا استيقظت وان كنت جاهلاً الخبر فها قد علمته وعرفت كل شيء ومع ذلك فاتجاهل كأني لا اعرف شيئًا فالتفت الى مصالح العباد ولا انفصل عن النظر في شان المملكة دقيقة ولا اطمع في مال احد وروح احد واعفو عن خيانتكم وخطاكم واجري ما هو لائق في حقكم ولا ادع الحكماء والعلماء بعيدين عن بابي واطرد عنه كل جاهل خبيث واحافظ على اموال واعراض الجميع سواء كانوا من علماء او جهلاء ولا انظر بخيانة الى مال احد ولا اسلم مصالح الاهالي وما يتعلق بهم الى غايات الوزراء ورجال المعية بل اراها بنفسي واحكم بها بعدل الله وحقه وما زلت حيًّا لا اقيم على المملكة وكيلاً لي ولا اختار وزيرًا الا من فلاسفة العصر وعقلائهم والحاصل لا اغفل دقيقة عن امور الملك ولا افعل الاَّ ما يرضي الله ويسر الرعية

ولما فرغ بهرام من كلامه والوزيران ورجال الفصاحة الخمسة يسمعون كلامهُ اندهشوا من فصاحته وطلاقة لسانه وحسن آدابه وكانوا قد انقادوا لهيبته وحسن طلعته فعرفوا انهم في غلط مبين وقد ندموا على ما سبق منهم لان مثل بهرام يفدى بالارواح والاموال ومضى عليهم مقدار ساعة وهم سكوت لا ينطقون ببنت شفة يفكرون مطرقين الى الارض في ماذا يجب ان يعملوا . و بعد ذلك نهض الوزير الاول واقفًا على الاقدام ودنا من السرير الجالس عليه بهرام فقبلهُ و بعد ان اكثر لهُ من الدعاء والثناء قال له اننا نعلم يا سيدي اننا غلطنا وارتكبنا طريق الشطط و يكفي ان فصاحة لسانك الآن وحلاوة حديثك تنسينا كل ما لاقينا قبلاً من ابيك فوارث المملكة الحقيقي هو انت ولذلك نرجو من لدنك العفو عن خطائنا وخيانتنا والآن نؤكد ان العرش والتاج والقفطان

خلقت لك فلا تليق بغيرك وعلى الخصوص انها ملكك وحقك فقد تركها لك ابوك واجدادك ومن يطمع فيها فهو مزاحم واننا على يقين ان الرعية على وجه العموم والجند جميعهم يكونون ممنونين من توليك عليهم و يفرحون لذلك كثيرًا لكن ما الفائدة الآن فاننا نعترف لك بالحق الذي انت اهله ونتمنى من كل قلوبنا ان تكون سيدنا وسندنا وقد سبق بنا ان بايعنا خسرو وعاهدناه على الامانة واقسمنا له الايمان العظيمة بان نكون امناء على شخصهِ وتاجهِ ولا نخون له عهدًا ولا ميثاقًا وها اننا الآن نفدي ارواحنا في سبيل خدمتك فقط نرجو منك ان تبحث لنا عن حجة نحتج بها لدى خسرو فاننا لا نقدر ان نقاومه وقد اخترناهُ من نفوسنا فيلزم ان نخرج من عهدنا بسبب لا اعتراض عليه

فلما سمع بهرام كلام الوزير سرّ منه قلبًا وقالبًا وتبين من وجههِ صدق كلامهِ وحينئذٍ قال بكمال الاحترام والوقار لكم الحق بذلك لان العهد والميثاق شيءٌ عظيم جدًّا لكن يلزم ان تتفقوا وتقرروا على ما يأتي وهو ان تاخذوا تاج ابي وتأتوا بهِ ميدان المدينة الواسع الجوانب وتأتوا باسدين جائعين منذ ايام وتر بطوهما الى تخت تضعونه في نصف الميدان وتضعون التاج على التخت فمن يقدر أن يجتاز بين الاسدين و يأخذ التاج عن التخت و يلبسهُ يكون له في العرش الفارسي النصيب و يتفرغ له الاخر عن حقوقه عن طيبة خاطر ورضا وها انا راضٍ بهذا الشرط وقابل بهِ ٠ وحينئذٍ اتفق رجال مملكة ايران على هذا الراي واعتمدوا عليهِ فيما بينهم وهم في حيرة عظيمة من هذا العمل وقد وافق هذا الراي مشربهم لانهم علموا انه يستحيل على كل واحد من الاثنين ان يجتاز بين الاسدين لكنهم تيقنوا انهم لا بد ان يخلصوا من هذا المشكل و يتخلى عن الملك احد الملكين او يذهب فريسة الاسدين

و بعد ان قرّ قرارهم على مثل هذا الشأن نهضوا وقبلوا التخت الجالس عليه بهرام وخرجوا من حضرته وهم في حيرة عظيمة مما شاهدوا وسمعوا ولا زالوا يتحدثون بامر بهرام حتى دخلوا على الملك خسرو وادوا له واجب الاحترام ثم اطلعوه على الكيفية وعلى ما اتفقوا عليهِ مع بهرام ٠ وحالما سمع خسرو بذكر الاسدين انخطف لونه وصار كالرماد وفي الدقيقة نفسها قام عن الكرسي ونزل الى الارض وقال لا اريد الملك ولا انازل الاسود فها اني اترك الملك لبهرام واتخلى عن التاج لصاحبه فان الحياة لدي اغلى الاشياء ولم يعد في وسعي اوافقكم فانكم عن قريب تضيعون لي حياتي وتخسروني راحتي

الا ان الوزراء والوكلاء لما سمعوا كلامه اجابوه من حيث انك قد تخليت عن العرش من نفسك فنحن نقبله ونعيده الى الوارث الحقيقي قال افعلوا ما شئتم فاذا كان بهرام يفعل كما تقولون وكما تزعمون بانه يأخذ تاج ابيه عن التخت الموضوع بين اسدين فلا امانعه في الملك ولا ازاحمه واسلمه اياه من يدي واحلكم جميعكم من عهودكم وميثاقكم واحجب دماء العباد واصون حياتي . قالوا اصبت فاننا لا نسلم التاج لبهرام ما لم يف بما وعد وهذا صعب جداً ان يتخلص من مخالب اسدين عظيمين فاذا لم يجسر على الدنو منهما بقي العرش لك واذا حمله العنفوان والعتو والجهل والطمع الى المخاطرة بنفسه فلا يرجع سالماً وعلى كل حال يبقى التاج لك فكن في راحة . وبعد ان دار بينهم هذا الحديث وقرّ رايهم على مثل ما تقدم تفرقوا في ذلك اليوم الى بيوتهم وفي الصباح التالي خرج الوزراء والوكلاء وارباب الدولة واهالي المدينة صغاراً وكباراً نساء ورجالاً الى ميدان متسع في نصف المدينة وجميعهم في حيرة عظيمة وارتباك ونفوسهم تطمح الى التفرج على مثل هذا المشهد العظيم الذي ما راوا ولا سمعوا بمثله منذ قديم الازمان . وكان الملك خسرو ايضاً قد جاء لاجل الفرجة ومشاهدة شجاعة مناظره بهرام وهو على يقين انه سيذهب فريسة الاسود . وحينئذ جاؤوا بكرسي الملك فوضعوها في وسط الميدان وجاؤوا بالتاج فوضعوه عليه والناس تنتظر النهاية وفي الوقت نفسه جيء بالاسدين الى الميدان يقودهما نحو مائة رجل من الرجال المنتخبين الشجعان المخصصين بخدمة الاسود وقد اوصوهم منذ مساء الامس ان لا يطعمانهما شيئاً وكان الرجال يلاقون اعظم مشقة واجسم عذاب في قيادة الاسود وقلوبهم ترجف من الخوف لانهما جائعان فيأكلان الحجارة اذا وصلا اليها فضلاً عن انهما كانا هائلين جداً من اكبر الاسود واعظمها هيبة ولما قربوا بهما من التخت دقوا لهما الرزات في الارض وربطوهما من جانبي الكرسي الواحد الى راس الاخر لا يمكن للبرغشة ان تجتاز بينهما بسهولة واما الناس المتفرجون فقد وقعوا بالخوف والوجل وصاروا يرجفون من منظر الاسدين ويتأسفون على فوات عمر بهرام متاكدين على انه سيكون فريسة لهما وكان الاسدان في غليان وهيجان من شدة الجوع وقد فتتا باظافرهما الحجارة الكبيرة حتى جعلاها كالتراب المنخول وحفرا الارض بايديهما وزئيرهما ملأ القلوب خوفاً

وفي ذلك الوقت ارسل الوزراء خلف بهرام يعلمونه بان كل شيء قد حضر وان التاج موضوع على كرسي الملك بين اسدين كما امر وانه اذا اخذه اخذ المملكة . فلما اتصل

الخبر ببهرام نهض بدون تاخير ولا تاجيل وقد سار من جانبه الملك المنذر و بعض الوزراء والاعيان فدخلوا المدينة واجتازوا الى الميدان المذكور حيث الوف الناس ينتظرون وصوله ليروهُ ولما وصل ونظرهُ الناس مالوا اليه وتعلقت قلوبهم بهِ وقد تعجبوا من بهاء طلعتهِ وصبوح جبينهِ وجسارتهِ على مفاجئة اسدين عظيمين مع صغر سنهِ ولذلك اخذوا في ان يبر بروا بالسنتهم وكثر القال والقيل وارتفعت التنهدات من الصدور والتحسرات عليهِ وكلهم يتمنى لهُ الخلاص ولو فداهُ بروحه وقالوا في نفوسهم هذا هو ابن ملكنا ووارث العرش فكيف نتركه عرضة لمخالب الاسود فجازى الله الوزراء والوكلاء فهم علة الخبث والفساد وتقدموا يريدون انتشالهُ من وسط الميدان فصاح بهم وارجعهم عنه وقال لهم اجلسوا في اماكنكم وانظروا باعينكم عجائب ابن ملككم وتحدثوا عن افعالهِ ولا يهولنكم عظم ضخامة هذين الاسدين فهما عندي كهرين ضعيفين وسترون صدق ما احدثكم به ولما راى الناس عناده واصراره رجعوا متاسفين عليهِ واعينهم تقطر دماً وقلوبهم تتفطر ووقف كل واحد في مكانهِ . واما بهرام فانهُ وقف في مكان عالٍ وامر المناذين ان ينادوا ان تاج فارس موضوع الآن على العرش بين اسدين وهو مباح لكل فردٍ من شعوب ايران فمن ارادهُ من الوزراء والاعيان ورجال الدولة وجنودها وعوام الناس فليتقدم و ياخذهُ على راسهِ وبذلك تنقاد لامره الرعية واكون لهُ من جملة الطائعين واتخلى له عن حقوقي و يصبح ملكاً على الدولة وحاكماً فيها . و بعد ان طاف المنادي ثلاثاً عاد اليهِ وما احد تجاسر ان يقبل بالمخاطرة بروحه في جنب هذا التاج العظيم وقد تقدم اليه الوزراء وقالوا له لا احد يا سيدنا يجسر على نوال هذه النعمة فهي مختصة بك لا بغيرك وهذا امر اقترحته انت فارنا فعلك فيهِ . فقال سترون وتتعجبون ثم نزل من مكانه الى الارض فالقى عنه سلاحه ونزع عنه الدرع والطاسة فالقاها الى الارض ولبس قفطاناً كعادة العرب وربط وسطه بزنار ونزع عن راسه ما كان عليه وانفصل عن المنذر وقومه وتقدم الى الوسط وطاف بوجهه على الناس مسلماً ثم رفع رأسه الى الله فاستنجده وساله المعونة و بعد ذلك تقدم نحو الاسدين . واما الوزراء ورجال الدولة فكانوا يضحكون منه وقد حكموا بانه مجنون وقالوا ان كانت هذه الحالة حالته فالاوفق هلاكه فتتخلص المملكة من الويل وسفك الدماء واما المنذر ورجاله فقد خافوا عليه واخذت دموعهم تذرف واعينهم شاخصة اليهِ وكذلك تلك الجماهير الكثيرة فانها رفعت ادعيتها الى الله سبحانه وتعالى وسألته خلاصه من تلك الورطة

الويلة وان ينزل من سمائه نارًا وكبريتًا فنا كل الاسدين ولا يصاب ملكهم بشر
واما بهرام فتقدم من الاسدين بقلب لا يخاف الموت ولا يهاب الاسود كثرت او قلت ولما رآه الاسدان وقد صار على بعد بضع خطوات منهما زئرا وهاجا وضربا باكفهما الارض ففتحا فيها خلجانًا وارتفع فوقهما الغبار حتى كاد يحجبهما عن الابصار لو لم يفرقه الهواء ثم رفعا بايديهما وانحدفا بوقت واحد على بهرام فلم يعبأ بهما بل بقي واقفًا محدقًا بهما يسأل الله نصرته وان لا يتخلى عنه حتى قرب منه رأسا الاسدين فاسرع بان مد يديه كالبرق الخاطف وقبض على اذني الاسدين وذكر الله قبل كل شيء ثم صاح بصوت ارتجت منه المدينة وارجف قلوب سكانها وقال اي كلاب البرية اتطمعان بمثلي وتقصدان مقاومتي ولا تحسبان لي حسابًا وانا سيد الاسود ومرجفها فساجازيكما مجازاة تستحقانها وكان قد أرجف الاسدان لصوته وقبل ان يتمكنا من فتح فمهما والايقاع به تمطا بكل قوته وشد على اذني الاسدين فتالما وغابا عن الصواب فدارا على محورهما ووقعا الى الارض مائتين لا يأتيان بحركة . وحينئذٍ انسحب بهرام من بينهما الى التخت فأخذ التاج عنه فوضعه على رأسه وجلس فوقه كأنه لم يفعل شيئًا . ولم يلبث ان سمع دوي اصوات تلك الجموع يرعد في الفضاء وقد علا صياحهم وكثرت ادعيتهم وكلهم ينادون فليعش بهرام شاه فليعش ملك الفرس وسيدها فليعش الى الابد ولتمت حساده واعاديه وتزاحموا يترامون فوق بعضهم البعض ويتباركون بالنظر الى صبوح محياه

وكان اول من وصل اليه خسرو فسجد بين يديه وقبل ذيله وبايعه ودعا له ثم تبعه الوزراء والوكلاء ومن بعدهم الضباط والجنود ثم الاهالي كبارًا وصغارًا وكلهم يدعو له بدوام العز وطول البقاء فكان يهش في وجوههم ويثني عليهم ويبدي لهم سروره منهم ومن بعد ذلك نهض من هناك وجاء الديوان والاهالي يحاطون به من كل ناحية وقد دارت البشائر في المدينة وعمت الافراح وزينوا المدينة وقاموا بكل اسباب المسرات فامر بهرام ان تفتح الخزائن وتوزع على الفقراء والمساكين واعطى واوهب وخلع الخلع النفيسة على الاعيان وشمل بجوده الكبير والصغير حتى اصبح الجميع كبارًا وصغارًا نساء ورجالاً يثنون عليه ويعجبون من كرم يده واخلاقه وكمال اوصافه ومزاياه

وعلى هذا الوجه جلس بهرام على تخت ابيه واجداده وباشر في ان يرى احوال الحكومة ومصالح العباد واول كل شيء بعث المنادين ينادون في الازقة والشوارع قائلين بلسانه « انا بهرام بن ازدشير بعد ان جلست على تخت الحكومة اعلن لكم ان الله سبحانه وتعالى

لما وجد ان التخت والتاج يليقان بي احسن عليَّ بهما ولذلك لا يمكن لي انا الحقير ان اقف دقيقة عن الشكر له لعنايته بي لانه حماني بحمايته ووقاني بنعمته واني لم اتوفق لاخذ التاج من بين الاسدين بشدة بأسي ولا بجسامي بل بقوته وقدرته تعالى لانه اهلك بين يدي الاسدين ومد يد المساعدة حتى اصبحا بين يدي اضعف من كلبين ففرض عليَّ تحصيل رضاه والعمل بموجب ارادته وهو ان اعدل في الرعية واعمل بينهم بالانصاف واسهر على راحتهم وارى امورهم بنفسي واقيم عليهم الحكام العادلين الى غير ذلك من الامور التي تكفل راحة عبادهِ ورفاههم فبناءً عليه اومل ان اتباعي ووزرائي ورجال معيتي يعملون بين الرعية بالعدل والانصاف والحكمة وخوف الله لان من شرط التابع ان يتأثر المتبوع فيمشي على خطته وفي طريقه ولذلك ابشركم بحسن الاحوال والراحة ولو فرض ان احد الحكام ظلم في الرعية وخالف الاوامر وسلك سبل الظلم والتعدي فعليكم في الحال ان تعلموني فانصح لهُ في اول الامر فاذا رجع عن عملهِ وسلك مسلكاً جديدًا وعدل في اخوته ابناء جنسه ابقيت عليهِ والاَّ فما دواؤهُ الاَّ القتل لان لا فائدة في حياة الظالمين العاملين على الغدر بعباد الله والتعدي على اولاد الدولة والملة والعالم اجمع وليعلموا ان الله قد بعثني لاكون لهم غوثًا على الزمان وعوناً على الظالمين »

وكان المنادون ينادون بمثل هذا الكلام في الازقة والشوارع ويبثونهُ بين الشعب والشعب في فرح زائد يدعون للملك المحبوب منهم بطول العمر والبقاء وقد املوا وصولهم الى درجة علياءَ من المجد والنجاح بواسطته بعد ان شاهدوا منه ما شاهدوا وثبت عندهم انهُ سيفتح البلدان ويدوخ العواصم ويملك الاقاليم لانه نادرة الايام وقد خصهُ الله بكل السجايا الحميدة والمزايا الفريدة . والحاصل ان بهرام تمكن من عرش الفرس فاحاط الرعية بعنايتهِ وحبه فاتحًا ابواب العدل والانصاف في كل صوب مانحًا اهل الصنائع وارباب المعارف اخص اهتمامه والتفاتهِ ملقيًا بغضبهِ وانتقامهِ على ارباب الشقاوة المضرين بالدولة والمكدرين راحة الامة وقد تأثرهم حتى قطع دابرهم وبذلك نشر على رؤُوس الرعية علم الراحة والامان وباتت جيوش الدولة في راحة بعد ان كانت لا ترتاح يومًا من جراء تعدياتهم وهجماتهم على الاطراف والضواحي وكانت كل دعوى تقع بين اثنين تقدم اليهِ فينظر فيها بحكمة ويساوي بين المتخاصمين فيرجعان وكل واحد منهما فرحًا بحصوله على حقه واما المتعدي فكان ينصح له ويأمره بالامتناع ويسامحهُ في الاول حتى اذا عاد ثانيًا جازاهُ على ما استحق وبذلك اصبح الناس في امن لا مثيل لهُ وقد تساوى الغني والفقير في عين

الشريعة والقانون ومات النفوذ الاستبدادي من بين الحكام فلم يبق لظالم غادر قولا ولا طولا بل كانت عين الملك ترقب الجميع فتسحق شوكة المتعدي وتدوسها ارجل العدالة

وكان قد ادرك السابعة عشرة والثامنة عشرة ولا يمكن ان ينكر العقلاء والفضلاء من رجال المملكة انه كان مولعاً بحب الرعية وبالقيام بالعدل والانصاف وبذل الخير ومساعدة الفقير حتى لم يبق لهُ عدو في كل ايران وقد مرَّ عليهِ اربع او خمس سنوات على مثل ذلك لم يفتر دقيقة عما هو متوجب عليهِ لكن مع ذلك كان لا ينسى ما كان قد زرع في قلبهِ يد العناية لان العشق قد جرح لهُ قلبه فلا يندمل الا بعلاج واحد وهو الوصل والحصول على المعشوق. وقد تقدم معنا ان بهرام كان قد رأى رسوم البنات السبع فشغلن خاطرهُ ورمين بقلبه جمرة تزيد التهاباً كلما زاد الزمان اياماً وعلى الخصوص بعد ان تأكد ان لتلك الرسوم اصلا وانه لا يتعشق الوهم بل الحقيقة وقد اقيمت تلك الاصنام في القصر بنوع خصوصي لاجلهِ كي يذهب في طلبهن فهنَّ من نصيبهِ وقد قدَّر الله ذلك فلا بد ان يكون . ولذلك كان يصرف اياماً على كرسي المملكة ينظر في امر عباد الله كما تقدم معنا الكلام واياماً ينفرد في خلوته فلا يخرج قط الى الخارج فيتسلى بنظم الاشعار موجهاً بكل افكاره الى من احبهنَّ قلبه فيناجيهنَّ عن بعدٍ ويسألهنَّ الرحمة والعفو عن قصورهِ ووقوفه عن المسير اليهنَّ لانه مضطر الى الاهتمام بامر المملكة ووضعها في قالب النظام والانتظام . فكان واقعاً بين امرين عظيمين بحب الرعية والمملكة ويرى من الفرض عليهِ خدمتها ويعشق البنات وقلبه لا يتخلى عنهن بل يزيد في محبتهن يوماً فيوماً فيلتزم ان يطيعه لان سلطان الهوى لا يغلب فهو آلهة القلوب ونور الخواطر فلا يتسلط على احدٍ الاَّ ويذلهُ ولا يدخل خاطراً الاَّ ويشغلهُ

وبقيت هذه الحالة حالة بهرام وهو غارق ببحر العشق والغرام هائم الافكار كل ما انفرد وبعد عن الناس ولكنه لم يدع احداً يلحظ عليه ولا ترك امراً من امور الاعتناء بالشعب ومصالحه . واخيراً خاف من السقوط وضياع نفسه فقال خير لي ان اتخذ لي ما يشغلني عما انا فيه فدخل دار الحريم واختار لنفسه جارية رخيمة الصوت بديعة المحاسن باهرة الجمال اسمها فتنة وكانت بالحقيقة فاتنة فاتخذها لنفسه لكنه كان عند ما يسمع رخامة الصوت ورنة العود يتأثر وتتحرك فيه محركات الهوى وكان نظره الى جمال فتنة يهيج فؤاده الى الوصول الى جمال من احبه قلبه ولذلك كان عند ما يجلس معها يصرف الوقت بالبكاء والانين وهي تؤنسه وتبذل جهدها بمسرته وانشراح صدرهِ وقد صرفت عنايتها لاستجلاب

خاطره . وكانت مع ما هي عليه من الجمال وحسن الصوت عاقلة اديبة حكيمة قد تصورت انه شغل بحب من لا وصول له اليها فتأخذها الغيرة وتحكي له النوادر المضحكة وتنشده الاشعار الغرامية وتحبب اليه يوماً فيوماً فتبعد بافكاره عما يغمره ويصغى لها ودام الحال على ذلك حتى تعود عليها وصار يهواها ولم يعد له صبر على فرقتها . ومع ان قلبه كان لا يزال على حاله . لكن فتنة فتنته بجمالها وعذوبة الفاظها وقد زاحمت واجتهدت حتى دست بنفسها في قلبه واخذت موضعاً رفيعاً فيه فتعشقها واصبحت موضوع آماله فكان يخرج الى دار الاحكام يهتم باشغال الدولة و ينظر فيها كعادته ثم ينسحب الى قصرها و يقيم معها على الحظ والصفاء واذا خرج الى برية متنزهاً اخذها الى جانبه فلا يفارقها ابداً . وفي ذات يوم عزم على الخروج الى الصيد فامرها ان تذهب معه فاركبها بالعظمة والاجلال وسار امامها موكب عظيم وعند ما ساروا في البرية امر الفرسان ان تتقدمه وبقي هو وفتنة متأخراً يتمهلان في السير وكتف الواحد الى كتف الآخر وقد امرها ان تغنيه كجاري عادتها ففعلت حتى كاد يغيب عن الوجود وهو محدق بها وموجه بكل عقله وقلبه اليها وفيما هما سائران على مثل هذه الحال تاركين عنان الجوادين واذا باثنين من حمار الوحش قد انذعرا امامهما الى مقدار مائة قدم ثم وقفا فتحركت في بهرام الرغبة الى مطاردتهما وقد تقدم معنا انه كان مولعاً جداً بصيد هذا الجنس من الحيوان ولذلك قال لفتنة اني ارغب في ان ارمي احد هذين الحيوانين فاجابته افعل لاجل ان اعرف شدة معرفتك برمي السهام وقد سمعت عنك كثيراً لكن من المعلوم ان حمار الوحش عند ما يرى سهم الصيد وقد تجاوزه يرفع احدى قوايمه ويجس بها اذنه ليرى اذا كان السهم لم يثقبها فالصياد الماهر يرمي سهمه ثانياً فيخترق اليد والاذن معاً فهل لك ان تفعل مثل هذا قال سترين بعينك وقد تحركت فيه المروءة من كلامها وتاقت نفسه الى ان يريها شدة معرفته برمي السهام فتقدم قليلاً واخذ سهماً فاوتره في قوسه واطلقه غير متقصد اصابة الحيوان فمر السهم كالنجم اذا زرق فرفع الحيوان يده ولمس بها اذنه وما لحقت ان وصلت الى اذنه حتى كان سهم بهرام قد سمرها بها لانه اخذ باسرع من البرق سهماً آخر واوتره ورماه بدقة فاصاب المرمى وحينئذ تقدم من فتنة وقال لها انظرت كيف فعلت فانظري الحيوان وقد ثقبت اذنه ويده معاً . فقالت وقد ضحكت مظهرة عدم الاكتراث والتعجب من سؤاله اتظن اني اعرف هذه الصنعة ومع ذلك اقول لك ان هذا الذي عملته لم يكن شيئاً عجيباً لانك تعلمت رمي السهم وألفته فرميك هذا السهم هو بحكم العادة ولم يكن مما يذكر . فلما سمع بهرام كلامها تحرك فيه

عامل الغضب لانها اهانته وفي الحال القاها عن ظهر الحصان الى الارض غير قادر على ضبط نفسه ثم فكر فقال ان ابقيت عليها تزيد في احتقاري واهانتي واذا قتلتها فلا يليق بي لان من العار العظيم ان يمد من مثلي يده على امرأة . فدعا اليهِ قهرمانه وقال له خذ فتنة واقتلها في العجل ولا تطلع احداً على هذا الامر وادفنها في مكان خفي

فلما سمع القهرمان من سيده هذا الكلام علم انه في غضب زائد فاطاع في الحال واخذ فتنة وسار من امام سيده وفيما كان ذاهباً كان يفتكر كيف يقتل فتنة وما الذي اوجب غضب الملك عليها مع انها موضوع افكاره وآماله فماذا يا ترى بدا منها في حق الملك فلا ريب انها اهانته لان لا شيء يغيظ الملك مثل الاحتقار بهِ وجعل يتأسف عليها وهو سائر بها مطرق في الارض . فلحظت فتنة منه ذلك وعلمت انه يتأسف عليها في نفسه ويبحث عن السبب فقالت له . يا ايها القهرمان انت تعلم اني من اخص جوار الملك بهرام ومؤنسته الوحيدة ومحبوبته التي لا يصبر على فراقها دقيقة واحدة وانت تعلم ما بيننا من العشق والمحبة ومع كل ذلك فانه غضب عليَّ لسبب وقع مني لم ينطبق على مزاجه فاعتبرهُ اهانة وربما كان اهانة لكن على غير قصد فهاج فيه الغضب حتى قام مقام الحب واعمى بصائره فامر بقتلي قبل ان يعي على نفسه فالان اسمع واصغ لي واني انصح لك بما فيه خيرك فافتكر وتأمل فيما اقوله لك . فاصبر على قتلي بضعة ايام فقتلي لم يكن امراً عظيماً فابق عليَّ واذهب الى الملك فمتى سألك عني قل له قتلتها وانظر اليه فاذا رأيته سرَّ وفرح ارجع اليَّ واقتلني واذا رأيته حزن وظهرت على وجههِ علائم الكدر فاعلم انه سينتقم لي منك لانه ولو امر بقتلي فلا بد ان يخطر له انه كان من اللازم ان تبقي عليَّ انت وتنظر في امره مرة ثانية فاذا كان لا يزال مصراً انفذت امره واذا كان ندم ارجعت له جوهرته التي يأسف عليها واني اعرف بهرام باكثر مما اعرف نفسي فهو حليم وليس ظالماً وهو عاقل غير جاهل لكنه مملوء من العنفوان والعظمة وهذا الذي هيج فيه غضبه فلا يمكن ان ينام الليلة الا آسفاً على ما صدر منه فتأمل في مصلحة نفسك جيداً واعمل ما تراه يؤول لخيري وخيرك

ثم اخرجت من عنقها عقداً من الجواهر فيه سبع جوهرات نفيسة واعطته الى القهرمان فلما رأى الجواهر كاد يطير صوابه وعلى الخصوص فانه كان يرى انها مصيبة في كل ما قالته وقال في نفسه لا بد للملك من الندامة فانا ابقي على محظيته عندي فاذا سألني اقول له قتلتها وارى ماذا يكون منه ولا يصعب عليَّ قتلها اذا تبين لي انه لا يزال مسروراً من امره . وللوقت اخذ فتنة الى بيته وكان قريباً من تلك الناحية في ضيعة ملك يده فوضعها

فيها ثم اخذ عليها العهد وجعلها تقسم له ان تبقى مخفية ولا تبوح لاحد بوجودها ففعلت فودعها ورجع الى بهرام . وكان المساء قد اقبل والملك ذهب الى قصره . وفي اليوم التالي اخذ الملك يفكر فيما مرّ عليه وقد عرف انه اخطأ بسرعة الغضب وندم على ما فعل واخذ يلوم نفسه و يقول هذه ثمرة العجلة وحزن في قلبه حزنًا عظيماً ودعا بالقهرمان فساله عن فتنة . فاجابه بناء على امركم الكريم قتلتها . ولم ينتهِ من هذا الكلام حتى راى الدمع يتدحرج من عيني الملك وقد ظهرت عليه علائم الحزن والكآبة . فسرّ القهرمان من ذلك وكاد قلبه يطير فرحًا وقال حسنًا فعلت فهو نادم على ما صدر منه حزين عليها لانه يحبها ولا يطيق فراقها ولو كنت قتلتها فعلاً لندمت كثيرًا لاني اكون قد ضيعت ثمرة الثروة وظلمت الملك ومحظيته . ففتنة هي صاحبة زكاء مفرط وفراسة

وفي الحال انسحب من بين يدي الملك وقد تركه لا يعي على نفسه وركب الى بيته ولم يخبر فتنة بما كان وما راى من الملك بل زاد في اكرامها واحترامها . وكان قد ابتنى منذ امد قريب قصرًا جميلاً في اطراف الضيعة على قارعة الطريق فاخذ فتنة اليه وعين الخدم لخدمتها وكان يصعد الى الطابق العلوي من ذلك القصر بسلم كبيرة فيها ستين درجة

وبعد ان اقامت فتنة عدة ايام في ذلك القصر تصرف الوقت لوحدها ليس لها من يسليها خطر لها خاطر وفي الحال دعت احد الخدم وقالت له اريد منك ان تبحث لي على عجل صغير ابن يومه اي تكون امه قد ولدته بذاك اليوم وادفع ثمنه مهما طلب فاجاب طلبها وسار الى الرعيان واصحاب المواشي يسال منهم عن بقرة تلد في ذاك اليوم او ولدت و بعد البحث وجد المطلوب فاخذ العجل في الحال ورجع به الى مولاته مسرورًا ولما رأته فتنة فرحت كثيرًا واخذت في ان تعتني به وتربيه بذاتها فكانت تنزل اليه في الصباح فتحمله على عاتقها وتصعد به السلم اي الستين درجة فتطعمه وتسقيه ثم تحمله كالاول وتنزل به الى الاسفل وتفعل ذلك في النهار ثلاث مرات ولم تنقطع عن هذه العادة يومًا واحدًا ففي الاول كان العجل صغيرًا خفيفًا لكن كان يكبر يومًا فيومًا وكذلك كانت قوة فتنة تزيد يومًا فيومًا ولم تكن تشعر بالثقل الذي كان يزيد في العجل من مرة الى مرة بل كانت العادة تضيعه والحاصل انها دامت على مثل هذا الشان مدة ثلاث سنين لم تنقطع مرة واحدة قط عن حمل العجل حتى صار بقرة كبيرة سمينة جدًا وهي لاتزال قادرة على حمله فتصعد به الى الاعلى ثم تعيده الى الاسفل في الصباح والظهر والمساء

ففي ذات يوم دعت اليها القهرمان واخرجت له بعض حجارة كريمة كانت لا تزال معها

وقالت له خذ هذه فبعها في السوق ثم اتني ببعض من الخرفان والماعز وعدة اقات من السكر وماء الورد والعسل والشيء الفلاني والشيء الفلاني وجعلت تعدد له اشكالاً والواناً بعضها ماكولات وبعضها مشروبات وبعضها مشمومات حتى تعجب القهرمان من كلامها لكن لما اعلمته الغاية ذهب فاتاها بكل ما طلبت ولما رجع قالت له الان جاء وقت العمل ومن الواجب الانتفاع بنتيجة بقائي سواء كان لي او لك . ومن حيث ان الملك بهرام يخرج كثيراً الى هذه الاطراف بطلب الصيد فاسترحم منه ان يشرف محلك ويستريح عندك ويتناول ما يتيسر من الاطعمة والمرطبات وانا اعرف انه لا يرد لك التماساً لانه وديع متواضع القلب يحب رجاله كما يحب نفسه ويرغب في ان يعرف كل ما لم يعرفه ولا يرد سؤال سائل . فلما سمع القهرمان كلام فتنة دخل في خاطره من باب الامل وتيقن النجاح والخير الكثير واخذ يهيء اسباب الضيافة ويعدد من يوم الى آخر كل ما يراه لائقاً بالملك وبات يترقب خروجه الى الصيد في تلك النواحي ليدعوه الى ضيافته وينفذ طلب فتنة

ففي ذات يوم خرج بهرام شاه الى القنص مع رجال دولته كما سبقت عادته وكان القهرمان في معيته وبالتصادف وقعت طريقه من تلك القرية فجعل ينظر فيها فرأى قصر القهرمان فتأمل فيه وقال عجباً لمن هذا القصر فيظهر انه متقن البناء جميل المنظر من الخارج فهل يا ترى داخله كخارجه . ولم يتمم كلامه حتى تقدم القهرمان بين يديه وقال له اطال الله عمر سيدي الملك وزاد في فضله ونعمه ان هذه الضيعة هي التي احسنت على احقر عبيدكم بها منذ توليت التخت وقد اعتنيت بها وابتنيت فيها عدة بنايات واتممت هذا القصر على الطريق محطاً ترتاحون به اذا صادف مروركم من هذه الجهات والان فقد خدمتني العناية وقربتكم من بيت عبدكم فالتمس ان تشرفوا مسكني باقدامكم وتغمروا عبدكم الحقير بقبول ضيافته وان كان ليس من حقي ان اطلب تشريفكم بل يعد ذلك جراءة عظيمة لكني عبد امين على خدمتكم واعرف عنايتكم بالضعفاء نظيري واتاكد رغبتكم في جبر خاطر المسكين وبذلك تكون قد شملتني بعناية احسبها سعادة عظمى وفضلاً عميماً لانني منذ زمان طويل وانا اترقب مروركم من هذه النواحي لانال حظ تنازلكم بتشريفي وانا اصلي الى الله وادعوه حتى الهمكم المرور من هنا فاشكره فهو السميع المجيب . فلما سمع بهرام شاه كلام قهرمانه سر منه وتاقت نفسه الى اجابة طلبه فقال له احسنت ظنك ايها الامين فاني اعترف بصدق خدمتك وامانتك وساجيب طلبك عند عودتي من القنص بحيث اكون محتاجاً للراحة فاقيم عندك واكل ضيافتك مع قوادي فاذهب الى

قصرك وانتظر عودتنا

وفي الحال وقع القهرمان على رجلي بهرام شاه فقبلهما ومن ثم سار الشاه في طريقه واسرع القهرمان الى القصر وهو يكاد يطير من الفرح والمسرة و بدقائق قليلة صعد القصر وقال بشراك يا فتنة فقد استجاب الله طلبك وارسل سيدي اليك كما كنت تشتهين واعاد عليها ما كان من امر بهرام شاه وكيف وعده انه بعد ساعات قليلة يكون في القصر فامتلأ قلبها فرحاً وما صدقت ان سمعت هذا الكلام حتى اسرعت الى تهيئة ما يلزم للضيافه من المآكل والمشارب شيء يليق بالملوك لانها في رأس نساء بهرام شاه وتعرف كل ما يليق بشأنه وما تحبه نفسه وهي تعد الدقائق وفي كل برهة تذهب الى شباك القصر وترسل بنظرها الى البر لتتحقق امانيها وكانت تعد نفسها بانها ستعاد الى بهرام في ذاك اليوم لانها تحبه كثيراً لما تعلم من عظم محبته لها ولانه اوحد رجال عصره حسناً وادباً وكمالاً وهي تطلب من الله نجاح مساعيها وانها اذا عادت وصادفت نعمة في عيني الملك لا تعود الى مخالفته لانها كانت تعرف ان المرأة لا تتغلب على الرجل وتستجلب قلبه الا باللطف واللين والتحبب اليه والتزلف عليه والاغضاء عما يقع منه واستحسان كل ما يبدو منه مليحاً كان او قبيحاً

ولما كان المساء رجع بهرام من الصيد فعرج الى القصر ايفاء بوعده وطلباً للراحة وحينئذ اعلمت فتنة القهرمان بذلك والقت اليه بعض كلام يلقيه امام بهرام شاه فاسرع القهرمان الى الخارج ولاقى الملك باحترام وقبل اياديه وسار في خدمته الى اعلى القصر ومن خلفه الوكلاء والقواد الذين كانوا بمعية الملك فصعدوا السلم ودخلوا ردهة الاستقبال وقد شعر بهرام بتعب من كثرة درجات السلم وما صدق ان جلس يستريح و يأخذ النفس وكذلك جميع رجال المعية فقد تعبوا وقالوا لماذا كل هذا الارتفاع وهذه السلم الطويلة . و بعد ان جلس الملك جاءه القهرمان بالشراب فشربه وقد انشرح له صدره وسرَّ منه كثيراً لانه كان يشرب مثله من يد فتنة . ثم امر بهرام شاه القهرمان ان يضع صفرة الطعام ففعل وجلسوا جميعاً وكان الملك يأكل مسروراً و يقول لا ريب ان الذي طبخ هذا الطعام تربى في قصور الملوك فهو طعام لذيذ . وبعد ان نهضوا عن الطعام جلسوا للراحة واخذ كل واحد مقامه الا القهرمان فبقي واقفاً في المجلس ينتظر اوامر الملك ويقوم بخدمته وخدمة ارباب مجلسه . وحينئذ قال بهرام شاه للقهرمان اريد اسألك عن شيء فاجبني عليه قال اني تحت امر سيدي فها انا مستعد للجواب قال اني لا ازال في شرخ الشباب وقد تعبت

اثناء صعودي السلم فانها تتجاوز الستين درجة فكيف تعمل انت وقد تجاوزت الستين سنة وصرت تحسب شيخاً . فاجاب القهرمان اطال الله بعمر سيدي الملك وحفظه للرعية والشعب وجعل كل ايامه ايام سرور وصفاء وابعد عنه كل تعب وعناء ان ما تتعجبه في فليس بعجيب فان لدي فتاة صبية حسناء يكاد لا يوجد مثلها في زمانها من بهاء طلعتها ونور جبينها ونعومة اطرافها ولدونة بدنها ومع ذلك فهي في الصباح والظهر والمساء تنزل الى اسفل القصر فتحمل على عاتقها بقرة تربيها فتصعد بها السلم بطوله و بعد ان تطعم البقرة وتسوسها تعود ايضاً فتحملها على عاتقها وتنزل بها الى مكانها

فلما سمع بهرام شاه هذا الكلام زاد تعجبه وعظم هذا الامر في عينه وكاد لا يصدقه وكذلك الحاضرون فما منهم الا من اظهر تعجبه وقالوا انه يستحيل وقوع مثل هذا الامر من فتاة فقد يصعب على اقوى الرجال ان يصعد مثل هذه السلام وهو يحمل جدياً فكم بالحري بقرة فاننا لا نصدقه . فقال القهرمان . ان ما اقوله الصحيح لا ازيد حرفاً واحداً فاذا امر سيدي الملك احضرت الجارية وفعلت امام اعينكم كل ما عرضته بين ايديكم فقال بهرام شاه اني ارغب ان ارى ذلك ولو كنت اعرف ان ما تقوله صحيحاً ينتج عن حكم العادة لكن مثل هكذا امر تتوق نفسي الى التفرج عليه لانه من خوارق الاعمال التي اذا حكاها الانسان لا تصدق قطعياً واصحاب العقول الضعيفة ينسبون ذلك الى السحر والطلاسم

فما صدق ان سمع القهرمان امر الملك حتى اسرع الى فتنة واخبرها بذلك ففرحت وكانت قد لبست الخز ملابسها وتزينت زينة بديعة وضربت لثاماً على وجهها وجاءت الحيوان وكان يعرف عادتها ففي الحال جمع قوائمه الى بعضها فرفعته بين يديها ووضعته على عاتقها وتدرجت فيه تلك الدرجات الكثيرة وكان الملك وجماعته قد وقفوا في راس السلم ينظرون اليها وهي تقرب منهم شيئاً فشيئاً حتى وصلت من الملك والجاموس على عاتقها فاوقفته الى جانب ودنت من الملك فقبلت الارض بين يديه وقالت له هوذا جاريتكم حسب امركم قد اتيت بهذا الحيوان الثقيل محمولاً على عاتقي من الاسفل الى الاعلى دون ان اشعر بتعب لا من حمله ولا من السلم فهل تأمرني فانزله ايضاً الى الاسفل ثم اعيده ثم انزله وانا كما انا لا اتعب ولا يضيق نفسي فتعجب الملك من كلامها ولكن لم يرد ان يعطيها حق الفخر فقال لها . ان هذا لم يكن عظيماً لانك بدون شك قد تعودت عليه فكنت تحملين هذا الحيوان عند ما كان عجلاً صغيراً وداومت هذا العمل يومياً فلم يعد يصعب عليك حمله ولذلك لم يكن شيئاً موجباً للتعجب

وحينئذٍ ركعت فتنة امام الملك وقالت له العفو يا سيدي فانت اكرم من عفا وليزدك الله عمرًا وحلمًا اذا كنت انا قد ربيت هذا الحيوان الصغير حينما كان يسهل عليَّ حمله وصرت افعل كما اشرت انزله واتي به في اليوم ثلاث مرات و بحكم العادة صرت احمله وهو في هذا الجسم العظيم والثقل الاعظم حتى لو لم ترَ ذلك بعينك لما صدقته من احدٍ ولما رايته مع انه عجيبًا حكمت بان العادة جعلتني ذا مقدرة على ما لا يمكن ان يعمله غيري بدون العادة ولو كان اشد رجال العالم قوة فكيف تتكدر عظمتكم اذا قيل لك وانت ترمي الحيوانات بسهامك العجيبة هذا ليس شيئًا فانك تعودت عليه

فلما قالت ذلك تحركت كل جوارح بهرام شاه وتدحرجت الدموع من عينيه لانه باسرع من البرق وقع في خاطرهِ امر فتنة وما كان منه في حقها وتبين لديه انها هي التي بين يديه ولم يعد يتمالك نفسه فنهض اليها وازاح اللثام عن وجهها بقلب خافق واياد مرتجفة ولما رأها صاح من الفرح يا لله أأنت في قيد الحياة . وفي الحال رمت بنفسها على رجليه تقبلهما وتغسلهما بالدموع وتسأله العفو والمعذرة فانهضها في الحال وقبلها في جبينها من دون حياء ولا خجل لانه اضاع عقله في تلك البرهة ولم يعد يرى الا بهاء وجهها ونور جمالها ولم يقدر ان يقاوم نفوذ امياله . ولما رأت منه ذلك اعادت اللثام وقالت مر يا سيدي بالذهاب الى المدينة فلم يبق من وجودنا في هذا المكان فائدة ولا سيما ان رجالك يطلبون ذلك . وحينئذٍ انتبه بهرام شاه الى نفسه ورأى سرعة العودة الى قصره عين الاصابة حيث يقدر ان يجتمع بمن احبها قلبه وقد عادت اليه من عالم الاموات على انفراد فما من رقيب هناك . وفي الحال التفت الى الوزراء والقواد وقال لهم هلموا بنا فقد مضى الوقت . وكذلك التفت الى القهرمان وقال له حسنًا فعلت لانك ابقيت فتنة ولم تقتلها واعدتها اليَّ حيَّة ولو قتلتها لكنت ابقى متحرقًا عليها طول حياتي لاني اعرف من نفسي اني ظلمتها واطعت غضبي فاكافيك على ذلك بان اجعلك قائدًا لجيش من جيوش فارس وازيدك ضيعتين من ضياعي فاهبك اياها منذ الان واني اعرف لو وهبتك مملكتي لكان قليلاً في جنب ما فعلته انت فقد اعدت لي الحياة وراحة الضمير فانا لا انسى جميلك

وفي الحال ركب بهرام شاه واركب فتنة الى جانبه وركب رجاله وسار في اولهم وهو يكاد لا يصدق بوجود فتنة الى جانبه و يتمنى الطيران الى خلوته لينفرد بها . ولم يكن الا ساعات قليلة حتى دخلوا المدينة وتفرق كل منهم الى حاله ودخل الملك قصره واجتمع بفتنة اجتماع الاحباب بعد طول الغياب وتحبب منها اكثر من الاول ليكافيها على ما فرط منه

بحقها وهي كذلك كانت تتزلف اليه وتتقرب منه وتطنب فيه وتظهر له من الحب والغرام ما لا يطاق وتشكو له ما لاقت من بعده كل تلك المدة الطويلة ولذلك حصر كل قلبه فيها واعطاها كل افكاره . فكان في بداية الامر لا يخرج الى الديوان الا نادرًا واخيرًا انقطع عن الديوان بالكلية وصار يصرف وقته على الحظ والسرور وشرب الخمور ومعاشرة فتنة ومغازلتها وترك امر عباد الله ولم يعد ينظر في مصالحهم كما كان قبلاً وتخلى عن الاهتمام بامر الملك وتدبير المملكة ولم يعد يهمه امر من الامور سوى الانصباب على ملذاته وشهواته وصرف الوقت على حسب اهوائه . ومن جراء ذلك اخذ انتظام الملك في ان ينحل وخلى الجوّ للحكام فتوغلوا في العتو والغدر ونهب اموال الناس وراج سوق الفساد في الاحكام ولم يكن ذلك امرًا ممنوعًا بل كان الروساء والوزراء والنواب يسلبون اموال الناس عيانًا و يقاولون اصحاب الدعاوى مقاولة البائع للمشتري فمن زاد كان السائد وبذلك كثر القتل والتعدي وقل الامن وفقدت الراحة واصبح الرجل لا يخرج من بيته الا مسلحًا دفاعًا عن نفسهِ وفي الليل يمتنع اصحاب العرض والناموس عن الخروج من بيوتهم خيفة من الاشقياء الذين كانوا يجولون في المدينة بامان واطمئنان غير خائفين سطوة لانهم كانوا يشاركون روساء الشرط ومن لم يكن شريكاً لرجال الشرط فيكون محميًا من قاضي المدينة الذي كان ميالاً للاشقياء محبًا للشر كارها في الخير مفسدًا بين عبيد الله ومن لم يكن تحت حماية هذا فيكون لائذًا برئيس او وكيل اوصاحب نهي وامرٍ فيدفع عنه اللوم والقصاص وهذه كانت حالة ايران في زمن انشغال بهرام شاه بمحبوبتهِ وحصر امياله بها غير عالم بما هو خارج القصر . وكان البعض من الوزراء والوكلاء والشيوخ اصحاب العقل والحكمة ياتون اليهِ و ينصحون لهُ ويخبرونهُ بما هو واقع في معاملات المملكة و يطلبون اليهِ ان يخرج من قصره و يرجع الى ما كان عليه اولاً والاَّ خسر ملكهُ واضاعهُ لان اساس الملك لا يتقوى الا بالعدل والتقوى وان الحكام لا يصلحون نفوسهم الا اذا تهددهم رئيسهم وسيدهم فلا يخانون بعضهم بعضاً لكنهم يخافون الملك و يرهبونه ولا يقدرون على عزل بعضهم بعضاً لانه يقاصهم و ينتقم للمظلوم من الظالم فكان يعدهم من وقت الى اخر وكثيرًا ما كان يسد ابوابه في وجوههم فلا يخرج الى مقابلتهم فيقال لهم (في الحريم) فيرجعون آسفين على جدهم واجتهادهم . واخيرًا تخلوا هم ايضاً ولازم كل واحد مسكنه فصاروا لا يخرجون الى الديوان الا في الشهر مرة او في الشهرين مرة وعند قيامهم في الديوان يسمعون قصصاً وحكايات تنفطر لها القلوب السليمة فيرجعون في الحال

ودام الامر على مثل ذلك حتى انتشرت اخبار احوال ايران في الخارج واتصلت بالملوك والسلاطين فحركتهم المطامع في اغتصاب مملكة ايران وكان اول من فكر في الاستيلاء عليها ملك الصين فقال لرجال دولتهِ وقوادهِ لا يجب ان نضيع هذه الفرصة فالآن امامنا غنيمة باردة فاذا تهاملنا او تقاعدنا كانت من نصيب غيرنا وخابت آمالنا على ان حالة البلاد الايرانية في ضعفٍ وانحطاط فاصغر ملوك العالم يقدر ان يستولي عليها و ينزع الملك منها فانهضوا الآن واجمعوا الجيوش باسرع ما يمكن فنسير على عجل فراى الجميع ما رآهُ الملك واخذوا في جمع الجيوش وتهيئة ما يلزمهم في الحمل على ايران ولم يكن الا ايام قليلة حتى تم كل شيء واخبر الملك بذلك فركب وركب من ورائهِ قوادهُ وجيوشهُ وعددهم ثلثمائة الف مقاتل ونشرت فوق راسه الرايات والاعلام ولا زال سائرًا حتى قرب من حدود بلاد الفرس فبلغت الاخبار الوزراء والوكلاء فاجتمعوا الى بعضهم وقالوا لا ريب ان بلادنا اصبحت في خطر مبين فملك الصين يقصدنا وقد طمع في بلادنا لضعفنا وماكنا مشغول بجاريتهِ لا يفكر بغيرها فاذا قاومنا جيوش الصين نخسر امامهم وتهرق ادميتنا وتقتل رجالنا وتنهب اموالنا فالاوفق ان نسلم اليهِ بغير حرب ولا قتال . وقد اعتمدوا على التسليم وارسلوا يخبرون بهرام بذلك فلم يعبأ بهم ولا فكر في هذا الشأن بل بقي على حظهِ وانسهِ موهومًا ان لا احد في الدنيا يقدر ان يقرب من بلاده او يطمع فيها وقد خافت الانس والجن بأسهُ . ولا زال على ما هو عليه حتى وصل الصينيون المدينة وحاصروها وطلبوا الى اهلها التسليم فتاكد ذلك وثبت لديه ما كان قد سمعهُ عن ملك الصين فارسل في الحال وطلب اليه الوزراء والقواد فلم يحضر احد منهم ولا صغوا لكلامهِ بل قالوا لرسولهِ اننا لا نقدر الآن على اجابة طلبه وقد احتاطت جيوش الاعداء بالمدينة وهي كالجراد المنتشر ولا طاقة لنا على الدفاع ولذلك اعتمدنا في الصباح على ان نخرج الى ملك الصين ونسلم اليهِ المدينة والا هلكنا عن اخرنا وسبيت الحريم ونهبت الاموال واهرقت الادمية وضربت بلاد ايران عن بكرة ابيها

ولما بلغ الخبر بهرام طار صوابهُ وقد شعر بخطاه وقال نعم اني التهيت عن الحقيقة بالملاهي الباطلة وتخليت عن الرعية تخلي الاب الجاهل عن صغارهِ حتى ظنوا فيَّ العجز الآن ولم يعودوا يركنوا اليَّ ومن الصواب ان انسحب عن المدينة في هذه الليلة واخرج الى الخلاء والا اخذت بكثرة الاعداء لاني وحيد منفرد وليس لدي من الجيوش ما يقدر على مقاومة العدو . ثم دعا اليهِ ببعض فرسان العربان وكان تركهم لخدمتهِ الملك المنذر

ابن النعمان وعددهم ٣٠٠ فارس ولما وقفوا بين يديهِ قال لهم اني اعلم انكم فرسان قتال لا تخافون الموت ولا تهابون الجيوش كثرت او قلت ولذلك لم يبقَ اعتمادي الاَّ عليكم فقالوا حبًّا وكرامة فها نحن بين يديك ولا نبخل بارواحنا عليك فاذا شئت ان تهجم بنا على الثلثمائة الف صيني الذين حول المدينة فلا نتاخر ولا تفقد عزيمتنا بل نعدك بالنصر والنجاح اذا كنت قائدنا وفارسنا وحامينا . قال لا يوافق ان نقاتل الاعداء في ضواحي المدينة لانهم كثيرون والمجال متسع عليهم فيقتلونكم عن اخركم وربما قبض عليَّ لان الكثرة تغلب الشجاعة فالاوفق ان اخرج بنفسي هذه الليلة متخفيًا فاجتاز الاعداء وانتظرهم الى ان يدخلوا المدينة و يتفرقوا فيها ولا ريب ان ملكهم يطلبني فلا يراني فيعلم اني هربت في الليل فيبيت من قبلي بامانٍ ولا سيما اذا حكى لهُ الوزراء الخائنون عن حالتي وما انا عليهِ فلا يرهب سطوتي وفي الليل الآتي اهجم على المدينة من الباب الشرقي فالتقوني هناك واسير توًّا الى ملك الصين فاقبض عليهِ واذلهُ واذبح جنودهُ ذبح الغنم

ولما سمع فرسان العرب كلام بهرام تعجبوا من حسن تدبيره وشجاعته وعلموا انه يقدر على اكثر مما يقول وقد شاهدوا شجاعته تكرارًا فالاسُد لا تثبت امامه فاجابوه الى طلبه ووعدوه بانتظاره في الليلة الاتية حيث امر . ثم تقلد بهرام بسلاحه الكامل وركب جواده وخرج من المدينة تحت الظلام وقد ستر عن اعين الاعداء ولم يفكر به احد لانه وحيد ولم يتحرش لاحدٍ بل كان يسير منفردًا وعلى الخصوص ان ملك الصين كان اوصى ان لا يضروا باحد من اهل المدينة لانه عرف ان اعيان ايران وامراءها ووزراءها سيأتون اليه في الصباح و يدخلون في طاعته و يفتحون له ابواب المدينة . ولا زال بهرام على مسيره وهو يتحرق على الايقاع بالاعداء وكثيرًا ما فكر ان يشهر حسامه و يبطش بهم و يلقي بنفسه بين تلك الجماهير لولا انه كان يعد تفسه بعمل اعظم يضمن به نجاحه . ولم يبزغ نور الصباح حتى اجتاز الاعداء واصبحوا بينه و بين المدينة وحينئذٍ حول عن جواده وتركه يرعى في ذلك البر ووقف ينتظر ما يكون من الصينيين فمضى عليه مقدار ساعتين وهو واقف في مكانهِ واخيرًا رأى جيوش الصين اخذت تتقدم من ابواب المدينة وابتدأت بالدخول فقال قضي الامر وقد امتلك الاعداء تختي وسلمهم اياه الوزراء والاعيان لكنه صعب على ملك الصين ان يستقر عليه وسيبيت هذه الليلة اسيرًا او قتيلاً . وصبر ينتظر الليل بفروغ صبر

فهذا ما كان منه واما ما كان من الوزراء والامراء فانهم عند الصباح خرجوا الى ملك الصين وقبلوا الارض بين يديه وسلموه مفاتيح الابواب وقالوا له لا خفاك ان ملكنا ولد جاهل لا يهمه من الدنيا الا معشوقته وحظه ولذلك نتمنى الدخول في طاعتك فتكون البلاد في حوزتك و يكون اهلها على الدوام من رعاياك وعبيدك ونحن كذلك بين يديك نعترف بانقيادنا اليك ودخولنا في جملة رجالك فترحب بهم وقال سترون مني حاكماً عادلاً متيقظاً . ثم اخذ منهم المفاتيح على الفور وامر جيوشه ان تزحف على المدينة وتدخل من ابوابها في الحال وتتفرق في كل جهاتها وتقبض على قلاعها وحصونها وركب هو في الاول وتقدم محفوفاً بالفرسان والابطال ودخل من باب المدينة وتدفقت من ورائه رجاله وسار في الحال الى قصر الملك بهرام وهو متيقن انه لا يزال فيه مشغلاً بلهوه غارقاً بخطه ولما دخل القصر ولم يجد احداً سأل عنه فقيل له انه خرج منذ ايام متخفياً ولا يعرف احد اي جهة قصد فقال لقد عرف بقدومي ففر ولا بد من ان ارسل في طلبه الفرسان والابطال وسار في الحال الى قصر الاحكام ودخل الديوان وجلس على تخت ايران واعتنى بنفسه وفرح بنواله عرش الفرس بلا تعب ولا عناء وقد جمع الوزراء والاعيان وجعل يمدح منهم ويعدهم بكل جميل وقد سألهم ان يأتوه بالخزائن والاموال ويخرجوا له الدفائن وما عند بهرام من الجواهر والذهب و بقي على مثل ذلك حتى دخل الليل وهو منهمك بعزه ونصره وكان الوزراء قد جاؤوا بالخزائن محمولة على ظهور العبيد ووضعوها بين يديه ودفعوا اليه مفاتيحها فتناولها واراد ان يفتحها و يشاهد ما فيها واذا به يسمع الصياح قد علا من كل ناح والناس تتراكض في الاسواق من جهة الى اخرى فارتاع ووقف ينظر ما الخبر واذا باحد قواده قد دخل عليه وقال له خذ لنفسك الحذر يا سيدي فان بهرام دخل المدينة بجيش قليل لكنه كالقضاء المنزل فهو كالغول الاكول يقتحم المخاطر و يدوس بحوافر جواده اقحاف الرجال و يفرق الالوف ويخترق الصفوف ولا يقدر احد ان يثبت بين يديه و ببرهة وجيزة قرب من هذا القصر وكنت في جملة من قام لقتاله لكن اين للقش اليابس ان يقاوم اللهيب المتقد

تم الجزء الاول ويليه الثاني

الجزء الثاني

﴿من قصة بهرام شاه ابن ازدشير شاه﴾

قال وكان قد تقدم معنا ان بهرام وقف ينتظر دخول الاعداء المدينة وصار كلما تقدموا يتقدم من خلفهم وهم يتقاطرون الى الابواب و يتفرقون في جهاتها حتى امسى المساء ولم يبقَ منهم الاَّ العدد القليل وقد تيقن ان الملك يكون في ذاك الآن في ديوانهِ جالساً على تختهِ فهاجت به بلابلهُ وشعلت نيران الغضب في داخلهِ وصبر الى ان دخل اخر واحد من الصينيين وحينئذٍ دخل هو ونظر يميناً وشمالاً فراى الاعداء تتفرق الى القلاع والحصون. وراى احد فرسان العرب واقفاً عند الابواب فسأَلهُ عن رفاقهِ فقال لهُ هم قريبون من هذه الناحية فامرهُ بسرعة احضارهم ولم يكن الا دقائق قليلة حتى صاح بصوت ارتجت لهُ اركان مدينة ايران ورجفت منهُ قلوب الاهالي والسكان وحمل على جيوش الاعداء بقلب لا يهاب الموت ولا يخاف كثرة الجيوش وقال و يلكم يا رجال الصين اظننتم ان بهرام يتخلى عن عرشهِ و يترك ملكهُ لغيره وهو فارس الارض بالطول والعرض فها قد جاءكم ليقصر آجالكم و يستخرج ارواحكم من اجسامكم فاثبتوا لتروا الموت الاحمر من كف هذا الليث القسور وجعل يضرب بسيفه ذات اليمين وذات الشمال فيصيب مقاتل الرجال و يمددها على الارض بعضها فوق بعض وانتشر الخبر في كل ناحية وخرجت الناس من بيوتها تسأل عن الخبر ولما عرفوا بدخول بهرام المدينة وهجومهِ على الاعداء بعد ان كانوا في راحة تامة تاكدوا انه سيعيد ملكهُ بسيفه ولذلك حركت الحمية كثيراً من اهل ايران فحملوا السلاح ونادوا لعينيك يا سيدنا ومولانا فارواحنا فداك ولا تشمت بك اعداك واخذوا يضربون في الاعداء و يرمونهم بنيران حرابهم وكان بهرام الاسد الضرغام مداوماً على الفتك والقتل وكلما ازدحمت عليه الرجال فرقها بالصارم الفصال ومن حوله فرسان العرب كانهم النار ذات اللهب وقد اشتدت ظهورهم لما روا فعل بهرام الذي لا تقوم بوصفهِ الاقلام ولم يكن الاَّ القليل حتى وصل من قصرهِ فاعترضهُ الحجاب القائمون عليه وكانوا من الصينيين فانزل عليهم صواعق غضبهِ وابلاهم بحر ضرب لا يطاق ففرَّ من فرَّ والذي ثبت ووقف في وجههِ خطفت

روحه باسرع من لمح البصر . وقد اتصل الخبر بملك الصين فاحتار وارتبك في امره ولم يرَ بدًا من الفرار فاسرع الى باب اخر وخرج منه بسرعة قبل ان يدركه بهرام وركب جوادًا صادفه وانسحب يعدو الى خارج المدينة وقد تبعه كثير من رجاله الذين سلموا من سيف بهرام وما اشرق الصباح وفي المدينة رجل واحد من الصينيين ولما اصبح الصباح وجد ملك الصين نفسه بعيدًا عن المدينة ولم يجد احدًا من الايرانيين في اثره فوقف ياخذ لنفسه الراحة وكان رجال الصين الذين هربوا من المدينة يصلون اليه منقطعين من عشرة وعشرين وفي ساعات قليلة اجتمع حوله بضعة آلاف ولما انقطع الوارد علم ان الباقين قد هلكوا وحينئذٍ قال لمن حوله هلموا بنا نرجع الى الصين فلم يبقَ من امل في فتح ايران لان بهرام بطل لا يطاق وقد دبر تدبيرًا حسنًا حتى ظفر بنا سريعًا وقتل اكثر رجالنا واهاج علينا المدينة بساعة واحدة . ومن تلك الساعة ساروا على طريق الصين يندبون رفاقهم ويأسفون على ما اصابهم وشخص بهرام يلوح امامهم وصوت تهديده ووعيده يرن في آذانهم

فهذا ما كان من ملك الصين واما ما كان من بهرام فانه بعد ان فرغ من الايقاع باعدائه ودخل قصره افتقد عدوه فلم يره فعرف انه هرب فقال حسنًا فعل . ثم جلس على العرش وشكر الله جلّ جلاله الذي اعاد اليه عرشه ثانيًا وثبت عنده ان ذلك من الله سبحانه وتعالى لينتبه الى نفسه ويعرف ان الله اقامه حاكمًا في الرعية يدبر امورها وينظر في قضاياها بنفسه لا ليتخلى عنها ويتركها تحت ظل المرتكبين . ومن ثم قبض على الوزراء واعيان المملكة الذين خانوا بلادهم وسلموا بمملكة ايران الى العدو فشنق بعضهم في الاسواق ونفى بعضهم الى بلاد بعيدة والقى بعضهم في الحبوس جزاء فعلهم لانهم كانوا قادرين ان يقفلوا ابواب المدينة في وجه الاعداء الى ان يخرج اليهم فضلاً عن انه كان مكدرًا منهم منذ خيانتهم الاولى وقد عفا عنهم بعد ان كانوا سلموا تاج ابيه وجده الى غيره ومن بعد ان فرغ منهم وجه بانظاره الى الحكام وولاة الامور فعزل وحبس وقاص كثيرين منهم كل ذلك بحكم الحكام فانه كان لا يظلم احدًا ولا ينتقم من احدٍ الا بعد ان يثبت جريمته وما مرت اشهر قليلة حتى رجعت الاحوال الى مجراها الاول وزاد الامن والراحة وبلغ رفاه الاهلين الدرجة القصوى وباتوا يشكرون من عنايته تعالى الذي ارجعه عن غيه حتى انتقم لهم من ظالميهم . واشتهر خبر هذه الواقعة في كل العالم وعرف ملوك الارض باجمعها ان

بهرام بثلثمائة فارس من العربان بدد ثلثمائة الف من جيوش الصين وقد فرّ ملكهم تحت الظلام خوفاً من شرب كأس الحمام فرهبوه وخافوا بأسه وتحدثوا بشجاعته وزالت مطامع الذين كانوا يطمعون في الاستيلاء على بلاده وعرفوا انه وان كان مشغلاً بصفوه وانسه فشجاعته النادرة المثال تحمي البلاد وتصونها

وبعد ان هدأ بال بهرام وارتاحت افكاره كتب كتاباً الى ملك الصين يقول له فيه « من بعد الشكر لله على عدله ورحمته اقول . اعلم ايها الملك العظيم اني لا انسى تعديك على بلادي وطمعك في تختي واغتنامك الفرصة لتملك البلاد وتذل العباد ولكن الله الذي اعطاني من الشجاعة والبسالة ما لم يعطه لغيري من عالم الارض بالطول والعرض نصرني عليك فبعد ان هربت منك لا خوفاً لكن لانظر حالة اولئك الخائنين الذين طوحوا ببلادهم الى الذل وسلموا عرشي لعدوي ولما تبين لي كل شيء فاجئتكم بثلاثمائة فارس من العربان اصحاب المروءة والنخوة والشجاعة التي حصرها الله بهم وبليلة واحدة طردتك عن ملكي وبددت جيوشك واجريت الادمية كالانهر في الاسواق . والان وقد راق لي الزمان لا اقدر ان اصبر على ما الحقته بي من الاهانة ويخطر لي ان ازحف على الصين فاهدمها من اساسها واجازيك على فعلك لكن نظرت في الامر فرأيت الصلح اوفق كل شيء . وانما لا يمكن الصلح قبل الترضية والتعويض فحال وصول كتابي اليك ارسل لي بنتك لغان ذات العصمة والعفاف لاتخذها زوجة لي ويتصل نسبي بنسبك وارسل معها ايضاً خراج سبع سنين وذلك في مقابل ما تلف وخرب من بلادي بسببك وهذا نهاية ما عندي فاما ان تصغى انصيحتي وتجيب طلبي وتختار الصلح على الخصام واما ان ازحف بجيوش ايران على الصين وانتقم لنفسي بيدي والسلام »

وبعد ان فرغ من الكتاب ارسله مع قائد من قواده وامره ان يسير ببعض الفرسان والقواد الى ملك الصين ويأتي منه بالجواب واذا سلمه بنته فيأتي بها معزوزة مكرمة فقبل القائد يديه وخرج فاختار بعضاً من القواد والفرسان وسار يقصد بلاد الصين

وبعد ان سار الرسول بايام دخل على بهرام بعض الوزراء الذين اتخذهم لنفسه جديداً وقال له اعلم يا سيدي انك لا تزال بغير زواج واني اعرف بنتاً كاملة بالحسن والجمال والقد والاعتدال لا نظير لها بين بنات ملوك هذا الزمان وهي بنت احد اكاسرة ايران من عائلة كيكاوس فهي ذات حسب عال فيمكنك ان تتزوجها في الحال لكونها تحت يدك وفي قبضتك . فلما سمع بهرام هذا الكلام طار صوابه وقال في نفسه انها

واحدة من السبع بنات اللاتي شغلن فكري واخذن قلبي ومن تلك الساعة ارسل فاتخذها لنفسه زوجة وقد امر ان يبنى لها قصر اعظم من قصر الخورنق بسبعة اضعاف ثم دخل بها فوجدها اجمل مما يظن فانها كانت كالبدر بهاء والغصن قدًّا والشهد لفظًا والغزال لفتة فتعشقها ولم يعد يسأل عن فتنة لانها كانت لا تصلح جارية لها وقد نقلها الى القصر الذي خصه بها وصار يأتيها في كل ليلة و يصرف وقتهُ عندها وفي الصباح يخرج الى الديوان و يقضي بين الرعايا و يرى في امور البلاد

واما القائد الذي ارسله الى الصين فانه بقي في مسيره اياماً ولياليًا حتى وصلها فدخل على ملكها وقبل الارض بين يديه ودعا له بطول العمر والبقاء ثم سلمه رسالة سيده ففتحها الملك وسلمها لاحد وزرائه ليقرأها له فقرأها و بعد ذلك امر ان يؤخذ القائد الى دار الضيافة مع رفاقه الى ان يرى في جوابه . وكان ملك الصين قد احب بهرام حبًّا عظيماً لما شاهدهُ من شجاعته فلما سمع انه يرغب في الاقتران من بنته فتح قلبه له وقال في نفسه لا يليق ببنتي شمس المحاسن الا بهرام الليث الاروع فهو يستحقها وسارساها له وافضل السلام على الخصام لكنه لم يبت في ذاك اليوم امرًا وفي اليوم التالي جمع الوزراء ورجال الدولة واستشارهم في امر الرسالة وقال لهم اننا تعدينا على بهرام وطمعنا في بلاده ظنًّا منا بانه كغيره من الناس لكنه اسد كاسر لا يصطلى له بنار والان يريد منا احد امرين وهما اما الصلح واما الخصام و يطلب الصلح على بنتي وخراج سبع سنين كغرامة حرب او انه يزحف على بلادنا ويخرب اوطاننا وقد رايت من مصلحتي ان ازوجه بنتي اغمان فهو اليق بها من غيره واما المال فامرهُ مفوض اليكم

وبعد ان اطرقوا مدة في الارض مفتكرين وقد صعب عليهم هذا الامر كيف يذلون لدولة الفرس و يرسلون لها الخراج عن سبع سنين وكيف ان الملك يرسل بنته لعدوه ففي ذلك اهانة كبرى في حق الصينيين لكنهم لم ينطقوا ببنة شفة بل بقيوا في بحران من التفكر الى ان نهض من بينهم وزير مسنٌّ قد خبر الزمان واختبر الايام وعرف احوالها وقال اعلم ايها الملك وانتم ايها الوزراء ان الصلح في هذا الامر اوفق من الحرب واني اوكد لكم ان الحرب تخسرنا بلادنا لان الصين لا بد ان تدخل في يد بهرام فاذا دخلناها بالاسم كان اوفق واشرف و بقينا عليها كما نحن لان قبل ان يخلق بهرام ظهر للمنجمين وعلماء الفرس انه سيكون سعيد الطالع وانه سيملك سبعة اقاليم الدنيا العظيمة ويتزوج بسبع بنات اجمل بنات العالم ومن عاند فعل القدرة وقع في الخسران فضلاً عن ان شجاعته

ظاهرة للعيان فقد بدد ثلثمائة الف فارس بلثمائة نفر وقد اعطي من القدرة ما لا يعطى لاحد قط وحكى لي احد السياح وكان في ايران يوم تولى عليها بهرام انه هجم على اسدين جائعين وهو بغير سلاح فقبض على كل واحد بيد واماتهما في الحال وهذا العمل مما ترجف منه القلوب فعبثًا تقاومون ايران فمن رأيي ان تجيبوا طلبه وترسلوا له ما هو طالب والاَّ ندمتم غاية الندم فسيملك الصين بالرغم على كل معاند وهذا معروف في كتب الاولين وتبين للعلماء والمنجمين . فلما سمع الملك والوزراء هذا الكلام تبين لهم وجه الحق من الضلال وخافوا ان يمتنعوا فيجروا على الصين الوبال ولذلك اجابوا طلب بهرام ووافقوا الملك على ذلك وحينئذٍ ارسل فاستدعى سفير بهرام وقال له ان رغبتنا في التقرب من سيدك حملتنا على اجابة طلبه فاستعد بعد ثلاثة ايام للسفر وسنصحبك بالاموال المطلوبة ونسلمك بنتي لغان زوجة لبهرام شاه وسيدة لبلادكم . فشكر القائد منه وقال له ان سيدي لا ينسى لك هذا الجميل وحيث عرف انكم راغبون في الصلح يسرُّ من ذلك كثيرًا ورغبتكم بالتقرب منه لم تكن اقل من رغبته بالتقرب منكم والان تراني بالانتظار ففي اية ساعة امرت اسافر الى سيدي في خدمة سيدتي لانه بانتظار الجواب اليوم فاليوم والساعة فالساعة

ومن ثم اخذ الملك بتهيئة بنتهِ وسرعة تجهيزها وتجهيز الهدايا النفيسة لبهرام ولامراء ايران وفي نهاية الثلاثة ايام استدعي ملك الصين سفير ايران وسلمهُ الجميع وكتب الى بهرام جوابًا على كتابهِ يبين لهُ ان رغبتهُ فيه ومحبتهُ له حملتهُ على الميل الى السلام ومصاهرتهِ الى غير ذلك من الكلام . وفي صباح اليوم الرابع ركب السفير بجماعتهِ وحمل الهدايا والنفائس التي اخذها من الصين واركب الملك بنتهُ لغان بجماعة من الفرسان وسار لوداعها جماعة من الوزراء والاعيان كل ذلك النهار الى المساء وفي المساء رجعوا نحو المدينة وسار الرسول بما معه يقطع السهول والاوعار و يصل سير الليل بسير النهار حتى قرب من مدينة ايران فارسل اعلم بهرام شاه بقضاء غرضهِ ونوال رغبتهِ ففرح بهرام شاه فرحًا لا يوصف وامر الوزراء ان تخرج لملاقاة بنت ملك الصين وان يصحبوا معهم الجنود والقواد وامر ان تزين المدينة وتنوَّر وكان فرح الناس عظيماً وما منهم الاَّ من خرج ايري ويتفرج فهاجت الارض وماجت والتقوا جميعهم بالملكة الجديدة فسلموا عليها وساروا بين يديها الى المدينة وادخلوها بموكب عظيم ما بين اصوات الدعاء ونغمات الترحب والتأهل واخذوها الى قصر الحريم حيث كانت معدة كل اسباب الزينة والفرح

والحاصل ان بهرام شاه بعد ان اولم الولائم واقام الافراح مدة ثلاثة ايام دخل على لغمان وهو لا يصدق ان يراها لان قلبهُ كان مشغلاً بها منذ راى صورتها في الخورنق وحالما دخل عليها وشاهد طالع محياها البهيج تاه عقلهُ لانه لم يكن يرى حسناً كهذا حتى ان ذاك المصور الماهر لم يقدر ان يأتي بجزء مما هو عليه واراد ان يتقدم فلم تحملهُ رجلاهُ وكانت لغمان قد رفعت عينيها فرأتهُ ورات ما هو عليه من البهاء وصبوح الوجه فطار قلبها شعاعاً وعلمت انها لم تخدع وفي الحال وقفت اجلالاً لمقامهِ وتقدمت مطرقة من الحياء وقبلت يدهُ فقبلها في جبينها واخذها الى صدرهِ وعانقها معانقة الولهان المشتاق وصرف ليلهُ معها على الحظ والنعيم واراد في اليوم الثاني ان يبقى عندها فسجدت بين يديه وقالت لهُ العفو يا سيدي اني دخلت قصرك ولم اعد اخرج منهُ الاَّ الى القبر ولا يقدر احد من العالم ان ينزعني منك فاني لك وملكك اما انت فلشعبك ولرعيتك باكثر مما لي والآن ينتظرون خروجك ليباركوا لك ويهنوك فاخرج اليهم واقضِ مصالح الملك ثم ارجع فتراني كما تركتني ويكفي ان ابي ما طرق هذه البلاد الاَّ بعد ان سمع بانك توغلت في الملاهي والملذات وتركت الملك حتى ضعف وكره فيك الرعية والوزراء . وما زالت لغمان في مثل هذا الشأن وهو يتأمل فيها ويسكر من سحر معانيها وحكمة اقوالها الى ان فرغت فقال لها اصبت ولو كانت فتنة تخطيتي الاولى التي كنت مشتغلاً بها مثلك لما جرى ما جرى بل كان همها الحصول على قلبي وعقلي خربت المملكة او لم تخرب

ثم قبلها وخرج وقلبهُ مملوء من السرور والابتهاج حتى جاء القصر المعد لاجتماع المهنين والمباركين فباركوا لهُ ودعوا لدولته بدوام العز والافراح وكانوا يأتونهُ افواجاً افواجاً فيقدمون تهانيهم ويشربون الشراب ويخرجون فياتي سواهم وهو يلاقي الجميع ببشاشة وطلاقة وجهٍ الى المساء فنهض وجاء الى لغمان وبات عندها الى الصباح وفي الصباح امر ان يبنى لها قصر مخصوص كما فعل لبنت كسرى وكانتا الاثنتان في جمال واحدٍ لا يقدر الرائي ان يميز بين الواحدة والثانية او يفصل الواحدة عن الاخرى وصار بهرام يصرف اسبوعاً عند هذه واسبوعاً عند تلك ولا ينقطع عن الاحكام قط . الى ان كان ذات يوم افتكر بما اعطي من النعمة فشكر الله على ذلك وطلب اليه ان يسهل لهُ الوصول الى البنات الخمس الباقيات كما سهل لهُ امر الحصول على الاثنتين المتقدم ذكرهما وقد صمم كل التصميم على السعي وراء الباقيات اللاتي قدر عليه الحصول عليهن . ولذلك كتب الى الملك قيصر ملك الروم كتاباً يطلب اليهِ بهِ ان يرسل لهُ الهدايا والاموال والجزية وان

يهيأ بنته ويرسلها اليه بالاكرام فيتخذها في جملة حرمه وان ابى وامتنع عن اجابة طلبه فليستعد للحرب والقتال لانه سيحمل عليه بجنوده ورجاله ويأخذ بنته سبية بالرغم عليه . ولما بلغت الرسالة الملك قيصر وقرأها الى اخرها غضب غضباً عظيماً وتكدر مما حوته من التهديد والوعيد وفي الحال امر ان يجاب على رسالته بالشتائم والتحقير وان يحضر للحرب والقتال فانه له بالانتظار وبعد ان ارسل الجواب امر بجمع العساكر واحتشاد الجيوش وتهيئة المؤن والاستعداد لحرب الفرس . واما بهرام فانه عند ما قرأ جواب قيصر احمر وجهه وقامت عليه القيامة وقال لقد دفع الكبر بالملك قيصر الى العناد فوجب عليّ تأديبه وارجاعه الى جادة الصواب ليعلم قدر الملوك

ثم جمع ما وصلت اليه يده من الجنود والفرسان وخرج بهم من ايران قاصداً بلاد الروم وقد نشرت فوقه الرايات وخفقت الجنود وعزفت بين يديه البوقات ولا زال في تقدمه حتى التقي بملك الروم وكان سمع بركوبه اليه فخرج برجاله لقتاله عند التخوم وهو يؤمل بانه يسحق الفرس ويهلك بهرام ويسير الى المداين ويستولى على عرش الاعجام ويقرض تلك الدولة التي دوخها الكبر والعتو واسكرها النفوذ حتى رات دول العالم دونها حطة ومقاماً . ولما وقعت العين على العين تحركت الضغائن من الطرفين فهجموا على بعضهم البعض هجوم الذئاب الكاسرة وقد قوموا الاسنة واشهروا الصوارم فاغمدوها في الصدور وانفتحت ابواب الحرب من كل ناحية فدخل فيها الكبير والصغير ولم يكن الا ساعة من الزمان حتى اختلط الفريقان وارتفع فوقهما الغبار الى العنان وجرت منهما الادمية كالغدران او كالميازيب المتدفقة عند شدة وقوع العارض الهتان وكان المعوّل على بهرام عروس ذلك الميدان فانه كان كالغول او كالاسد الاكول يلتهم الفوارس بسيفه ما بين عشرة وعشرين ويلقي بها الى الحضيض وكان لا يقدر احد ان يثبت امامه دقيقة واحدة ولذلك كان المجال يتسع عليه فيصول من مكان الى مكان ويحمي رجاله كما تحمي الام اطفالها واللبوة اشبالها الى قرب الزوال فافترقوا على سلام وقد رأى الملك قيصر ان النقص قد وقع بعساكره حتى قتل اكثر من ربعهم فهاج وماج ولام القواد والفرسان على هذا التراخي والضعف فوعدوه انهم في اليوم التالي يعوضون ما فات . ولما كان الصباح نهض بهرام وسبق الجميع الى الحمل على الاعداء فاخترق صفوفهم وشتت الوفهم وانزل عليهم البلايا وجعلهم مثلاً في البرايا والملك قيصر يدفع بالقواد والفرسان ان تحمل عليه ويحرضها على قتله واعدامه فتهجم لكن لا تلبث ان تصل حتى تكدم الارض فكانت

كمن يلقي نفسه في نار ملتهبة ولم يمضِ الا القليل حتى حملت فرسان الفريقين ومشاتهما وانقدت شعلات الحرب اي انقاد ورخصت نفوس العباد اذ بيعت بغير ثمن لا بالنقد ولا بالميعاد فدارت الدائرة على قيصر الروم ورجاله ووقع فيهم النقص والفناء

ولما رأى ملك الروم ما وقع برجاله علم انهم سائرون الى الاضمحلال فالوى عنان جواده وطلب الهزيمة والهرب وامر ان تتبعه العساكر والجنود ليسبق الاعداء الى المدينة ويحاصر فيها فدارت وجوهها واطلقت خيولها الاعنة تاركة كل ما لها من المؤن والذخائر في ذاك المكان وحينئذٍ وقف بهرام عن القتال والتفت الى من حواليه من القواد فقال لهم اجمعوا المؤن والذخائر واملوا الاسلاب واتبعوني الى المدينة فاني احب ان اتأثر قيصر في الحال قبل ان يلحق بالمدينة فيدخلها ويحاصر ضمنها و يفتح الخنادق فنلتزم ان نبقى في الخارج الى ما شاء الله حيث لا شجاعة حينئذٍ . ثم انتخب نحو عشرة الاف فارس من نخبة الفرسان وسار بهم يتأثر قيصر ورجاله وكلما وقع بيدهم جماعة من المتقطعين استأسروهم او قتلوهم حتى كان المساء وكان بهرام قد ظن ان قيصر ينزل في تلك الارض فينام الى الصباح فاخطأهُ ظنهُ ولذلك بقي متاثرهُ ولم ينزل عن جواده حتى ادركهم عند الصباح على ابواب المدينة وكان في نية قيصر الدخول اليها لكنهُ لم يقدر ولا تركه بهرام بل فاجأهُ وامر رجاله بالحمل والمسارعة الى المدينة وان كل من اعترضهم قتلوهُ وكانت ابواب المدينة مفتوحة من كل جهة فاكتفى بهرام بان ملك واحداً منها فاقام عليه نصف فرسانه كحراس ودخل هو بالنصف الاخر واوقع بالمدينة وسكانها وكان قيصر ورجاله قد دخلوا من الابواب الاخر وظنوا انهم يقبضون على بهرام شاه في المدينة لضيق المجال عليه فحملوا عليه وازدحموا وعلت منهم الصيحات والزعقات وسدوا عليه الطرقات من كل صوب لكن اين لهم ان يثبتوا امامه او يحتملوا مرَّ ضرباته فكان كلما تجمعوا فرقهم وكلما كثروا محقهم حتى ارعب المدينة واوقع الخوف في قلب قيصر وحينئذٍ لم يرَ اوفق من الصلح والسلام وطلب الامان والانقياد لارادة بهرام شاه لان قصده بنته والجزية فلا يمنعهما عنه ولذلك نادى بطلب الآمان وارتفعت الاصوات من السكان بطلب الامان والدعاء لبهرام شاه فارس الفرسان . ولما سمع بهرام النداء رفع يده عن القتال وامر فرسانه بالكف وقال لهم قد استسلموا فحرام علينا قتالهم وسار حالاً الى جهة قصر قيصر فالتقاه بالترحيب والاكرام والقى سيفه عند اقدامه وطلب اليه العفو والامان والمعذرة عما فات وما وقع منه من الهفوات فصافحه بهرام شاه وقال له ان النسيان في مثل

هذا الشان اوفق للانسان . والان قد مضى مامضى وكان لم يكن بيننا شي ودخل واياه الى القصر وقيصر مملوء القلب من الفرح لانه احب بهرام شاه محبة لاتوصف لما شاهد فيه من الشجاعة والاقدام والبسالة والكرامة ولين الجانب وبهاء الطلعة فقد جمع الله فيه كل ما هو حسن ولما صارا في اعلى القصر طلب قيصر الى بهرام شاه ان يجلس على العرش فابى وقال له ان عرشك يبقى لك فاني لااطمع فيه ولا قصد لي بنزعه منك بل جل ما اقصده هو ان اخذ بنتك لانه قدر من قبل الله ان تكون لي وان اكون مالكاً السبعة اقاليم والان وان كان قد دخلت بلاد الروم في يدي واعتبر نفسي اني فتحتها بسيفي وعزمي لكن احب ان تبقي انت عليها كما كنت لكن ترجع في امورك اليّ حتى اذا احتجت الى مساعدة او دفع عدو فاني مستعد لذلك فادفع الضر عنك

قال وفي الحال امر قيصر بتزيين المدينة واقامة الافراح وعمل الولائم ترحباً ببهرام وجماعته واعلن امر الصلح والاتفاق في كل بلاده وقد دخل الوزراء والاعيان والبطارقة والجثالقة والروساء على بهرام شاه فسلموا عليه وقبلوا يديه وشكروه على حلمه وعفوه ودام في المدينة ثلاثة ايام على اتم ما يرام من المسرة والهنا وكان قد وصل باقي الفرس الذين تخلفوا في الطريق فضربوا اطنابهم حول المدينة ودخل القواد وانضموا الى سيدهم مشاركينه في افراحه وبعد الثلاثة ايام امر قيصر بان تجمع الاموال والهدايا من كل ثمين ونفيس فجمعت وقدمها كلها لبهرام شاه ثم احضر بنته فعرضها عليه وقال له ان جاريتك بين يديك فاني اقدمها لك لكي تزف عليها في بلادك لان على حسب اعتقادنا لايصح تزويجها بك لكني اقدمها لك هبة واوصيك فيها لانها تربت في بيتي على الدلال والرفاه . فاجاب كن براحة فاني اكرمها واعظم قدرها لانها زوجتي ولايحتقر العاقل زوجته بل يكرمها اذا كانت امينة على حبه مطيعة لامره

وبعد ان شكر بهرام شاه ملك الروم امر ان تحمل الاحمال وتركب الفرسان وترفع عروسه على تخت روان . ولم يكن الى القايل حتى ركب وركب عسكره ورجاله وساروا بين يديه وسار هو ايضاً بعد ان ودع الملك ولازال حتى دخل بلاده فلوقي بالتكريم والاحترام وزينت المدينة له فرحاً بانتصاره وباحضاره بنت ملك الروم فدخل عليها وقد فرح بها كثيراً وابتنى لها قصراً مخصوصاً ووضعها فيه

وبعد ذلك بايام قال في نفسه ها اني قد احرزت ثلاثاً من البنات اللاتي رمين بقلبي جمرة الحب وقدت لامري ملكين عظيمين واخذت منهما الجزية واصبح من الواجب عليّ لاتمام عملي ان اسعى في استحصال الاربع الباقيات ويلزم الآن ان احصل على بنت ملك

الهند لكن السفر الى تلك البلاد صعب على الفرسان والاجناد لبعدها ومشاق الطريق ولا سيا ان عند ملك الهند كثير من الاجناد والابطال والعيارين وركبة الافيال والاسود فاذا سرت بجيشي عرضت بهِ الى الاخطار فيهلك منه قسم عظيم بدون جدوى للبلاد لان النفع لي والربح العظيم لنفسي ولذلك من الواجب ان اسير بنفسي بصفة رسول عن بهرام فلا اجد يعرفني وربما اذا ارسلت رسولاً يعود بالخيبة فاضطر الى الحرب والقتال بالرغم عليَّ لكن اذا سرت بنفسي لا ارجع الاَّ وهي في قبضة يدي . وصمم النية على ذلك وكتب رسالة مستوفية الى ملك الهند وامضاها ثم غير زيهُ واختار بعضاً من القواد وخرج بهم من ايران قاصداً بلاد الهند وتلك الاوطان ولا زال في مسيرهِ حتى وصل من عاصمة الهند فارسل خبراً الى ملك الهند يخبرهُ بانهُ سفير مرسل من قبل بهرام شاه بحاجة مهمة وكان الملك قد اتصل بهِ قبل ذلك شيء من اخبار بهرام وشجاعتهِ لكنهُ كان مطبوعاً على الكبر والعظمة فلم يرسل احداً لملاقاتهِ بل قال ان الابواب مفتوحة فليدخل ولما بلغ الخبر بهرام شاه تكدر لكنه اخفى ما عنده ودخل المدينة بطنطنة وعظمة محاطاً برجال معيتهِ وقد راى المدينة معمورة للغاية ومتقنة البناء واسواقها مزخرفة ومزينة وكان يرى في كل طرف يسير فيهِ العساكر والفرسان والبهلوانية يطوفون بكمال العظمة والشجاعة . فلما راى ذلك تعجب وغاص في بحر من الافكار وهو يقول في نفسه هل يا ترى اقدر ان اجعل هذه المدينة تحت سلطتي واصرف نفوذي فيها ان ذلك من الصعب لكن لا يصعب على الله امر

و بقي في مسيرهِ حتى وصل من قصر الملك وقد كدره عدم احتفاء الملك بهِ وعدم ارسال احد لاستقباله ولما وصل من باب القصر نزل عن جواده وهناك استقبلهُ بعض انفار من الحجاب فادخلوه القصر ودلوه على الحجرة التي خصصت لهُ والحجرات التي خصصت لجماعتهِ وهناك اكرموهُ غاية الاكرام وترحبوا به للغاية وقاموا بخدمتهِ كاشرف ضيف . فبات تلك الليلة مستريحاً من اتعاب السفر وفي صباح اليوم التالي خرج الى الديوان واستأذن الملك بالدخول فأَذن لهُ فدخل حتى قرب من عرش الملك فقدم له الاحترام اللائق والواجب وهو بصفة رسول شاه الفرس ثم وقف في الوسط وقلبهُ مملوءٌ من الغيظ والحنق وقد خطر لهُ ان يستل سيفهُ و يقطع رؤوس جميع من في الديوان من السيد الى الحاجب لكنهُ ضبط نفسهُ وخاف العاقبة وقال الصبر افضل واولى . وحينئذٍ امرهُ الملك بالجلوس فجلس . وبعد ان امر له بالمرطبات فشرب وقدم له العوائد الجارية عندهم وقف

بهرام . وقال لا تخفاك ايها الملك العظيم والسيد الكريم صاحب البلاد والاقاليم . اني مرسل اليك من قبل سيدي بهرم شاه ملك ايران ومذل الانس والجان وقاهر الاسود من شاع صيته في كل مكان وامرني ان اسلمك هذه الرسالة واسأل من فضلك الجواب . فوقع هذا الكلام ثقيلاً على ملك الهند لكنه تناول الرسالة وسلمها لوزيره فقرأها بصوت عالٍ حتى سمعها الجميع ولما وعب الملك معناها وعرف ان من غاية بهرام شاه الاقتران من بنته وانه يتهدده بانه اذا امتنع يأخذها جبرًا و يأمره بان يرسل مع بنته الجزية والهدايا زاد لذلك حنقه والتفت الى بهرام شاه وقال له . على ما يظهر ان سيدك مجنون ابله او ان الغرور قد لعب به حتى ضيع رشده اما قرأ في التواريخ وراجع الكتب القديمة فعرف منها ما هي عليه مملكة الهند من القوة والسطوة وانها لا تطيع احدًا ولا تخاف احدًا ولا تدفع الجزية لاحد . نعم ان سيدك مجنون او جاهل او مغتر بنفسه يظن ان الهند كغيرها من البلاد واني لو لم يكن من العار قتل الرسول لكنت قطعت رأسك الآن وارسلته له تحقيرًا لشأنه واهانة له علّه يرجع عن غروره وكبريائه

فحينئذٍ وقف بهرام شاه واطلق لسانه بفصاحة غريبة اسكتت كل من حضر وقال ايها السيد العظيم ان مولاي بهرام شاه هو اشد رجال الحرب واعظم من جال في مجال وهو يعرف عظم ملككم وقدرة فرسانكم ولا يجهل ان عدد جنودكم لا يحصى لكن يترجح عنده انه قادر على سحق الهند والاستيلاء عليها انما حبًا بالسلام دخل من باب المخابرة والطلب ولكي يعطيكم برهانًا على صدق ذلك ارسلني انا احقر عبيده ولا قدرة لي ان افتل عنانًا بين يديه وارسل معي مائة فارس وامرني ان اعرض لديكم شفاهًا امرًا واحدًا وهو انه بعث لكم مائة فارس من فرسانه ويطلب اليكم ان تبارزوهم فاذا تغلبتم على المائة فارس يقف عند حده واذا عجزتم عن التغلب عليهم فتتأكدون انه اذا جاء بنفسه وجر من خلفه جيوش الفرس يخرب بلاد الهند عن بكرة ابيها . فزاد غيظ الملك وقال ويلك ان هذا عين الجنون الا نقدر ان نتغلب على مائة فارس ولدي كل فارس اذا ضغط برجليه على الفيل قطعه . قال مهلاً لا تحمق ايها الملك العظيم بل احلم واسلك معنا مسلك الانصاف والعدل فها انا بين يديك وها الميدان فمر من شئت من فرسانك ان يبارزني واجمع الشجعان من سائر البلدان فاني وحدي ابارز فرسانك فان لم اتغلب عليهم فيكون دمي مباحًا لك وان تغلبت عليهم وقهرتهم يكون ما تكلمته هو الصدق لامراء به ولا اطلب اليك ان ابارز واحدًا واحدًا بل مئة مئة وذلك اقوى دليل على الاختبار

فلما سمع ملك الهند هذا الكلام وافق عليهِ وقال في نفسهِ يلزم ان اري رجال ايران فرسان الهند وشجاعتهم ليقاهوا الطمع والعجب من رؤسهم و يعودوا فيخبروا ملكهم بما راوا لان لا بد ان يكون بهرام شاه قد ارسل لي اعظم فرسانه وابطالهِ . وفي اليوم التالي خرج الملك الى ميدان المدينة ومن حوله الوزراء والاعيان وكبار الدولة وقد جمع الابطال والشجعان وفرسان القتال . وجاء بهرام شاه محاطًا بفرسانه وهو كالاسد الكاسر ولما وصل الى الميدان اومى بيده للسلام وخرج الى الوسط على جواده وهو مدجج بالسلاح مشتاق الى البراز والكفاح . وحينئذٍ امر الملك احد ابطاله ان يبرز اليه و يقطع رأسه فبرز اليه وكان من اوائل فرسان الهند وشجعانها المشهورين الا ان بهرام شاه لم يتركه ان يفتل العنان بل صاح به فخبله ومد يده الى وسطه باسرع من لمح البصر واقتلعه من بحر سرجه الى فوق راسه وجاء ورماهُ بين يدي الملك ورجاله وحينئذٍ اندهش الملك وتعجب وكذلك الوزراء والاعيان وقالوا لا ريب ان هذا السفير هو اخو بهرام شاه لان دلائل الكبر والعظمة عليه فهو امير دون شك وحينئذٍ صاح بهرم شاه هلموا ايها الفرسان والابطال فاني على الانتظار فاشار له الملك ان يقرب منه فقرب فقال لا تتعب نفسك فقد ثبت عندي ما قلت فان كنت قد فعلت مع اعظم فرساني ما فعلت فلا ريب انك تفضح الجميع

ثم ان الملك نهض وركب جواده وعاد الى المدينة و بهرام شاه الى جانبه وهو مسرور به متعجب منه وقد مال اليه واحبه . ولما وصلوا الى دار الاحكام انفصل بهرام بجماعته ودخل الملك واجتمع بوزرائهِ على خلوة واخذوا يتباحثون في شأن السفير وشجاعته فقال لهم الملك ان قلبي قد مال الى هذا السفير ولذلك ارى من الواجب ان استميلهُ اليَّ وازوجهُ من بنتي واجعله وليًا للعهد من بعدي اذ لا ولد ذكر لي ومثل هذا البطل يفدى بالارواح فاجابه الجميع حسنًا تفعل لانه نادر المثال بين الرجال . وحينئذٍ عين الملك احد الوزراء ان يذهب الى رسول بهرام شاه ويخبرهُ بقصد الملك ويشرط عليه ان لا يرجع الى ايران قط بل يبقى في الهند وتكون له مملكة الهند من بعد الملك

وفي المساء ذهب الوزير الى بهرام شاه وعرض عليه غاية الملك وما تم عليهِ القرار وان الملك لا يريد ان يزوج بنتهُ من بهرام شاه لانهُ لا يطيق فراقها فهي وحيدة له وانه يسمح بان يزفها عليه بشرط ان لا يرجع الى ايران وان يكون الوارث لمملكة الهند بعد الملك . فلما سمع بهرام شاه هذا الكلام اطرق الى الارض متفكرًا وقال في نفسه لا بأس من القبول و بعد الزواج اظهر نفسي وقد حصلت على ثلاث زوجات تمتهن

نفسي وهذه الرابعة وكان امر الوصول اليها اصعب الجميع فها قد زال الصعب ورضي الملك فيجب ان اوافقه في الحال وما ذلك الا تدبير العزيز المتعال . ومن ثم رفع رأسه وقال للوزير لقد انعم عليَّ الملك فلا ارد له طلباً فاني اقبل بنته لنفسي واما من جهة رجوعي الى ايران فاراهُ لازماً لان لبلاد الفرس اعداء كثيرين ولا بد لبهرام شاه ان يحناجني فاذا سرت اسير بارادة الملك واما ولاية العهد على البلاد فهذه لا بد منها لان حق الميراث لبنته وانا و بنته واحد فهو لي ولا ريب فيه .

فسرَّ الوزير من جواب السفير وعاد الى الملك فاخبره بما سمع فزاد فرح الملك واهتم بقيام الافراح والاحتفالات وفي ثاني الايام دخل بهرام شاه الحمام فاغتسل وجيء اليه بالملابس النفيسة الثمينة فلبسها وقد تعطر وتطيب حتى صار بهجة للناظرين وصار كل من رآه لا يطاوعه قلبهُ على فراقه وقد اخذ بمجامع القلوب وكانت الجنود ورجال الحكومة قد احبته كثيراً لما راوهُ من شجاعته وما شاهدوهُ فيه من الهيبة والوقار والجمال الفتان وفي المساء عقدوا له على بنت الملك وكانت المدينة ترقص من الزين الباهرة التي قام بها الاهالي حبًا بملكهم و ببهرام شاه ملكهم الجديد وبعد ان انصرف الجميع دخل على عروسه وهو متعجب من حاله وجلس الى جانبها بكمال الحشمة والوقار غير ناظر الى وجهها البدري المستور بالنقاب وكان بهرام شاه من الجهة الواحدة ممنوناً ومسروراً من حصوله على هذه الدرة الثمينة و يتمنى نوال وصالها ومن الجهة الثانية يفكر كيف انه يبقى في بلاد الهند ولا يذهب الى ايران و يترك ملكه وزوجاته الثلاث و يبقى عند هذه مع ان في عزمه ان يسعى خلف الثلاث الاخر ولذلك لم يفه بكلمة بل جعل كل منهما ينظر الى الاخر وافكاره تضرب في معنى فهي تنتظر اشارة منه وهو نادم على تعهده بالبقاء في الهند وكانت قد نظرت ما هو عليه من الحسن والجمال والبهاء والكمال والقد الراجح والخد الاصيل والطرف الكحيل فانحلت مفاصلها ووقع في قلبها موقعاً عظيماً وتبين لها انه اول رجل بديع الصفات وقعت عينها عليه

ومضى الوقت ولم يكلمها كلمة ولا مد يده اليها وهي تراقب حركاته الى ان رأته قام ونزع ثيابه فاملت بالخير لكن خاب ظنها ايضاً فانه دخل في سريره ودار ظهره ونام فلما رأت منه ذلك زاد خفقان قلبها وعظم عليها الامر واخذت بالبكاء والنحيب وقالت ماذا رأى مني يا ترى هل لم اعجبه او بدأ مني قصور في حقه او اعتز بنفسه لما رأى ان ابي قد سمح له بزواجي عن حب فهذه هي المكافأة . وبقيت مدة على هذه الحالة ولم

يطعها قلبها ان تنفعل كفعله وتنام غاضبة عليه واخيرًا تقدمت من سريره ووضعت راسها فوق رأسه واحدقت في وجهه بقلب خافق وهي تحرق من عمله وتتشوق الى قبلة من خده وهو مغمض العينين لا يبدي حركة قط وفيما هي تتأمل فيه فاض الدمع من عينيها فوقع على وجه بهرام شاه فشعر كان ماء سخنًا يحرق خده ففتح حينئذٍ عينيه ونظر الى ما هي عليه من الحزن والكآبة فعلم ان قلبها قد تولع به ولما امعن في حسنها وجمالها لم يعد يطيق صبرًا على جفائها ولم يطعه قلبه على تركها فاخذها واجلسها الى جانبه على السرير وقبلها في خدها وقال لها ما سبب بكاكِ يا قرة العين . فقالت له كيف لا ابكي يا ملكي ومعبودي وكيف لا اشكو من ظلم جورك وجفاك راك قلبي فانعطف دفعة واحدة ومال بكليتيه اليك وارى قلبك عليَّ قاسٍ كالحجر كيف لا ابكي وقد عاملتني معاملة الظلم وقلة الانصاف ولم تراعي السنَّة المألوفة بين الناس وانا لم اعرف لذلك من سبب ولا اذنبت اليك ذنبًا وكذلك ابي فانه اعطاك ملكًا وجمالاً حتى صرت اعظم من سيدك بهرام شاه فانا زوجتك وبين يديك واعاهدك على الطاعة والخضوع في كل امر تأمرني به فلا تكن قاسيًا عليَّ ولا تظلمني

ولما سمع بهرام شاه كلامها لم يتمالك نفسه من التاثير وتحركت كل احساساته وعانقها وقبلها في خدها مرارًا ثم مسح عينيها وقال لها لا تبكي يا بدر المشرق و ياحياتي العزيزة فقلبي يحبك باكثر مما قلبك يحبني واني اريدك وافضلك على عيني وحياتي لكن ما رايته مني كان لشغل عظيم عندي التزمت ان افتكر به فمظم عليَّ ولم ارَ له بابًا اصرفه اليه . فلما رات بنت الملك ميل بهرام شاه اليها وتاكدت محبته ضمته الى صدرها وقبلته كما قبلها وقالت له ماذا تفكر وما الذي يشغلك عمن تضحي حياتها لاجلك واجل راحتك اخبرني ولا تخف عني امرًا . قال لها هل يليق بالمرء ان يفشي سره لكل انسان قالت كلا لا يليق بالمرء ان يفشي اسراره لكن يمكنه ان يبوح باسراره لمن يكون صادقًا امينًا على صوالحه محبًا له يشاركه في السراء والضراء ويقاسمه الهناء والعناء . فقال لها هل ياترى ارى فيك الصدق والامانة والمحبة التي تزعمينها فاسلمك سري واكشف لك ما في صدري لارى فرجًا لي ومخرجًا مما انا فيه . فتبسمت حينئذٍ ومالت بكليتها اليه وقالت له كيف لا اكون انا صديقتك وامينتك على اسرارك وشريكتك في نعيمك وبؤسك الم تكن انت زوجي وقد اخذتني حلالاً وفوق كل ذلك فان قلبي في يديك وامري مفوض اليك فانت حبيبي وبك راحتي وبكدرك موتي وعذابي فكن امينًا مني واعلم اني اذا امرتني ان اترك ابي وملكه والدنيا باجمعها لاعيش معك

في البرية كالبهائم لما تأخرت بشرط ان اكون الى جنبك و بقربك تراك عيني وقلبي وما ذلك الا لاني رايت شخصك في المنام من قبل ان تاتي هذه البلاد قال . وكيف ذلك . قالت منذ سنتين كنت نائمة فرأيت في منامي ان رجلاً عظيماً جاء الى ابي وتزوجني فسألته عن اسمه فقال لي بهرام شاه ملك الفرس وسيد ايران ولما رابت طلعته وشاهدت جماله تعلق قلبي به ولما استيقظت من نومي بقي اثر تلك الطلعة البهية منطبعاً في دماغي وفي قلبي وفي نظري ولم يغب عن ذهني ذكرها يوماً واحداً ولما اتيت انت وسالت ابي عن لسان سيدك تاكدت صحة تلك الرؤيا وتمنيت ان اكون زوجة لبهرام شاه ولما علمت ان ابي زوجني منك تكدرت لان عقلي وقلبي عند بهرام شاه غير انك لما دخلت عليَّ وشاهدتك وجدت انك الشخص الذي رايته في حلمي وان حبك هو الذي اشغلني كل هذه المدة ونور هذه الطلعة لم يفارقني لحظة ولذلك تاكدت ان اسم بهرام ما كان الا كناية والحقيقة هو انت وهذا بتدبير الالهة فاتخذني لك عوناً وكن اميناً مني وهلمَّ اليَّ فلي طويل زمن اتعذب بحبك واسأل المعبودات ان تقربك مني ولما وقعت عندي تريد الجفاء يا قاسي القلب ولا تركن لي

فحينئذٍ تاكد صدق محبتها فقال لها لقد صدق حلمك باجمعه فما انا بالسفير بل انا نفسي بهرام شاه وقد جئت من بلادي لاجلك ولاجل حبك ضحيت حياتي والقيت نفسي بالخطر وحيث ان اباك اشترط عليَّ ان ابقى هنا صعب عليَّ الامر لان بلادي في حاجة اليَّ وملكي اوسع من ملك ابيك وليس من يدبره ولا نفسي تطيعني على التخلي عنه ولو بملك الدنيا لانه متروك عن ابي واجدادي وهو مقدس عندي ولهذا كنت افكر بكيفية الخروج من هذه المدينة وها قد بحت لكِ بسري فانظري فيه بعين الحكمة والاصابة

فلما سمعت منه انه بهرام شاه زاد فرح قلبها وكادت تطير شعاعاً وعادت فطوقت عنقه بمعصميها وقبلته في جبينه وقالت له أتكون انت ملك اللطف والظرف وتخفي نفسك عن زوجتك ومحبتك وما هذا الذي تفكر به الاَّ سهل التدبير فاني اطيعك واذهب واياك الى آخر العالم فكن براحة والتدبير عندي في الخروج من هذه المدينة لان بعد اسبوع يبتدي عندنا العيد فيخرج ابي برجاله العظام وتتبعه كل المدينة تقريباً الى الهيكل الاكبر لاجل صرف يوم العيد هناك على العبادة وتقدمة الضحايا وحينئذٍ يخلو لنا الجو فنخرج من المدينة ونسير نحو بلادك واوطانك ويكون برفقتنا رجالك وفرسانك ولا يرجع ابي من العيد حتى نكون قد بعدنا اياماً . قال ان في الهرب العار والشنار عليَّ قالت ليس

في ذلك عاراً ابداً لانك لا تقدر ان تقاوم جيوش الهند وحدك ولا يمكن لابي ان يتخلى عني و يبعدني عن عينيه لانه يحبني كثيراً وقد طلبني كثير من الملوك وابناء الملوك فردهم بالخيبة لانه يريد ان ابقى عنده وما زوجك الا على هذا الشرط لعلمه انك حرٌّ لا بلاد لك ولا ملك فاكراماً لي اراد ان يترك لك عرشه فما من وسيلة قط الأ الهرب في هذه الايام

فلما سمع بهرام شاه هذا الكلام رآهُ عين الصواب وقد عرف انهُ اذا عاند ربما خسر زوجتهُ الجديدة فيخفيها ابوها عنه وهو وحيد في تلك البلاد و بلادهُ بعيدة عنهُ وحينئذٍ وافقها على رأيها فسرت منه . ومن بعد ذلك تعانقا ... الى الصباح وقد طاب له الوقت وصفا لهُ العيش وصرف ذاك الاسبوع على الهناء والانشراح غارقاً مع زوجته بالملذات والافراح لا يخرج الا نادراً اكراماً لخاطر ابي زوجتهِ وتطميناً له وكان عمه مسروراً بهِ و بينتهِ وقد تصور انه اوجد للملكة وريثاً يليق بها وتسر منه الرعية . ولما انقضى الاسبوع وجاء يوم العيد اصبح الملك وحاشيته ورجال دولتهِ واكابر المدينة واعيانها يتهيئون للذهاب الى محل العبادة كجاري عادتهم في كل سنة ولم تمضِ ساعة حتى خرج الجميع ولم يبقَ في المدينة الا الخدم والحشم والغرباء وحينئذٍ نهضت نور بنت الملك وقالت لبهرام شاه هلمَّ يا سيدي لا تضع هذه الفرصة فان الوقت لا يسمح لنا وهذا وقت الهرب ثم غيرت ثيابها بثياب الرجال وتدججت بالسلاح الى حد اسنانها وخرجت الى الاسطبل فاختارت جواداً من احسن جياد ابيها فركبته وركب بهرام جواده وامر جماعته ان يسبقوه الى خارج المدينة وقد اصحبت نور متاعها وحلاها معها وكلما تحتاج اليهِ في الطريق ولم يكن الا القليل حتى خرجوا من المدينة واستلموا طريق ايران وجدوا في المسير طول ذلك النهار لا ياخذهم هدو ولا انتظار حتى المساء وكان بهرام شاه غير مسرور من هذا الامر ولا يريد ان تتكبد زوجته كل هذا التعبُ والعنا لكنها كانت لا ترضي الا بذلك مظهرة له سرورها واقتدارها على حمل الاثقال

ولما كان المساء نزل بهرام شاه بزوجته عند ذيل جبل هناك وامر بان يقدم اليهما الاكل فاكلا وحمد الله على انعامهِ ومن ثم مال الى زوجته وانفرد بها في صيوانهِ واخذ معها بتعاطي كاس المسرات وصرف ليله على الصفاء والانس الى الصباح واما ملك الهند فانه رجع في المساء الى المدينة ودخل قصره وفي الحال افتقد بنتهُ وصهرهُ فما وجدهما فطار صوابهُ وسأل عنهما من الخدم فاخبروهُ بما كان منهما وكيف ركبا وخرجا من

المدينة ولكن لايعلمون الى اين مسيرهما · وفي الحال جاء لذهن الملك ان صهره اغرى بنته وهرب بها راجعاً الى بلاده وقداستغنم فرصة غيابه عن المدينة ولذلك طار صوابه ولم يعد يعي على شيء وقال في نفسه لابد لي من اللحاق به والسير في هذا الليل حتى ادركه عند الصباح لانه لابد ان يكون قد سار كل النهار وفي المساء نزل للراحة ولا يسير بزوجته ليلاً ونهاراً · وفي الحال ركب بالذات واخذ معه فرقة من العساكر والابطال المعودين على الحرب والقتال· وسار تحت ظلام الاعتكار لاياخذه هدو ولاقرار· ولم يصبح عليه الصباح الاّ بالقرب من المحل النازل فيه بهرام · وكان بهرام قد نهض عند الصباح وخرج من صيوانه ونظر الى البر الفسيح فشاهد الغبار مرتفعاً الى العنان فتبسم تبسم الازدراء والاحتقار وقال لزوجته ها ان اباك قد ادركنا بالرجال والفرسان واني بانتظار مثل هذا الشان لاريك كيف تفعل الاسد بالخرفان فقالت له دع عنك هذا الامر وهلم بنا نتسلق هذا الجبل نداوم المسير فانه لايزال بيننا و بينهم مسافة نقدر بها على التخلص من ايديهم · فقال ولماذا التخلص منهم وانا قادر ان اقاتل جيوش الهند دون ان اكل وامل وساطب البراز فان انصفوني كان والاّ فليحملوا عليّ برمتهم والله نصيري فلا اخاف منهم ولا من سيوفهم وحرابهم ثم اسرع الى سلاحه فنقله والى جواده فركبه وركبت نور وصعدت على رابية عالية ترى منها القتال وهي تدعو الله ان يصطلحا وان يصان زوجها من غدرات الزمان· ولم يكن الاّ ساعات قليلة حتى قرب الملك بجماعته من ذاك المكان فوجد بهرام شاه بانتظاره ومن خلفه فرسانه الذين جاء بهم من ايران وهو يستعد لحربه وقتاله · فطار صوابه من هذا الامر وتقدم في الحال وهو يزبد ويرغي كفحول الجمال حتى وقف امام صهره وجهاً لوجه وصاح به ويك ايها الغدار اتظن انك تنجو من بين يدي وتهرب بابنتي وتحرمني النظر اليها وقد جازيتني على فعل الجميل معك بالغدر والخيانة ولكن الحق عليّ لاني ازوجتك بنتي وقد تحسر عليها ملوك الزمان واخترتك على سيدك بهرام واعطيتك تخت الهند هبة مني فرفعتك من الحضيض الى الاعلى وفي ظني ان الجميل يثمر معك ونشعر بنعمتي لكنك مبني على الغدر والخيانة وقد فضلت خدمة سيدك على مملكة الهند وما ذلك الاّ نوع من الجنون والخسافة · فلما سمع بهرام هذا الكلام طار من عينيه الشرار وعزم على ان يسرع الى عمه بضربة حسام يقطعه نصفين لكنه افتكر بزوجته وماذا يصير بها اذا قتل اباها ولذلك كظم غيظه واجاب عمه بهدو· لا تطل الكلام والجدال فما انا بمجنون ولاخوان بل احسن منك عقلاً واشد وفاء ولكي تعلم ذلك اعلمك بنفسي من انا لتعلم اني لااقدر ان ابقى في بلادك انا هو بهرام شاه ملك ايران

ومذل الجبابرة والفرسان ومالك الاقاليم والبلدان وقد جعلت نفسي سفيراً واتيت اليك اطلب بنتك فساعدني الحظ وحصلت عليها وكنت اود ان اطلعك على امري وانا في المدينة فمانعت نور في ذلك خوفاً من ان تمانع في اخراجها من المدينة فاتيت بها الى هذا المكان وبت انتظر اتيانك اليّ لتاكدي ان لا بد لك من السير خلفي وحاشاي ان اهرب ولو قصدت الهرب لكنت بعيداً الآن عشرات اميال من هذا المكان . وها قد اطلعتك على جلية الخبر وكشفت لك باطن الامر فاذا رغبت في الصلح والوفاق فاهلاً ومرحباً واذا بقيت مصراً على الحرب والقتال فمرجندك وعساكرك بالهجوم عليّ لترى بعينك فعل من اذلّ الاسود واهلك الابطال وملك الاقاليم واني لا ارغب بالصلح الاّ حباً بينتك نورالصباح وزينة الملاح لاني اعلم الان انها في بكاء ونواح وقد اوصتني ان لا امداليك يداً ولوقطعتني ارباً اربا فوعدتها اني ابيد جيوشك وافنيهم عن آخرهم ولو كانوا بعدد الرمل والحصى اما انت فلا ارفع عليك يداً وحاشاي من ذلك

وكان ملك الهند يسمع وهو مطرق الى الارض وقد مال قلبه كل الميل الى بهرام شاه وزاد فرحه لما عرف انه هو سيد ايران وملكها وافتكر انه اذا حاربه فيحاربه حباً بينته فاذا قتل تموت بنته لا محالة فضلاً عن انه كان يسمع ان بهرام شاه اشد فرسان العالم بسالة واقداماً . فترجح عنده الصلح والوفاق وفي الحال نزل عن جواده وفعل صهره كفعلهِ وتقدما فاعتنقا بعضهما بعضاً ولما رأت نور هذا الامر طارت من الفرح فاسرعت ونزلت عن الرابية الى اسفل وتقدمت الى ابيها ورمت بنفسها عليه وقالت سامحني يا ابي فاني طمت السنة والعدل ولو لم يكن زوجي سيداً كريماً وملكاً عظيماً وملكه اعظم من ملك الهند لما طاوعته على السفر لكن بلاده بغير ملك الان ويخاف عليها من الاعداء ومن ظلم الحكام اذا علموا بتخليه عنها فتتقسم وتخرب ويكون ذلك مخالفاً الانسانية والعدل . ثم اخبرته بامر الرؤيا التي رأتها فتعجب وضمها الى صدره وقال لها اني اعذرك يا ولدي ولم امل الى صلح زوجك الاّ بعد ان عرفت انه هو بهرام شاه فهو معذور بحبه لملكه ورعيتهِ فكوني معه بهناء وسعادة واني اتمنى لكما التوفيق في كل مكان وزمان

ثم ان ملك الهند طلب الى صهره بان يرجع معه لصرف بضعة ايام اخر في المدينة فامتنع وابان له صعوبة الامر وشدة اضطراره الى الرجوع وحينئذٍ نزلوا في تلك الارض وصرفوا يومهم هناك على السرور والافراح يتودعون من بعضهم البعض وفي صباح يوم التالي ركب بهرام بجماعته واركب زوجته بعد ان ودعت اباها وقبلت يديه وقبلها

وبكى لفراقها . ومن بعد الوداع رجع الملك وسار بهرام شاه الى ايران ولا زال يطوي المراحل حتى قرب من عاصمته وبلغ الخبر وزراءه ورجال دولته فخرجوا لملاقاته وكان يوماً عظيماً لم يسمع بمثله قبل ذلك اليوم في ايران فرح فيه الكبير والصغير وزينت المدينة وقامت الافراح والمسرات احتفالاً ببهرام شاه المحبوب من الكبير والصغير ودخل المدينة بذلك المشهد العظيم وذهب توًّا الى عرشه وقد ارسل زوجته الجديدة الى قصره وبقي يلاقي الناس ويسلم عليهم حتى المساء وفي المساء ذهب فتفقد زوجاته الاوائل واصبح في هناء وحبور مدة ايام الى ان كان ذات يوم افتكر في نفسه فقال لقد قسم لي بالسبع بنات وها قد حصلت على اربع ومن الواجب اني ارسل الرسل والسفراء الى الباقيات فاستحضرهنَّ اليَّ ويروق لي الزمان وما ذلك الا من نعم العزيز الرحمن وفي الحال كتب الكتب وارسلها الواحد الى سلطان المغرب والاخر الى حاكم خوارزم والثالث الى ملك صقلاب يطلب الى كل واحد منهم ان يرسل اليه بنته مع الجزية والخراج ويحسن لهم الكلام فسارت الرسل وغابت عدة ايام وكان كل من الملوك المذكورين قد سمع بصيت بهرام شاه وما فعل وكيف اذل الاسود وقهر الملوك الكبار فلم يسعهم الا مرضاته فجهزوا بناتهم في الحال وارسلوا معهن التحف والهدايا العظيمة الثمينة والاموال الغزيرة ففرح لذلك بهرام شاه وشكر الله على تمام مراده وعمل يوماً عظيماً للصلاة وارتفعت به الاصوات الى الله بالشكر والحمد والتسبيح لانه اعطى مملكة ايران في ذلك الان ما لم يعطها في سالف الازمان ثم بعد ذلك اولم الولايم وقام بالافراح مدة عشرين يوماً على التمام وفي نهايتها دخل على زوجاته كل واحدة بليلة وقد حظى بحسنهنَّ وجمالهنَّ وبلغ منهنَّ ما كان يتمناهُ ومضت عليه عدة ايام على ذلك الشان . ثم دار يخرج الى الديوان كجاري عادته وينظر في مصالح الشعب وينصف المظلوم من الظالم وفي تلك الاثناء ارسل فاستدعى البنائين والمهندسين واهل الخبرة وامرهم ان يبنوا القصور لباقي نسائهِ وان يكون كل قصر اعظم من الخورنق وابهى ويكون فرشه واثاثه من الصين والهند وبلاد اليونان وفي مدة ثلاث سنين انتهى كل ما طلبه الملك ودبره الوزراء وكان الفرش على حسب مشتهى نسائهِ وكذلك لون البناء لان كل واحدة كانت ترغب في لون وزخرفة وهو لا يخالفهنَّ ويكرمهنَّ غاية الاكرام وبعد ان تم البناء والفرش عين لكل قصر جماعة من الخدم والحشم والحراس والطباخين والمغنيات والموسيقات حتى كان كل قصر جنة فيحاء كاملاً بكل اسباب الحظ والهناء وقد دعي القصور السبعة على اسماء سبعة كواكب مشهورة فدعي القصر الاسود باسم كيوان

وكانت اعمدته من العود والقوقلي حتى ان روائحه العطرية كانت تشم على بعد ساعة منه والثاني كان باون الصندل وقد سماه المشتري وكذلك كانت روايح ذاك الخشب القائم عليها تعطر الارجاء . والثالث كان احمر اللون وقد سماه المريخ وكانت تنبعث منهُ روايح الورد الزكي بما يسكر النفوس . والرابع كان اصفر الشكل وقد سماهُ الشمس والخامس ابيض وسماهُ الزهرة والسادس ازرق من حجر الفيروز وسماهُ عطارد والسابع اخضر اللون وقد دعاهُ القمر وهكذا كانت السبعة قصور بهجة للناظرين وفتنة لعيون المتفرجين لم يبن مثلها قط على وجه البسيطة وقد تعين لكل واحدة من زوجات بهرام شاه ملابس على لون القصر الموجودة فيه اي على اللون الذي احبته

وبعد ان تم كل عمل وتفرجت الناس على القصور وكمل ما كان يقصده بهرام شاه على غاية المراد نقل زوجاته الى القصور ونقل معهن جواريهن وقهرماناتهنَّ وكل ما يتعلق بهنَّ وكان يحبهنَّ بنسبة واحدة لا يميل لواحدة اكثر من الثانية ولا يرفع قدر واحدة على الاخرى وقد جعل لهنَّ الحظ كاملاً والسعادة تامة والهناء متواصلاً فكن يسررنَّ به ويفرحن لهُ اكثر من سروره بهنَّ وفرحه لهنَّ وكنَّ يتعشقنهِ كالهٍ معبود وكلما طالت الايام زدن في الحب والتعشق وزاد في الاكرام والاهتمام

وبعد ان استقرت كل واحدة منهن في قصرها عمد بهرام ان يزور كل ليلة واحدة في القصور الجديدة وقد فرض على كل واحدة منهنَّ ان تقص عليه في اليوم الاول الذي يدخل فيه قصرها حكاية غريبة . ولما كان اليوم الاول ذهب بالابهة والاجلال الى القصر الاول وهو (كيوان) قصر طالغان بنت ملك الهند وكان القصر اسود اللون واثاثه من الحرير الاسود وكل ما فيه اسود لانها كانت تحب ذاك اللون . وقد لبست الملابس السوداء فلشدة بياضها كانت كالبدر تحت ستار الاعتكار يجلو الدياجي ببهاء الاشعة والانوار . وما دخل بهرام شاه فناء القصر حتى تقدمت تميل كالغصن ان هزه ريح الصبا يحتاط بها جواريها من كل فتاكة فتانة وبين يديها المغنيات والمنشدات ينشدن اناشيد التأهل والاستقبال وكلهنَّ بالملابس السوداء على ما تقدم وحينئذٍ وقفت الملكة امام بهرام شاه وترحبت به وانشدته

ولم اقصد سواد الدار الاَّ وعهدي ان تبيض من بهاكا
وها انْ الديار وما عليها اضت يا سيدي ببها سناكا

ثم اخذته من يده وادخلته غرفة الاستراحة وبين ايديهما الشموع الكافورية تضي

وتنبعث عنها الروائح العطرية يحملها الجواري والولدان كانهم من حور الجنان ٠ و بعد ان استراح دخلت به غرفة المدام وكانت قد صفت القناني والاقداح ووضعت الرياحين والنقولات وجاس المطربات في مجالسهن ووقف الولدان يحملن الكؤوس الذهبية المرصّعة باثمن الجواهر والاحجار الكريمة و بعد ان غرقا في بحر من السرور والافراح وشربا ما طاب لها من الشراب استأذنت طالغان من بهرام شاه ان يسمح لها بان تقص عليه حكاية عجيبة غريبة فسرّ لذلك وقال هات ما قصدت وتممي انسي بعذوبة لفظك المطرب وحديثك العذب فاجابت بالسمع والطاعة فقالت :

الحكاية الاولى

ان هذه الحكاية التي ارويها الآن قد سمعتها من والدتي ولم تزل راسخة في فكري منذ صغري حتى الآن وذلك انهُ كثيراً ما كان يتردد الى قصرنا امرأة ضعيفة البنية زاهدة عابدة وهي تلبس على الدوام من راسها الى قدمها ثياباً سوداء ولم يكن عليها قط لون آخر ما عدا جسمها ومع اننا كنا ننصح لها كثيراً لم يكن لها ان تصغي او تنقاد ولذلك تاقت انفسنا الى الوقوف على الحقيقة وقلنا لا بدّ لذلك من سبب فالتمسنا اليها مرات عديدة ان تطلعنا على السبب فامتنعت في الاول كثيراً ولكن لما رأت اخيراً ان ما من فايدة قط اخبرتنا بسبب لبسها السواد فقالت

اني كنت من جواري احد الملوك وكنت احبهُ حبا مبرحاً وكان كثير الانصاف والعدل يحب الغريب ويكرم الضيف فاذا سمع بمجيء غريب الى المدينة استدعاه الى قصره وهش في وجهه و بش واظهر لهُ من الاكرام والالتفات ما لا مزيد عليه فيقضي حاجته مهما كانت و يستطلع منهُ الحوادث العجيبة والغريبة التي رآها فكان يصرف اوقاته على مثل ذلك ٠ ففي ذات يوم حكم القضاء بغياب السلطان ولم يقدر احد ان يعرف اين ذهب وتحت اي سماء اختفى وقد فتشوا عليه كثيراً وطافوا الجهات والمدن فلم يقفوا لهُ على اثر وحينئذ تولى اكبر الوزراء بالوكالة عنهُ ادارة الاحكام واخذ في ان يتعاطى الاهتمام بامر العباد ٠ ولم يمر على ذلك سنتان حتى رجع الى تخت سلطنته ولكنهُ كان يلبس السواد من راسه الى قدمه ولم يعد يعلو جسمهُ قط لون آخر ولم يقدر احد ان يسألهُ عن سبب ذلك وكان دائماً يحب اللون الاسود و يتعطف اليه بكليته و يعلو وجههُ دائماً علائم الحزن والملل واثار الغم والتفكر مع انه كان قبل غيابه منعكفاً على الانس والصفاء ميالاً للسرور والنشاط بشوشاً ضحوكاً فاصبح من بعد رجوعه مغموماً

مكدرًا عبوسًا حتى انه كان لا يتبسم الاَّ نادرًا واحيانًا كان يتأوه و يتحسر و يذرف من عينيهِ الدموع كالمطر الذاخر وقد مرَّ عليه مدة على هذا الوجه · اما انا فكان يحبني للغاية وكنت اسليهِ في كل وقت و يسر من كلامي سرورًا لا مزيد عليه وكان لي عليه نوع من الحرية اكثر من الجميع · ففي ذات يوم اغتنمت الفرصة في وقت الخلوة ولم يكن موجودًا غير السلطان وانا فقط · ففي الحال رميت بنفسي على قدميهِ اقبلهما وتجاسرت بان اسأل منهُ واتضرع اليه وارجوه ان يتعطف عليَّ باخباري عن محل غيابهِ وما هو السبب الذي حملهُ على لبس السواد · ولما راى اذلالي وتضرعي اظهر في اول الامر حدة وقال لي ماذا يهمك لا شيءَ يوجب السؤال قد انقضي الامر وفات · اما انا فلم اقتصر عن السؤال بل رفعت ذيلهُ الى راسي وقلت له اما ان تقتلني واما ان تخلصني من الهوس اللاحق بي · واذ ذاك تحرك الحنو في قلب الملك فلم يقدر ان يخفي ما استكن في قلبهِ من الحب لي بل قال لي وان كانت حكايتي مما لا تحكى لكن ساخبرك بها لتعلمي ما هو السبب برغبتي في اللون الاسود ولماذا انا في حزن وكدر واخذ في ان يسرد القصة فقال

انك تعلمين كم كنت محبًا للغرباء والضيوف واميل وارغب في الوقوف على غرائب الدنيا وعجائبها فكلما اضفت مسافرًا او غريبًا سألته عما يعلم من الحوادث فيقص عليَّ ما راه ومرَّ عليه · ففي ذات يوم بينما كنت جالسًا في احد شبابيك القصر انظر في الذاهب والآيب وقعت عيني على درويش يلبس ثيابًا سوداء ومغطى بستار اسود من راسه الى قدمه فاهتممت بذلك وتاثرت كثيرًا وقلت بنفسي عجبًا لماذا هو متستر بالسواد الى هذه الدرجة · وفي الحال امرت باحضارهِ فاقتادوهُ لبين يديَّ فهششت في وجههِ واظهرت لهُ الاعتناء والالتفات · ومن بعد اكرامهِ والانعام عليهِ سألتهُ عن سبب لبسهِ السواد فلما سمع كلامي علاه الحزن والاسف وارتمى الى الارض وقال لي يا سيدي اذا قتلتني الآن فلا يمكن ان اخبر بالسبب حتى لو كنت اعلم اني ساقطع اربًا و يلقى جسمي بالنار للاحتراق لا يمكن لي ان ابوح بهذا السر لكن لاجل انعامك عليَّ واكرامك لي والتفاتك الزائد الذي اظهرته تحوي اظهر لك اشارة طفيفة في هذا المعنى هذا اذا بقيت مصرًا على الاطلاع على سبب لبسي هذه الثياب السوداء

ولما رأيت الدرويش مصرًا على الانكار عن سبب لبسه السواد وشاهدت تحذرهُ واجتنابه الابلاغ بالسر زادني الشوق الى الوقوف على الحقيقة فقلت له هات ما تقدر

ان تقوله ولو كان طفيفاً عسى يبرّد لي غليلاً او يشفي مني اواماً . ولما رأى الدرويش الحاحي عليه اخذ يبسط الكلام بكل حشمة وادب فقال . لا يخفى على دولتكم انه يوجد في بلاد الصين مدينة جميلة معمورة مزينة بانواع البنايات الشاهقة والحدائق الزاهرة . وتسمى هذه المدينة باسم (مدينة العجائب) لان رجالها من الغلمان حتى الشيخ العاجز يتسترون بالسواد نظيري وكذلك القمر يكسف دائماً واذا دخل غريب تلك المدينة يخرج منها ايضاً بالرداء الاسود . واذا دخل مسروراً خرج حزيناً . فان اردت ان اخبرك بسبب ذلك لا يطيعني لساني . فها سيفك وها عنقي ان شئت فاقتلني او فاضرب صفحاً عني

ولما وصل الدرويش في كلامه الى هذا الحد اشتعلت بي نار الرغبة للاطلاع على سر هذا الامر وبعد الاطراق في الارض مقدار ساعة وانا افتكر قائلاً في نفسي يا للعجائب ماذا اعمل وكيف يمكنني الوقوف على سبب ذلك . ثم عدت الى الدرويش فقلت له يا هذا لقد اشغلت بالي واحرمتني الراحة فلا تبخل عليّ بطلبي ومهما شئت فاني اعطيك فاذا سألتني ان استوزرك فعلت او شئت ولاية العهد فهي لك ولا اكذب في ذلك واقسم لك به والذي اريده منك بيان السبب . فقال الدرويش كلا يا سيدي فان الدرويشية عندي افضل من الملك وهذا الستار الاسود هو نعمة عظمى ومنة كبرى في عيني

ثم ان الدرويش نهض في الحال وبعد ان اثنى ودعا خرج يهرول غير ملتفت الى ورائه . واما انا فكنت غارقاً بالافكار لم انتبه اليه اقول في نفسي يا للعجائب ماذا اعمل لاقف على السبب ولما عدت الى ذاتي لم اجد الدرويش ولا وقفت له على اثر فزاد هيامي وتبلبل بالي واصبحت كالمجنون لا اعرف ماذا اقول ولا ماذا اعمل فاخذت في ان اسلي نفسي وأبعد عنها هذا الوهم فلم اقدر بل كان يعظم ويكبر وسألت الشيوخ من وزرائي عن اسم تلك المدينة فلم يفدني عنها احد ومرّ عليّ عدة ايام وانا على مثل تلك الحال حتى اسودّت الدنيا في عيني وهان لديّ كل صعب فلم ارَ دواء لدائي الا ترك سلطنتي وملكي والتجول في الاقطار علّي ان اصل الى تلك المدينة واقف فيها على ما يشفى به المي وتبرد به غلتي . ففي ذات يوم غيرت ملابسي وتزييت بزي التجار واخذت ما يكفيني ويزيد عن كفايتي من النقود والجواهر واخذت خمسة انفار من مخلصي الامناء وخرجت من المدينة تحت ظلام الاعتكار ووجهت بوجهتي الى محط آمالي وجعلت اطوف المدن والقرى وكل ما دخلت مدينة اسأل عن اهلها وممن يعول عليه في حوادث

الايام عن اسم تلك المدينة ومحل وجودها فكانوا يجيبونني بانهم ما راوا تلك المدينة ولا سمعوا بها ولذلك كنت افارق هذه واقصد غيرها فاصادف نفس ما صادفته فيها حتى طفت مدنًا كثيرة ومع ذلك لم اكل ولا مللت بل بقيت مصرًا على عزمي لكنني كنت تارةً لسبب التعب والمشقة اندم على عملي وطورًا اتحير وارى نفسي كأنني في رؤيا

والحاصل بقيت ملازمًا التنقل وانا على ما تقدم من ملاقاة المحن والاتعاب حتى صرت قريبًا من بلاد الصين وكنت في كل بلد دخلته اظهر بهيئة اكبر التجار فاصادف الاكرام والاحترام . ولما دخلت ارض الصين اخذت في ان اسأل عن المحل الدائر في طلبه فكان البعض يجيبني بأني لا اعلمهُ والبعض يقول لي هو في المحل الفلاني ولذلك توسمت الخير وترجح لديَّ الوصول اليه ونوال غرضي فيه وما لبثت اتقدم في سفري لجهتهِ وانا لا انقطع عن السؤال والاستفسار حتى مضى عليَّ نحو ستة اشهر وصلت في منتهاها الى المدينة المذكورة فدخلتها بفرح ونشاط وبالحقيقة وجدتها كما اشار الدرويش مزخرفة بالبنايات الجميلة والنقوش الفاخرة وشاهدت جميع اهاليها بالثياب السوداء لالون عليهم غير السواد فتجدد فيَّ من جراء ذلك الشوق والهيام الى معرفة ما انا في طلبهِ وجعلت اطوف في شوارعها متفكرًا ومتفرجًا حتى انتهيت الى فندق معدٍ للمسافرين فادخلت اليهِ امتعتي واحمالي وخدمي وبقيت فيهِ تلك الليلة لم اخرج منه حبًا بالراحة بعد التعب العظيم . وفي اليوم الثاني خرجت من الفندق وطفت في الاسواق من جهة الى ثانية حتى المساء فلم اتوفق لاستنشاق خبر فرجعت عند المساء الى الفندق وانا تائه العقل اقول في نفسي ماذا اعمل يا ترى ومن اسأل عن هذه الحال وبعد التفكر لم ارَ اوفق من ان اقيم في تلك المدينة واجعل نفسي تاجرًا واداوم البحث ولا بد ان يرزقني الله من يشفي لي علتي

وفي صباح اليوم التالي نزلت الى السوق فاستأجرت لي مخزنًا ونقلت اليه من الخان ما يلزم لي فيه ولبثت على هذه الحالة اي في مهنة التجارة مقدار شهرين تقريبًا وانا اسأل واستقصي عن السواد وسببه فكان يجيبني كل من اسألهُ بقوله لا اعلم وهذا قد زاد بي الهوس والميل ونمت فيَّ حاسة الفضول للاطلاع على ما اتيت لاجلهِ وهل يمكن بعد ان وصلت المدينة وشاهدت ما شاهدت من طلائع آمالي ارجع بالخيبة وكنت متيقنًا انه اذا لم احصل على ما انا طالبهُ اموت لا محالة ومع ذلك فقد لازمت البحث لعلي ان لا بد ان يأتي الله بالفرج وبالصبر ينال المرء ما هو طالبهُ وبقينا نحو ستة اشهر اخر

اخرج في الصباح واقول في نفسي عساي اقف اليوم على ما اتيت لاجله فارجع المساء بخفي حنين حتى ضاق صدري و بلغت روحي التراق . وكنت في هذه المدة قد تصاحبت مع رجل جزّار ازيد له الاكرام والمؤانسة من يوم الى يوم . وكان هذا الجزار فهيماً عاقلاً للغاية . فلما راى اكرامي والتفاتي الزائد لنحوهِ رغب في محبتي ومودتي وقد مرَّ على صداقتي له مدّة اربعة اشهر ايضاً وانا مع احترامي لهُ ورغبتي فيهِ ابذل لهُ في كل يوم الدرهم والدينار ومع ذلك تجلدت ولم اسأَلهُ حرصاً من ان يمتنع عليَّ قبل ان استأثرهُ بالانعام واستغرقهُ بالعطايا على امل ان يسأَلني هو اذا كان من حاجة لي فيقضيها مقابلة لجميلي واذ ذاك اخذ عليهِ العهد والميثاق واسأَله عما اريد واستخدمهُ في قضاءِ هذا الامر وكنت على ما ارى منه انه يشعر بمعروفي وقد مال اليَّ وتمكن حبي من قلبهِ لانهُ اصبح صاحب ثروة وافرة ونعمة زاهرة كل ذلك من مالي

ففي ذات يوم وانا غارق بالافكار متعمقٌ ببحار الحوادث التي لاقيتها اقول يا الله لقد سد باب الامل في وجهي فيارب العالمين لقد اخفيت حكمتك عن عبدك . نزلت عن تخت ملكي وتركت عرشي وعظمتي ولاقيت المصائب والمصاعب حتى وصلت هذه المدينة كل ذلك بارادتك وعنايتك فقدني الى معرفة ما انا راغب فانت الحكيم العليم . وفيما انا على ذلك واذا بالجزار قد ظهر من بعيد . وكنت وانا مقيم في مخزني كالجاسوس اراقب من بعيد الذاهب والآيب فلما رأَيتهُ ظننت انهُ آتٍ ليسأَلني شيئاً بهذا الخصوص . وما لبث ان قرب مني حتى قمت من مكاني وقلت لهُ خيراً ان شاء الله فلا بد من سبب لمجيئك في مثل هذه الاوقات . فقال لي عفواً ياسيدي اني على الدوام مخجول منكم ومن حيث اني قد صرت بعنايتكم وكرمكم غنياً مكرماً اتيت لاجل ان اعرض لكم شكري وامتناني على ذلك . فقلت له انى حتى الساعة لم اقم بحق ما تطلبهُ واجبات الصداقة والاخاء وارى نفسي مقصراً بحقك وعاجزاً عما اريد ان اخصك بهِ فزاد في الشكر ثم قال لي اذا اردت ان تشرفني في هذا المساء لمحلي تكون قد غمرتني بلطف اراهُ اعظم منة تقدم منك لي . وحالما سمعت كلامهُ سررت في داخلي واصبحت ممتناً من هذه الصدفة وتردد في خاطري اني متى وجدت في بيتهِ ودار بيننا الحديث سأَلته عن غايتي ومن المقرر انهُ لا يرد لي طلبي فاما ان يخبرني به واما ان يهديني الى من يخبرني بهِ ولذلك قلت لهُ لا بأْس من ذلك فاذا لم يكن من ثقلة عندك اغتنمت فرصة الاجتماع في الوقت الذي تأْمر بهِ . فقال استغفر الله يا سيدي ان

محل عبدكم اقيم من بعض انعامكم فاذا شئت ان تشرف محلك فاسمح بهِ باقرب وقت واذا تلطفت وتكرمت فليكن الآن

وفي الحال نهضت فاقفلت المخزن وعزمت على المسير مع الجزار الى بيته ولكي اقدم لهُ هدية مرضية في بيته وضعت في بقجة من الديباج بعض اقمشة من الحرير الغالي وبعض جواهر ذات قيمة ومقدار فحملتها على عاتق احد خدمي واخذته خلفي حتى وصلنا من بيت الجزار وكان بيتاً لطيفاً معدًّا للصفاء والانس وحالما رآني خدمهُ وجواريهِ خفوا لاستقبالي من قبل الدخول في الباب واكثروا من الترحاب والشكر والخدمة وهم يرددون كلمة يا ولي نعمتنا . وكنت اجيب استغفر الله استغفر الله مظهرًا لهم الالتفات والعناية . ولما دخلنا الباب صعدنا سلماً عالياً وانتهينا عند راس السلم الى فناء واسع ومنهُ الى غرفة مزخرفة منقوشة بالنقوش البهية . وقد الحَّ عليَّ الجزار بالجلوس على تخت مزين قائم في وسط الغرفة فتقدمت وجلست واما الجزار فوقف بين يديَّ ممتنعاً على الجلوس فعزمت عليه كثيرًا واخذتهُ من يدهِ واجلسته الى جانبي . وكان الخدمة ايضاً يطوفون حوالينا بكل حشمة وادب . وقد ملت بكليتي لاستماع كل كلمة تصدر من الجزار على امل انه ربما يحدثني من نفسهِ بخبر لبسهم السواد . وفي تلك الاثناء حضر الطعام فقمنا اليهِ واكلت وهو الى جانبي وبعد ان نهضنا عن الطعام عدنا الى مطارحة الاحاديث والتفكه بالاخبار والنوادر وانا اقول في نفسي أاسالهُ ام لا واذا سألته فهل يصدقني ام يخفي عليَّ الحقيقة وحينئذٍ قدمت لهُ تلك البقجة وما فيها من الاقمشة النفيسة والجواهر بعد ان اعتذرت اليهِ عن القصور ورجوته قبولها . واذ ذاك قال لي يا سيدي من حيث قد تمكنت الالفة والصداقة بيننا وقد نلت حتى الساعة كثيرًا من انعامك واكرامك ولا ارى داعياً لذلك ولا يمكن الانسان ان يسمح لآخر بهكذا مقادير من الاموال بدون سبب فلا بد لذلك من سببٍ والآن فانا اعيد لك جميع الاشياء التي قدمتها لي وانعمت عليَّ بها واذا كان لك من حاجة او مصلحة فانا مستعد لقضائها لك . وعند ما سمعت كلام الجزار قلت له ما قدمتهُ لك هو شيء قليل جدًّا بالنسبة لما اريد ان اقدمهُ لك وما ذاك الاَّ لما رايتهُ فيك من الخلوص والوفاء وهو لا يذكر في جنب ما اعطانيهِ الله من المال والتحف فان اموالي القارونية لا يخاف عليها من الضياع والنقصان وما انا ممن اذا وهب يسترجع والشيء الذي اريدهُ منك هو ان تخلصني من الارق الحاصل لي فاذا فعلت ضاعفت امتناني منك واصبح لك

عليَّ الجميل الذي لا يكافى وبذلك تزيد محبتك في قلبي الى مئة ضعف

ولما سمع كلامي قال لي مر يا سيدي فما هو سبب ارقك فاني ابذل المستطاع في خلاصك منه وعند ما رأيت من الجزار الاهتمام بامري والتهيوء لقضاء مصلحتي مع ما رأيته فيه من الخلوص والوفاء والحب ما عدت اخفيت نفسي بل قلت له اعلم يا هذا اني ملك بلاد الهند وقد نشأت على حب الفقراء والغرباء فكنت على الدوام اعتبر الغرباء الذين يأتون بلادي واكرمهم بما يزيد عن الحد ففي ذات يوم جاء الى بلدي درويش مترد بثياب سوداء فتعجبت منه . وبعد ان قدمت له الانعام والاكرام سألته عن سبب ذاك الرداء الاسود فلم يجبني وبعد الرجاء والالحاح قدرت ان احصل منه على علامة فقط ثم تركني وانصرف فزاد هيامي وارقي للوقوف على الحقيقة ومنذ تلك الساعة لم يعد لي راحة في الاكل والشرب والنوم ولم ارَ وسيلة للتخلص مما انا فيه الاَّ ترك مملكتي وعرش سلطنتي والمسير بنفسي للتفتيش على ما يطيب به خاطري فاخذت في ان إطوف المدن والبلدان واكثر من البحث والتنقيب حتى وصلت هذا المكان . وقد صرفت في هذه المدينة مدة طويلة وانا ابحث واستخبر هذا وذاك دون ان احصل على نتيجة يشفي بها مرضي او يقضى منها غرضي ولما كانت الالفة بيننا قد تمكنت الى هذا الحد قلت في نفسي لا بد ان اعرف ما انا في ارق لاجله والذي اريده منك ان تخبرني عن السبب الذي حمل اهل المدينة عموماً ان يتردوا بالسواد ويفضلونه على غيره من الالوان فلا بد لذلك من سببٍ غريب . فلما سمع كلامي اخذته في الاول رجفة ثم اطرق برهة يتفكر وانا ناظر اليه واخذني الياس والقنوط وترجح عندي الفشل والخيبة . وبعد ان اطرق نحو ساعة تقريباً رفع راسه وقال لي ان ما تسأل عنه امر لا يمكنني التكلم فيه ولكن حيث قد القيت اتكالك عليَّ وغمرتني بكرمك ونعمك وصار لك عليَّ حقوق ودٍ ووفاء فالذي ترغب الوقوف عليه اعدك بصدقٍ اني اطلعك عليه في مساء الغد . فلما سمعت كلمة مساء الغد زاد هيامي ورغبتي وغرقت ببحور من الافكار قائلاً بنفسي ما المعنى مساء الغد هل يا ترى يريد ان يغش بي فيتخلص من سؤالي . ولما رآني على تلك الحالة ادرك بقوة ذكائه ما يخطر في ذهني فقال لي لا تظن اني اغشك او اقصد ابعادك لاتخلص مما ترغبه مني فاني اعاهدك عهد الامين الصادق اني في مساء الغد اطلعك على الخبر اليقين

اما انا فلم ارَ اوفق من التأني اذ لا وسيلة للاستطلاع منهُ على حقيقة ما انا في طلبهِ الاَّ بالرجاء والاكرام وقد لاح لي من كلامهِ وجه الصدق فانتقلنا الى حديث اخر ومنهُ الى آخر حتى تنصف الليل فخرجت من بيت القصاب وجئت الخان وانطرحت على فراشي والارق يقعدني ويقيمني وجعلت انقلب والافكار تتوارد عليَّ والاوهام تعظم في عينيَّ فانقضى الليل ولم يأخذني نوم كأني ارى دقائقه اياماً وساعاته اشهرًا ولما لاح الصباح نهضت من فراشي واتيت مخزني وجلست في مكاني ارقاً متفكرًا في هل يأتي مساء ذاك اليوم ام لا ياتي واذا اتى هل يصدق القصاب في قوله ويأتيني ام يكون قد تخلص مني ودفعني عنه بالتي هي احسن وما برحت انقلب على جمر الافكار حتى ارسل الليل بطلائعه واخذ في ان يسودَّ شيئاً فشيئاً الى ان نشر رواقهُ على البسيطة فلم ياتني القصاب فزاد حزني فاقفلت مخزني واتيت الخان وانا مايوس مكدر وقد ثبت عندي انهُ غشني وكذب عليَّ والاَّ لكان اتاني في اخر النهار وذهب بي ورافقني الى الخان واطلعني على صحة الخبر كما وعد وتعهد ولم اذق طعاماً في ذاك المساء ولا قرَّ لي قرار ولا هدأ لي بال . وفيما انا على ذلك وقد مرَّ نحو ساعتين من الليل واذا بالباب فتح ودخل منه القصاب . وما وقعت عيني عليه حتى قفزت من مكاني واستقبلته بكمال الفرح واريته مكاناً يجلس فيه الى جانبي . فقال كلاَّ لا اجلس بل تفضل لنذهب فاوقفك على حقيقة ما انت طالب واظهر لك الامر جليا . فقمت من مكاني وخرجت من الخان وسار امامي وانا في اثره حتى خرجنا من المدينة وسرنا في الصحراء كل هذا وانا متحير من ذلك لا اعلم الى اين يصير بي وقد يئست من الحياة وقلت في نفسي مهما جرى يجرى فاما اني اموت او اني افرج ضيق صدري وازيل ما لحق بي من الهم والغم وكان يتوارد عليَّ في لحظة واحدة مئات من الافكار المقلقة المزعجة وبعد ان سرنا قليلاً وصلنا الى دكة قائمة في الوسط فوقف القصاب عند الدكة والتفت اليَّ وقال لي هلمَّ فاسرعت واذا بصندوق معلق من اعلاه لكن كيف تعلق وبماذا لا اعلم فقال لي القصاب ادخل حالاً في هذا الصندوق فلم اخالفه ودخلت لارى النتيجة فجلست فيه واذا به خف بالصعود واخذ يرتفع بخفة الريح وانا فيه وقد اندهشت جداً وغبت عن الوجود من عظم ما لحق بي من الخوف ولبثت مدة ساعات ثم فتحت عينيَّ واذا بالنهار قد اقبل ولم يزل الصندوق محمولاً على اجنحة الهواء مسرعاً بالصعود الى فوق . وحينئذٍ نظرت الى وجه البسيطة لارى مقدار ارتفاعي عنها فلم ارَ منها شيئاً بل رايتها اشبه شيءٍ بالدخان الكثيف . وقد تأملت كثيرًا من

شدة حرارة الشمس واخذ رامي في ان يلتهب كل ما ارتفعت الى فوق واخذت في ان الوم نفسي واقول العفو يا ربي مـا هذه الحال وما هذا البلاء الذي وقع علي راسي فياليتني لم آتِ تلك الديار . هل يا ترى ان القصاب غشني وقصد هلاكي فلعن الله ذاك الدرويش ولعن الساعة التي رايته فيها اما الان فكيف العمل ولم يعد في اليد حيلة ولا اعلم الصعود بي الى اين ينتهي ولم ارَ من وسيلة الا التوكل على الله والالتجاء اليـه وهذا اوجد فيَّ بعضاً من الراحة والرجاء

ولم يزل الصندوق على حاله من الصعود حتى تنصف النهار ومن ثم اخذ في ان يهوى نازلاً الى الاسفل وان كنت قد لاقيت في ذلك العذاب الشديد من تعاظم الارياح لكني تاكدت ان لا بد من وصوله واستقراره على اليابسة ولذلك تهيأت وتحضرت حتى اذا قربت من الارض خرجت باسرع ما يمكني لاتخلص من الخطر المحيق بي وقد تيقنت ان مهما كانت حالتي على وجه الارض خطرة فهي اخف بكثير من الحالة الموجود فيها طائراً بين السماء والفضاء فوق ذلك الصندوق المسحور . ولم يمر على الصندوق في نزوله اكثر من ساعتين حتى قرب من منارة كبيرة واسعة كانها جبل عالٍ متسع ولعظم ارتفاعها لم تظهر الارض منها تماماً بل كانت كدخان ابيض وحالما قرب الصندوق من تلك المنارة قفزت منه وارتميت بسرعة عليها وفي ظني انى تخلصت من البلاء وما استقرت رجلاي عليها حتى غاب الصندوق عن نظري . واما انا فبقيت على المنارة وكان قد مرَّ عليَّ ليل ونهار لم اذق فيهما طعاماً ولا شراباً وقد لحق بي كثير من العذاب والخوف واليأس وقطع الرجاء وشعرت بكل ذلك في تلك الساعة . وبعد ان مرَّ عليَّ ساعة فيها هدأ بالي على نوع ما واخذ الصم الذي عمَّ اذني ان ينفرج شيئاً فشيئاً واذ ذاك اخذت في ان افتكر بالنزول عن تلك المناره العالية ولكن بعد البحث والتأمل وجدت ان ذلك مستحيلاً لعدم وجود طريق منها الى الاسفل ولارتفاعها الغريب العجيب واذا خاطرت بنفسي وقصدت الزحف عليها فبدون شك اقع وتمزقني الرياح قبل ان اصل الى الارض . وهذا اعاد اليَّ الخوف والرعب وعلمت انى وقعت في بلاء جديد اعظم من البلاء الاول . ولم اعد اتجاسر على النظر الى اسفل وقد تحقق لدي ان لا خلاص لي من هذه المنارة وعظم علي الامر واشتد الجوع والعطش ولم اكن اعلم اين كان هذا العذاب مخبأ لي ولماذا قاده الله اليَّ ورماني بهِ مع اني كنت براحة وهناء في بلادي وعلى ملكي وحينئذٍ اخذني البكاء وانسكب الدمع من عيني كالغدران . واخيراً ركعت وصليت لله

وبأبدء الافراج عني اذا كان في الاجل تاخير وبقيت مدة اذكر اسم الله ولا افتر عن التسبيح له وطلب المعونة منه وفيما انا على ذلك واذا بي اسمع صوتاً كصوت الرعد العميق اخذ في ان يشتد و يعظم فعلاني الخوف والرعب واستهدفت لوقوع حادث جديد وكاد يغمي علي من شدة ما لحق بي من الاضطراب فوق ما انا فيه من الجوع والعطش واليأس وبقيت نحوًا من ساعة وانا كالغائب عن الوجود ثم وعيت الى نفسي واذا بطائر عظيم كبير ما رايت ولا سمعت بمثله كانه المركب الكبيرة اخذ في ان يرفرف فوق المنارة و يدور حولها حتى استقر به الوقوف في الناحية التي انا فيها وكأن بالمنارة قد اهتزت من ثقله فان كلاً من جناحيه يشخص شراع المركب الكبيرة ورجلاه اكبر من صواري المركب ولما رايته زاد بي الخوف والرعب واخذت اهتز كما تهتز اوراق الاشجار عند اشتداد الرياح وخطر لي انه سيلتهمني اول ما تستقر قدماه وان كنت لا اكفي لقمة في فمه لكنه لا يتخلى عني وانا غنيمة باردة بين يديه . ولم ار سبيلاً للخلاص الا بعنايته تعالى فرجعت الى الصلاة والعبادة طالبًا منه ان يخلصني من هذه النكبة الجديدة التي توهمت انها القاضية عليّ بالعجل وجعلت اشتم القصاب والومه على خيانته بي وقد فكرت بنفسي انه ساحر ماكر ما فعل ذلك الاّ طمعاً بمالي ومتاعي وابثت مدة على ذلك والطير ينظر اليّ ويعرض عني كاني لم اخطر له ببال وهذا جعلني ان اطمأن على حياتي ولو قليلاً من جهة الطائر ولكن كيف يطمأن بالي والجوع والعطش قد انتاباني وكدت اهلك ولا امل بالخلاص

وفيما انا على ذلك قلت في نفسي ماذا يا ترى يجرى لو تمسكت برجلي هذا الطائر فحمل بي الى ارض او برية او جبل مرتفع اذ لا بد له من الطيران والوقوف في مكان آخر ولكني ترددت وقلت في نفسي كلاّ كلاّ فاني اذا فعلت ذلك فيلتهمني في الحال فكأني اقدم نفسي له ضحية . ثم اخذت افتكر اذا بقيت هنا فانا هالك لا محالة فان عاقبة الجوع والعطش الموت وهو اقبح الميتات . والحاصل تقرر لديّ اخيرًا ان اتمسك برجلي الطائر فاذا كان في الاجل تاخير سلمت ووصلت الى العمار واذا كان الاجل قد دنا فالاوفق ان ياكلني الطير فاموت بسرعة البرق من ان اموت معذبًا بالجوع والعطش . فصليت لله وطلبت منه المعونة والمساعدة ووقفت بين رجلي الطير انتظر الدقيقة التي يتحرك بها فاقبض عليها بيدي الاثنتين واترك نفسي لمشئة الرحمن فيفعل الله امرًا كان مقدورًا

ومرّ ذاك الليل وانا يقظان خائف حتى بان الصبح وحينئذٍ تحرّك ذاك الطير

وخرج منه صوت اشبه شيء بالرعد حتى كادت آذاني ان تصم من عظمه ثم تهيأ للطيران وفي الحال سالت الله المعونة والنصرة والتصقت برجليه قابضاً على كل واحدة منهما بيد فكانه لم يعبأ بي ولا شعر بتعلقي به بل نشر جناحيه في الهواء وقصد الجوّ الاعلى وانا في حالة خوف وتعب ولكني تجلدت وصبرت وساعدتني يد العناية على الثبات في مركزي الى وقت الظهر فبعد ان كان آخذاً بالصعود عاد الى الهبوط شيئاً فشيئاً و بعد ساعات قليلة قرب من الارض ففي الحال تركت رجليه ورميت بنفسي عليها وقد غبت عن الوجود برهة ثم فتحت عيني واذا بي كاني ارى نفسي في جنة النعيم رايت موضعاً واسعاً جداً مزيناً بالرياض والنباتات وكل انواع الصفاء فشكرت الله تعالى على منته . ولبثت نحو ساعتين وانا متحير مبهوت ثم نهضت من مكاني واقتطفت الاثمار الناضجة عن اشجارها فاكلت حتى اكتفيت ولم اذق زماني بطوله فاكهة منتهية لذيذة مثل تلك وهذا ايضاً استوجب الشكر والثناء للخالق جل جلاله وفكرت في كل ما مضى عليّ من العذاب والتعب فقلت في نفسي يا للعجب ما ذلك اسحر ام حلم قد مرّ على مخيلتي وقد شربت من نهر ماء صاف كان يمر بجانب المكان الذي وقعت فيه فكان مياهه من العسل الشهي . ولبثت جالساً في مكاني لاني من التعب لم اقدر ان اتجول واتوغل في تلك النواحي حتى اقبل الليل وانتشر الظلام فنمت في ظل شجرة ثم استيقظت ظاناً انهُ وقع عليّ بلاء جديد فرأيت نفسي كما نمت وصرفت ليلتي على تلك الحالة . ولما لاح الصباح شكرت الله تعالى واخذت بالتجول والتطواف في تلك الاطراف . وفي الحقيقة ان تلك الارض كانت تشبه الجنة فكانت مغطاة بالاشجار والازهار المتنوعة التي تجلو الهم وتجلب الصفاء والسرور . وجميع تلك الجهات مخضرة بالنباتات ومبيضة بالزهور حتى انهُ يصعب على الانسان المشي فوقها . فضلاً عن الطيور المتنوعة التي كانت تتنقل على اغصان الاشجار وكل واحد منها يرنم بصوتهِ الممنوح لهُ من خالقهِ . وفي كل طرف من ذاك المكان كانت عيون الماء تجري صافية كالفضة البيضاء او البلور الشفاف وفي داخلها انواع النقوش المبهجة منقوشة بيد ذي القدرة والجلال . والاسماك فيها ما بين ذاهب وآتٍ صفوفاً صفوفاً بترتيب ونظام اشبه شيء بالجيش ولا ريب ان الانسان كل ما زاد نظرهُ وامعانه فيها زاد اندهاشهُ وحظهُ منها وعلى الخصوص ان النسيم كان يهب لطيفاً فيحمل من اعطار تلك الازهار ما تجلى بهِ الصدور وتنعم بهِ الافكار . فكنت بعد ان لاقيت مالاقيت من المحن والمشقات وعذاب الجوع والعطش اري نفسي

بوقوعي على تلك الارض في سعادة عظمى اشكر عليها العلي العظيم . وبعد ان تخلصت من التعب صادفت الراحة ودفعت الم الجوع بتلك الاثمار الشهية وشرحت صدري بالتطواف في تلك الجنة الارضية ومع كل ذلك فما كنت اخلو من التفكر والهم فكنت اقول في نفسي عجباً ماذا يلحق بي بعد. نعم اني تركت سلطنتي ومملكتي ولحق بي ما لم يلحق بغيري من المحن المتواترة ثم وقعت في هذا المكان الجميل البديع فمن اين للدهر ان يبقى على حالة وهو ابو العجائب فلا بدَّ له من التقلب ولا بدَّ انهُ يحسدني على هنائي فيبدلهُ بعناء ولعظم فرحي كنت لا اصدق ان مدة الصفاء والانس تدوم

فطفت اطراف ذلك المكان متنقلاً من محل الى الآخر وانا كمن يستهدف لوقوع مصاب جديد حتى اقبل المساء فاكلت من لذيذ الثمر وشربت من صافي الماء وشكرت الله تعالى . ولحسن الحظ كان القمر بتمامهِ فبزغ في مبتدا الافق وانار على تلك الخميلة الواسعة بنور محياه البديع وهذه الحالة زادت في سروري وانسي فان تلك المناظر كانت تلوح لعيني تحت نور القمر الوضاح مبهجة مدهشة والنسيم اللطيف يحمل من اطيب الروائح وقد تلطف بنور القمر عما كان عليهِ في حرارة الشمس فجلست اتامل في عجائب الطبيعة واتفكر في بدائع الخالق حتى مرَّ عليَّ وانا على ذلك مقدار ساعتين تقريباً واذ ذاك هبَّ عليَّ النسيم يحمل روائح اطياب جديدة تحيي العليل وتشفي الملسوع ثم ظهرت في الافق غيمة بيضاء كالثلج ومع انها مرت تحت القمر لم تحجبهُ لعظم بياضها وهي تقرب شيئاً فشيئاً ثم اخذت في ان تنقطع قطعاً صغيرة جدًّا وتتساقط الى الارض شيئاً فشيئاً كالمطر المتساقط كل هذا وانا متحير من ذلك محدق بالافق حتى انجلت الغيمة ولم يبقَ لها اثر . وفيما انا غارق في حيرتي واندهالي وقد مرَّ عليَّ بعد تساقط قطع الغيمة عشر دقائق تقريباً رأيت الافاً من الانوار مقبلة من مسافة غير بعيدة كانها نجوم السماء ابت ان تبقى في مراكزها فاختارت تلك الروضة الغناء سكناً لها فتساقطت متسابقة اليها

اما انا فلما رايت ذلك وقعت بالخوف والارتباك وقلت في نفسي عجباً ما هذه الانوار وجعلت ادقق فيها جيدًا حتى قربت مني ففي الحال اسرعت الى خلف شجرة غضة اختفيت تحتها وقلت فلننظر ما هذا البلاء الجديد . ولما دنت الانوار وصارت ظاهرة للعيان بعثت بانظاري مدققاً فيما بينها فرايت نحوًا من اربعمائة او خمسمائة فتاة لا نظير لهن بالحسن والجمال وفي ايديهن شمعدانات من الذهب مرصعة بانواع الجواهر

وقد تقدمن بترتيب وتدبير صفًا صفًا الى ان وصلن من منتصف ذاك المكان . وما من حاجة للتعريف عن حالتي في ذاك الوقت فكنت اقول ما هذه الحال فلا ريب هنا الجنة وهاته الحور وحينئذٍ اخذن يضحكن و يزحن وهن يطفن في تلك الساحة وكنَّ قد احضرن على اكتافهن الفرش الفاخر فاخذن اوسع بقعة في تلك الخميلة و بعد ان بسطوهُ على اختلاف انواعه وضعن سريرًا كان محمولاً على اكتاف ثمان منهن مجوهر القوائم منقوشًا بابدع نقش واعجبهُ ثم وقفن بترتيب وفي ايديهنَّ شموع من الكافور موقدة كأنهنَّ ينتظرن احدًا . وهذه الحال قد انستني النزهة وانشراح الصدر الذي لاقيتهُ في اول يومي واخذت بالتفكر والتبصر وانا اقول في نفسي يا للعجب ماذا ارى واين موقع هذا المكان ومن هاته البدور وكيف وقعت انا هنا وكيف كانت الاخرة معي في هذا المكان وفيما انا مشغول بذلك واذا بمقدار عظيم من الانوار قد ظهرت من المكان الذي جاءت منه الجواري وكانت الانوار مقبلة لجهتي . وحالما شاهدت هذه الحالة زاد بي الخوف فقصدت الاختفاء وفي الحال صعدت على الشجرة واختفيت بين اغصانها وارسلت بنظري الى الامام واذا بي ارى هيئة كالاولى غير ان البنات الاتيات كنَّ ابهى جمالاً واكثر اشراقًا من الاوائل وفي وسطهنَّ فتاة بديعة الجمال باهرة المحاسن لم ترَ عيني اجمل وابهى منها وكانت كلما قربت مني يزيد وجهها بهاء واشراقًا حتى اخيرًا لم اعد قادرًا ان اثبت في مكاني فكدت اقع من الشجرة الى الارض من عظم ما وقع بي من تأثير ذاك المحيا الوضاح. ولما شاهدت الخطر المحيق بي تمسكت جيدًا باغصان الشجرة خوفًا من الوقوع وما برحت تلك تتقدم محاطة بجواريها حتى قربت من المكان الموجود فيه وقد لاقينها الجواري الاوائل ومشى الجميع بين ايديها وخلفها ومن جانبيها فكانت كالبدر التمام محاطًا بالنجوم المشرقة

ولما قربت من السرير المنصوب تقدم منها اربع من الجواري الباهرات فرفعنها من تحت ابطيها الى السرير فجلست عليه وجلس البعض من الجواري عن جانبيها ولاح لي منها انهن المقدمات عندها والباقي وقفن بين يديها صفوفًا واعينهن محدقة بها كانهنَّ ينتظرن اوامرها . وبعد ان اطرقت في الارض بضع دقائق متفكرة رفعت رأسها وقالت لواحدة من الجواري اسمع صوتًا فوق واشعر بانه يوجد هنا شخص غريب فاذهبي وفتشي جيدًا ومتى وجدتهِ فأتني به حالاً . فلما سمعت كلامها اخذت ارتجف بشدة وقلت في نفسي سبحان الله من اين علمت اني موجود هنا واذا كنت موجودًا هنا فماذا تقصد

ان تفعل لا ريب انها تقصد بي شرًّا لاطلاعي على حالهنّ وكلهن فتيات وليس بينهن ذكر وجعلت اذم الزمان والومهُ على غدره وقلة وفائهِ . وبينما انا افكر واخاف كانت تلك الجارية تبحث من شجرة الى ثانية حتى وقفت تحت الشجرة التي انا فيها فجعلت تطوف من حولها حتى وقعت عينها عليَّ فقالت لي اي ضيفنا العزيز تكرم بالنزول الينا فهذا المحل غير لائق بك لا تخف ابدًا فانت ضيف والضيف عندنا عزيز مكرم

فلما سمعت منها هذا الكلام اللطيف والعبارات الرقيقة الانيسة اطمأن بالي وهدأ روعي وقلت في نفسي هل ان زمان الانس قد دنا او ن هذا حلم وللحال نزلت عن الشجرة وتقدمت من الجارية وحييتها بكمال الوقار والاحترام وانا ارتجف من القلق والوهم . فاخذتني من يدي وقالت لي لماذا يا ضيفنا العزيز انت في اضطراب وخوف هلمَّ فاجلس معنا وقاسمنا الحظ ولا تخف قط . فقلت لها كلاَّ يا سيدتي فاني لا ارتجف من الخوف بل ارى نفسي غير اهل ان اقرب من تخت بلقيس اللائق بسليمان وحده فكيف لي ان اثبت في مكان سليمان عليهِ السلام . فاجابتني انك لغلطان يا سيدي ثم اخذتني من يدي الى جهة تلك السيدة الفتانة فلم اعد عارفًا ماذا اقول وكدت اغيب عن الهدى وتوهمت كاني احلم حلمًا وانا محاط بهالة من الحسان اللاتي كانهن حور الجنان ولما صرت تجاه ذاك العرش الجالس عليه ملاك الجمال والكمال رميت بنفسي على ارجل السرير فصرت اقبله وادعو للسيدة بطول العمر والبقاء ثم وقفت في ادنى محل . فلما رأت الفتاة مني هذه الحال تبسمت تبسم الدلال وفتحت فاها وتكلمت بلفظ لم اسمع اعذب منه حياتي بطولها وقد قالت لي اهلاً وسهلاً ومرحبًا بك يا ضيفي العزيز وحبيبي الفريد لماذا انت مترددًا ومتنكرًا هل يا ترى لم اعجبك فاخبرني ولا تخف عني

اما انا فقد احمر وجهي من الخوف والخجل وشعرت كان عيناي تلتهب واخذ العرق في ان ينصب من جبهتي وبدأت ركباي بالارتجاف حتى لم اعد قادرًا على الوقوف وبعد ان مرَّ عليَّ برهة وانا على تلك الحالة قبلت ثانية اذيال السرير الجالسة عليه وعدت فوقفت في مكاني وقلت لها اعلمي يا سيدتي اني غير قادر من الاضطراب والخجل ان اتكلم واني ارى نفسي غير اهل لان اقف بين يديكِ واوجد كعبد في مجلسك . فاجابتني برقة مسكرة لا تخجل ولا تضطرب فليس من مقامك ان تقف على الارض فتكرم بالجلوس على السرير معي لنصرف ليلنا بالانس والصفاء فكل ما في هذا المكان هو لك وتحت امرك . لقد وقفت على اسراري واستجليت النظر الى وجهي فاذا كنت لا تريد

ان نصرف الوقت على الانس والحظ والعيش والعشرة كاحباب فكن كاخٍ لي . ومن الجلي ان من كان مثلي وقد رأى ما رأى من المذاب والمشاق وجد في تلك الجنة وسمع تلك الحورية تحبب اليهِ وتسمعه من الكلام الرقيق ما تضيع به الخواطر وتطلب اليه ان يصافيها وتصافيه و ينادمها وتنادمه يكون قد حصل على اعظم نعمة وانتقل الى ارفع سعادة ومع ذلك فلبثت ممتنعاً وقلت لها حاشا يا سيدتي لمن كان مثلي ضعيفاً غريباً يدنو منك وانت ملكة الحسن والجمال و بدر اللطف والظرف نعم ان نور بهاك وسناء جبينك لا يقاس بهما نور بدر ولا شمس ومن اين لي الدنو من البدر وهو في قبة فلك الاشراق فضحكت الفتاة من كلامي وشكرتني وابدت سرورها مني وقالت لي هلمَّ اجلس الى جانبي لنتحادث . فامتنعت ايضاً وقلت لها كلاً كلاً ليس هذا من حدي يا سيدة الملاح ونور الصباح . واذ ذاك اشارت الى احدى الجواري فاخذتني من يدي وقادتني الى السرير الى جانب الصبيـة وعادت ووقفت اسفل . اما الصبية فنهضت واقفة وقبضت على يدي وتبسمت بثغر فضاح للعقول وقالت لي لا تضطرب ولا تقلق يا ضيفي الكريم ان هذه فرصة سمح بها الزمان فهي غنيمة تغتنمها الآن فلنتحادث ونتنادم ونقتطف ثمرات الصفا والسرور . اما انا فقد اصبحت في تلك الحال كالصنم الجامد وقصدت التكلم فلم اقدر عليـهِ بل كنت ارتجف كقصبة تحركها الريح حتى اني لم اشعر بشيء من نفسي لشدة الخجل والعرق يتصبب مني . فلما رأتني الفتاة على تلك الحالة قالت يظهر لي الآن انك غير مسرور مني ولم تستحسن مصاحبتي فهاك الجواري والبنات فاختر لنفسك من شئت منهن والتي تنال الحظوى في عينيك مباركة عليك فدعها تجلس واياك واغتنم فرصة الحظ بالتقرب منها . فجرح قلبي كلام الصبية وقلت لها كلاً يا سيدتي يا اجمل من رأت عيني وارفع من في العالم من انس وجن هل من حدي ان لا اسرُّ منك ولا استحسن ان اكون بين يديك وقد تكرمت عليَّ بهذه السعادة فلو دخلت الجنة لما حصلت على اعظم مما انا حاصل عليهِ الآن لكني يا سيدتي غير مصدق من نفسي حصولي على هذه النعمة بل افتكر بسوء الطالع الذي يترجح لي منه انني في حلم الآن لا في يقظة . فاجابتني الصبية لماذا تفكر باحوالك ومن اين جاءك سوء الطالع هل تحسب ان حصولك على جارية مثلي نوع من سوء الطالع . فقاطعتها وقلت لها معاذ الله يا سيدتي ان سوء الطالع الذي لحق بي والذي افكر بهِ قـد مرَّ وانقضى فقد لاقيت في اليومين الماضيين من العذاب والجوع والعطش واليأس ما لا يقدر ان يقوم بوصفهِ قلم فافتكرت ان كل ذاك العذاب كان مقدمة لهذه النعمة التي لا اعرف كيف

يجب ان اتنعم بها واقتطف ثمرات الصفا والانس من رياضها وها انا يا سيدتي بين يديك وطوع امرك . و بعد ان اثنت عليَّ وطيبت بخاطري امرت جوار بها فجلسن وحينئذٍ اخذت الجراءة في ان تاتي اليَّ وقلت في نفسي اغتنم هذه الفرصة فاسرح وامرح في ذاك النعيم بين هاته الحور ومهما صار فليصر ورفعت عينيَّ وصرت انظر في وجه الصبية سيدة الكل لكن من من العالم يقدر ان يثبت لدى النظر في وجهها ولا يخسر عقلهُ وقلبهُ في الحال

(ولما وصل الملك في حكايتهِ لي الى هذا الحد اخذ في ان يتكلم و يبكي و يتأوه و يتحسر) وقد حكت نور بنت ملك الهند لبهرام لهذا الحد من حكايتها وقالت له اني سمعت من والدتي ان صاحبة الثوب الاسود حكت لها ان الملك وصل لهنا وجعل يبكي فبكت هي ايضاً . وكان بهرام شاه مندهشاً من هذه الحكاية فامرها ان تدوم في حكايتها الى اتمامها . فدعت له واثنت على عنايته ثم عادت الى تمام الحديث فقالت)

ولما وصل الملك في حكايته لجاريته الى هذا الحد بكي وتنهد وتأوه ومع ذلك لم يتوقف كثيرًا عن الرجوع الى حديثهِ فقال نعم عند ما افتكر ببهاء وجمال هذه الفتاة اغيب عن الوجود واكاد اخسر عقلي وتنمو فيَّ جراثيم العشق والغرام التي دخلت فوءادي وقد اخذنا بالمنادمة والمحادثة واعيني لا تنفك عن النظر في وجهها ولا ارفعها عنها لحظة واحدة وهي مع محادثتها وموءانستها كانت تظهر لي الحب والالتفات وانا اقول في نفسي يا للعجب الصحيح ما اراه هل انال وصال هذا الملاك فاذا نلته فكم اكون سعيدًا لكني لا اقدر ان اصدق من اين لي ان تدخل في يدي مثل هكذا حورية ومن اين لحظي الاسود ان يشرق بنور هذا الاقبال العظيم فما ذلك الاَّ من جملة عناد الدهر فقد اراد ان يشعل في فوءادي جذوة الغرام و يزيد في عذابي فالاقي في هذه المرة اضعاف الاضعاف مما لاقيت او انه يريد يصفو لي كعادته فانه يمر ويحلو فقد رماني بمحن لم يبقَ من بعدها الاَّ الموت والان اراد التعويض عليَّ بهذه النعمة التي لا تعادل كل نقات العالم دقيقة واحدة من هنائها

وخلاصة الامر اني كنت افكر بخلاف ما اشاهد فكأن الصبية قد علمت بما يتردد في فكري فاخذت في المداعبة والملاعبة معي وهي تزيد من دقيقة الى ثانية بهاءً وجمالاً في عيني و ينمو و يعظم حبها في فوءادي وتتعزز وتثبت آمالي بالحصول على المأمول من وصالها ولم يمر علينا ساعتان علي تلك الحالة حتى امرت جواريها باحضار الطعام وفي الحال نهض الجواري من اماكنهن وقد احضرنا الطعام بسرعة لا يمكن ان يصفها قلم

واتين بسفرة عليها اطباق من الذهب المرصع بالاحجار الكريمة وفي داخلها الاطعمة اشكالاً والواناً وكانت روائح العطر والعنبر المنبعثة عن الاطعمة تشرح الصدور وتجلب السرور وكذلك الاقداح المصفوفة على المائدة كان بعضها من حجر الفيروز و بعضها من الياقوت الاحمر و بعضها صافٍ كالبلور الخالص اللون. ومما زاد تعجبي حضور مثل هكذا اطعمة كثيرة ومتنوعة على تلك السفرة البديعة الثمينة باسرع من صدور الامر يعني ان الجواري ما لبثن ان سمعن الامر حتى احضرنها في الحال وقد جال في فكري ان البنات لسن من الانس فان اعمالهن لا تشبه البشر ولا سيما ان الجمال الموجود فيهن لا يمكن ان يوجد مثله في البشر مع ان تركيب اجسامهن كتركيب اجسام بني الانسان ولا سيما السيدة الكبيرة فانها خلقت كما ارادت

و بعد ان احضر البنات السفرة وعليها الطعام المتقدم ذكره اخذت كل واحدة منهن شمعداناً من الذهب في يدها وفيها الشموع موقدة بالند والكافور ووقفن بالانتظار حول المائدة. اما تلك المحبوبة التي لا نظير لها في المخلوقات فانها لما رأت ان سفرة الطعام قد حضرت اخذتني من يدي وقادتني الى المائدة وامرتني ان اجلس واتناول الطعام معها وكنت مندهشاً وارى من الواجب اللائق التردد عن الجلوس معها لكن كنت قد الفت على مصاحبتها وعشرتها فضلاً عن اني كنت متشوقاً للطعام حيث لم اذقه منذ ايام بل اكلت بعضاً من الثمار لسد رمقي فجلست في الحال اذ ان عملها معي لم يبقِ فيَّ مجالاً للخجل فباشرنا الاكل وانا اظن نفسي كاني مالك العالم بامره ولي الحق بذلك هل من كان جالساً على سفرةٍ كتلك السفرة محاطاً بطغمات من الجوار اللاتي كانهن الاقمار بعضهن قائم في خدمته و بعضهن وقوف بين يديه و بايديهن الشموع والطاسات وهو جالس الى جانب ملكة الحسن والهة الجمال لا يتصور في نفسه انه ملك العالم . ومن المحال ان تكون اللذة في ملك العالم معادلة للذة ذاك الاجتماع

والحاصل تناولنا الطعام بكمال المسرة والصفاء . ومن بعد ان انتهينا امرت رفيقتي باحضار الاباريق لغسل ايدينا فجاءت بها الجواري في الحال فامرتهن ان يغسلن يديَّ في الاول فامتنعت وقلت لها معاذ الله ان اتقدم عليك في مثل هذا الامر وانت سيدتي ومالكتي فاجابتني بكلام ارق من النسيم وقالت اغسل يا حبيبي فهذه ارادتي ومن المحال ان اغسل قبلك . ولما رايت اصرارها مددت يديَّ الى الجواري فغسلتهما بماء الورد الزكي الرائحة ثم نشفتها بمنشفات من الحرير البديع اللون والعمل ومن بعدي غسلت هي ايضاً .

ثم عادت فوضعت يدها في يدي وذهبت بي الى السرير فجلسنا عليه . واذ ذاك جلس الجواري بدورهن على المائدة واخذن بتناول الطعام وهنّ على غاية من المزاح واللعب والانبساط الى ان فرغن من الطعام ورفعن الاواني في الحال ولم يكن لي شغل يشغلني الاّ التفكر بنفسي و بتلك السعادة الموجود فيها . ثم حضر بعض من البنات وجلسن على كراسٍ من الذهب حول السرير ومن ثم احضرت سفرة الشراب وتقدم نحو من خمسة عشر صبية لخدمة الشراب وقد كشفن على زنودهن الى حد اكتافهن فكانت تضيء وتلمع كالبلور وحملن الاقداح بايديهنّ وهنّ يتمايلن و ينعطفن و يتبسمن و يظهرن من انواع الدلال واللطف ما لا يقوم بوصفهِ واصف ثم ملئن الاقداح فناولنني في الاول فشربت ثم ناولن سيدتهن فشربت ايضاً ثم عاطين باقي البنات وفيما الشراب دائرًا علينا احضرت آلات الطرب كالعود والقانون والناي ونحوها فتناولت كل واحدة من البنات الجالسات حولنا آلةً واخذن في ان يضربن عليها بفن غريب ثم رفعن اصواتهن بالغناء المطرب الذي لم اسمع مثلهُ حياتي بطولهِ ولا اظن ان غيري من العالم سمع مثل ما سمعت حتى تاه عقلي ولم اعد اعرف ماذا اسمع هل ان الملائكة تسبح الخالق باصوات التهاليل ام ان الله سبحانهُ وتعالى نفخ في صدورهنّ نفخة الحياة فاخرجنَ بها نغمات الشكر فوالله لا اعرف بماذا اصف تلك الاصوات الجميلة التي سمعتها في تلك الخميلة الكثيرة العجائب فاني تاثرت في داخلي من سماع الالحان والاناشيد التي كانت تخرج من افواه تلك الملائكة وقد هاج بها هيامي وغرامي وظهر على وجهي علائم الفرح الزائد والانبساط العظيم . ولما رات فتاتي ما انا عليه من السرور تبسمت وقالت لي بلسان عذب ان شاء الله قد زال عنك العناء ولم يبقَ عندك شيء من الخوف والخجل . فاجبتها نعم يا سلوتي ومؤنسي اني بعنايتك قد حصلت على الراحة والسعادة وارى نفسي في جنة الاقبال وحسن البخت لا يمكن ان يتيسر لمخلوق مثلها فاسأل الله سبحانهُ وتعالى ان يديمك على المجد والفرح . فسرت من كلامي وابانت لي من دلائل الحب والاكرام ما زادني جراءة اذ لفت يدها على عنقي . وكنت لكثرة ما ناولنني البنات من الشراب وصلت الى درجة السكر وليس في درجة السكر فقط بل صرت في حالة الجنون من تأثير تلك الاصوات البديعة ومن رقص البنات اللاتي وهنّ كالبدور الساطعة كن ينهضن عشرات عشرات و يرقصن رقصاً مهيجاً مسرًا وفوق كل ذلك فان خدي رفيقتي قد التهبا بالاحمرار حتى فاقا الورد لونًا ورأيت شفتيها وهما كالقرمز واعينها كالسهم الصائب ولا اعرف كيف يجب ان اصفها الآن

لا سيما واني في تلك الساعة لم اقدر ان اتمالك عقلي ولا عدت قادرًا على ضبط نفسي فدفعني العشق الفاضح الذي ألمّ بي الى تقبيل فتاتي فطوقت عنقها بساعدي وقبلتها في خدها فسكتت ولم تبدِ ممانعة فلاح لي انها مسرورة مني وذلك لم يبقِ حدًّا لجراءتي وحريتي فلم اقنع بقبلة واحدة ولا باثنتين ولا بعشرة ولا بمائة بل قبلتها في خديها وشفتيها اكثر من الف وربما اكثر من الفين ولا اقدر ان انكر اني في كل قبلة كنت اشعر بلذة غريبة لا انساها مدى العمر . ولما رأيت ان امري مع الفتاة وصل الى هذا الحد غاب رشدي وفقدت صبري ولم اعد اعرف كيف اتصرف فمددت يديَّ الى صدرها وادخلتهما الى نهديها فيالله بماذا يا ترى شعرت وعلى ماذا وقعت يدي اعلى حقق من لجين كلاً فان يدي لمست مادة ناعمة الى حد ان لا يوجد ما هو في نعومتها فيالله . . اواه . . . . نعم اتاسف . . . . . ماذا اقول . . . . وصلت لارفع حال من السعادة والحظ عند ما لعبت يدي بنهديها وعند ما قدمت شفتيَّ منها واخذت اقبلها واستنشق ما ينبعث عنها من الروائح العطرية الزكية التي تنعش الصدور وتحيي الاموات ولو بقين اياماً في القبور . وكنت المرة بعد الثانية اضع شفتي على حلمة النهد فامتصه مصًا لطيفًا حلوًا ثم رفعت عيني وانا في تلك الحالة الى وجه الصبية فوجدتها تحدق بي باسمة بثغر يفتر عن الدر وشاهدت احمرار تلك الخدود التي وصفتها سابقًا فتركت النهود وعاودت الكرة بالتقبيل في الخدود حتى وصل بي العشق الى الدرجة الاخيرة وحملتني القحة الى ما وراء ذلك لاني كنت ارى منها قبولاً وسرورًا في كل ما فعلتهُ وارى كأن سرورها ناتج عن لذة تعادل اللذة التي كنت اشعر بها وقلت في نفسي كان من الصعب في الاول ان اقرب منها واما الان وقد تجاوزت الحد في كل شيء فلم يبقَ من الصعب ان تمنع عني ما اطلبه واريدهُ لاطفاء تلك النار الملتهبة وربما هي ترغب في ذلك ولما قوي عليَّ العشق واشتد بي الوله تطرفت شيئًا فشيئًا فابتدأت بخديها ثم بشفتيها ثم قبلت عنقها ومرغت وجهي على صدرها ثم خبئته بين نهديها وارسلت يدي الى المكان المطلوب مندفعاً بتلك الشهوة الحيوانية ولم اعِ بماذا كنت اشعر أباعضاء بشرية ام بيقجة من الديباج محشوة بالقطن المندوف وحينئذٍ دفعتني الصبية بلطف وتبسمت تبسم الكرامة واللطف وقالت مهلاً يا ضيفي العزيز وانيسي المحبوب فكن قانعاً بالمداعبة والملاعبة والضم والتقبيل ففي هذه الليلة لا يمكن لي ان اسمح لك بنوال الوصال . فاذا كنت تحبني وترغب في ان تكون مصاحبًا ومرافقًا لي على الدوام لا تكن قليل الوفاء ولا تخالف كلامي فاذا كنت ذا صبر وقادر على التحمل

والتأني ستنال وصالي وتحصل على ما خطر لك واذا كنت قد وصلت الى حالة غير قادر فيها على الصبر والتجمل فهاك البنات فكلهن في درجة علياء من الحسن والجمال فاختر لنفسك من تحلو في عينيك واصرف ليلك معها وانا ابيح لك الى حين حلول الوقت الذي فيه ابيحك وصالي ان تختار من شئت من البنات فهن بين يديك وطوع امرك ثم انها التفتت الى احدى البنات الجالسات وكانت ابهى من الشمس والقمر واشارت اليها براسها فدنت مني تمايل كغصن البان وتبسم عن ثغر كالاقحوان اما انا فلم اعد قادراً على الكلام عند ما رأيت امتناعها وسمعت منها هذا الكلام وقد لصق لساني بفمي وجمدت كالصنم حتى دنت الصبية التي اختارتها لي مني واخذتني من يدي فلم امتنع فنزلت عن السرير وقد شعرت كأني خرجت من الجنة وذاهب الى الجحيم وسرت خلف التي تقودني وقد نظرت اذ ذاك فيها فوجدتها لا تنقطع عن التبسم والغنج وهي تنعطف عليَّ وتداعبني وكان قد احتاط بنا بعض البنات ومشوا امامنا وفي اثناء الطريق كن يجتهدن لاستجلاب خاطري ورضاي حيث كان عقلي وفكري وروحي وكلي باجمعي عند سيدتهن

وما زلنا نتقدم حتى وصلنا من صيوان منصوب في تلك الجهة وكان الصيوان بديعاً منقوشاً بانواع النقوش التي لم ارَ زماني مثله وقد جلس حول جهاته الاربع مئات من الجواري الحسان يمزحنَ ويلعبن فلما رأينني نهضنَ جميعهن وقوفاً على اقدامهن وتقدمن لاستقبالي وفي الاول صف منهن يحملن على ايديهن شمعدانات من الذهب المرصع بالفخر حجارة كريمة وفيها الشموع موقدة ولما وصلن مني سلمن عليَّ اما انا فتعجبت من هذه الحال وقد رايت البنات يلبسن الفخر الثياب وانفسها وعليهن من الحلى والجواهر ما يبهر النواظر وقلت في نفسي أليس كل هؤلاء اتباع الصبية التي كنت عندها وكم يا ترى من الجواري في خدمتها و بين يديها مع ان كل واحدة من تلك الالوف من البنات كانت كافية لان تسبي عقل اعظم عابد وافضل زاهد فبالحقيقة كن برمتهن نخبة الجمال ومثال الكمال وهذا كان يزيد في حيرتي وقد اختلط بينهن البنات اللاتي اتين بي ولما دخلت الصيوان

﴿ تم الجزء الثاني و يليهِ الجزء الثالث ﴾

الجزء الثالث

﴿ من قصة بهرام شاه ابن ازدشير شاه ﴾

انبهر نظري وزاد اندهاشي من حسن ما رأيت به من الفرش الفاخر الذي لانظير له ومن الاواني الذهبية المرصعة وعلى الاخص من السرير وما عليه من الجواهر والحجارة الكريمة وكنت لما دخلت من الباب تقدمت مني البنت التي جاءت بي الى السرير وانا على تلك الحيرة فجلست عليه وجلست الى جانبي ووقف الجواري صفوفاً حولنا ينتظرن الامر منا وحينئذ كنت اعجب من أمري ومن الحالة التي انا فيها ومع تعجبي هـذا كنت متحيراً ومع تحيري كنت تائهاً ومن تيهاني كنت في حالة جنونية وعلى الخصوص لما امعنت بالصبية التي الى جانبي وتاملت محاسنها وأوصافها وانا اقول في نفسي ياللعجب هل ان فتاتي التي احببتها هي هذه وقد غيرت قيافتها لتمتحني وجعلت ادقق النظر في وجهها وامعن فيه لاحقق الخبر اليقين مع اني كنت كمن كان ينظر الى القمر بعد نظره في الشمس والذي لاح لي أخيراً ان هذه الصبية فتانة بديعة المحاسن ليس لجمالها مثال لكن لم تكن في درجة تعادل فتاتي التي احببتها · ومع ان قلبي كان مولعاً بتلك وعقلي مشغلا بها لم احرم هذه من الانعطاف اليها فكنت الاعبها واداعبها وابتسم لهـا فكانت أيضاً تحادثني بلطيف كلامها وتظهر لي الحب والعشق وتعانقني المرة بعد الثانية فاقبلها وتقبلني حتى ملت اليها كل الميل واشتد بي الوله والوجد· فاشرت الى البنات ان يخرجن جميعاً فخرجن في الحال ولم يبق داخل الصيوان الا انا والصبية واذ ذاك نهضت الصبية فاحضرت الشراب وناولتني من يدها فشربت وشربت وعانقتني وعانقتها ثم نزعت عنها ثيابها وجلست الى جانبي ووضعت الشراب امامها وصرت اشرب واعانق واقبل وارشف وامتص حتى بلغ السيل الربى ودارت الخمرة في رأسي من جديد وغبت عن الوجود وفي حال نزعت ثيابي وضممتها اليّ والتصقت بها التصاق اللام بالالف وازلت بكارتها وصرفت باقي ليلي معها بلذة لم اذق مثلها عمري بطوله وحاصل الامر اني نمت مع الصبية حتى الصباح وكان جسمها اطرى

من الحرير وانعم ورائحته ازكي من الند والعنبر وقد ذممت الليل على سرعة رحيله وتمنيت لو انه دام وعند انبثاق الفجر نهضت الفتاة قبلي فجعلت تفرك يدي ورجلي وتروح لي ونهضت انا أيضاً ولما رأتني جالساً عادت فعانقتني وعانقتها وأخذنا بالمداعبة والملاعبة كالسابق ولما بان نور النهار جيداً أخذتني من يدي فاوقفتني والبستنى ثيابي بيدها وقادتني الى خارج الصيوان واذا بصيوان آخر محاذ للذي كنا فيه فدخلناه وقد تهيأ فيه الحمام بتمامه أي الماء الحامي والطاسات المرصعة بالماس وكل الاواني من الذهب المرصع والصابون الزكي الرائحة فنزعت عني ثيابي وأخذت الصابون والماء وبدئت تغسل في جسمي وانا في نعيم زائد حتى فرغت وبعد ذلك احضرت لي ثوباً ملوكياً فالبستنيه ولبست ثيابها ووضعت يدي بيدها وخرجنا من الحمام الى الصيوان الذي كنا فيه أولا فاجلستني فيه وسقتني كأساً من المنعش ثم تركتني وذهبت لتغتسل بدورها . واما انا فبعد ان جلست وحدي قليلا نهضت وقصدت الخروج من الصيوان وذهبت الى تلك الحدائق والخمائل القريبة مني وانا افتكر بنفسي وأقول عجباً ياربي ماهذه الاحوال اذا كانت رؤيا فانا لست نائماً واذا كانت سحراً فما من دليل على ذلك فامتن عليّ يارب بان ابقى طول العمر في هذا المكان وعلى هذه الحالة ولكن سهل بي الوصول الى نوال المراد من تلك الصبية ملكة البنات وزينتهن

وبعد ان طفت نحواً من عشر دقائق عدت الى الصيوان وفي ظني ان الفتاة تكون قد فرغت من الاستحمام وعادت اليه ولكن وا اسفاه فاني لم ار لاصيواناً ولا فتاة ولا أثراً لكل ماهناك فخفيت الى الجهة الثانية حيث كنت في أول الليل فلم أر أحداً ولا رأيت لابناتاً ولا سريراً ولا فتاة ولم أر غير الاشجار والاثمار التي كنت قد رأيتها أول وقوعي في تلك الارض فلحق بي الباس والحزن وجعلت ابكي كما تبكي الاطفال وقد مرّ عليّ ساعات وانا على تلك الحالة ثم قمت من مكاني وأخذت اطوف في تلك الارض كالمجانين واناجي نفسي قائلا اين ياترى اجدهن والى أي مكان ذهبن وهل ياترى يسمح الزمان فاشاهد تلك الصبيه التي احبها قلبي واسرت لبي وتركتني صريعاً لاحراك بي وكلما لاح شخصها امامي بكيت واذرفت الدمع مدراراً ومضى اكثر النهار ولم اذق طعاماً ولا مددت يدي الى ثمرة واخيراً

انتهيت الى شجرة كبيرة ممتدة الاغصان فجلست تحتها وكان التعب قد ادهكني والنعاس تغلب عليّ لاني لم انم في الليل الماضي فارتميت الى الارض حزيناً كئيباً عاشقاً موهاً تعباً جائعاً وفي الحال علا غطيطي ولم اعد اعي على شيء ولا أري شيئاً ولكني كنت احلم فيمن احببتها وقد زارني شخصها فانعطفت عليه وأخذت في ان أقبلها وانا غارق ببحر طام من اللذة والفرح ولما استيقظت وجدت نفسي منفرداً فتكدرت وحزنت وكانت الشمس قد قاربت الغروب فقمت من مكاني وقلت في نفسي لربما من عادة البنات ان يذهبن في الصباح وياتين في المساء فمن اللازم ان ارجع الى مكاني الاول قبل ان يقبل الظلام فاسرعت العودة حتى وصلت من مكان المـاء فغسلت يدي ووجهي ورأسي ورجلي فشعرت ببعض الراحة وشكرته تعالى وجلست انتظر الوقت الذي كانوا جاءوا به في الليل الفائت وقدقرب وكانت عليّ الدقائق اطول من سنين واعوام ولما حان الوقت شعرت كاليوم السابق بنسيم خفيف لطيف ثم رأيت غيمة بيضاء في الافق وقد أخذت تقرب وتمتد وتنبعث عنها الروائح العطرية . وحينئذ تيقنت باتيانهن فصفقت من الفرح وكدت اطير وتصورت في ذهني للحال ما سيكون لي من الحظ والانشراح في هـذه الليلة فحسبت نفسي كاني قد ملكت الدنيا برمتها

واما البنات فبدأن بالورود أفواجاً افواجاً كما فعلن في اليوم السابق وأخـذن في الفرش والبسط وتهيئة المكان وبعد ان فرغن من عملهن هذا نصبن السرير في الوسط ووقفن ينتظرن سيدتهن واذا بالمشاعل قد ظهرت من بعيد وسطعت انوارها في تلك الضواحي فبدأ قلبي في ان يخفق . والحـاصل ان البنات صففن على الجانبين حتى وصلت سيدتهن وجلست على السرير وأخذت كل واحدة من البنات مكانها كاليوم السابق بعضهن جلوس حول السرير والبعض في الخدمة والبعض يحملن الشموع ولما تم الانتظام قربت من السرير غير مرتهب ولا خائف لان التفات الصبية ومؤانستها لي في الليل الماضي حملني على هذه الجسارة . وما لبث البنات ان رأينني حتى نهضن جميعهن وقوفاً وتقدمن لاستقبالي وكذلك السيدة الباهرة فانها نزلت عن سريرها وأخذتني من يدي ورفعتني الى جانبها . وكنت اشعر من نفسي مع ما انا حاصل عليه من الاكرام والالتفات بضيق صدر وانقبـاض

لسبب انفصالها عني في اليوم الاول وبعدها عني مدة ساعات مع انها عاملتني في هذه الليلة باكثر مما عاملتني به في الليلة الماضية من اللطف والمؤآنسة والتحبب . وقالت لي ان شاء الله تكون قد سررت في ليلتك الماضية ثم دعت البنت التي نمت معها وقالت لها انظري ان ضيفي الكريم لم يكن مسروراً من مبيته معك امس فما هو السبب . فلما سمعت البنت كلامها اصبحت كالثلج واصفر وجهها من الخوف ثم احمر وكادت تختنق وأخذت في ان ترتجف وترتعش . فلما رأيت ماحل بها من الخوف والرعب تاثرت كثيراً فاستدركت الامر وقلت للسيدة كلا ياسيدتي ومالكتي فقد سررت جداً منها وبت في حظ وانشراح صدر عظيمين ولذا تريني ممنوناً للغاية . فلما سمعت كلامي قهقهت ضحكا وقالت لي ما دمت تشكر لها وتظهر الامتنان منها فقد عفوت عنها ثم ضحكت أيضاً وكل منا ناظر في وجه الآخر .... وكانت وهي تضحك قد بان من داخل شفتيها الرقيقتين المرجانيتين صفان من السنان محبوكان بانتظام وترتيب كاللؤلؤ في اسلاك من الفضة فاخذ عقلي في الضياع والانشغال وقد فهمت ان ضحكها من الفتاة كان لسبب ما وقع بيننا في الليل الفايت . وقد عادت الفتاة بحالة الخجل والحياء الى مكانها اما انا فلم اعبأ بذلك بل كان همي وشغلي معشوقتي والنظر اليها والاهتمام بما اناله من السرور والحظ بها ومعها وقد عدمت الصبر وخانني الجلد فكدت اقع من مكاني . وفي تلك الاثناء حضر الطعام فاخذتني من يدي واجلستني على المائدة الى جانبها وبعد ان فرغنا من الطعام وعدنا الى السرير بدانا بالمصاحبة والمداعبة . واما البنات فبعضهن أخذن آلات الغناء فضربن عليها وهنّ يغنين بارخم الاصوات بما تطرب له الملائكة في السموات وبعضهن قمن للرقص وهن كاشفات عن ايديهن الى حد اكتافهن وكاشفات أيضاً صدورهن الى تحت نهودهن فكانت الانوار تنبعث عما بان من أجسامهن الشفافة وبعضهن كاشفات أيضاً عن زنودهن البلورية وبأيديهن الشراب يطفن به وما زلت في عالم التيهان وأنا على تلك الحالة الى ان تنصف الليل فوضع المغنيات من أيديهن الآلات وكذلك الراقصات جلسن للراحة بعد ان أجرين البدائع والعجائب . وفي الحال أبدت لهن الصبية اشارة فقمن جميعاً وبعدن عنا يمشين في جهة ثانية . فكدت أطير من الفرح والسرور وقد

ظننت ان الفتاة قد أبعدت البنات لتخلو بي ويصفو لي بها الزمان وما ظننت فقط بل تأكدت لاني اغتنمت فرصة تلك الخلوة فضممتها في الحال وأخذت أقبلها وأضع فمي على شفتيها الورديتين فأمتص منهما سائل الحلاوة واللطافة ولا أعلم أعسلا كنت أمتص أم مسكراً حلواً لذيذاً أم شيئاً آخر لا أعرف اسمه ولم يكن قد أذاقني اياه الزمان في غيرها وكنت أعيد الكرة المرة بعد المرة ثم اقبلها في كل أقسام وجهها في عيونها وجبينها وأنفها وحاجبيها وخديها وشفتيها وفمها وعنقها وصدرها ... ولا أعلم أين ... وقد عدمت الصبر والجلد و ... لم يبق لي صبر ... وان كان أحد يدعي الصبر فليجرب . قد وجدت معها على خلوة وتركت لي نفسها ولم تمانع في العناق والتقبيل وكل انواع الدغدغة والمداعبة ... فهل ياترى لا تطلب نفسي النهاية . ومن يلمني ويقول لي اصبر تأن يكون عدواً لي متعصباً عليّ . أو انه قد قدّ من صخر أصم لا يعرف العشق ولا حالاته . وأما الرجل الذي يشفق عليّ ويعذرني يكون منصفاً عالماً بحال الحب واجتماع الحبيبين . ومع ذلك فاياً كان ومن كان حجراً أو صخراً أو حديداً ما قدر ان يصبر أكثر مما صبرت ولو اجتمع بتلك الفتاة الباهرة الاوصاف سيدنا داود أو سليمان وكان في خلوة معها لا أظنه يتحمل ويتصبر كما تصبرت . وحيث اني لم اعد قادراً ان أتحمل ولم أكن نبياً ضربت عليّ العفة والطهارة ملت الى ما يميل اليه كل بشر بعد ان سكرت من خمرة الحب وحركتني كثرة الضم والتقبيل الى ان أمد يدي الى السراويل

انما الوصل للمحبة شاف   مثل ماء قد صب فوق نار

ولما رأتني الفتاة وقد عدمت الصبر ووصلت الى الدرجة الاخيرة من المداعبة والهيجان تبسمت في وجهي بعد ان مسكت يدي وقالت صبراً ياحبيبي لا تكن عجولا بهذا المقدار فاذا كنت لاتصبر تندم فيما بعد فالتأني لازم في كل شيء . أما أنا فلم التفت الى كلامها بل قلت لها أواه أواه ياعيوني وحياتي ونور قلبي أأقدر على الصبر لا والله

كيف اصطباري والهوى في اضلعي   يسري فما منه مكان قد خلا

مع ان من احببته مازلت معه   مغازلا ومعانقاً ومقبلا

أواه ياحبيبتي كيف العمل ليس الامر في يدي فانك بدر ساطع وغصن يانع بل ملاك لامع واطوارك واخلاقك ألذ من المنّ والسلوى فتداعبيني وتلاعبيني وتخلين

لي المكان ولا تمنعيني من الضم والتقبيل والعناق والارتشاف ولو طال بي الحد وامتد بي الامد ولما تلتهب نار فؤادي ويشتد بي الوجد تمانعيني وتطلبين الي الصبر

لو قلت للقلب صبراً في محبتها لما أطاع فان الصبر يضنيني
ويلي اذا لم أنل ممن سحرت بها وصلا من السقم يشفيني فيحييني

فاكراماً لمجد الله ارحميني اشفقي عليّ لا تظلميني فاني في حالة يأس تخلصيني برقة قلبك من هذا العذاب الواقع فيه اذ لم يبق لي صبر ولا تحمل او فاقتليني الآن لان روحي في يديك وماذا يجرى لو سمحت لي بوصلك ياروحي يامنيتي فلماذا هذا التمنع وهذا الظلم . فلم تتأثر الفتاة اصلا بل انها تبسمت في وجهي تبسما مسحراً كعادتها وقالت لي . كلا . كلا . لقد افهمتك من الليلة الاولى . يلزمك الصبر والتأني لاتتخل عن العين العذبة وتطمع بنقطة من الماء ولا تضع خزينة من الجواهر وتسعى خلف دينار زائف . فقلت ماهذا الكلام لقد اشعلت جزوة الحب في فؤادي واحرقت بالهوى حبة قلبي ثم تقولي لي تصبر وتحمل امكن الصبر والتحمل هلمي انصفيني لاتلقيني في وهدة الهلاك . فلم تجب الا بالممانعة والمدافعة وهي تقول لي ياعيوني اصبر تحمل لقد قلت لك مرة اذا كنت لاتصبر تندم فيما بعد واذا صبرت نلت ما انت طالب ولا تظن اني أغشك او اخدعك لادفعك عني فليس من طبعي الكذب والخداع . فلما سمعت كلامها افحمت عن الجواب وبقيت محدقاً بها . ثم مر علينا قسم من الليل وقد أعيد لنا الشرب والغناء ودارت الاقداح واتسع نطاق الملاعبة والمداعبة كما كنا قبلا حتى حمي الهجير وبلغ بي الحد الدرجة القصوى فعدت الى الالتماس والرجاء بالسماح لي بوصلها . واذ ذاك اشارت الى احدى جواريها بالدنو مني فدنت وقبضت عليّ من يدي واخذتني معها الى صيوان كالصيوان الاول كامل النقش والتزيين وبه كل اسباب الحظ يقوم بخدمته مئات من البنات عليهن من الجواهر مالا يعلم مقداره واخذت الجارية تداعبني وتضمني وتسقيني لتميل فكري اليها وأنا ضائع الحواس وأخيراً اجبتها الى طلبها (الحكم لله) ومن بعد المداعبة دخلنا سرير النوم وباشرنا مايباشره كل رجل لو وجد على فراش واحد مع فتاة تسلب القلوب والعقول . وهذه أيضاً وجدتها بنتاً بكراً فأزلت بكرتها وبقينا نتقلب على بعضنا الى ان لاح الصباح فقادتني للاستحمام . فغسلتني

بيدها وطيبتني بأزكي الطيوب رائحة والبستني ثياباً ابهى واجمل مما كنت قدلبسته في اليوم السابق وقادتني الى الصيوان وعادت لتستحم وفي هذه المرة لم اطلب الخروج الى خارج الصيوان وقلت في نفسى امس خرجت من الصيوان فأختفى فاليوم لاافارقه لارى ماذا يصير واتكئت على السرير فأخذتني سنة الكرى على غير علم مني فغرقت في ثبات عظيم ولم يمرُ عليّ ساعة حتى فتحت عينيّ ونظرت الى ما حولي وامامي فلم أر لاصيواناً ولا بناتاً ولا شيئاً مما كان قبلا بل رأيت نفسي فريداً وحيداً على الارض فاغتظت من نفسي وتكدرت من عمل البنات معي وعلى الخصوص عند ماجال في فكري مرآى الصبية حبيبتي وما نلته منها من ضم وشم وعناق ورشف فتساقط الدمع من عيني مدراراً دون ارادتي ومع اني كنت على يقين انها ستأتي مع جواريها في المساء لكن كنت في حالة يأس وحزن وكانت الدقائق تمر اطول من السنين ولذلك كان فراقها النهار بطوله كمائة سنة في عيني وصرفت النهار على ماتقدم في اليوم الاول وعند المساء اقبل البنات كالعادة وبينهن محبوبتي البدر الفاضح والغصن المائل وحالما رأيتها في حالة العز والسلطة وقد انبعثت أنوار جمالها على تلك الضواحي غاب عقلي فوقعت الى الارض لا أعي على شيءُ ولما فتحت عيني وجدت نفسي على السرير وبجانبي تلك التي لم يعد يطيب لي عيش الا بقربها وقد مدت يدها تحس بها على وجهي ولما شعرت بنعومة يدها وطراوتها قبلت يدها ونهضت من مكاني مخجولا فقالت لي ماذا جرى عليك ياروحي وما هذه الحال التي انت فيها فأجبت لقد فرغ صبري وضاقت بي الدنيا لطول الفراق فبقيت انتظر بفروغ صبر حتى رأيتك غير مصدق فحمل بي الفرح على الغشيان فأسعدتنى بلطفك واعدت اليّ الحياة فارفقي بي واشفقي عليّ ولا تكوني سبباً لموتي واذا كنت لاتشفقي عليّ وترحميني فخافي الله

فلما سمعت الفتاة كلامي قبضت على يدي في الحال وقبلتني في وجهي وجعلت تقول لي ياحبيبي لاتتكدر فاني أحافظ على راحتك وأحب انلاتكون فيما بعد نادماً وانظر كم أنت تحبني الآن فاني أحبك باكثر مما تحبني فلا تتوهم بنفسك اني أغشك أو لا أحبك كلا لكن في ذلك سر وحكمة فاذن لافائدة بغير الصبر والتأني ويمكنك ان تصرف وقتك معي على الحب والعشرة والضم والعناق والتقبيل الى حين حلول

الوقت واذ ذاك لاأمنع عنك ما أنت طالبه ثم انها اعتنت بتسليتي وتصبري ومرّ الليل على حسب مامرّ الليل الماضي وقد أنهيت ليلي بوصال بنت بكر من هاتيك البنات وقد تنعمت وتلذذت كثيراً ومع ذلك فانكل من قلبي وفكري لازال معلقاً بصبيتي ومالكتي وكانت كلما مانعت في وصالها كلمازاد قلبي تملقاً بها حتى أصبح خيالها نصب عيني لايفارقني حال غيابها دقيقة واحدة · والهف قلباه على تلك الشمائل وذاك الجمال الباهر

ولما بلغت الجارية ذات الثوب الاسود التي كانت تتردد على والدتي حين صباوتي الى هذا الحد من الحكاية التي كانت تنقلها لي قالت لها وحينئذ أغمي على الملك عند ماانتهى به التذكر الى حده الاخير ووقع الى الارض والجارية أيضاً بكت وأنت بينما كانت والدتي مصغية اليها متعجبة من هــذه الحكاية ولذلك سألتها برجاء ان لاتقطع حديثها

ولمـا وصلت نور بنت ملك الهند صاحب الاقليم الاول الى هــذا الحد من الحكاية سكتت وكان بهرام شاه وهو يسمع من زوجته الاولى حكايتهـا متعجباً للغاية وحيث ان الحكاية أثرت فيه جداً زاد مقام نور في عينيه وتضاعف حبهـا في قلبه فضمها اليه وقبلها ثم أمرها باتمام الحديث · وبعد ان دعت له بدوام العز وطول العمر قالت

نعم ياملكي ويابهرامي المحبوب ان والدتي أيضاً لما وصلت الى هــذا الحد من الحكاية رأيت الدموع تتساقط من اعينها كالمطر فتعجبت وسألتها عن ذلك فقالت لي اني ابكي لامرين

الاول · من حيث ان تلك الجارية ذات الثــوب الاسود كانت صاحبة وفاء عظيم وتحب الملك كثيراً ولذلك كلما خطرت في خاطرها حكاية الملك تتأثر من حاله ودائماً تبكي ولاجل تأثيرها هذا أبكي أنا

والثاني عند ما أفتكر ان ذاك الملك من بعد ان لاقى مالاقى من المحن والمشقات توهم صفاء الزمان وفيما كان على وشك الحصول على وصال الفتاة لم يساعده الدهر بل انهما بعد ان توغلا بالحب وتعشق احدهما الآخر واصبح الملك عاشقاً ولهاً الى درجة لايصعب عليه فيها ضياع روحه في سبيل رضى محبوبته رمي بالهجر والفراق

دون ان يحصل على غرض او يشفى له مرض من وصل تلك الفتاة فبقي على الدوام محروق الفؤاد . وهذا ايضاً يبكيني

فرجوت والدتي ان تتم الحكاية لاني عند ما سمعت منها هــذا الكلام تأقت نفسي لاعلم كيف انفصل عن الفتاة دون ان ينال منها وصالا

فعادت والدتي لاتمام الحكاية فقالت لي ولما انتهت صاحبة الثوب الاسود الى هذا الحد اختنق صوتها من كثرة البكاء فسكتت وبعد سكوت نصف ساعة من الزمان اخذت في ان ارجوها باتمــام القصة مسلية اياها على مصابها وحينئذ عادت فقالت بصوتها الضعيف

أواه مما أصاب ذاك الملك الحزين نعم انه عند ماوصل الى هذا الحد من الحكاية وقع الى الارض مغشياً عليه ففي الحال أخذته بين يدي ووضعت رأسه على ركبتي وجعلت أصب في فمه المنعشات وأفرك يديه ورجليه حتى فتح عينيه وقال لي . آه انك اهجت حزني فهل ظننت ان مابي أمر سهل ففي الحال رميت بنفسي على رجليه أقبلهما واجتهدت بتسليته وتعزيته وكنت بشوق زائد لاتمام الحكاية وبعد ان هدأ باله واستجمع حواسه عاد الى حديثه فقال

نعم الى هــذا الحد انتهى بي العشق والوله بفتاتي الملكة المحبوبة وانقضت معي الليالي الثلاث على ماتقدم وكذلك الليلة الرابعة فانقضت كالليالي الثلاث وعنــد ما استيقظت في الصــباح لم ار أثراً للبنات ولا للصواوين ولا لكل ما كان مشهوداً ومنظوراً مني في الليل . ومع اني كنت أجتهد لاوقف على حقيقة هذا الامر لكن عبثاً كنت أفكر وأحصر اهتمامي به ولما نهضت في اليوم الرابع وما نظرت البنات أخذت بالتطواف في تلك الاطراف وأنا في حالة حزن وملل ثم جلست تحت شجرة ما وأخذت أفتكر بحالي . وفي ذاك اليوم ما أكلت شيئاً لان نفسي لم تطلب طعاماً قط ولمــا رأيت انحطاط نفسي الى هذه الدرجة قلت ماهذا ياربي أسألك الرحمة فلاتتركني بعد ان وصلت الى هذه الدرجة في ميدان اليأس . . . لاجل أي شيء تعاملني هذه الفتاة هكذا وتنسحب ولمــاذا تشوقني وترغبني فيها ثم تحافظ على الاحترام والاعتبار ومن أي شيء أيضاً تخيفني وما الذي يمنعها من السماح بالوصال بل كلما سألتها فيــه تطلب الي الصبر والا أندم فيما بعد هي تعدني ولا أظن فيها الكذب فلا بد من

الوفاء واذا كان لابد من الوصال ايفاء بالوعـد فلماذا التأخير وبعد التفكر والتأمل في ذلك قلت هل ان الدهر الغدار رأى ان هذا غير موافق لي فكيف يمكن له ان يساعدني

أواه منك يادهر الغادر الظالم لقد ضيعتني ولا ذنب لي وعاندتني وأنا أطوع اليك من بنانك ولكن لا لوم عليك فهذا فعلك وصفتك أيوجد في الكون واحد يقول أنا ممتن من الدهر لانه لم يعضني بنابه . أواه منك يادهر الخيانة ياظالم ياعديم الرحمة ماهو المصاب الذي تهيئه لي لتصب جامه على رأسي أما كفى ماجرى وما أوصلته لي من المصائب والاحزان

وبقيت جالساً تحت الشجرة حتى المساء أعدد حظي وأخاف من مستقبلي وقد مرّ نحو ساعة من الليل وأنا لم أشعر بذلك لضياع فكري وانشغال بالي وقد جاءت البنات كالعادة واشتغلت كل واحدة بعملها ولما لم ترني الصبية معشـوقتي أرسلت أحدى جواريها تفتش عليّ فطافت تلك الجارية من مكان الى مكان حتى وجدتني في مكاني فلما دنا الليل وجاءت البنات وأنا لا أعلم ... ماهذا الضياع ... بالحقيقة شيءٌ عجيب ... لاريب ان القلب اذا ربط بشيءٍ رباطاً حقيقياً لايحل من ذلك الشيءِ ولو خربت الدنيا ... وعلى ماأظن لايقدر احد ان ينكر ذلك لابل أوكده

واذا تألفت القلوب على الهوى　　فالناس تضرب في حديد بارد

والحاصل ان تلك البنت التي كانت تفتش عليّ وجدتني ولما رأتني على تلك الحالة دنت مني وأنهضتني قابضة عليّ من يدي وقالت لي ماذا دهاك ياحبيبي فاذا كنت ونحن حولك وفي خدمتك نأتيك المساء ونبيح لك نفوسنا كل الليلة وأنت على هذه الحال فماذا يجرى عليك لو انقطعنا عنك فانهض وشد عزمك واغتنم فرصة الملذات ولا تتظاهر بالضجر والملل أو تبدي اشارات عدم الصبر والقلق فأنت في نعمة لاتعرف مقدارها الا اذا فقدتها . فلما سمعت كلامها مشيت معها حزيناً حتى وصلت من الصبية مالكة قلبي ولبي فلما رأتني هذه نهضت من مكانها وتبسمت لي ودعتني اليها قائلة تقرب مني ياضـيفي العزيز لاتكن حزيناً هذه الليلة الرابعة ولم يتبق الا القليل ولا بد ان انتشلك من وهدة أحزانك وأكدارك . فدنوت منها وجلست الى جانبها فضمتني الى صدرها وابدت لي من الالتفات والاعتناء كسابق عادتها ما أنساني غمومي وهمومي وعدت الى البسط والانشراح ثم أمرت

بأن يقدم لي كأساً من المنعشات فشربتها وهي تزيد في اكرامي وانبساطي حتى تهيأت مائدة الطعام فجلسنا حولها والبنات في خدمتها وهي اي فتاتي البديعة تطعمني بيدها اللقمة بعد الثانية وهي لاتنفك عن ابداء كل مايسرني حتى انتهينا من الطعام ورجعنا الى سريرنا وطافت بنا جيوش الحظ والمسرات من كل الجهات واذ ذاك اخذنا بالمداعبة والمصاحبة والمعانقة والملاعبة وقد انفرج عن قلبي كل مالحق بي من الحزن واليأس في نهاري حتى ولو كانت أضعاف ماهي بألف مرة لذهبت ضحية نظرة أو قبلة واحدة من وجهها الجميل فكم بالحري وقد حصلت على مائة الف صنف وصنف من القبلات والضمات والعناق والدغدغة والتمرغ والمص والرشف والاستنشاق الى غير ذلك مما أبيح لي اغتنامه وهي لاتبدي ممانعة ولا مدافعة بأمر من الامور فكنت كاني موجود في قلب السرور يحافظ عليّ بحرص زائد حتى ظننت ان الله سبحانه وتعالى قد تركني في هذه الدنيا بغير غم ولا هم كيف لا وانا محاط ببدور من الجواري تفوح منهن الروائح الزكية وكلهن في خدمتي بعضهن يعاطيني المدام وبعضهن يغني وبعضهن يرقص وبعضهن يضرب على آلات الطرب وامامي والى جنبي سيدة الحواري وملكة الجمال قد نزعت عنها البستها ولم يبق عليها الا قميص ناعم من الاطلس البديع وقد ظهر لعيني بدنها الناعم بهيئة غريبة ولا اعلم بماذا اشبهه لان لاشيء في الدنيا من الموجودات يشبهه وكنت اقبلها في عيونها وجبهتها وخدودها وفمها وعنقها وامرغ وجهي بين نهديها وامتص المرة بعد الثانية من فم القمقم كل ماوقع في عليها كل هذا ويدي تجول من مكان الى مكان وتتنقل من المصاطب الى الاركان ... وهى لاتبدي ممانعة او مدافعة بل تاركة نفسها بين يدي وبدورها كانت تقبلني وتضمني الى صدرها وتعانقني مظهرة تحوي كل شغف ووله فماذا ياترى تطلب النفس وقد حصلت على مثل هذه الامنية العظمى نعم انها كانت تطلب الوصال ونيل المنى ولكن ذلك كان المحال ولما كنت أصل الى هذا الحد من الحظ والحرية أرى نفسي قد بلغت المرام ولم يبق بيني وبينه الا حل تلك العقدة فواحسرتاه فانها عقدة لاتحل . فكذلك قد ختمت ليلتي هذه كغيرها من الليالي التي مرت لي معها فاني عند مابلغ بي الغرام منتهاه ولم تعد تصبر نفسي عن زيارة الامام سلمتني الى احدى البنات البديعات فقادتني الى السرير المعتاد وصرفت الليل

معها أتلذذ بوصالها حتى الصباح فدخلت الحمام واغتسلت ولبست أفخر الثياب وكنت في كل صباح البس ثوباً ليس كالثوب السابق بل يختلف عنه في كل أنواعه وكذلك بعد ان غاب عني كل شيء كنت أتمشى في الحديقة على ما سبق وصفه وكان كل يوم مرّ عليّ من الايام الاربع أحسبه أطول من جيل ... ولي حق بذلك .... وأقسم بالله العظيم ان لي حق بذلك. وأيضاً جاءت الليلة الخامسة وتهيأ لي ذاك الحظ وكان زائداً عن كل ليلة مرت فتوغلت بالمسرة وقد رميت بنفسي على الصبية وسألتها الوصال وقلت لها ارحميني يرحمك الله اشفقي عليّ حني لمصابي فقد زاد بي الوجد عن الحد حتى لم أعد قادراً على التحمل وربما أقع مائتاً من التمنع والمطاولة والمماطلة فلا تظلميني وعامليني بكرمك ولطفك. فكان جوابها لي كالسابق أي انضمتني الى صدرها وجعلت تقبلني وتلاعبني وقالت لي صبراً ياحبيبي صبراً فمن الواجب عليك ان تتحمل وتصبر والا فتندم فيما بعد حيث لاينفع الندم فسل نفسك الآن بما لديك من أسباب الحظ فها أنا بين يديك فضمني وشمني وقبلني مهما شئت وها البنات بين يديك وفي خدمتك وتحت أمرك فاشغل نفسك بالرقص واستماع الاغاني وشرب المدامة ولا تكن لجوجاً فتخسر

والنهاية فاني عدت الى ما كنت عليه في الليله السابقة حتى تنصف الليل واشتدبي الوجد فدعت فتاة بكراً وأمرتها ان تسوقني الى الصيوان المعتاد فأظهرت في الاول ممانعة وقلت لها لاأذهب الا معك فهشت وتبسمت ورجتني ان أجيب طلبها فانقدت صاغراً وأتيت الصيوان مع الفتاة الجديدة وكنت غائباً عن الصواب من شدة هيامي وغرامي بالصبية وان كنت أتلذذ بالبنات لكن عن غير رغبة ولاميل ولهذا كان يقل نومي ويكثر افتكاري وأقول أي متى تحيط بي السعادة التامة فيضمني السرير ومن أحببتها وتنطفي نار تأجج في الضلوع وكان باقي ذلك الليل أطول من الليالي الخمس الماضية . ولما جاء النهار وغاب البنات وكل ما في ذاك المكان جعلت كعادتي أتمشى كالمجانين من هنا الى هناك ومن هناك الى هنا لا أعلم ماذا أعمل ثم اخذت في ان أخاطب الشمس واسألها سرعة المسير والعجلة ليقبل المساء وارتميت أخيراً تحت شجرة علي أنام في ظلها ولكن اين النوم واين الراحة فاني لا البث ان أغمض ... بساط ... نهض مرتاعاً وا...

الارض فتتراكم عليّ الهموم ويزيدني الوجد المبرح فاجلس اناجي نفسي واندب حظي . ولما قرب المساء نهضت من مكاني وذهبت في الطريق الذي يأتي البنات منه انتظر ورودهن عليّ . وعند ماحان الوقت المعين ظهرت المشاعل بايديهن فاسرعت لملاقاتهن واخذت عن احدى الجواري احدى قوائم السرير التي كانت تجلس عليه معشوقتي البديعة ومشيت مع الجواري على الحظ والانشراح حتى وصلنا من نقطة الجلوس فمددنا البسط وهيئنا السرير وباقي المفروشات ولما رأى البنات عملي واهتمامي قهقهن ضحكا وقد استحسن عملي واحببنه ومن ثم لاحت لنا المشاعل أيضاً مقبلة نحونا فطرت لاستقبال من خلفها . ولما رأتني الفتاة على تلك الحالة اظهرت المسرة والانشراح وقبضت على يدي ومشت وانا الى جانبها وطغمات البنات خلفنا حتى وصلنا من السرير فجلسنا عليه وبعد بث لواعج الغرام وابداء مالحق بي من الوجد والهيام واجراء السلام بالتقبيل والعناق أمرت باحضار الطعام فنهضنا اليه واكلنا كسابق عادتنا ثم عدنا الى مراكزنا وابتدأت الملاعبة والمداعبة وما لبث ان بدأت نار الوجد تشتعل بي حتى مالت اليّ الصبية وقالت لي حذار لاتدن مما لا اسمح لك به والا ندمت غاية الندم وخسرت الخسارة العظمى . فقلت لها ياحياتي وروحي ومنتهى املي اني لم ادن مما لم تسمحي لي به من قبل والآن ارجوك ان تسمحي وتتكرمي فقد فقد صبري ولم يبق لي طاقة على التحمل هل لا تزالين تقولين لا اسمح . وفي الحال أخذ جسمي في ان يطرب من رأسي الى قدمي واحترت ماذا اعمل من الحسرة والياس وتبدل لوني فصرت اصفر كالزعفران ودخلت في مصاف الاموات . ولما رأتني الحبيبة على هذه الحالة أخذت في ان تلاطفني وتؤآنسني وقد ضمتنى الى صدرها وقالت لي لقد صبرت ياحبيبي خمس ليالي فماذا يجرى عليك لو صبرت هذه الليلة أيضاً . فقد قيل ان في التاني السلامة وفي العجلة الندامة

فقلت لها اني لاعجب من حالتي معك انظري نشاطي في الليلة الماضية وقابليه بحزني في هذه الليلة . ففي الاول تريني اضحك قليلا ثم لا البث ان يتبدل ضحكي بالبكاء أرى نفسي في حظ ومسرة لكن ذاك الحظ وتلك المسرة ينتهيان بالياس والكآبة والحزن فكانك تدفعين بي الى الموت ثم تنشلني منه مع اذ اري نفسي

سائراً اليه بسرعة البرق فارحميني تنالين الثواب من الله تعالى · فقالت لي قلت لك ياحبيبي صبراً وانت قليل الصبر مع ان لابد لك منه · فقلت صبرت حتى فرغ الصبر واضرم بي الصبر ناراً لاتطفى الا برضاك وقبولك صبرت خمسة أيام فافتكري كيف كانت حالتي فيها اتظنين ان الصبر وانا في مثل هذه الحالة امر سهل · فياليتني انا مكانك وانت مكاني لامكنك ان تعرفي صعوبة الحالة الواقع فيها الآن ··· ما هي الوسيلة لا اعلم · فلما سمعت مني هذا الكلام اطرقت رأسها الى الارض مفتكرة · فكنت امعن النظر في وجهها · وما كنت اميل بنظري لحظة عن ذاك الوجه البديع · فكان لونها يحمر شيئاً فشيئاً ثم اخذ العرق في ان يتجدول فوق محياها الباهر ·· اواه كم احمرارها جميل وكم هو بديع تصبب العرق فوق وجهها فكأن ندى الصباح قد تجمع فوق ورق الورد · فلما رأيت حبيبتي على هذه الحالة لم اقدر ان اتحمل ففي الحال طوقت عنقها بذراعي وفيما انا اقبلها دخل فمي عدة نقط من عرق وجهها المعطر · واقدر ان اقسم يمناً وانا به صادق اني لم اذق بزماني عسلا أو سكراً لذيذاً أو حلواً كذاك العرق الشهي وقلت لها وانا اذرف الدمع من عيني بماذا تفتكرين ياحبيبتي ومالكتي ولماذا تحمرين فانك تزيدين بهاء وجمالا حتى زاد اشتعال فؤادي · الرحمة الرحمة فقد كفى ما انا فيه ارحميني اكراماً لمجد الله · فقالت لي اني افتكر بك واتوجع لاجلك فظننت ان بقولها اتوجع لاجلك تريد الرحمة بي فقلت لها اذا كنت تتوجعين لي فترحمين ضعفي وتجبرين انكسار قلبي ··· فقالت لي كلا كلا ان توجعي لك هو لكوني سافقدك قطعياً · ولما سمعت من فمها كلمة سافقدك طار عقلي من رأسي وقلت لها لماذا ستفقدينني اني لا اريد ان انفصل عنك ابداً واذا كنت تتركينني فانني لا اريد ان اتركك ان روحي وقلبي وكلي باجمعي فداء لك فلماذا تكلمينني بمثل هذا الكلام القاسي · قالت ليس القصد اني اريد ان تبعد عني بل أرى من اللازم ان تصبر هذه الليلة عن وصالي وان تاخذ لك ضجيعة احدى جواري · فقلت لها وان كنت لا اقدر على الصبر فساصبر هذه الليلة أيضاً ولكنني لا أريد لا جارية ولا مارية ولا عاد قلبي يطاوعني ان انظر الى سواك فلما سمعت مني هذه الكلام الصادر عن الحزن والياس تبسمت وقالت اذا كان كما تقول فساعطيك هذه الليلة ما يسليك ويرضيك ومن ثم اشارت الى واحدة من

الجواري وامرتها ان تاتيها بشيء ولم اعلم ما هو ذلك الشيء · فذهبت تلك الفتاة وعادت وبيدها صندوق وضعته امامنا · فاخرجت الصبية من جيبها مفتاحاً ففتحت الصندوق واخرجت منه كتاباً دفعته اليّ وقالت لي خذ هذا الكتاب فانه يسليك باقي ليلتك · فشغل بالي لذلك وقلت في نفسي ماذا يا ترى في هذا الكتاب · ومع ذلك لم ينفصل خاطري عنها ولا مالت انظاري عن النظر اليها بل اخذت الكتاب من يدها وانا محدق بوجهها شاعر بلذة غريبة تتضاعف الدقيقة بعد الثانية حتى اصبحت في حالة تصعب على افصح فصحاء العالم ان يوصف بعضها ومع ما كنت اشعر به من اللذة كان فؤادي يضطرم بنار الوجد ويتحرق على نوال ما منع عني ولا عجب في ذلك فان النظر لحظة واحدة في وجه تلك الحورية السموية تحسب سعادة كبرى لكن لا ريب اذا توصل المرء للحصول على سعادة النظر المتواصل لا يعود يرى السعادة الا بنوال قبلة أو استماع كلمة من فيها أو لمس يد أو ضم عنق أو خصر على اني لما كنت حاصلا من هذا القبيل على ما لا حد له ولا منتهى كنت لا ارى نفسي في سعادة ونعيم بل كنت أرى السعادة كل السعادة عند نوال الوصال

واني بناء على اشارتها فتحت الكتاب واذا بي أرى في الصحيفة الاولى منه رسم حديقة جميلة بديعة مكسوة بالاشجار المتنوعة وعليها الاثمار مدلاة فوق اغصانها وجداول المياه تتجدول في ساحتها ولما امعنت النظر في صورة تلك الحديقة وجدتها طبق الحديقة الموجودين فيها · لا زيادة ولا نقصان · وقد رسم فيها ايضاً كل انواع الاشجار والازهار والاثمار والمياه المتجدولة بينها كله باتقان وصنعة عجيبة حتى يخال للرائي انه لا يمكن ان تكون قد خطت تلك الصورة يد بشرية لعظم ما بها من الاتقان ولما نظرت في الصفحة الثانية وجدت صورة من يا ترى وجدت صورة قمري الساطع وغزالي الشارد وجدت صورة مالكة فؤادي وغاية قصدي ومرادي وجدتها واقفة في تلك الروضة الغناء وعليها قميص ناعم يكاد لا يحسب جسما فوق جسدها البلوري وقد زينت عنقها وزندها ورأسها ورجليها بكل انواع الجواهر المختلفة الانواع حتى كانت تضيء فوقها كالكوكب الساطع وهي ما بين ابيض براق واحمر متلالي واخضر ياقوتي وازرق فيروزي متموج · ولم تكن هذه الصورة لتخفف من وطئة غرامي او تطفي من نار هيامي فاني عند ما رأيت صورتها على تلك الحالة

وشاهدت صفاء جسمها ونقاء بدنها هاج بي غرامي ولم اعد قادراً على امتلاك نفسي وعلى الخصوص عند مارفعت عيني لاقابل بين جمال تلك الصورة وبين جمالها فرأيت كانها قد خرجت من الكتاب بالحالة نفسها وتجسمت بصورة بشرية وصار لون الملابس التي عليها كما في الصورة فيالله ويالشجاعة من يقدر ان يثبت في مثل هكذا ميدان نعم لم اعد قادراً على الثبات فشعرت باضطراب ثم وقعت الى الارض غائباً عن الوجود

ولما انتهت بنت ملك الهند من سرد قصتها لبهرام شاه الى هذا الحد توقفت عن الكلام بعد ان قالت له ان الجارية ذات الثوب الاسود قالت لوالدتي ان سيدها الملك عند ماوصل في حكايته لها الى هذه النقطة شعر بانقباض صدر ثم أغمي عليه

الا ان بهرام شاه كان قد شغل فكره في هذه الحكاية فلما رأى زوجته توقفت عن الكلام تأفت نفسه بزيادة لاستماع نهاية القصة فضمها الى صدره وقبلها في خدها ونحرها وقال لها انها لحكايه عجيبة فارجوك ان تدومي على حديثك لاني مشغول الخاطر على ذاك الملك المسكين باكثر مما انا متعجب منها واريد ان اصل الى نهاية ما اتصل به

فلما سمعت بنت الملك رجاء زوجها عادت الى الحديث فقالت ان والدتي لما رأت من صاحبة الثوب الاسود الاسف والحزن على مالحق بسيدها رثت لحالها واخذت في ان تعزيها وتسليها حتى هدأ روعها فسألتها اتمام القصة فاجابت بعدان كفكفت دموعها ومسحت اعينها فقالت

ان سيدي الملك لما وصل في حكايته الى هذا الحد وقع الى الارض مغشياً عليه فأسرعت الى نجدته ورششت الماء على وجهه حتى فتح عينيه وعاد الى نفسه وجعل يبكي والدموع تسيل من عينيه كالامطار الغزيرة ولاريب ان الانسان الذي لاقى مثل ما لاقى الملك لايمكن ان يكون اكثر منه صبراً . واخذ في ان يقول ياربي اذ مارايته حلم أم سحر ماهذا

عفواً ياربي فاني بينما كنت انظر في صورة المحبوب الموجودة في ذاك الكتاب وانظر اليها نفسها ضاع صوابي رايت ان لافرق بينهما مطلقاً حتى بالملابس مع اني لما كنت اداعب وألاعب الفتاة كانت تلبس غير ملابس فكيف ان ذلك قلب

حالا طبقاً لحالة الصورة ٠٠٠٠ آه ياحبيبتي كم انت جميلة وبهية وكم جسمك لطيف اواه ٠ واحسرتاه ٠ ياليت روحي فارقت جسمي في ذاك الوقت ولا فارقت هذا الملاك العجيب الاطوار الغريب الأوصاف البديع المحاسن ٠ فاني لما رأتني الفتاة على تلك الحالة وقدغبت عن الصواب اسرعت الى مساعدتي وأخذت في ان ترش الماء على وجهي حتى عاد اليّ روعي على نوع ما لكن عادت النوبة باكثر من الاول عند ما فتحت عينيّ ورأيت ذاك البدر الساطع منعكفاً فوقي ٠ ولما اعياها أمري صاحت ببعض الجواري وامرتهن ان يحملنني الى الصيوان ويعتنين بي فرفعنني على السرير في صيوان آخر وأخذن بالاعتناء بي حتى اصبح الصباح دون جدوى ولا فائدة ٠ فاني بقيت غائباً عن الوجود وحيث لم يعد في وسعهم البقاء في تلك الجنة غبن عنها وبقيت انا على حالي حتى تنصف النهار وقد نمت نوماً عميقاً انتهى بي الى الراحة والانتباه ففتحت حينئذ عينيّ فرأيت نفسي بين تلك الاشجار الخضراء كسابق العادة

وبالحقيقة ان حالتي كانت تستحق الفرجة باكثر مما تستحق الرحمة ٠ ففي الاول نظرت الى ما حواليّ باضطراب كاني موجود في عالم جديد أو كمن خرجت من حالة قلق الى حالة سكينة وهدو وعاودتني القوة شيئاً فشيئاً فاطمئنيت على نوع ما وارتاح بالي لاسيما وقد رأيت الكتاب الى جانبي وفيه صورة قمري البديع فان ذاك الحسن والجمال والقد والكمال واللطف والدلال لم يغب عن عينيّ قط فكانت كانها موجودة امامي كما في الليل وعقب ذلك تساقط الدموع من عينيّ بغزارة ٠ وبعد ان بكيت نحواً من ساعتين أو ثلاث ساعات سكن جاشي ومسحت دموعي وانا أقول يا الهي أي نوع هذا اذا كانت رؤيا فها انا ارى بعينيّ كل شيء مستيقظاً وان كان سحراً فاني لا أرى علامة أو اشارة سحر ٠ فما ذلك يارب العالمين وما هو الخير والثواب الذي كنت فيه أولا حتى افرحتني بالامل بوصال من القيت حبها في قلبي وبعد ما هو الخطاء والجرم اللذين ارتكبتهما حتى احرمتني من صحبتها ومعاشرتها ٠ ومن بعد ان رددت هذه الافكار بنفسي طويلا وانا تارة احدث نفسي وطوراً احدث خالقي واخيراً احتدمت من الغضب والحدة وقلت اني عجزت وضاق د، الامر والظاهر لديّ اذ، لا اقدر على الوصول من وصال هذه الظالمة لانه أمر

ظاهر فهي تغشني ولم ترغب بي عن صفاء قلب حيث مر خمس ليال وهي تقول اليوم غداً ... أهل في الامكان الصبر على وصال مثل هكذا فتاة في عدم وصالها بلية كبرى ست ليال كلا لايمكن ان يصبر عن وصالها ليلة واحدة فاتعجب كيف صبرت ست ليال وانا بقربها ملتصق بها حاصل على كل ما يسر منها غير الوصل واحياناً كنت لا اصدق نفسي باني صبرت هذه المدة الطويلة

وكان مايزيد افتكاري ويقلقل حالي هو ما كنت أتعجب منه دائماً وهو لماذا كانت تشوقني وتهيج بي مكنونات الطبيعة حتى اذا بلغ بي الهيجان حده امتنعت عليّ وحذرتني وخوفتني ... فما السبب ياترى وعلى الخصوص فقد أعطتني الكتاب المحتوي على رسمها بهيئة غريبة فكان يزيد هيجاني ويضرم النار في فؤادي زيادة عما هي عليه ... وكنت أفتكر بأني أصبحت عديم التدبير أبحث عن وسيلة أنال بها المراد . فلم اهتد الى وسيلة مفيدة وقد لاح لي ان من العبث ان أتحمل أكثر مما احتملت ولا طريق للتوصل من الغاية الا بالرغم عليها واجبارها على الاصغاء الى طلبي اي اني عند اشتداد الوله والوجد وميل النفس لركوب الهول ان أرجوها وأتوسل اليها ان ترحمني وتشفق عليّ وتجيب طلبي بفك العقدة الصعبة الحائلة دون مرادي فاذا انعمت وأجابت تم الغرض والا هجمت عليها واقتنصتها قوة واقتداراً ... وما كاد يتقرر هذا الخاطر في ذهني حتى وجدت من غرامي زاجراً فصحت كلا . كلا . فما فتاتي ممن تعامل هذه المعاملة . فهذا غير ممكن . ان القلوب القاسية الصخرية لاتجسر على ان تمد يداً الى ذاك الجسم اللطيف بعد ان قيل فيه

خطرات النسيم تجرح خديـــه ولمس الحرير يدمي بنانه

حاشالي ان افعل ذلك او اقدم على ان اغيظها وافعل مايفعله البرابرة مع نسائهم او ماتفعله القبائل المتوحشة بنساء اعدائهم عند انتصارهم عليهم انما الامر الوحيد والقادر عليه هو ان أتوقع عليها واستعطفها واسألها الرحمة والرفق واصرف الجهد فلا بد من ان ترق وتلين وتجيب طلبي في النهاية وعلى الخصوص اذا رأتني مصراً على نيل وصالها ملازماً على الالتماس والرجا خاضعاً لارادتها متذللا بين يديها فلا بد لحالتي معها من نهاية ولا احرم في النهاية من حصولي على مرادي . وكنت وأنا على هذه الافكار اقف مرة واقعد اخرى وامشي مرة لا اعي على نفسي ولا

افرق بين السماء والارض ... اسأل الله ان لايبلي أحداً بمثل هكذا محبة ... والصحيح ان هذه ليست محبة بل محنة ... فكنت وانا افكر بالفتاة واشاهد صورتها اصل من حالة اليأس حتى ارى نفسي قربت من الموت. وعلى الخصوص عند ما اتصور الحالة التي اكون فيها بين يديها وأنا اضمها فتضمني واعانقها فتعانقني وتترك لي الحرية التامة ان اتصرف كيف شئت واسير على السهل أينما اردت ولكنها تمنعني عند عزمي على الدخول بين الجبلين

كنت ملكا عائشاً بالعظمة والمجد املك العالم واحكم في الناس ولاجل هوسي تركت المجد والعظمة وطفت الدنيا وتوغلت بالاتعاب والمصائب . ومع ذلك لم يخطر لي خاطر من هذا ولا فكرت بغير خيال محبوبتي ولا حلا لعيني غير صورتها وكنت اقول ياربي ماذا اعمل واذا بقيت كذلك فالى اي مصاب تنتهي بي الحال

ولبثت على هذه الحالة وأنا كالمجنون تارة ابكي واندب وطوراً اطرق متفكراً غائباً عن الصواب حتى اقبل المساء فجلست حزيناً تحت احدى الشجرات على الحالة التي انا فيها ابحث الساعة بعد الثانية عن الواسطة المفيدة لنيل وصال ذاك القمر البعيد المنال

﴿ حاشية ﴾

لاريب اننا نعـذر الملك اذا كان لم يقدر ان يثبت امام سلطان جمال معشوقته ومن المنتظر ذلك فلا قوة في الدنيا تعادل قوة الجمال ولا سلطان اعظم من سلطانه وقد اخبرني احد أصحابي عن حـدوث امر وقع له نسرده هنا بالاختصار قال . وجدت في محل فيه نحو من خمس او ست بنات وفيه كثير من الناس لاجل الفرجة والتسلي لان المحل المذكور من المحال العمومية وكان فيه رجل في سن الثمـانين او الخامسة والثمـانين اراد ان يحضر اليه ابهى واجمل البنات فأشار اليها بعينيه ان تدنو منه فنهضت الفتاة وتقدمت منه وجلست الى جانبه ولا اعلم اكان منها ذلك جبراً لخاطره او لامر آخر والحاصل ابتدأت بالمعاشرة والمصاحبة والمفاكهة. واما الرجل الشيخ فقد ظهرت عليه علائم السرور والنشاط وهو يتحبب منها ويتقرب اليها كأنه في ريعان الشباب ويزيد بالفرح والانبساط كلما رأى من الصبية التفاتاً وقـد احضر المشروبات الكثيرة وصرف مبلغاً غير قليل (وكنت أنا انظر اليهما بعين الاستطلاع متعجباً من هذه المناقضة) فمرّ عليهما نحو نصف ساعة وهما على تلك الحالة . ومن المؤكد

ان فتاة في سن الخامسة عشرة لايمكن ان تحب شيخاً في الخامسة والثمانين وتعطيه قلبها عن خلوص ووفاء ... ثم رأيت الفتاة قد نهضت واسرعت الى مكانها وجلست وعليها علائم الضجر ولا اعلم ان كان كلمها كلاماً مغيظاً او اغتاظت من شيء آخر ... واما الشيخ فكان يضطرب وتظهر عليه علائم الحزن والكآبة وقد حاول كثيراً ان يخفي امره عن الحضور ولكن عبثاً فقد لاحظ الجميع حركاته وحالته وهو يحاول ان يحول بنظره عن الفتاة ولكن عبثاً لانه كان يشير اليها بعينيه ويديه ورأسه دون انتباه ولما اعياه الامر أخذ الدمع في ان يتساقط من عينيه كالمطر وقد افتضح امره ولما رأى بقية البنات حالته شفقن عليه والزمن الفتاة محبوبته ان تعود اليه فعادت فانقلب من الحزن الى الفرح ومن الانكسار الى العظمة وعادا الى المداعبة والملاعبة والشيخ كأنه ملك الدنيا برمتها غير ملتفت الى احد وقد نسي نفسه انه محاط بالناس وان العيون تحدق به ... اما انا فكنت اتعجب من العشق وحالاته كيف يفعل بنفوس البشر حتى الشيوخ فان هذا الشيخ قد لعب به الغرام الى درجة جنونية وتجدد فيه الشباب والنشاط وغاب عنه الصبر والحياء فاذا كانت هذه حالة شيخ مسن مع فتاه من بنات الهوى فماذا ياترى تكون حالة الملك الشاب مع معشوقته آلهة الجمال والمحاسن فاننا نعذره على حالته وعلى مالاقاه من الهيام وقلة الصبر من نيل المرام . آه

وأما الملك فانه صرف ذلك النهار بالهم والغم . وقد قال وعند المساء عادت البنات على حسب العادة . ومن بعد ان زين الوسط بالمفروشات هيئن السرير ووقفن ينتظرن السيدة واذا بالمشاعل الاخر قد أقبلت وظهرت الملكة بكمال البهاء والوقار ولازالت تتقدم حتى دنت من السرير فارتفعت عليه وجلست فوقه . اما أنا فلم أقدر ان أحتمل لحظة واحدة ومع ذلك قلت في نفسي لا أذهب اليها الآن لارى ماذا تقول فاتيت وجلست في مكان قريب أقدر ان أسمع منه الكلام وأصخت آذاني للسمع ومن بعد ان جلست الصبية على السرير صاحت بالجارية التي كانت سلمتني اليها في الليلة الماضية وسألتها عني . فاجابتها الجارية بعدان دعت لها وأثنت عليها نعم ياسيدتي لقد أخذت الضيف وأتيت به الى الصيوان وصرفت غاية جهدي لانبساطه وسروره ولما لم أقدر ان أزيح عن صدره الكدر المتسلط عليه تكدرت أيضاً وعظم عليه

أمره ولا زلت في السعي بخدمته والاهتمام بانشراح صدره حتى الصباح وفي الصباح رششت الماء على وجهه ولا أعلم ماذا عملت وماذا أجريت اذ ذاك وبعد لما وضح النهار تركته وانفصلت عنه

ولما سمعت السيدة من الجارية هذا الكلام تغيرت أحوالها وجعلت توبخها وتعنفها قائلة لها ماالمعني لماذا تركته وحده ولماذا لم تبقى معه ٠ فاسرعي الآن وفتشي عليه وأين وجدته فادعيه اليّ

وأما أنا فقد شاهدت من المكان المختفي فيه حالة معشوقتي واضطرابها وسمعت ماقالته للجارية فقلت في نفسي انها ولا ريب تحبني فكاني الآن املك الدنيا وما فيها ٠ ولم يبق لي صبر على الاختفاء فنهضت في الحال وأتيت اليها ٠ فلما رأتني فرحت جداً واستقبلتني بالانس والبشر ٠ ثم ضمتني الى صدرها وقالت لي أي ضيفي العزيز ان شاء الله تكون غير متكدر ٠ صبراً لاتسلم نفسك لتيار الاحزان فقريباً تنال مرامك وتطفي نار غرامك وتقطف وردة حظك من روض وصالي ٠ ولما سمعت من قمري الساطع هذا الكلام وعلى الاخص قولها ٠٠٠ قريباً ٠٠٠ ظننت اني في تلك الليلة أنال مرامي واحظى بوصلها لكني عدت فاشتبهت وقلت في نفسي لوكانت تقصد هذه الليلة لما قالت قريباً بل قالت الآن فمن المحال ان يتضمن معنى كلامها هذه الليلة حتى لو كان في الليلة الآتية لما قالت قريباً بل قالت غداً ٠ وفيما انا افتكر في ذلك كانت جلست على السرير في موضعها وقادتني الى جانبها وتبسمت في وجهي بعد ان قبلتني مراراً في عيني وجبيني وقالت لي ياضيفي العزيز ماالذي عرض لك في هذه الليلة ٠ فاجبتها يالعجائب تعلمين بحالي وتتغاضين فانت أدرى بحالي مني لا بل أشد حباً مني فلماذا تتجلدين وتخفين عني مابقلبك ولماذا لاترحميني قبل ان تترحمي عليّ ولماذا لاترفقين باحوالي وتنتشليني من وهدة العذاب المحيق بي اما كفى اما فرغت جعبة وعدك ودلالك ٠ آه ياجوهرتي الثمينة ويابدري العديم المثال الى أي وقت أصبر والى متى اتحمل هلمي انصفيني ارحميني الطفي بي اكرمي بقربك اعيريني عنايتك واهتمامك ٠ فلما سمعت كلامي تبسمت تبسم الوقار واحدقت بوجهي احداق التشفق وقالت لي ٠ لايليق بك ان تكون عديم الصبر ٠ مامعنى هذا الكلام وانت ضيفي العزيز واعز من روحي ٠ فقلت لها اخرجي هذا من خاطرك فانا الآن

لست بضيفك ولا اريد ان اتركك وفي الوقت الذي اودعك فيه تودعني روحي واذهب عن الدنيا بالاسم والرسم · فارفعي من فيك لفظة ياضيفي العزيز فكفاني همي فلما سمعت الفتاة كلامي انبسطت فقالت اذا كان كذلك فلنلتفت الى ماهو أهم وأمرت فأحضر الطعام وكان طرز المائدة جديداً مثل كل ليلة وعند تناول الطعام على الطريقة المعتادة جلس البنات في أماكنهن وأخذت المطربة العود وغنت ذات الصوت الرخيم وطافت الساقية باقداح الشراب وقد أخذنا بالحظ والصفا وبدأنا باللعب والمزاح وأدركت مني محبوبتي مايخطر بفكري وما تقرر في خاطري من اني سأقتصها جبراً في تلك الليلة ولذلك أشارت الى البنات فجرن عليّ بالشراب ومن ثم سلمنني الى احداهن فاخذتني الى الصيوان لاجل الراحة · وأما أنا فحيث قد شربت كثيراً أصبحت في حالة سكر وضياع وانما بعد قليل من الوقت عاد عقلي الى رأسي لكن لم يبق في اليد حيلة · ومن بعد ذلك لم يبق عليّ الا ان اسكت واشير بعيني فقط

وقد صرفنا تلك الليلة على هذه الحال حتى الصباح وفي الصباح غاب البنات ولم يبق أحد في تلك الجهة سواي ولما كنت قد شربت كثيراً في تلك الليلة بقيت في حالة الخدر حتى نصف النهار ومن ثم نهضت وبدأت بالطوف في تلك الرياض فاكلت شيئاً من الفاكهة وشربت بعضاً من الماء وحينئذ عدت الى الافتكار قائلا في نفسي عجباً كيف ينتهي معي الحال وهل انال وصل الغزال واطفي ما بقلبي من نار الاشتعال · وقد صرفت النهار على مثل هذه الافكار حتى أقبل المساء · ولكن كيف يمر النهار والليل فقد اصبح ذلك معلوماً ··· وهو انه بناء على الخطة السابقة جاءت البنات وزين الوسط وجلسن ينتظرن مجيء سيدتهن حتى ظهرت من بعيد · وكانت حالتي معها حرية بالتعجب وكنت أقول في نفسي وانا قاطع الامل اني سابقى محروماً من وصالها وانا محقق انها تغشني وتلعب بعقلي فكيف اصبر لا اعلم مع انها اذا لم ترض لا اقدر ان امسها واجور عليها · وما لبثت ان وصلت تلك المعشوقة السموية · أهل بقي لي عقل ··· هيهات ··· هل عدت اجمع شيئاً من الحواس ··· حاشا ··· هل لبثت على قطع الامل ··· كلا ··· فمن غير اختيار رأيت نفسي مجبوراً لملاقاتها مساقاً بحبال حسنها وجمالها · فطرت اليها واستقبلتها وابديت لها واجب الدعاء والثناء بكمال التعظيم والتكريم فتبسمت في

وجهي وقالت لي ان شاء الله رجعت الى نفسك وعمدت الى التأني والصبر ٠٠٠ فقلت ٠ كلا ٠ كلا ياسالبتي ومضيعتي هل يمكن للانسان ان يرى وجهك البديع ويقدر على التحمل والصبر ٠ فقالت لا بأس اذا صرفنا أيضاً هذا الليل بالصفا والانس ثم جلسنا على السرير وتحضر مجلس الطرب وبدأنا بالمداعبة والحظ ٠ ولما كانت في تلك الليلة تتظاهر بانحراف الصحة فمن بعد مناولة الطعام واستماع شيئاً من الغناء والانغام قالت لي الك رغبة بالفرجة والتنزه ٠ قلت الامر اليك في ذلك ففي الحال امرت الجواري ان يفرشن المفروشات ويمددن البسط عند كنار عين من الماء الرائق الصافي وان يزين ارضها بالزين والزخارف ثم وضعت يدها بيدي وقادتني الى جهة تلك العين فطفناحولها مدة ثم جلسنا على السرير وكذلك جلست الجواري حول الماء بترتيب صفاً صفاً ٠٠ نعم ان هذه لذة العمر ٠٠٠ لكن ماالفائدة فانني كنت حزيناً لاافوه بكلمة غير قانع بالحظ والمداعبة والمعاشرة والشم والضم ولا تطمح نفسي الا الى شيء واحد ٠٠٠ والحاصل ان الملكة او بالحري السيدة في ذلك المقام نظرت في وجهي وعلمت ماانا عليه من الحزن والهم فاخذت في تسليتي وتفريحي والتزلف علي ثم نهضت ولفت يدها على يدي واخذنا بالتمشي في فسحات تلك الرياض وكانت تلك الليلة الثالثة والعشرين من القمر ولذلك صادف بزوغه في تلك الساعة فبسط باشعة نوره الضعيف على تلك الخمائل فانارها ولكنه لم يتمكن من انارة قلبي المسود المظلم مع ان لولم تكن افكاري موجهة الى غايتي التي كنت ارى كل شيء دونها عبثاً لعلمت مقدار ما انا عليه من السعادة وادركت ماهنالك من الحظ الوافر والمناظر البديعة فان نور القمر كان يتخلل أوراق الاشجار فتظهر من فوق الاثمار كانها اغطية فوق قموع من فضة وكان وجه الماء يتموج تموجات لطيفة بتلاعب النسيم يتنقل فوقها النور بخفة روحه وتتلاعب تحتها الاسماك المختلفة الالوان كانها تقوم بمناورات حربية والابدع من كل ذلك فان محبوبتي البديعة المتفننة كانت تبذل كل مافي وسعها لاجل غبطتي وسعادتي ولم تترك باباً لتفريحي وتسليتي فكنت اتظاهر بمسايرتها المرة بعد الثانية ثم اعود فانقبض مفتكراً بممانعتها ومطاولتها لي ٠ وأخيراً أخذت قطعاً من الخبز وقالت لي هلم فليرمي كل واحد منا قطعة في الماء لنرى اية قطعة يجتمع عليها السمك اكثر ٠ ففي الحال أخذت قطعة والقيتها في الماء اجابة

لامرها وانفاذاً لارادتها وما استقرت في الماء حتى اجتمع حولها السمك فرمت قطعة فاسرع السمك من قطعتي الى قطعتها ثم رميت انا قطعة لجاء جهتي وهكذا بقي السمك ياتي ويذهب وأخيراً القيت ثلاث قطعات فتزاحم حولها السمك فالقت هي قطعة فلم يذهب السمك اليها كالاول فابدت التعجب وسألتني عن السبب فقلت لها ان السمك يحسن الوفاء فقد الفني ووفاني الصحبة فلم يرض ان يتحول عني . فنظرت اليّ وتبسمت وقالت لي ستبدي لك الايام ما أنت جاهله

وبعد ان صرفنا مقدار ساعة على ماتقدم عدنا الى موضعنا وجلسنا على السرير ولم يمر عليّ يوم من الحظ والسرور كذلك اليوم لاننا عند ماطافت كؤس التهاني ودارت الراح بالاقداح لفتني الصبية بين ذراعيها وقالت لي كن طيب الخاطر والقلب فاني ابشرك بقرب نوال المراد قريباً فاذهب في هذه الليلة ونم قريراً مع احدى الجواري ومن تأنى نال ماتمنى

فاصبحت ممنوناً منها وقلت في نفسي ربما لم تعد قادرة على التحمل والصبر لكنها تريد ان تمتحني لتعلم ان كنت افكر باخذها جبراً او اصبر عليها ولاجل ذلك مسكت عليّ الطريق فمن الواجب ان اصبر واتحمل فوق طاقتي لاري النهاية فنهضت وسرت مع تلك الفتاة الى المحل المعهود واخذت معها بالمداعبة والملاعبة والتقبيل والعناق الى ان قرب وقت الصباح فنمنا سواء ونحن على مانحن عليه ولما كانت اللذة التي الاقيها كل ليلة من البنات ليست كاللذه مع البنات الادميات كنت اتعجب من ذلك واشغل افكاري قائلا في نفسي احياناً ياللعجائب السن من بني آدم واحياناً اقول كلا كلا لسن من بني آدم ولو كنّ من بني آدم لما كانت حالتي معهن على ماتقدم فاني عند مايطلع النهار لاعود اراهن فاصير لوحدي واطوف هذه الرياض برمتها لااري اثراً لانسان ثم يخطر لي انهن ربما يذهبن في الصباح الى بلد قريب من هناك لطوائف من الانس فيذهبن في الصباح ويأتين في المساء لاجل التسلية والفسحة . وكانت الافكار تتلاعب بي في كل ساعة على معنى جديد وقد خطر لي ان اتملق الجارية واسألها عن احوال معشوقتي ومن هي ولماذا تشوقني وترغبني ومن ثم تمانع وتدافع عن طلب الوصال وقد املت الحصول على جواب منها . ففي البداية عانقت الفتاة وأظهرت لها التحبب ومن بعد ان قبلتها في عنقها وخدها وعينيها قلت لها لي اليك سؤال ياروحي العزيزة فهل تجيبيني عليه

بصدق فقالت لي تفضل فاسأل ما انت سائلي فاني اجيبك الى حد ما انا مأمورة ان اجيبك به واما مامنعت عنه فلا اقدر على التلفظ به . ففهمت انا أيضاً ما هو محظور على الجارية التلفظ به وعرفت انها لاتقدر ان تتكلم الحقيقة فقلت لها اني لم اعد ارغب في سؤالك قط لاني على يقين من عدم جوابك لي كما اريد فقالت لي انت تعلم فلا تسأل

والحاصل قد صرفنا الليلة على هذا الحال وفي السحر ايقظتني الجارية وذهبت بي الى الصيوان المعد للاستحمام ومن بعد ان اغتسلت البستني البسة نفيسة وارجعتني الى الصيوان وذهبت لتغتسل ومع اني قصدت ان لا انام بعد الاستحمام لكن النوم قوي عليّ فنمت برهة ثم استيقظت فرأيت البنات قد ذهبن وبقيت لوحدى في تلك الرياض فنهضت واتيت حتى رأس عين الماء فغسلت وجهي ويديّ وقد تذكرت لعب السمك مع ملاكي الفردوسي عند رأس الماء في الليلة الماضية وكنت أقول في نفسي أواه ياليتنا نبقى متحدين مع بعضنا ليلا ونهاراً على مثل ما كنا في الليلة الماضية أواه ياربي ماهذه الحالة وكيف هذا العمل وجعلت افتكر متحيراً من اعمال الله سبحانه وتعالى . ومن ثم نهضت عن الماء وأخذت في ان اتمشى بين الاشجار حتى اقبل الليل فلبثت منتظراً عودة روحي الى جسمي . وحينئذ كسابق العادة ظهرت غيمة بيضاء في أول الطريق وأخذت في ان تتقدم وتنتشر حتى لاحت المشاعل وبانت البنات كأنهن زهر النبات ولما توسطن المكان أخذن بالبسط والمد والفرش ثم نصبن في وسط الاسرة سرير محبوبتي البديعة ووقفن ينتظرن قدومها . ولم يكن الا القليل حتى اقبلت محتاطة بجواريها تمايل كأنها قضيب بان هزه ريح الصبا وبين ايديها المشاعل تضيء كأنها الكواكب في افق السماء ودامت تتقدم بالدلال والتيه الى ان اقتربت من السرير وجلست فوقه . وكنت لا أزال عند الماء افتكر بما هو أهم من كل أمر لديّ الا وهو الحصول على المأمول أي نيل وصال محبوبتي واطفاء نار لوعتي . ولكن لما حضرت البنات واصبح كل شيء حاضراً فارقت الماء وتقدمت بكمال الفرح والنشاط حتى دنوت منها . فلما رأتني صفقت من السرور ونهضت اليّ وقبضت عليّ من يدي واجلستني الى جانبها ثم سألتني عن حالي وبالي فقلت لها الا تعلمين بي ياسيدتي ومالكتي فلماذا تتغافلين عني فتبسمت

وقالت لي ان شاء الله يزول همك وتنال غايتك فاجبتها أي متى وكيف ارفع الهم أأنال المرام بعد مفارقة الروح وشرب كاس الحمام فلا زلت تقولين لي حتى تدنو الفرصة حتى نغتنم الفرصة ايوجد فرصة أحسن من هذه فهيا بنا

لاقول للعذال موتوا حسرة   هذا الحبيب وها انا المتمتع

ثم تقولين لي ان لم تصبر تندم أهل بعد اتمام العمل واطفاء لوعة الوجد بزلال الوصل من ندم أو حسرة

اذا العشق اضنى القلب ليس له دوا   سوى الوصل من ليلى وليس من السوى

فانت المقصود من عشقي وبك قلبي قد ابتلى وبغير وصلك لا اجد لي دوا فاذا منعت الدواء طالت العلة وقادتني الى الفنا فهل من ندم على زوال العنا ونوال المنا . فعندما سمعت الصبية كلامي قالت اني اعلم مالا تعلمه ولذلك أقول لك لاتعجل فتندم واني لا امنع عنك الدواء عند ما يكون به الشفاء واما الان فاعرف ان هذا الدواء لاينجع في علتك بل يزيد بلواك ويكثر اوجاعك ومتى آن وقت الوصال دعوتك اليه بغير مطال الا تعلم ذلك . قلت كلا ياروحي الساكنة بين ضلوعي لا اعلم الا انك تكثرين من الوعود وتطيلين في عذابي حتى تبلغ الروح التراق فتبسمت وضمتني وقبلتني وقالت جرب الصبر ترى حلاوته

ثم بعد المعاتبة والمداعبة نهضنا الى صفرة الطعام وأخذنا بمناولته وباقي الجواري يطفن من حولنا كالهالة حول القمر يخدمننا ويقدمن لنا الطعام . ومن بعد ان تناولنا الطعام نهضنا فغسلنا ايدينا وعدنا ثانية للجلوس على السرير وعاودنا المداعبة والملاعبة . ثم خطر للصبية ما لقيته من المسرة على الماء في الليلة الماضية فامرت ان تنار العين بالانوار وتفرش حولها المفروشات فباسرع من لمح البصر تهيأ كل شيءٔ فاتينا الماء وجلسنا على حافة العين وابتدأنا بملاعبة الاسماك غير ان عقلي وفكري كانا عند معشوقتي اراقب حركاتها واحدق في وجهها وانتظر منها اشارة تبشرني بزوال العنا ولما تنصف الليل دعت جارية فسلمتني لها فذهبت معها ونمت الى اليوم الثاني فذهبت البنات واصبحت وحيداً فريداً فاخذت في التمشي والانتقال كسابق عادتي وقد صرفت على هذا الوجه ٣٧ ليلة لاقيت فيها من الهناء اعظمه ومن العناء اشده وقد اضحت حالتي معلومة فلا لزوم للاعادة . . . وقد قلت

في نفسي لقد قطع الامل من وصال محبوبتي ومن اللازم ان أخذها جبراً وغصباً لان التضرع والالتماس لم يجدياني نفعاً فاذا يجري اذا جربت اقتناصها بالرغم عليها

ولما كانت الليلة الثامنة والثلاثين جاءت على حسب عادتها وجلست على سريرها وانا الى جانبها ومن بعد المعاشرة وتناول الاطعمة النفيسة ضربت الآلات وغنت المغنيات وشربنا الخمور ودارت برأسنا مفاعيلها وكانت الصبية قد ادركت من سروري الغير المعتاد ان قصدي غير حميد فعمدت الى الحيلة وقالت لي هلمّ لنصرف هذه الليلة في الحديقة ثم أمرت بتعليق المصابيح فوق الاشجار وفرش المفروشات تحتها وعينت بان يجلس تحت كل شجرة خمس منهن ويبدين لي تلك الليلة كل طرق التسلي والانبساط فاجبن أمرها ونهض بعضهن حاملات آلات الطرب وبعضهن اقداح المدام وبعضهن اهتممن باتقان المقام . وقد نصبن في وسط الحديقة سرير سيدتهن فوضعت يدها بيدي واتينا السرير فجلسنا عليه وطافت من حولنا الجواري كالهالة كاننا في رأس الملك نأمر وننهي بما نريد فاخذت افكر في نفسي عن هذه الحال وأقول عجباً هل حان الوقت ثم بعد التفكر والتأمل اردت التقرب منها واجبارها على ما اريد ففتحت فاها وخاطبتني . ماشاء الله فلله درك من عاشق قادر على الصبر والثاني لقد قرب وقت احتضاني فاذا كنت تصبر يوماً فانا من نفسي ادعوك لنوال المراد وبلوغ المرام كي لا تبقى حسرة في قلبك فلا تخف من ضياع الوقت . . . فقلت نعم أخاف . فكم من مرة غششت حتى صرت لا اصدقها بكلمة في هذا المعنى ولكني عند النظر في وجهها لم اعد اتمالك نفسي فتاه عقلي وغاب عقلي ولم اعد ادرك أمراً

وحاصل الامر قد صرفنا تلك الليلة على البسط والانشراح فما رجوتها والا التمست اليها السماح بالوصال ولا جبرتها عليه . وبعد ان صرفنا الليلة الثامنة والثلاثين على الف نوع من أنواع التسلي والحظ وأصبحت في اليوم التالي وحيداً فريداً شعرت من نفسي بعدم الصبر في الدرجة الاخيرة فلم أعد قادراً ان أتصبر ولم يبق لي طاقة على التحمل فقررت في نفسي ووطدت العزم ان لا أتوقف في هذه الليلة عن أخذها جبراً ثم اني لا أرى نفسي جسوراً الى حد ان أرغمها على التسليم معي بما أريد منها لكن ما العمل وقد بلغ السيل الزبى فيلزم لي شجاعة فوق العادة لاباشر

مثل هكذا أمر نعم سأتخذ هذه الشجاعة وأترك كل حياء وخجل وخوف . والا لو صبرت عليها وهي تعدني وتقول لي ليلة غدا ليلة غدا تمر الايام والسنون وأنا أتقلب على جمر التحرق والهوى وقد ثبت لدي ان هذه الصبية لاتؤخذ الا جبراً وهي ربما كانت لاتسلم لي الا بهذه الطريقة ولا تلين وتجيب الامتي رأت مني الاصرار والحدة وقوة العزم شأن كثيرات من النساء مثالها فهن في بادئ الامر تظاهراً بالتعفف ثم يجبن عند الارغام والحدة وفي عقولهن ان الرجال يقنعن انهن سلمن اليهم جبراً لاطوعاً وعلى هذا الوجه قطعت وحتمت ووطدت العزم ونويت كل النية بأن لا أصبر على وصلها تلك الليلة مهما جرى فاما أموت واما أعيش

ولما اقبل المساء ورد البنات أيضاً وبسطن المفروشات واحضرن السرير ووقفن بانتظار مولاتهن ولم يمر على ذلك دقائق قليلة حتى ظهرت من بعيد ظهور البدر من وراء حجاب الظلام فأخذ قلبي في ان يدق واعضائي ان ترتجف عند اول لحظة بانت فيها وكانت تتقدم متمايلة تمايل الغصن فوق الكثيب وكلما دنت مني كلما زادت نوراً واشراقاً حتى وصلت من سريرها فجلست عليه اما انا فقد صممت ونويت كل النية على الثبات على عزيمتي فاما ان اضحي حياتي في تلك الليلة أو اني احتضنها وأنال منيتي وبغيتي منها وكذلك قد عزمت ان لا اكثر من شرب المدام ولا من اكل الطعام كي لا اسكر واغيب عن الهدى كالعادة وتطلب نفسي المنام بل ابقى منتبهاً لنفسي ساهراً على انفاذ مرامي فلا اغش ولا اقاد كالطفل الصغير

ولما دخلت على مجلس البنات نهضن اليّ كالعادة ولاقينني باحتفاء واحتفال وبعد ان جلست الى جانب الصبية بدأت بمداعبتي وملاعبتي وانا أرتجف واضطرب من تأثير اصراري على انفاذ افكاري . ثم احضر الطعام فأكلت ما سددت به رمقي وبعد ان رفع الطعام احضرت سفرة المدام وعليها من كل فاكهة زوجان واخذ البعض من البنات آلات الطرب فهذه حملت عوداً وتلك طنبوراً وهاتيك شغلت بربط الاوتار واخذن بالغناء والضرب على الآلات واما انا فبقيت مصراً على اتمام ما عزمت عليه أردد في نفسي ما تقدم بيانه اي كنت اقول بروحي واما بالوصال

اذا كنتم تبغون روحي بوصلكم خذوها فان هذا بذاك قليل

وعلى هذه الحال تعانقنا وبعد ان اكثرت من تقبيلها في خديها وعينيها وفمها

ومسست شفتيها اخذت بالرجاء والالتماس وفتحت باب الطلب وانا امر بيدي على جسمها الناعم الطري فيزيد بي الهيام والميل الوحشي فسحبتها اليّ وقلت لها آه يامليكتي ومالكتي ولم يبق لي احتمال ولا صبر ولا عدت أرى فائدة في حياتي فاسعديني بوصلك وارحميني تكسبي اجري فماذا يضر عليك لوقلت لي هلمّ فاقض غرضك واشف مرضك ونل مشتهاك . فلما سمعت كلامي تبسمت وقالت لي انت محق ياحبيبي لكن اقول لك الصحيح وابشرك ان مرامك ينتهي عند ما تكمل الاربعين ليلة فهذه الليلة هي التاسعة والثلاثون ولم يبق عليك الا ان تصبر هذه الليلة فقط وفي الليلة الآتية ستنال غرضك قطعاً وبدون شك

فماذا ياترى هل اصدق وعدها وقد سمعت مثل هذا الكلام كثيراً فصبرت ولذلك قلت لها كلا لايمكن فانك ايضاً تقصدين غشي وخداعي ففي هذه الليلة اريد قضاء حاجتي ولا اصبر قط فاما ان احصل عليها واما ان ابيع حياتي وأضحي ذاتي فزاد تبسمها وانعطفت عليّ وقالت لي اصبر هذه الليلة فقط فاني اعاهدك صدقاً ولا اخلف ففي غدا تنال مرامك وتطفي جمر هيامك فالصبر لك افضل فالمال مالك وليس لسواك وصول اليه فلا تضيع مالك ولاتسرف فيه فتندم فاشرب المدام وكل الطعام واطرب وافرح وقبلني ماشئت وضمني ما قدرت وافعل كل مايحلو لك غير الوصل فالى غد وما هي الا ليلة فتنقضى فقلت لها كلا كلا لايمكن فهل بعد مرور مقدار ماسمعت منك من كثرة الوعود والعهود اصدق ولاسيما هذه الكلمة (ستندم) فقد سمعتها كثيراً فما عدت اخدع ثانية عبثاً تمانعين وتدافعين لان هذه الليلة هي الاخيرة فالذي ينظر هذا الوجه البديع ويشاهد هذا الجمال الباهر لايصبر عليه لحظة واحدة ولا يقعد دقيقة واحدة عن المخاطرة بالحياة في سبيل نوال المراد فكيف صبرت ثمان وثلاثين ليلة مع ان تشويقك وترغيبك ودلك وغنجك تزيد فيّ الرغبة والتهالك في طلب الوصال انك تدفعين الى ظمآن ملتهب الفؤاد مثلي ماء زلالا وتقولين صبراً لاتشرب أأصغي بعد الى مواعيدك أأتخلى عن فتاة بديعة مثلك وهي في قبضة يدي فاذا كنت آدمية فأنا آدمي فاذا كنت جنية فأنا ايضاً عاشق مجنون سكن فؤادي عفريت غرامك وهواك ولهذا تريني واقع عليك مصر على نوال المراد لا انفك عنه ولا اتركه ولا اصبر دقيقة بعد ولا أرجع الا فائزاً منصوراً فهلمّ

ارحميني انصفيني فقد بلغ الصبر حده ومن جهة ثانية أراك تقولين لي لا تقس لا تتكدر فأنا مالك وفي يدك لكن هل اغفل عن حكم القدر فاذا انفصلت عني وغبت ولم اعد اراك فماذا يجري فيّ وماذا يصيبني مع اني لا اقدر ان أغيب عنك لحظة ولا اريد ان تبعدي عني دقيقة والآن لم اعد ارى ان الحياة لازمة لي فاذا كنت لا انال مرامي في هذه الليلة فمطلقاً اصير مجنوناً . فلما سمعت الفتاة كلامي ورأت أصراري اخذت بملاطفتي ومجابرتي وقالت لي انك مصيب ومحق وان المملوكة ملزومة بالطاعة لمالكها فها أنا حاضرة مستعدة لانفاذ امرك وقضاء غرضك انما عليك ان تصبر هذه الليلة فقط لان من الصعب ان تنال مرادك في هذه الليلة فاذا شممت من شجر السنديان رائحة العود والعنبر فاعلم ان غرضك قضى وانك نائل وصالي وفي اليوم الذي ترى فيه ان القمر وقع في حضن الشمس اعلم اني اقع في حضنك تلك الليلة فتفض الختام وتزيل الغشاء التام ولم يبق لذلك الا ليلة واحدة فاصبر فهلم الآن وكن قانعاً بالبوس والعناق والضم والشم والا اضعتني فتندم ولا يعود ثم ينفعك الندم

فلما سمعت كلام محبوبتي تفكرت قليلا وأردت الانسحاب غير ان الشوق والرغبة وسوء الحظ حملني على العناد فقلت لها كلا ان الصبر مستحيل علي فاني نائل غرضي منك هذه الليلة قبلت أو لم تقبلي لاني سمعت منك كثيراً مثل هذا الكلام ثم عمدت الى الرجاء والالتماس فرميت حالي بين يديها وقلت الرحمة ياملاكي الشفقة يامعبودي فاني في حاجة الى رضاك وقولك ان حياتي معلقة في ذلك ولا أرى الهناء الا بالوصال فجودي به ولا تمنعيني عنه فاني لا أقدر ان اعيش بعد بدونه فقد أصبحت كالسمك المخرج من الماء تتردد فيه النسمة الاخيرة من الحياة فاذا اعيد الى الماء عاش واذا ترك لحظة أخرى فقد الحركة فها انا في الدرجة الاخيرة من الحياة فاذا قلت لي اصبر ساعة لا اضمن نفسي الى ساعة ولهذا أرى نفسي نائلا وصلك أو مائتاً والسلام فعليك اما ان تسمحي لي بنيل وصلك فأهدم الابراج وانال المراد واسعد أو انك تقطعين جسدي بيديك قطعاً قطعاً فقد سامحتك بحياتي وهدرت لك دمي بشرط ان لا تقولي لي اصبر ساعة فمن في الدنيا من الانس والجن يراك ويرى منك هذا الترغيب والتشويق ويشاهد بديع جمالك الفتان ويسمع رقة لفظك المسكر ويضم عادل خصرك النحيف ويشم نكهة خديك الموردين ويلف عنقك اليقق

ويقبل فسيح صدرك الابيض ويلمس اعكان بطنك الناعم ثم يقف عند هذا الحد ويصبر عن نوال المراد ويرضى بالوعد والتأجيل

ولما رأتني في هذه الحالة وانا أتكلم واضطرب وقد اشتدبي الحال وهجت كما تهيج فحول الجمال احمر وجهها من الخجل حتى اصبح كالورد الجوري وبعد ثوان قليلة عادت فتبسمت وقالت لي ياحبيبي وضيفي العزيز اصغ لي هذه المرة فقط ولا تلج فتندم ولا تمهلني زيادة عن هذه الليلة مطلقاً ولا تصبر اكثر من ليلة واحدة وفي الغد لاتعد تسمع لي قولا ولا وعداً اني اعاهدك واصدقك الكلام ولا اكذب قط وقد جربت سابقاً فجرب هذه الليلة فقط ففي مساء الغد افعل ما أنت فاعل ولا تعد تسمع كلمة الى الغد واذا رأيتني امتنعت عليك أو حاولت التأجيل والتأخير فاعمد الى الجبر والاكراه واعاهدك اني لا الومك على فعلك والحاحك انما اكراماً لخاطري دع هذه الليلة تمر واجب رجائي والتماسي فكن صاحب مروءة وتلطف واعذر وكيف يصعب عليك الصبر وقد صبرت ثماني وثلاثين ليلة فاصبر هذه الليلة فقط وفي ليلة أمس تتم الاربعون ليلة ويتم صبرك فتنال غرضك وتقضي مرادك ثم لاتعود تنفصل عني طول العمر ولا انفصل عنك فيما بعد ثم انعطفت علي وقبلتني ولفت زنودها على عنقي واكثرت من تقبيلي وأمرت جواريها ان تناولني المدام .

فلما سمعت منها ذلك كدت انقاد اليها واجيب طلبها واصبر ليلة ثانية الا ان شيطان الطمع اغراني فعدت الى سابق اصراري وقلت كلا . كلا كل هذا تمليق وتغرير واني على يقين انك لافي الغد ولا الذي بعده تجيبين طلبي ولا بد انك بعد ان رأيت مني الاصرار والالحاح على اقتناصك جبراً اذ لم يمكن طوعا تنوين التملص مني الآن وفي الغد لاتعودين الي ولا تريني وجهك فيما بعد آه ياحياتي ونعمتي اني ارى فيك السعادة والحياة فها انت في حوزتي ولم يكن بيني وبين نيل مرادي الا مد يدي فكيف اصبر الى الغد ان الغد بعيد علي جداً فلا تطمعين بالمحال ولا تتوهمين اني أرجع عن عزمي أو أصبر ساعة أو بالحري نصف ساعة هيا اسرعي اسرعي فقد ضاق بي وجدي وعيل صبري هيا هيا فالوصل لابد منه الآن وهذا آخر الكلام وقد سددت آذاني عن سماع جوابك واعذاراتك فلا عدت تجيبين الا بالرضى والقبول

وحينئذ وقعت الفتاة بالحيرة والاضطراب بعد ان رأت ان رجاءها والتماسها وتذللها ذهبت سدى وسمعت مني مالم تكن تظنه فيّ بعد ذاك الصبر الطويل ومع ذلك فقد قالت بعد ان تنهدت وأخذ الدمع يرقرق في عينيها انك الآن لاتريد ان تعدل عن فكرك اليس كذلك ولا ترغب بان تكبح جواد شهوتك فتقبل رجائي والتماسي وتذللي بين يديك وقد رجوتك كثيراً وأرجوك أخيراً حباً بك وبصالحك ان تصبر هذه الليلة فقط . فلم أصغ لها ولا وعبت كلامها وكنت متيقناً ان ممانعتها ومدافعتها هذه لاجل التخاص مني في تلك الليلة ثم لاتعود اليّ فابقى بحسرة وصالها عمري بطوله وربما أجن أو أموت ولذلك قلت لها نعم لا أصبر ولا أعدل عن فكري مطلقاً فان لم تقبلي طوعاً فكرهاً ولا يمكن ان تتخلصي مني هذه الليلة ومهما جرى يجرى

ثم قبضت على خصرها وسحبتها وعاودت الكرة والححت عليها بوجوب قبولها والسماح بوصلها الذي لابد منه . ففهمت الصبية ان لافائدة بارجاعي فظهر على وجهها علامات اليأس والقنوط وتدحرج من عينيها على خديها بعض نقاط من الدموع وقالت لي مادمت لاتنفك عن طلبك ولا ترجع عن اصرارك ولا تريدان تصبر ليلة واحدة فها أنا بين يديك فقط در بوجهك الى الوراء دقيقة بينما أستعد لك ثم أفعل ما أنت فاعل وسترى عاقبة الحاحك .

فلما سمعت منها هذه البشارة كدت ان أطير من الفرح وقد ظننت ان الدنيا لم تعد تسعني فدرت بوجهي في الحال لتسرع بتدبير نفسها فانال وصلها ولو قبل بدقيقة ولم يمر عليّ الا دقائق قليلة حتى قالت لي هلمّ در بوجهك اليّ ونل غرضك واشف مرضك فدرت بوجهي وأنا في أرفع فرح وأعظم مسرة ولكن ماذا رأيت (الله لايري أحداً) رأيت نفسي في الخرابة التي أحضرني اليها الجزار جالساً في الصندوق الذي رفعت فيه كما تبين في بداية القصة وقد التصقت يداي الاثنتان في أطراف الصندوق والظلام قد غطى الخرابة ولم أعد أسمع لاصوتاً ولا حركة . ولبثت مدة في عالم الوهلة ولما انتبهت من غفلتي حدقت فيما حولي متحيراً لاتأكد أين أنا وهل أنا في يقظة أو في منام واذا بي أرى شخصاً يتقدم اليّ تحت جنح الظلام ولماوقف بي تبينته واذا هو الجزار وما كدت أتأكده حتى غبت عن الوجود ووقعت مغمياً عليّ . فاهتم الجزار باخراجي من الصندوق ثم جعل يرش الماء على

وجهي حتى انتبهت ولما سمعت صوته عدت فأغمي عليّ وهو يهتم بي وبقيت اغمي وافيق عدة مرات وأخيراً فتحت عينيّ وجلست ثم وقفت وأخذت في ان ابكي على غير اختيار مني وبعد ان مرّ عليّ نحو من ثلاث ساعات تقريباً وانا في حالة يرثى لها أخذ الجزار في ان يسليني ويعزيني وقد قال لي ارفق بنفسك ياسيدي الملك لو كنت اخبرتك عن الحالة التي رأيتها ولو بينت لك بالتفصيل حالة كل ماشاهدته ورأيته ولمسته واقسمت لك الف يمين لما كنت صدقتني ولو كنت انت تحكي هذه القصة لاحد هل يصدقك كلا ولذلك قصدت ان ارسلك الى هناك كي ترى بعينيك وتلمس بيدك وتسمع باذنك فتتأكد هذا البلاء الذي وقع علينا كلنا فالبسنا السواد والان لم يبق قط من فائدة فقد مضى مامضى ولم يبق في اليد حيلة فقط عليك ان لا تخبر احداً بذلك فاكتم امرك واصبر على ما بليت به فلك اسوة بنا

فلما سمعت كلام الجزار شعرت كأن الدنيا قد سقطت على رأسي فاحمرت عيناي حتى لم اعد ارى بهما مالديّ فعمدت الى الايقاع بنفسي فمنعني الجزار وقبض على يدي واذ ذاك تساقط الدمع من عيني كالامطار وما زلت اذرف الدموع حتى شعرت ببعض الراحة وعاد اليّ عقلي كل هذا والقصاب يهتم بي وقد قال لي اخيراً ارفق بنفسك ياسيدي فافكر ان مامرّ عليك كان في الحلم لا في اليقظة فما انت باحسن من أهالي هذه المدينة فالصبر والاتكال على الله أفضل الاشياء فما الذي رأيته بكاف ليغير من اعتقادك بالله وايمانك به فاعمد الى طلب الصبر منه ترى العزاء والسلوى واذ ذاك افتكرت بالله فعدت الى الصبر متكلا عليه تعالى لكن خطر لي ان أساوي أهل المدينة فالبس السواد وأصرف باقي عمري في الحداد على ما أصابني ومافقدته فوجدت ان الجزار قد هيأ لي الثياب السود فأحضرها معه فافرغها عليّ وقادني بيدي تحت ذلك الظلام حتى دخلت بيته فجلسنا دون ان افوه بكلمة وانا غارق في بحر من الافتكار أقول في نفسي كنت اين وماذا رأيت واين الصبية حبيبتي وجواريها وكيف خسرت ذاك النعيم وتلك السعادة لسبب الحاحي وتعديّ على سلطان الجمال واصراري على جبرها واغتصابها دون حق مع اني ضيفها وربما كانت صادقة في قولها انها في ليلة الاربعين تسمح لي بدوام السعادة فجعلت اعض على اصابعي ندماً لكوني لم اسمع منها وقد نبهتني وحذرتني وقالت لي انك ستندم

حيث لا ينفع الندم وفيما انا على ذلك رفع الجزار يده وقال لي ياسيدي الملك ان الندم على مافات من أشد الحسرات والبكاء والنواح من مجلبات الاتراح والانين والتنهد مما يزيد المصاب ويعظم العذاب وقد اصبح من المستحيل ان ترى وجه تلك الصبية التي فقدتها وقد مرّ علينا باكثر مما مرّ عليك من الحزن والاسف فبعضنا مات وبعضنا جنّ والباقي كما ترى وما من واحد لقي نتيجة وذلك كله من ايدينا لان ما من واحد قدر ان يصبر اربعين ليلة على نوال غرضه فحمله الالحاح والاصرار على الانفصال بالرغم عليه عن الهة الجمال التي كنت عندها وقد جرّب الكثير الرجوع ثانية فعادوا الى الصندوق ونزلوا فيه فلم يتحرك ولا انتقل من مكانه وناموا فيه ليال وسنين دون فائدة وقد كسروه ليربحوا الناس منه فبعد ان يكسروه وينشروا قطعه في الفضاء يرونه في مكانه كما هو ولما اعيتهم الحيل صغروا وصار كل واحد يندب حظه بنفسه ومن العجائب ان ما من واحد مهما نوى واصر على الصبر اربعين ليلة لا يقدر لاكثر من الليلة التاسعة والثلاثين . وانا كنت احسب الليالي على ذهابك من عندي فلما وصلت الى الليلة التاسعة والثلاثين تاكدت رجوعك فسرت اليك لاتي بك الى هنا واخفف عنك بعض العذاب خوفاً على حياتك وعقلك لعلمي انك ملك عظيم وان الرجوع الى ملكك خير لك من التحسر والتأوه فقد سلمك الله عباده لتحكم فيهم وتعدل بينهم وتصرف باقي حياتك عليهم ولذلك انت في حاجة الى الحكمة والدراية والتأني والصبر بعد ان علمت ما علمت من سرّ ما مضى وما شاهدت وثبت لديك ان لا امل بالرجوع الى ما كنت فاتكل على الله ولا تفكر بتلك الحوادث التي مرّت عليك كالرؤيا وافتكر بنعمة الله فيهون عليك الامر ويسهل المصاب

فتعزيت على نوع ما من كلام الجزار وملت بافكاري الى الله ورعيتي وخطرت على بالي مملكتي وبلادي فصرفت باقي ليلتي عنده وفي الصباح ودعته وخرجت من بيته فبعت كل امتعتي وما لدي حتى خف عليّ الرحيل وخرجت من المدينة حزيناً مايوساً اقول أواه ياليتني لم ات الى هذه المدينة ولم اشاهد ماشدت فماذا ياترى كان يضر عليّ لو كنت صبرت ليلة اخرى ولا خسرت ذاك النعيم كل هذا كنت افكر به وانا في الطريق وقد صممت على ترك الملذات والافراح ونويت ان اصرف باقي

عمري بعيداً عن كل حظ ومسرة منعكفاً على عمل الخير والاحسان وبعد ايام دخلت عاصمة مملكتي . ومنذ ذلك اليوم حتى اليوم وانا بعيد عن كل مسرة وحظ كما ترينني فهذا هو السبب في حزني ولبسي السواد كان لهذا السبب

ثم قالت الجارية لوالدتي انه ما انتهى الملك من كلامه الى هذا الحد حتى تأوه وتنهد وصاح من الالم ووقع الى الارض مغمياً عليه فاضطربت وتأثرت لمصابه تأثيراً عظيما ولذلك لم اعد قادرة ان اتمالك نفسي فوقعت فوقه غايبة عن الوجود ولم افق الا والخدم والجواري حولي يرشون الماء على وجهي فلما تمالكت نفسي لم ار الملك ثم سمعت اصوات البكاء والعويل فنهضت مذعورة وسرت بضع خطوات وسألت من الجواري اين الملك ولماهذا العويل فقلن لي ان الملك قضى نحبه فما طرق اذني هذه الكلمة حتى عدت الى الاغماء ثانية ولبثت على ذلك عدة ساعات ثم حضر اليّ بعض الوزراء فسألوني كيف قضى الملك مع انه كان بالامس بصحته جيدة فقلت لهم كنت واياه على خلوة ونحن في حديث ومشاغلة فطلبت اليه ان يخبرني عن السبب الذي اوجب لبسه السواد وتركه الحظ والفرح فلما سمع كلامي أخذ في ان يبكي ويذرف الدموع السخية ودون ان يفوه بكلمة صاح صيحة عظيمة ووقع الى الارض مغشياً عليه فارتعدت وتأثرت ورميت نفسي فوقه دون وعي ولا ادراك ولم اقف الا والبكاء والنواح قائم في القصر فصدقوا كلامي وقد امتلأ القصر من رجال الدولة واعيان المدينة وكلهم ينوحون على الملك ويندبونه ثم واروه التراب . اما انا فمن حيث اني قد تاثرت كثيراً على الملك وعلى ما اصابه في القصة التي رواهالي وقد رأيت نفسي بعد الملك مهملة متروكة زهدت في الدنيا وسكانها فلبست السواد وعاهدت نفسي ان لا انزعه طول عمري وقد مرّت عليّ السنون وتغيرت الاحوال وتقلبت عليّ حوادث كثيرة وانا كما ترين . فهذا سبب لبسي السواد وقد اخبرتك به . وما انتهت من حديثها حتى تحسرت وتنهدت ووقعت الى الارض مغشياً عليها

واما والدتي فانها عندما سمعت من الجارية هذه القصة تاثرت منها كثيراً واذرفت دموعها على خديها لما لحق بها من الشفقة عليها ثم مالت اليها وأمرت باحضار الماء والروائح الزكية فصبتها على وجهها ولكن دون جدوى لان الفتاة

كانت قد قضت نحبها ولحقت بمولاها الملك · فزاد لذلك غم والدتي وعظم عليها الامر وفي الحال أمرت بدفنها على الاعزاز والاكرام فدفنت

ولما وصلت بنت ملك الهند من حكايتها الى هذا الحد سكتت واما بهرام شاه فقد تاثر عظيما من هذه الحكاية وغاص بالافكار مظهراً غاية التعجب مما سمع واذ ذاك اطلقت فصيح لسانها بالدعاء للملك وقالت له · اجل ياحبيبي وفخري فاني سمعت هذه الحكاية من أمي وان بعد ان دفنت تلك الجارية ذات الثوب الاسود كان حظ امي ان لبست هي الاسود وهي تتعجب كلما خطرت هذه الحكاية على بالها وتتأثر منها وصارت لها شغلا شاغلا ولم تعد قادرة ان ترفعها من خاطرها ولاجل ذلك اختارت جاريتكم لبس الاسود لابقى متذكرة هذه الحكاية فلا انساها مع ان اللون الاسود مقبول ومرغوب وهو اليق من غيره مع انه مبارك وذو قيمة · وقد يقولون ان ماء الحياة في داخل الظلمات وان الاسود على الابيض من ابدع التزينات الم يكن انسان العين اسود وهو افضل مافي الانسان وكذلك الليل اسود ولسبب سواده يرتاح الانسان تحته من الاتعاب ويكون امينا من الهموم مشغلا بالحظ والفرح والمداعبات والملاعبات مع حريمه اللاتى وجدن لبسطه وانسه

ولما انتهت بنت ملك الهندمن حديثها كان الليل قد أقبل فقالت له وهاك ياسيدي أثبت لك ماقلته وأقدم لك دليلا واضحاً فالليل قد أقبل وجاء زمن الانبساط والانشراح · فسر بهرام شاه لكلامهاوضمها اليه فقبلها في عينيها وأمر باحضارموائد الصفا لانه قد سرّ منها سروراً لامزيد عليهوقد عدمجيئه للقصر الاسودفالخير بناء على البرهان الذي سمعه من زوجته فحمله على ان تزيد محبتها في قلبه وتتضاعف وقد أخذ معها بالدخول في باب الحظ والانبساط · ولما جاء وقت الطعام تهيئت صفرة عليها من كل أنواع الطعام الفاخر الزكي فجلس عليها الاثنان وبعد مناولة الطعام دخلا الى غرفة خاصة كانت مزينة بجميع أشكال الزينة فرأهامناسبةللراحة وصرف السهرة فيها علىمايرغبوبعد ان أقام فيها مع زوجته على المداعبة واللعب والعناق والتقبيل جاء وقت النوم فدخلا السرير بكمال السرور والنشاط فصرفا عليه ساعتين لا الذ ولا اشهى منهما على قلب العاشق الولهان ثم خضعا لحكم سلطان النوم فناما حتى الصباح · وفي الصباح نهضت الفتاة قبل بهرام شاه فهيئت

معدات الحمام وعادت فوقفت عند رأسه حتى استيقظ فرآها تنتظره فمد يده وسحبها اليه ثانية وعانقها ورفعها الى السرير وداعبها ولاعبها ريثما هدأ شوقه وسكن بلباله ثم دخلا الحمام واغتسلا وهما على مما هما عليه من الانبساط والانشراح وكانت قد سألته بعد ان يخرج من عندها الي أي قصر يريد ان يذهب فقال لها الى قصر هماي بنت ملك الروم ولذلك أحضرت له ثوباً ملوكياً أصفر اللون فافرغته عليه بيدها وهي ترشه بالروائح العطرية وتقبله وتضمه . وقد تعجب بهرام من عملها ومن تهيئتها الثوب الاصفر موافقة لضرتها التي سيذهب اليها فسألها قائلا لايمكن للمرأتين المتزوجتين برجل واحد ان تحب احداهما الاخرى او تميل اليها فلماذا هيأت لي الثياب التي البسها عند ضرتك المزمع ان أبات عندها في الليلة الآتية فأجابته بعد ان دعت له بدوام العز وطول البقاء اعلم ياسيدي ومحبوبي لقد تكلمت بالحق وأتيت بما عليه أكثر العالم لكن العاقل من النساء والرجال لايترك مجالا لايجاد القال والقيل ولا يأتي سبباً يكون وراءه الهم والغم والنزاع ولا يفكر لحظة واحدة بالمشكلات والمجادلات العديمة الفائدة فلو فرضنا الآن اذا اهتم الانسان بالمحال أو صرف أيامه بالهم والكدر أيجد من ذلك فائدة فهل لو كنت أصر الآن وارجوك قائلة اكراماً لي ولاجل خاطري اترك نساءك الستة واصرف ايامك عندي أيمكن لك ان تتركهن وانت ما انت عليه من العقل والحكمة والانصاف والميل الى المساواة بين الرعية فكم بالحري بين أهل بيتك وحريمك . فأجابها بهرام شاه لقد احسنت لان لو سألتني هجر غيرك والبقاء معك لجلبت لي الهم والكدر دون فائدة وربما نفر قلبي منك غير انك حملتني على الامتنان منك بالمحافظة على راحتي وهنائي وعدم تكدير صافي حياتي بالقال والتشكي ولا أرى بداً من مكافأتك بترفيع مكانك في فؤادي لان الزوجة العاقلة هي التي لاترى الا في راحة زوجها وبعد الاضرار والاكدار عنه والاهتمام بكل مايرضيه ويسره وبذلك تستعبده وتعيش معه العمر مكرمة سعيدة . ثم ان بهرام بعد ان خرج من الحمام وارتاح قليلا وشرب ما كان قد تهيأله من الشرابات اللوزية وماء الورد الممزوج بالسكر قام لوداع تورين فقبلها وقبلته وسارت برفقته حتى منتهى السلم وهناك أعاد التوديع ثانية ثم ركب وسار بالعز والاجلال لابساً الثياب الصفراء

بهرام شاه في قصر هماي

ولما ودع بهرام شاه بنت ملك الهند صاحبة القصر الاسود كما تقدم وخرج من عندها في صباح يوم الاحد سار محفوفاً بالخدم والحشم قاصداً القصر الاصفر حيث تقيم السيدة هماي بنت ملك الروم فلما قرب من القصر ترجل عن جواده ودخل فاستقبلته السيدة هماي بالاجلال والترحيب وهي لابسة أيضاً الثياب الصفراء وقامت لديه بالثناء والدعاء وقبلت اذياله فأخذها من يدها ودخل بها الى الحديقة وكان في وسط الحديقة بركة من الماء مزينة بالنقوش ومحاطة بالكراسي والاسرة الذهبية الصفراء فجلس واياها على سرير واحد مفروش بالحرير والاطالس الصفراء وبدأ بالانبساط والانشراح واللعب والمزاح وقام بين يديهما الجواري والخدم يتلقون الاوامر ويتسابقون الى مايطلبه مولاهم ومولاتهم وبعد ان استقر ببهرام شاه الجلوس ورأى نفسه بغاية البسط والانشراح وفي يده والى جانبه زوجته هماي وهي من ابدع خلق الله فتاة قام فصل لله وشكره على نعمه وكرمه حيث ملكه ملكا واسعاً وأوصل الى يده سبع بنات من بنات أعظم ملوك العالم واجمل فتيات الدنيا ثم عاد فجلس واذ ذاك قامت بنت ملك الروم فوقفت بين يديه ودعت له بالبقاء وطول العمر وسألته اذا كان يتنازل ويسمح لها بان تحكي له حكاية من حكايات الزمان العجيبة ويمن عليها بالاصغاء الى كلامها. فسر لذلك وأبان لها رغبته فيه فأعادت الثناء والدعاء وجلست في مكانها الى جانبه وأخذت في الكلام فقالت

الحكاية الثانية

كان في بلاد العراق ملك حكيم عاقل عادل منصف شاب لايتجاوز الثلاثين من العمر وكان على جانب عظيم من العلوم والمعارف أي انه كان قد درس كل فن من فنون الآداب حتى حساب النجوم والافلاك ونحوها من بابهما ففي ذات يوم رأي في طالع نفسه وما يكون له من نحوس الزمان وسعوده فتبين له انه فضلا عن انه لايكون له حظ من النساء فقد رأى أيضاً انه سيناله ضرر بسببهن ولذلك تكدر في نفسه وصمم على انه يصرف العمر دون زواج فيبقى بكراً الى ان يقضى الله عليه ولم يعد يريد ان يسمع باسم النساء وبناء على ذلك صرف مدة طويلة لايخطر

بفكره جنس النساء قط الى ان غلب عليه حكم القضاء وأخذت افكاره في ان تتغير شيئاً فشيئاً ونفسه تطلب معاشرة الغادات ومبارزة ذوات القدود ومناهدة ذوات النهود فقال ذات يوم في نفسه لو بقيت انا بكراً ولم اتزوج واقرب من النساء فمن المقرر لا اترك وريثاً للسلطنة فالاحسن ان لا استمر على البكارة ولكن ما الوسيلة والهم كل الهم في وجه النساء . وكان كلما انفرد في خلوة تلاعبت به هذه الافكار وحمله تيار الافكار على تسهيل المصاعب واحتقار المتاعب مع التوغل في الحزن والملل متشكياً من طالعه وحظه الذي كتب له مع النساء حيث ان كثيراً من الناس من يكون له حظ وافر ونجم زاهر في سماء القلوب اللطيفة فيصادف مشتهاه ويلاقي فوق ما يتمناه دون تعب ولا مشقة مع انه ربما كان غير جميل ولا اديب وبالعكس فان كثيراً من الناس من كتب عليه عدم التوفيق في معاشرة الجنس الرقيق فلا يكون مقبولا محبوباً مع انه يكون جميلا اديباً وما ذلك الا بحكم الاقدار فضلا عن ان الكثير من الرجال تكون همومهم ومصائبهم وبلاويهم ناتجة عن حبهم للنساء وميلهم لهن وتعلقهم بهن

وما لبثت هذه الافكار موضوع اهتمام الملك تقوى من يوم الى يوم وتنمو من ساعة الى ساعة صارفاً الوقت بالهم والافتكار وفي آخر الامر قال من الموافق ان اجرب طالعي دون ان امتزج بالنساء امتزاجاً حبياً واختلط بهن اختلاطاً ابدياً وعلى ما ارى ان من كان مثلي سلطاناً عظيما وملكا قوياً لاتجسر النساء على الحاق الضرر به أو اذيته بل بالعكس يكون مبجلا معظما مكرماً محترماً مغبطاً منعما فمن المناسب ان أرى طالعي دون الامتزاج بهن والوقوع تحت طائلة حبهن حتى اذا تبينت الضرر في وجوههن انسحبت وتركتهن ولما قر رأيه على ما تقدم احضر اليه وزيره الاول ومستشاره واطلعه على ما تقرر في ذهنه وما نوى عليه فاستحسن الوزير هذا الامر ووافقه عليه وقال له ان ما أراه مناسباً ومستحسناً ان تاخذ لك عدة من النساء فاذا كن كما تحب ابقيتهن واذا وجدت فيهن من لا توافقك أخرجها وابدلها بغيرها حتى ترى انهن قد اصبحن على حسب مشتهاك

فوافق الملك على ذلك واشترى نحو عشر جواري ووضعهن في قصر مخصوص كان قد أمر بتهيئته واعداده لهن وفي خلده انه يعيش معهن على المسرة والحظ

ولما كان يعلم ان للعجائز من النساء الدهاء والفطانة عين عجوزاً شمطاء داهية دهماء لكي تراقب الجوار وتفحصهن وترى من منهن تليق ومن لاتليق وتكون مديراً عليهن وسيداً فوقهن (ومن المقرر ان حال العجائز معلوم) ... وان قلنا ان حال العجائز معلوم فاننا لانقصد الكل منهن بل اكثرهن . والنتيجة ان تلك العجوز أمرت بتربية وتعليم الجوارى مع انها كانت الى حد اسبوع تكتشف حالة الجارية وتستخرج من رأسها خبايا مزاياها . وذلك انها عند ما كانت تقرب الجارية الى الملك كانت تعظمها وتفخمها وتدعوها باسم ملكة وتبين لها انها اصبحت زوجة الملك المقدمة فتصدق تلك المسكينة وتقول في نفسها مادمت انا الملكة وحرم الملك الخاص فلماذا اتملق باقي الجواري واساويهن في المقام والعمل فتأخذ في ان تنهي وتأمر وفي مدة اسبوع تخرج كل مافي جعبتها فتكدر هذه وتوبخ تلك وتشتم هاتيك الى غير ذلك من شروط الامرة والعظمة فلما تراها العجوز على هذه الاطوار تقول في نفسها اي خائنة خبيثة ان تركتك على غيك أوصلت لي اذاك والحقت بي شرك وربما تسببت في طردي من بيت الملك فتأخذ في ان تعاندها وتلومها على عملها مع الجواري فتقابلها بالاهانه وتقول لها ماشأنك ودخلك في مالايعنيك فأنا أدرى بحالي وبعملي فتذهب العجوز الى الملك شاكية باكية نائحة وتخبره بسوء أخلاق الفتاة ومعاملتها اياها بالقوة والعنف وانها غير موافقة له . فيغضب على الجارية ويقول للعجوز معاذ الله ان أرضى بغضبك أو اقبل باهانتك فالجارية التي لاترضيك ولا تسير بطاعتك ولا ترين فيها السكينة والحكمة والتعقل والكمال لاتبقيها في القصر لاني لهذه الغاية أتيت بك . ومنذ تلك الساعة ينفر الملك من الجارية ولا يعود يقبل أن يراها . فتقدم له العجوز غيرها وتدخل معها طرق الخداع والدسيسة وعدم التكليف مدة يومين أو ثلاثة والملك يقربها ويدنيها منه ويبين لها حبه وخلوصه ويقدمها حتى ترى في نفسها انها صارت صاحبة المقام والملك واذ ذاك تغير العجوز مشربها ومعاملتها للفتاة فيصيبها ما أصاب غيرها وهكذا حتى طردوا

انتهى الجزء الثالث من قصة بهرام شاه

ويليه الجزء الرابع

الجزء الرابع

﴿ من قصة بهرام شاه ابن ازدشير شاه ﴾

كل الجواري اللاتي آتوا بهن أولا ثم يأمر الملك بمشترى غيرهن كل ذلك والملك لا يعلم خيانة العجوز ودهاءها ومكرها وانها هي المسببة لطرد الجواري بمعاملتها الظالمة وان لو كان في الجواري دهاء ومكر لادركن دسائس العجوز وقابلنها بالمثل وحاربنها بسلاح المكر وتلقين هجومها بمجن الخداع والحيل بل كن جميعهن على البساطة لا يعرفن النميمة ولا يسعين بضرر تلك التي تضع في طرقهن العقبات وتحفر لهن الحفائر لترميهن على أم رأسهن

والحاصل بناء على أمر الملك ذهب الوزير الى السوق فاشترى غيرهن وجاء بهن الى الملك وفي مدة شهرين اصابهن ما أصاب غيرهن مع انهن كن يقمن بالواجب اللائق ويبذلن جل مافي وسعهن لرضائه وخدمته ومع ذلك لا يصادفن منه الا نفوراً وجفاء ومن اين يطيب لهن او للملك الزمان والعجوز ام الخبائث والدسائس قائمة لهن بالمرصاد لا تترك للملك مجالا للتمكن من مقابلتهن بالمثل ولا تدعه يرضى عن واحدة لاكثر من يومين او ثلاثة ايام او اسبوع على الكثير ريثما يكون قد نال منها غرضه ومن المؤكد ان الملك في هذه المدة القصيرة يكون مهتما بنوال مراده وقطف زهرة غرضه فحالما يأتي الوقت الذي يفكر الملك بان يعلق نفسه بالفتاة تأتيه العجوز بغيرها وتبين له انها اوفق واصلح من تلك وانها ذات حسن باهر وجمال زاهر وانها لا تزال بكراً عذراء فيميل اليها حتى صار ذلك عادة فيه فاكثر من مشترى الجواري وامر بالبحث عن كل فتاة جميلة بديعة في كل انحاء مملكته حتى شاع امره بين الرعية واشتهر ذكره بحب النساء وسموه بدلال النساء ...

وقد مر عليه مدة على هذه الحال وصارت ترد عليه تجار الجواري من سائر الجهات طمعاً بالارباح والمكاسب الى ان كان ذات يوم وهو جالس في قصره دخل عليه كبير الدلالين فوقف بين يديه واكثر من الدعاء والثناء ثم قال له لا يخفى على مولاي انه حضر في هذا اليوم نخاس من الصين يصحب معه عدة من الجواري كانهن

الاقمار وبينهن جارية لاأظن يوجد مثلها في جميع الامصار لا اقدر انا ولا غيري ان يصفها حق الوصف وليس النظر كالعيان فاذا شئت فاصدر امرك باحضار التاجر المذكور ودعه يأتيك بالجواري اللاتي معه

فلما سمع الملك هذا الكلام فرح غاية الفرح وامر في الحال بعض حواشيه ان يذهب مع الدلال ويأتيه بالتاجر ويأمره بان يستصحب معه البنات ليختار مايحلو له منهن فسار ولم يكن الا القليل حتى عاد مصحوباً بالتاجر وبعدة جوار صينيات وغير صينيات ولما مثلن بين يدي الملك نظر اليهن ورأى فيهن من الحسن ما أعجبه لكنه لم يقدر ان يعرف الفتاة التي أشار اليها الدلال لانهن كن بالحسن متقاربات ولذلك سأل الدلال ان يدله على التي وصفها فقال أطال الله بعمر سيدي الملك ان الجارية التي رأيتها واعرضت لعظمتك عنها هي ليست هنا فلم يحضرها مع البنات فزاد عجب الملك وسأل التاجر هل لايزال عندك غير هذه الجواري وأين الفتاة التي يشير اليها الدلال فأجاب بعد الدعاء نعم ياسيد البلاد وولي نعمة العباد لايزال موجوداً عندي جارية من احسن الجواري لا اظن لها ثان بين بنات حواء لكن لما كنت اعلم ان بها صفة لاترضى سيدي الملك لم احضرها مع بقية الجواري لتأكدي انها لاتليق بعظمتكم خوفاً من ان يهيج عليها غضبكم او تكون سبباً لتكدير خاطركم . فزاد تعجب الملك من التاجر وقال له ماهي الخصلة الرديئة التي توجب تهييج غضبي قال أطال الله بعمر سيدي الملك ان لهذه الفتاة مدة سنتين عندي وقد بعتها ست مرات والذي يأخذها في المساء يعيدها اليّ في اليوم الثاني أو الثالث وذلك لانها تكره في الرجال ولا تحب مايحبه غيرها من النساء فلا تمكن أحداً منها ولو قطعوا رأسها مع انها كاملة الاوصاف باهرة الجمال زاهرة الخصال فصيحة اللسان خفيفة الروح لذيذة المعاشرة يسر منها جليسها ويشمل بخمر حديثها سامعها ولولا هذه العلة لكانت اليق فتاة بمعالي عظمتك

فلما سمع الملك هذا الكلام زادبه العجب والرغبة الى مرأى الجارية فأمر التاجر باحضار الفتاة بالسرعة فرجع التاجر الى مكانه وعاد منه بالجارية فقدمها للملك

فلما رأى الملك حسنها وجمالها وشاهد رقتها ودلالها مال اليها قلبه كل الميل واصبح في الحال مغرماً بها ولهاناً واكتوى قلبه بنار الحب وقد اعجبته كثيراً وعلى الخصوص

بعد ان سألها بعض أسألة أجابت عليها برقةوأدب وحكمةغريبة وقدتعجب من سعة علمها واطلاعها وقد افتكر بنفسه قائلا انا آخذهذه الجارية فلعها ترضى مني وتمكني منها فأتلذذ بمعاشرتها ووصالها ثم افهم منها ماهو السبب الذي حملها على كره الجماع فلا تمكن أحداً منها اذ لابد لذلك من سبب وفي الحال اشتراها من التاجر ونقده الثمن وارسلها الى قصر الحرم ٠ ولما كان المساء دخل الملك الحرم فرأى ان الفتاة قد أحضرت كل اسباب الحظ وهيئات معدات الملك فوق مايحب وزينت غرفة جلوسه ورتبتها ترتيباً موافقاً ووقفت في خدمته فسر من ذلك غاية السرور وزادت محبتها في قلبه اضعاف الاضعاف ٠ وبعد ان استقر في مكانه دعاها اليه وأمرها بالجلوس فأبت وقالت له ليس ذلك من حدي أيليق بي وأنا جارية حقيرة خلقت للخدمة ان اجاس في حضرة سيدي ومولاي الملك العظيم صاحب القدر والشان والملك والسلطان ٠ فأطرق الملك لهذا الكلام ولم يفه ببنت شفه وقدقال في سره فلندعها بضعة أيام وبعده نرى كيف تصير ٠ ومن ثم تبسم لها وعاد مشغولا عنها وقد دعا العجوز فأخذتها لتعتني بها وتهتم بشأنها ولما رأت ان الملك يرغب فيها ويهتم بها ويميل اليها انفطرت مرارتها وقالت لانفع في حياتي اذا كنت اترك الملك على هواه ٠ وفي اليوم الثاني خرج الملك الى دارالاحكام كسابق عادته فأرادت العجوز ان تمتحن الفتاة فأخذت في ذم السلطان وشتمه امامها ففي الحال احمرت وجناتها وهاج غضبها واخذت تلتهب كانون من نار ودنت من العجوز فلطمتها على وجهها عدة لطمات وقالت لها الا تختشين مني وتراعين جانبي ياخائنة وناكرة الجميل فانك تأكلين خير الملك وترتعين في نعمه وتشتمينه دون حياء وخجل هل ان ذلك منك عن قلة وفاء أو انك تجربينني وتقصدين الضرر بي ٠ ثم اعادت الضرب عليها وطردتها خارج الغرفة واوصدت الباب من خلفها ٠ فعظم الامر على العجوز وكبر عليها المصاب كيف انها تعاملها بالشتم والضرب بخلاف بقية الجواري التي كن يخفن منها ولا يتطاولن عليها وقد اقامها الملك عليهن مراقبة ٠ ولكنها صبرت حتى المساء فدخل الملك دار الحريم فاسرعت الجارية في الحال لاستقباله من بعيد وقبلت ذيله داعية له بكمال الاعتبار والاحترام فاخذها الملك من يدها وقبلها في وجهها وسار بها الى الغرفة المخصصة لجلوسه وجلس في مكانه ووقفت الفتاة بين

يديه منتظرة خدمة أو امراً فطلب اليها ان تجلس فابت وامتنعت وابدت لديه معذرة لطيفة مقبولة فسكت وقد اشتد به الحب المقرون بالاعتبار والوقار حتى أصبح كالمخجول ان يطلب اليها ان تجلس بالرغم عليها وان يمد يده اليها ليلاعبها ويداعبها وينال غرضاً منها بل بقى جالساً ينظر في جمالها ويتأمل في معنى كمالها وهي واقفة بين يديه تنتظر أمره بما يريد من الخدم وفيما هما على ذلك دخلت العجوز بغتة والقت بنفسها على اقدام الملك . فلما رآها على هذه الحالة تعجب وعلى الخصوص لما رآها تكثر من البكاء والنحيب فسألها عما أوجب لها ذلك فزادت في التشكي والانين وقالت له أيليق بمقامك العالي ان خادمتك الامينة على اغراضك وعلى صالحك التي ربتك وأنت صغير وكانت لك في مقام الام الحنون تهان وتضرب ويحجر عليها من الجارية التي أتيت بها أمس وهي مجهولة النسب لا أصل لها ولا حسب

فتأثر الملك من كلام العجوز كسابق عادته وعلى الخصوص من كثرة شكواها وأنينها واحتيالها وتلونها في التذلل والخضوع ونظر الى وجه الصبية فرآها لم تتأثر ولا تغيرت قط وقد احمرت وعبق وجهها وبان عليها انها لولا الحياء منه لكانت هجمت عليها وضربتها في الحال . وبعد ان أمعن النظر فيها وتفكر في حالتها ورأى ان خداها قد توردتا من الغضب بلون الجلنار وسال العرق فوقهما كنقاط من اللؤلؤ يزيدهما بهاء وجمالا أصبح في حالة العدم وكاد يغيب عنه صوابه ثم افتكر في هذه المحاكمة الواقعة بين يديه فقال في نفسه نعم من العبث والعار ان تضرب أمينة الملك في بيته وعلي الخصوص اذا كانت مربيته وفي مقام أمه . ولكن هل يتصور العقل ان فتاة كاملة الاوصاف بديعة المعاني تتعدى عليها وتضربها بلا ذنب ولا سبب عظيم فلا بد انها تطاولت عليها أو شتمتها وأهانتها ولذلك استحقت الضرب نعم ليس فقط مربيتي أو أمي بل لو كانت اهانتني نفسي لما عاملتها بالقسوة والعنف . وكان يفكر بمثل هذه الافكار وهو محدق بالفتاة وأنوار جمالها تتدفق من ينابيع المحاسن التي خصها الله بها وميزها بأدابها وكمالها عن سواها وحينئذ رفع الملك رأسه وقال للعجوز اني على يقين انها ماضربتك الا لتعديك عليها واطالة لسانك انك امامي وفي حضرتي تتقصدين اهانتها واغضابها بقولك عنها لا أصل لها ولا حسب فهذا الكلام وحده كاف لمجازاتك وقصاصك ألا تعلمين ان شرف الملك يشرف كل من في

حوزته فيجعلهم ذات أصل وحسب ويرفعهم عن باقي رعيته خصوصاً حرمه الخاص فانت ليس فقط تقصدين تحقير الفتاة بل تحقيري أيضاً

ثم أمر في الحال باحضاركم جارية من الجواري السود وقال لهن اليكن هذه العجوز الشمطاء فاحبسنها في غرفة مخصوصة وليقم على حراستها أربع منكن ولا تدعنها تخرج خارج الغرفة الا لقضاء حاجة ضرورية واذا بلغني انها ملكت حريتها ساعة واحدة أو كلمت أحداً أوخرجت بلا داع موجب اعدمتكن الحياة فأطاع الجواري الامر وسحبن العجوز وفعلن بها كما أمر الملك وشددن عليها كل التشديد لانها كانت تعذب الجميع . وأما الفتاة فانها لما رأت ان الملك جازى العجوز من نفسه دون ان يسألها عن السبب بل قرأ ذلك في وجهها طاب خاطرها وانصرف عنها الغيظ ورأى الملك منها ذلك فسر وقال في نفسه لابد ان معاملتي هذه ترضيها فتلين وتخضع فأتلذذ بوصالها وأتمتع بجمالها واتغلب على عنادها كل هذا والفتاة قائمة بين يديه تخدمه وتجتهد في انفاذ أوامره حتى انقضى الوقت فانصرفت الى سريرها ونامت الى الصباح

ومضى على الملك خمسة او ستة ايام صابراً متأنياً لايفاتحها بأمر حتى اشتد به الوجد وهاج الغرام ولم يعد في امكانه الصبر والاحتمال . ففي ذات ليلة أمرها بالجلوس فأبت فأكثر من الالحاح والتشديد . ولما رأت ان لامندوحة من الجلوس وان عدم جلوسها ربما يغيظ الملك ويكون عناداً لاصراره وأمره جلست وهي تقول كيف العمل (الامر فوق الادب) وحالما رأى الملك ان الفتاة قد أطاعت امره وجلست كاد يطير من المسرة والفرح وقد استدل من ذلك ان الامر قد هان وانها اصبحت راضية بتسليم نفسها اليه فقربها منه وأخذ في ملاعبتها ومداعبتها ويقول في نفسه انه ربما تكون نفرتها ليس من كل الذكور بل من اناس عرفتهم اواشتروها ولم يرضوها وعلى الخصوص ان الفتاة لم تمانع في مد عنقها اليه ليقبلها والقاء نفسها عليه ليضمها ولا فترت عن التبسم والدعاء ولا ابدت ممانعة او مخالفة لامر الملك ودام الحال على هذا المنوال حتى انقضى الليل وطلب اليها الملك ان تصحبه الى السرير فأبت واعتذرت وابانت له عدم رغبتها في ذلك واستمالته بالفاظ رقيقة شهية اقتنع لها الملك ورضي بها وسمح لها بالذهاب لغرفتها وفي قلبه غصة

تكاد تذهب بصوابه وهو لايعرف كيف يتصرف معها فانها متسلطة على عقله وقلبه تسحره بكلامها وتأسره برقة حديثها وسحر بيانها حتى يتغلب على هواه ويقهر نفسه عن طلب مشتهاها ولا يقوى على اجبار الفتاة ومخالفتها

وفي الصباح نهض من سريره فوجدها بانتظاره لاداء واجب الخدمة فضمها اليه وقبلها ومن ثم خرج من القصر الى عمله وعاد في المساء وقلبه يطير امامه فوجدها بانتظاره فلاقته بالتأهب والترحيب ومشت في خدمته الى مكان جلوسه وهي على الخدمة والادب وبعد ان خدمته بنفسها الخدمة اللازمة أمرها فجلست بقربه ومدت له عنقها فقبلها ومرت عليه هذه الليلة كالليلة الماضية وكذلك الليلة التالية حتى مر عدة ليال وهو مكتف منها بالضم والعناق والتقبيل فقط كل هذا والعجوز محبوسة تحت تضييق الجواري والعبيد وقد سلكت كل طرق الحيل والخداع والمكر والتذلل للخلاص فلم تنجح ولا أمكن الافراج عنها بل بقيت الصبية مصرة على التشديد عليها خائفة من شرها ومكرها أهلكها الله واهلك كل عجوز محتالة مكارة وأهلك كل من لايقول امين ... (امين والف امين)

ومرت عدة ايام والملك على حاله مع الصبية وقد رفع الخجل والحياء من بينهما وصارا على حرية تامة بين بعضهما البعض ولم يكن ممنوعاً بينهما الا الوصال مع انها جارية الملك وهو مالك لها متسلط عليها وله القدرة على الذي ترغبه والذي لا ترغبه فاذا رضيت كانت تفعل ماهو واجب عليها واذا امتنعت ففي وسعه اعدامها او بيعها اوحبسها لكن بالنظر لدلالها ورقة معانيها وعذوبة الفاظها وترفع أدابها وبيض خصالها اصبح الملك اسيراً يسير بارادتها كالريشة في مهب الريح ولا يفعل الا ماتقوله وانها وان كانت لاتقول له شيئاً بصفة الامر بل بالالتماس والرجاء لكنه كان يرى في كل كلمة من كلامها الغرض الواجب عليه ويرى نفسه مسروراً عند ما كان يفعل ماتقول اوما تريد ويحسب نفسه سعيداً وكان في كل هذه المدة يبحث في داخله عن الوسيلة التي يقدر بها ان يتمكن منها وينال غرضه دون ان يكدرها او يخالف ارادتها والاهم من ذلك كان يحب ان يعرف السبب الذي اوجبها لكره الرجال . ففي ذات ليلة بينما كانا على الحظ والانشراح والمداعبة والملاعبة والبوس والعناق قال لها الملك . اي محبوبتي الحسناء ومالكة قلبي وفؤادي لو كنت اتخذتك جارية لي كغيرك لكنت

براحة تامة وكنت خففت عن نفسي الالام والعذاب ومنعت عن عيني ثقلة أسكاب الدموع دماء كل هذا وأنا اخفي امري وأتجالد وأتصبر واتحمل عذاب غرامك حتى طفح الكيل ولم أعد قادراً على الصبر . والآن اريد أسألك سؤالا واحداً وأؤمل منك ان تصدقيني الجواب وتطلعيني على الحقيقة لان في الحقيقة السلامة ولابد انك تعلمين قصة سليمان عليه السلام وماذا كان من نتيجة الصدق وعدم المين والتلاعب وقد اشفى الله ابنه

فلما سمعت الجارية كلام الملك تقدمت منه وقبلت ذيله بكمال الحشمة والادب ودعت له بدوام العز ورفعة الملك والسلطان ثم قالت له ان جاريتكم يامولاي بانتظار امركم في كل آن وزمان وليس من حدي وانا جارية لعظمتكم وخادمة امينة مطيعة لاشارتكم ان اتكلم فى حضرتكم غير الصدق والصحيح وتراني ياسيدي ومالك رقي مستعدة لان اجيبكم على ماتأمرونني به بكل صدق وامانة لكني اجسر انا الحقيرة المشرفة بالتفاتكم وعنايتكم ان تكرموا عليّ رقة وكرماً بقصة سليمان الحكيم لاني اجهلها فسر الملك من كلام الجارية سروراً عظيما وفي الحال قبض عليها من يدها وادناها منه فقبلها في عينيها ثم اجلسها الى جانبه وقال لها هاك قصة سليمان عليه السلام فاسمعيها

﴿حكاية سليمان عليه السلام﴾

كان سليمان نبي الله ذات يوم جالساً مع زوجته بلقيس وامامهما ولد ولد لهما يداه ورجلاه ملتصقة ببعضها البعض وكل منهما ينظر اليه آسفاً على حالته منفطر الفؤاد لاجله تسيل الدموع من عينيه حزناً وكدراً على تلك الخلقة التي خلقه الله بها وبعد مرور ساعات على تلك الحالة قالت بلقيس لسليمان اني أتأثر جداً كلما رأيت يد ولدي ملتصقتين ببعضهما البعض ورجليه كذلك فهل ياترى من وسيلة لجعله مثل غيره من بني الانسان فمثلك نبي عظيم يغيب عنه ذلك فهل ياترى اذا صلينا لله تعالى عز شأنه وتضرعنا اليه ان يخلصه مما هو به الا تستجاب صلاتنا . فرأى سليمان ان ذلك مناسباً فانسحب واياها الى خلوة وأصحبا الولد معهما واخذا بالصلاة والتضرع الى الله ان يرحم ولدهما وفيما هما على ذلك أوحى الله اليهما قائلا لهما ان صلاتكما وصلت اليّ وادعيتكما مستجابة لديّ ولكن شفاء ولدكما متوقف على امر واحد فاذا فعلتماه

انفك يدا الولد ورجلاه عن بعضهما البعض وذلك ان يعترف احدكما للآخر بالذي يضمره ويكشف له خفايا قلبه ومكنوناته . فلما عرفا ذلك اخذهما الحياء والخجل وغاصا بالافكار والتأمل برهة . ثم دار حضرة النبي سليمان وجهه من بلقيس وقال لها من العيب والعار ان اخبرك بخفايا قلبي لكن ما الفائدة وقد أمر الله سبحانه وتعالى وصار من اللازم ان اخبرك بالصحيح دون زيادة ولا نقصان . (اني مع ما انا عليه من الجاه وعلو المقام وسعة الملك حتى اني اعطيت النبوة من الله وملكت على الجن والانس وطاعت لي الطيور والسباع وسائر الوحوش لم اكن قانعاً فاوصلني الطمع الى انه اذا جاءني اثنان يتقاضيان عندي أرغب في ان يكونا قد احضرا اليّ هدية وليس فقط ذلك بل ان نفسي تميل الى من ياتيني منهما بهدية فاقدمه على الآخر واقربه مني واعتني بدعواه اكثر من رفيقه) . وما انتهى سليمان من كلامه حتى انطلق يدا الولد وانفكتا من الالتصاق بقدرة الله فاذ ذاك قال سليمان لبلقيس ها اني قد اعترفت بذنبي وما هو مخفي في قلبي فاطلق الله يدي الولد فاصبحتا سالمتين لا عيب بهما مطلقاً فاعترفي انت بما في ضميرك فيفك الله رجليه فاحمر وجه بلقيس من الخجل واضطربت من الحياء ولكنها وجدت ان لا بد لها من الاقرار والاعتراف امام زوجها وامام الله العارف بما في قلبها وما يستكن عليه ضميرها وحينئذ قالت نعم انني افتكر واميل الى ما هو اعظم لما قلت وبه العيب والعار ولست مسرورة من الاعتراف به ولكن ما الفائدة وقد اجبرت على الاعتراف والاقرار بالصدق (وانك مع انك نبي عظيم وملك فوق ملوك العالم اجمع ولا يقارنك في سلطانك ورفعة جاهك سلطان في العالم وقد اتخذتني زوجة أولى بين حرمك وجعلتني فوقهن جميعاً وشاركتني في ملكك وخيراتك فكل هذا لا اراه يرضيني بل كل مارأت نفسي شاباً جميلا اميل اليه وأقول ليت هذا كان زوجي فهاك ما اضمره واخفيه والسلام) وفي الحال انفك رجلا الولد وقام ووقف وصار سليما صحيحاً بقوة الله . اه

فبعد ان حكى الملك لجاريته هذه الحكاية قال لها ان قصدي من سرد هذه الحادثة ان نتمثل بها فاذا كنت تخبريني بالحقيقة عن السبب الذي حملك على كره الجماع وبغضه ربما تتخلصين انت واتخلص انا من العذاب الداخلي الواقع فيه اما

الجارية فانها بعد التفكر والاطراق برهة أخذ العرق في ان يتصبب فوق جبينها من الحياء والخجل ثم ثبتت جاشها وتبسمت وقالت له حيث امرت ان اصدقك الصحيح فهاك السبب فاني اعرضه لاعتابكم كما هو · اني لا اكره في الجماع ولا انفر من الرجال واني احب الذكور واسر منهم كغيري من بنات جنسي واني اعلم ان لاراحة للنساء ولا حياة لهن بغير الرجال لكنما المانع في ذلك هو انه يوجد في كل من بنات عائلتنا خصلة غير حميدة سيئة العاقبة وهذه الخصلة متلبسة لنا لم تنفك ولن تنفك ولا اعلم هل هي ناتجة عن اللطافة والرقة أو انها تنتقل بالارث من الام الى بنتها ···· ولما انتهت الجارية الى هذا الحد تنهدت وتأوهت ثم سكتت مطرقة الى الارض · فقال لها الملك اني لم افهم شيئاً بل زاد بي الامر واشتد بي الهوس الى معرفة الحقيقة فلا اعلم ياروحي ممن تخشين ولماذا لا تتكلمين انهي كلامك امن اللطافة لم افهم ما معنى قولك من اللطافة والرقة أو بالارث · وبعد ان اكثر من الالحاح والالتماس · قالت الفتاة · نعم ياملكي ··· ان ذلك ··· آه ··· الحاصل ··· ماذا اقول ··· نعم ··· انه من زمن اجدادنا الى الوقت الحاضر ان كل واحدة من بنات عائلتنا عند ما تصل الى سن الزواج وتضم الى الرجال اما بالزواج واما بالتملك فحالما تفض بكارتها تموت فاذا صودف لاحداهن انها لم تمت فلا يمكن الا وتموت عند ما يأتي زمن الولادة واخراج المولود الى عالم الوجود لا تقدر ان تتحمل الاوجاع والآلام فتموت وقد جربن في ذلك وسائط كثيرة وراجعن الاطباء والفلاسفة والمنجمين والعرافين فلم يستفدن شيئاً فضلا عن ان البعض أيضاً من بنات عائلتنا لم يقدرن على تحمل الجماع فيمتن تحت الرجال وبما اني احب ذاتي اخاف ان شهوتي تضيع جمالي وحالي فاموت وانا محققة انه سيصيبني ما اصاب الميتات من بنات عائلتي ولاجل ذلك لا احب ان امكن أحداً مني من الرجال نعم اني اخدم من يكون مالكا لي خدمة لا يمكن ان يراها من غيري واجتهد في ان ارضيه حتى يراني فوق ما يؤمل ولكن لا اوافقه على الجماع

فلما سمع الملك من جاريته هذا الكلام تعجب كثيراً وقال لها لماذا ياروحي ومن هي اعز من حياتي تتكلمين كلاماً غير موافق · هل الانسان يعلم في أي وقت يموت أم هل ان المات والحياة بيد الانسان · وهل ان الانسان بغير حكم

الله وارادته يموت · فهذا وهم منك باطل ورأي فاسد فما أحد من المخلوقات من الملوك والامراء والسلاطين والشرفاء يقدر ان يزيد أو ينقص ساعة واحدة في حياته حتى انه لايعلم بقرب الاجل ولا يعرف ساعة الموت ولو كان فيها · فاجابته الفتاة بتأدب نعم يامولاي ان الحق بيدك وانك مصيب في قولك لكن اعتقاد جاريتكم هكذا · افتكر ياسيدي وتأمل في حال العالم وفي طرق جريانه ترى ان الموت لابد منه ولكن لايكون بلا سبب وان في التحوط تاخير في الاجل لان الله عرف بسابق علمه زمن موت الانسان والسبب الذي يتسلط عليه ليميته ولكنه لم يحدده له ويحتم به عليه ظلما · ومع ذلك فان العالم جميعاً يعلمون ان الله قادر على كل شيءٍ وان بيده الاعمار والارزاق ولكن من عاداتهم التحوط والمداواة واليه ترتاح نفوسهم فهم عند الشدائد يصومون ويصلون فتعبر عنهم واذا انهمكوا بالمعاصي والفجور قوبلوا بالامراض والاوجاع ان الله على كل شيءٍ قدير فالانسان ليس باكرم منه فهو يفسح بالاجل وهو يعجله وعلى الانسان ان لا يقصر في المحافظة على حياته التي أمنه عليها الله سبحانه وتعالى فاذا قصر انتزعها منه واذا اهتم بها وعرف قيمتها تركها في يده زمناً غير قصير · فلما رأى الملك منها شدة اقتناعها بذلك ورغبتها في المحافظة على حياتها وخوفها من الموت اقتنع ببراهينها ودلائلها وعرف ان المرء مجبول على الامال مفطور على الرجاء ولهذا لايؤاخذ بضد اعتقاداته فقال · اني اسلم معك بما تقولين وانك من الواجب ان لا تمكنين أحداً من الرجال منك وان تكرهي في الجماع لكن لو فرض اني اجبرتك عليه ماذا تعملين وماذا يخرج من يدك وكيف تقدرين على الممانعة · فقالت يامولاي الحق معك في ذلك لكن لا اظن ان عظمتكم تقدمون على مثل هكذا عمل واذا فرض المحال وفكرتم باجباري فحالما أري علامة الاكراه والاجبار اعلم اني هالكة لا محالة فلا اقصر في اهلاك نفسي بيدي واحمال تبعة ذلك على ظالمي ومكرهي · فاجابها آه يانور عيني لقد فهمت غير المقصود لانك فتاة شابة أي لا تزالين في بداية عمرك لا تبلغين الخامسة عشرة أو السادسة عشرة من العمر وانك اجمل فتاة رأتها عيني وأعقل ابناء جنسك واكثرهن تأدباً ورقة وقبولا في قلب مالكك فاذا حرمت نفسك من لذات هذه الدنيا ونعيمها تكونين في خطاء مبين وانت

تعلمين اني مغرم بك تائه العقل بجمالك وأخاف ذات يوم ان يحملني العشق والهيام الى درجة الجنون فافقد صبري واقتنصك جبراً عنك فيكون ذلك على غير ما ترضين وربما قادك الى الهلاك ولذلك ارى ان من الصواب ترك هذا الوهم المتسلط عليك فتكونين كغيرك من بنات جنسك تتنعمين وتتلذذين ولا تحرمين نفسك من نعيم هذا العالم فاذا دنا الاجل لاتكونين قد حرمت من المسرات والتنعمات واذا رحمك الله وافسح الله باجلك فكذلك لا تكونين قد ضيعت صباك محرومة واحرمت غيرك منك لان أمر الوفاة بدون شك مجهول غير معلوم ولو تقرر في عقلك ونبت في ذهنك فلا يعلمه غيرالله . ولبثت الجارية سامعة لكلام الملك حتى انتهى من كلامه فاجابته نعم ياسيدي ان كل ما اشرت اليه وأمرت به حق وواجب غير ان جاريتكم تلتمس اليكم ان تسمحوا لها بالاصغاء كرماً ومروءة وان تتنازلوا بدقة فيما تطرحه لدى اعتابكم العليه اذ من الواجب على الانسان ان يتحرز ويتجنب الامور المخيفة التي يتصور انها ترعبه وتضر به ويعتقد بتاكد انها لابد ان تقع على رأسه وذلك (أولا) لقد تفضلتم بانه لا يناسب للفتاة الشابة الحسناء ان تحرم من لذة الدنيا ونعيمها فهل ياترى ان الشيخ البالغ المئة سنة من العمر بعدان رأى العالم وذاق حلوه ومره يقف عند حده من لذات هذه الدنيا ومسراتها لاسيما اذا كان قد صرف اكثر اوقاته الماضية منغمساً فيها متعوداً عليها مع انك بالعكس تراه اذا صرف هذ اليوم متنعما مسروراً يتأمل في اليوم التالي بمثله اذا لم يكن باعظم وهكذا مهما مرت عليه الايام والسنون فاماله بالملذات لا تنقص وتعلقه بافراح هذه الدنيا يزيد باكثر مما في الشاب وقد يظهر ان الشيوخ يرتاحون الى التنعم والتلذذ اكثر من الفتيان والفتيات (ثانياً) لقد تفضلتم أيضاً اني اذا كنت اقتل نفسي يكون ذلك جريمة وخطيئة واخسر الابدية أي يعتبر ذلك عصيان على ارادة الله . مع اني لست مجنونة لافعل ذلك بارادتي ورضائي فاذا كنت افعله اختياراً فلا ريب يكون ذلك مخالفاً لارادة الله جل شأنه ولكن اذا كنت الباعث الى قتلي أي اذا ارغمتني واغتصبتني واكرهتني على قتل نفسي فتكون عاقبة الخطيئة عليك . فاذا كنت لا تفتض بكارتي رغماً وتاخذني قنصاً فلماذا اقتل نفسي ولكن اذا فعلت ذلك اضطر لقتل نفسي ويكون ذلك في عنقك ففي يوم القيامة ستكون انت المؤاخذ

والمسئول وانا لايكون عليّ ذنب فهاك ياسيدي وسلطاني ومالك رقاب العالم افتكر في ذلك وانظر ما هو لازم فافعله

فلما سمع الملك كلام الجارية وقد رآه عين الصواب وشاهد فيها صدق اللهجنة المقرونة باللطف والانكسار اصبح في حيرة عظيمة وغاص في بحور من الافتكارات وبعد ان تفكر برهة رأى ان لا فائدة اذ ذاك في نوال المراد وغابت عنه طرق التدبير وجعل يقول في نفسه ياللعجب ماذا اعمل بهذه الفتاة وفي أي يوم تصغى لارادتي فهي تمانع حتى اصبحت بالرغم عليّ وبغير ارادتي كالمجنون تائه العقل غائب الصواب . وبعد ان تراكمت عليه الافكار الكثيرة ولم يجد طريقة لنوال غرضه عزم ان يصرف تلك الليلة مع جاريته كالليالي التي قبلها وعليه بدأ بالمداعبة والملاعبة والتقبيل والعناق والمسامرة والمباسطة حتى مضى الوقت فنام الى الصباح وفي الصباح خرج من الحرم وسار الى دار الاحكام وانهمك في امور السلطنة حتى المساء فعاد الى قصر الحريم فلاقته الجارية بالبشاشة والترحاب وسارت في ركابه الى مقعده وهي تخدمه بنفسها وتزيد له الاكرام والتعظيم وقد صرف أيضاً ليلته على مثل ما تقدم وفي الصباح خرج الى ديوانه ومرّ عليه وهو على مثل تلك الحال سبعة ايام لا يفكر بامر من الامور باكثر مما يفكر في شأن هذه الفتاة وكيف سار او مال يفكر في طريقة تمكنه من نوال غايته منها وهو يناجي نفسه على الدوام بهذه الجملة (ماذا ياترى اعمل لاحمل هذه الفتاة على الرضوخ من نفسها لنوال غرضي اذ لايمكن لي ان اجبرها عليه) وفيما هو على مثل تلك الافكار خطرت في خاطره العجوز وكانت لاتزال محبوسة تحت التشديد والتضييق فجال في باله ان يامر باطلاق سبيلها غير انه توقف وقال ربما ان خلاصها يغيظ الفتاة ويكدرها فاكون عوضاً عن استجلاب خاطرها قد زدتها بغضاً فيّ ونفوراً مني وبهذا اهدم ما انا آخذ ببنائه ثم فكر انه في المساء يرجو حبيبته بان تسمح له باطلاق سراحها اذ ان من العدل ان لايزيد عليها لاكثر من ذلك فلا يرضى الله به

وفي المساء دخل الحرم فلاقته الفتاة كجاري عادتها وسارت به الى غرفة الجلوس فجلس وأخذت في خدمته وهو ينظر اليها ويحدق نظره في وجهها ونار الغرام تلتهب في فؤاده وتزيد اضطراماً كلما خطرت أو مالت أو دنت منه لتأدية واجب

الخدمة وهي مع كل ذلك تكثر له من الدعاء والثناء والشكر على عنايته بها والتفاته اليها ثم انها وقفت بين يديه وانتظرت امره فلم يسعه الا انه وقف على رجليه وتقدم منها وأخذها من يدها وادناها منه فقبلها وجاء بها فاجلسها الى جانبه فعلا وجهها الاحمرار والخجل والحياء فزاد في اكرامها والمدح عليها وبعد ان صرفا الوقت بالحظ والتسالي سألها ان تسمح له بتخلية سبيل العجوز فقد كفاها قصاصاً ما مرّ عليها من عذاب الوحدة والسجن . فاضطربت من ذلك وأخذ لونها في ان يتغير من الاحمر الى الاصفر ومن الاصفر الى الاخضر وكاد يغيب صوابها ثم قالت للملك بعد ان ملكت صوابها ودعت له بدوام الملك والسعادة كيف ايها الملك السعيد يمكنك ان تكون اميناً من خبائة هذه العجوز وحيلها وباي وجه تركن اليها . واني ارجوك لكي تكون اميناً من غدرها وايقاعها بي ان تطلقها من سجنها وتامر بحبسي عوضاً عنها وبذلك لا تقدر ان تغدر بجاريتك الامينة . فارجوك ان تبقيها في سجنها ولا تطلقها أبداً . فتبسم الملك من كلامها واجابها لا تضطربي ولا تغضبي ياعيوني فمن هي هذه العجوز الضعيفة العديمة الناصر لتغدر بك وتوصل شرها اليك وانت صاحبة الامر والنهي عليها وعليّ وعلى مملكتي ومع ذلك فاني ادعوها واحذرها من التعرض لك واتهددها بالموت اذا صدر منها مخالفة لك أو لفظت كلمة ضد ارادتك . فسكتت الفتاة عند ما رأت ان الملك يريد ذلك وهي على يقين انها لا تخلص من كيد العجوز وشرها وانها ستضطر لمحاربتها ثم قالت للملك اني لا ارغب في ان أرى وجهها مطلقاً ولذلك لا ارغب في اطلاق سراحها ولكن من حيث ان عظمتكم ترغبون ذلك فانا اقبله على راسي فقط اتجاسر على الرجاء من عظمتك ان لا تدعني أرى وجهها ولا ترى وجهي أبداً (من هنا يفهم درجة الغرام كم هي عالية فالملك المالك البلاد والمتسلط على العباد اصبح مغلوباً لسلطان الهوى مطيعاً كالعبد منتظراً أمر وارادة محبوبته التي بعد ان كانت رقيقة مملوكة لديه اصبح هو المملوك وهي المالكة ... نعم ان الغرام يصير الوضيع ملكا والملك وضيعاً) وحينئذ أمر الملك باخراج العجوز بعد ان اشرط على نفسه انه لا يدعها ترى وجهها للجارية ولا تكلمها كلمة واحدة قط ... خرجت العجوز من السجن ولكن كيف خرجت منتفخة

من القهر والغضب مستوية من الغم والكدر · ولو انها كانت في الاول لا تريد ان تخرج من السجن لكنها كانت تعلم انها لو بقيت محجورا عليها لا تقدر على الانتقام ولا تتمكن من الاحتيال للايقاع بعدوها وتبقى يداها مقيدتان عن ادراك ما تروم فعله في بني آدم وبالاخص في الجواري اللاتي يقدمن الى الملك وفي مقدمتهن هذه الجارية التي سبب سجنها فاضمرت لها الكيد والانتقام (حماها الله منها وحمى كل انسان من غدر العجائز المحتالات) · وبقيت العجوز تضمر الشر للجارية لا تتظاهر الا بالعبادة والصوم والدعاء للملك لا تجسر ان تقف امام الجارية ولا تدخل غرفة هي فيها وتتجنب كل التجنب ان تظهر امامها أو تريها وجهها خوفاً من غضب الملك واتماماً لخدعتها وحيلتها وكان جل ما يحلو لها ان تميت الفتاة وان السلطان يقطعها قطعاً قطعاً وتدوس بارجلها فوقها وكانت تعرف انهـا لا تقدر على ذلك الا اذا تمكنت من الدخول والخروج كسابق عادتها وصبرت على نفسها وهي تراقب الفرص لتتمكن من الدخول عليه دون ان تكون الجارية عنده اذ كانت لا تجسر على الدخول وهي لديه بعد تاكدها انه مغرم بها وانها أي الجارية زكية فطنة لا يمكن صيدها بسهولة وبعد ان مر عليها عدة أيام صابرة على حكم القضاء والقدر سهرانة على اتمام رغائبها وقد أغرت بعض الخدم ان يرقب لها انفراد الملك فيخبرها بذلك جاءها الخادم واخبرها ان الملك منفرد بنفسه وان الفتاة استأذنت الملك بالدخول الى غرفتها لانحراف قليل في صحتها وقد دخلت غرفتها وأوصدت الباب · فكادت تطير من الفرح وأسرعت في الحال ودخلت على الملك والقت بنفسها على رجليه وهي تطلب من الله ان يطيل عمره ويديم صولته ويوسع مملكته وينصره على اعدائه · ومع ان السلطان كان يتمنى ان لا يجيبها بكلمة ولا يسمع لها قولا خوفاً من خاطر حبيبته غير انه رأى من الضروزة مراعاة شيخوختها وجبر خاطرتها ولو بكلمتين · فقال لها لقد عفوت عنك انما الذي أريده منك أن لا تذهبي بعد الآن نحو الجارية كي لا تغضب منك وتتكدر عليك · فتظاهرت العجوز عند سماعها كلام الملك بكل تذلل وخضوع واستعملت أبرع طريقة لاستجلاب قلب الملك وشفقته عليها وبكت وأنت · وقالت أطال الله بعمر سيدي وولي نعمتي ان حبسك لي وهجرك فخر وشرف لي وما ذلك الا منة مننت بها عليّ أو خلعة أوصلتها اليّ

حتى لو انك أمرت بقتلي واعدامي ورفع وجودي من هذا العالم لحق لك ذلك
لكن على ما أرى انك لاتعرف صالح نفسك لاني أرى ان حبسي غير لائق منك
لاني في الابتداء لم أكلم الجارية قط ولا كدرتها ولا أتيت عملا يضيق به صدرها
مني حتى انك حبستني وأحرمتني من تقبيل أذيالك واقدامك كل وقت على ماعودتني
عليه ومع ذلك فكفاني انك في صحة جيدة وسلامة وهذه غايتي وجل ما اتمناه
لاني حبست بأمرك وتخلصت بأمرك وأنا على يقين اني بعد قليل من الوقت سأرجع
الى أعظم مما كنت فيه وتتأكد صداقتي وخلوصي فتشملني برضاك زيادة عما
أؤمل خصوصاً بعد ان يثبت لديك اني سهرانة على راحتك أريد خلوصك من كل
ملمة وبالاخص من كيد النساء لاني أخبر بهن وبأحوالهن وأعرف لكل داء
يصدر عنهن دواء ولذلك ما أتيت الا لاعلمك انك لو أمرت بعذابي وقتلي لوجدتني
وأنا تحت يد الجلاد أشكرك وأتمنى لك السعادة وأدعو الله ان يقيك كيد النساء
ولا سيما الشابات الجميلات اللاتي يلعبن بالعقول ويتسلطن على القلوب ليفتكن بمن
يقع في حبالهن ويقتلن من يقع في شراكهن ولا ينلن عاشقاً مراماً مالم تبلغ
روحه التراقي · فلما سمع الملك كلام العجوز تذكر فعل الجارية معه وحبه لها
وخطر له ان يستشيرها علها تعرف دواء لمرضه أو تهديه طريقاً يتوصل منه الى
ساحة نيل المقصود والمراد فقام على رجليه ودنا من العجوز واعتذر اليها وقبل
يديها وقال لها الرحمة ياوالدة المعونة يامربيتي اني أصبحت في حالة يرثى لها وقد
ضاقت بي الدنيا مع سعتها ولم اعرف الوسيلة التي أتخلص بها مما أنا مصاب به ·
ان هذه الفتاة عجيبة في احوالها وأطوارها فهي تكره في الرجال ولا يمكن ان تمكن
ذكراً منها وقد أعيتني الحيل فارحميني · فعند مارأت العجوز ان الملك عاد اليها
وغمرها بالتفاته وعنايته كادت تطير من الفرح فاغتنمت هذه الفرصة للانتقام
وتقدمت من الملك فقبلت أذياله ودعت له ولدولته بالبقاء ثم قالت له لابد الآن ان
ترى فعل جاريتكم المسكينة العجوز المخلصة في خدمتكم المتهالك في قضاء غرضكم
ومتى رأيت انه لايمر هذا الاسبوع الا وقد نلت غرضك وشفيت مرضك وترامت
هذه الفتاة على قدميك تطلب اليك ان تأتيها ولا تمنع عنك أمراً يتأكد لك صدق
أمانتي وما أقوله بحق وصدق عن محبتي لكم ورغبتي في راحتكم ولو انك أخبرتني

منذ الاول بذلك لدللتك على الطريق الموصل الى الغاية بسهولة دون تعب ولا شقاء ولكن واحسرتاه ياسيدي الملك لابد انك تكون قد تعذبت وقاسيت من حر الغرام ووطئة الجفاء ولسعة الصد والامتناع ما انفطرت له مرارتك وذابت له مهجتك فقاتل الله الحب وقاتل المحبين الظالمين الذين لايرثون لحال عاشق ولا يرحمون قلب مغرم ولا يرغبون الا باذلال من يعلق بهم مهما كان عزيزاً واني أشكر الله الذي دخلت عليك هذه الساعة لافرج همك وأزيل غمك

فلما سمع الملك من العجوز هذه البشارة لم تعد الدنيا تسعه من الفرح فقبل يد العجوز ثانية وجعل يرجوها ويلتمس اليها وقال لها العفو ياولدتي لقد قصرت في حقك ولم أعرف قيمة فضلك وحبك فلا تفكري في الماضي بل اهديني الى الطريقة التي أنال فيها وصال جاريتي باللطف لا بالجبر وتحملها على القبول بقضاء مصلحتي بالاختيار والرضى لابالقوة والعنف . فأجابته لاتهتم ياسيدي ولا تعذب قلبك بأمر هو أسهل عليك من شرب الماء وقد قلت لك انك ستنال منها الوصال بالرضى والاختيار دون عناء ولا عذاب فقط اريد منك ان تصغي اليّ وتسمع مني وتفعل كل ما أطرحه بين يديك وأشور به عليك . فقال اقسم لك بالله العظيم اني أفعل ماتقولين ولا احيد عن رأيك قط الا اذا كان فيه استعمال القوة والجبر

وعلى هذا الوجه تهيئت العجوز لكيد الفتاة عدوها الالد فقالت للملك يلزمك ان تتخذ لك جارية جميلة لطيفة وتتظاهر بحبها والميل اليها وتداعبها وتلاعبها وتضمها وتعانقها امام هذه الفتاة وفي النهاية على مرأى منها تدخلها غرفة النوم وتنام معها والحاصل اصرف وقتك كله بالحظ والسرور ولا تترك أمراً من امور الحب والتلذذ الا وتستعمله مع الجارية الجديدة امام الجارية القديمة وأنا الكافلة لك انها لاتقدر ان تتحمل ذلك اكثر من أسبوع بل تطلب اليك ان تواصلها وترجوك بذلك ولا يبقى لها صبر على مثل هذه الحالة . فلما سمع الملك من العجوز هذا الكلام أطرق برهة في الارض متفكراً وقد رأى هذا الرأي من انفع التدابير لاستجلاب خاطر الفتاة وتسليمها نفسها اليه وحينئذ أمر باحضار جارية بديعة الصفاة جميلة المنظر وأخذ في ملاعبتها ومداعبتها امام الصبية على حسب ما اشارت اليه العجوز وعلمته اياه وعلى مقتضى الطريقة التي خطتها له ومن الجهة الثانية كان عشقه

للصبية ينمو ويزيد بدون حد . اما الصبية فقد فهمت لدى مشاهدتها الجارية الجديدة مع السلطان سر المسألة وأدركت انه من دسائس العجوز الشيطان الرجيم وقد أشارت به عليه لتحرك الغيرة في قلبها فتجلدت وصبرت واجتهدت بالتظاهر بخدمة الملك اكثر من الاول كي لا يظهر عليها أثر الغيرة مع انها اصبحت كالجليد من جراء الغيرة ومن قهرها من العجوز بنت الحرام التي قصدت كيدها واغاظتها . ولكنها ارادت ان تبين للملك انها غير متأثرة من ذلك فصبرت دون جدوى ولم تعد قادرة على الثبات في وجه هذه الصدمة القوية . ان الحق بيدها كيف تقدر ان تصبر على هذه الحالة وترى الملك الذي كان يثبت لها انه اتخذها كملكة وجعلها صاحبة أمره ومالكة قياده وربة بيته يداعب جارية أخرى هي دونها بالجمال والآداب وفي الآخر يضمها اليه ويحملها امام عينيها الى السرير لينال منها غرضه فانفطرت مرارتها لذلك واشعلتها نار الغيرة والحسد وهي تثبت وتتظاهر بالعزيمة والصبر حتى مرّ عليها خمسة او ستة أيام ففرغ الصبر وانتهى بها الحد ووصلت من الدرجة الاخيرة من الثبات ورأت ان ضياع حياتها أسهل عليها من مشاهدة ماتشاهده في كل ليلة واحتمال تلك السهام الحادة سهام الغيرة التي كانت تمزق احشاءها ففي ذات ليلة كان الملك جالساً لوحده في غرفته فدخلت عليه ووقفت امامه كأنها تنتظر أمراً منه لقضاء خدمة وهي في حالة صعبة الاحتمال تكاد تختنق من شدة عذابها فأدرك الملك منها ذلك وخاف ان يلحق بها ضرر ولم يعد قادراً ان يتحمل أو يصبر على تعذيبها أكثر مما فعل فنهض اليها وأخذها من يده وأجلسها الى جانبه فتركت نفسها ولم تمانعه وتظاهرت بالطاعة له بانها لاتمانعه في أمر وقد لحظ منها قبولا بقضاء غرضه فكاد يطير من الفرح ولم يعد عارفاً ماذا يعمل فضمها اليه وقبلها في وجهها وعينيها وأخذ معها في المداعبة والملاعبة . أما الفتاة فانها قبلت الملك ثم قبلت ذيله فطلبت اليه ان يسمح لها بأن تسأله سؤالا ترجوه الافادة عليه فأذن لها وهو بكمال السرور والفرح . فقالت وهي مظهرة العزيمة والثبات أطال الله عمر سيدي الملك انك منذ بضعة أيام شملت جاريتك الحقيرة بالالتفات فحكيت لي قصة سليمان عليه السلام وطلبت الي ان أحكي لك بالصدق سبب كرهي للذكور فأصدقت الخبر وبقيت أنت المديون لي حيث ان كما تنازلت وحكيت ان كلا من بلقيس

وسليمان عليه السلام أباح مافي ضميره أي ليس بلقيس وحدها التي أصدقت زوجها الخبر وحكت مافي ضميرها بل هو ايضاً اصدقها وصرح لها بكل ما يستكن في داخله فأنا يامولاي قد طرحت لديكم حكايتي ولم اكذب عليك واجبت امرك طاعة لك ولله الذي يكره الكذب ولا يرضيه غير الصدق لاسيما بين الزوجين وبقي على عظمتكم ان تعترفوا لجاريتكم بالصحيح ليكون ذلك متبادلا ومرضياً لله كما سبق فأمرتم لان الله لايرضيه غير الصدق فاصدقني من هداك الى هذه الطريق ومن علمك اتخاذ هذا التدبير ويغلب على ظني ان الذي علمك ذلك هو امرأة لان لايعرف شدة غيرة النساء الا النساء . فلما سمع الملك كلامها رآه عين الصواب وانها محقة في طلبها وان الكذب عليها واخفاء الحقيقة عنها ضرب من الخيانة والمكر اللذين يتجنبهما ولا سيما في مثل هذا المقام فلم ير وسيلة للكتمان فقال لها . نعم ان الذي دلني على اتخاذ هذه الحيلة هو العجوز التي اطلقناها من سجنها وذلك لانه لم يبق لي طاقة على الصبر وقد أصبحت في حالة اليأس وهان عليّ ترك الحياة ولا آخذك جبراً ولا اقدر على الاحتمال وعشقي بك يتزايد اليوم بعد اليوم حتى كدت اصير الى الفناء فارحميني الآن وارثي لحالي ولا تزيدي في عذابي وما كانت الحالة التي تحدث لنساء عائلتك الا وسيلة بعذابي وقهري وعندي ان الله سيشفق عليّ ويصون حياتك لي ويخلصك مما تخافين . فأطرقت الفتاة الى الارض متفكرة برهة ثم قالت للملك مادام الامر قد بلغ هذا الحد والعجوز المحتالة تطلب هلاكي وتطوف باجتهاد حولي لتميتني متمسكة بحبال الدسائس . اما انا فلا أمانع قط ولا اصر بعد الآن على عنادي مادمت انت ترغب في ذلك وقد دبرت العجوز على كيدي وهلاكي ليسر خاطرها ويفرح قلبها . ولكني ارجوك ان تمهلني فقط أربعة ايام ريثما أرى في شأن نفسي وارتاح من اضطراب الفكر الواقعة فيه . فوافقها الملك على طلبها وسمح لها بمهلة اربعة ايام

وفي اليوم التالي احضر اليه العجوز بدون علم الصبية وحكي لها كل ماجرى له معها وكيف حملتها الغيرة على الانقياد وكيف انها طلبت اليه مهلة لمدة اربعة أيام فمنحها المهلة المذكورة . فلما سمعت العجوز هذا الكلام طار صوابها واصبح لونها اصفر كلون الاموات واطرقت الى الارض متفكرة ثم رفعت رأسها وقالت

لماذا سمحت لها بمهلة ياسيدي ولماذا لم تستشرني في ذلك فقدقصدت التخلص منك وابانت لك ان وصالها صعب جداً وربما كانت تقصد الفرار . فغاب عقل الملك من كلام العجوز واضطرب في داخله وقال لماذا تقصد غشي ولاي سبب تعمل على كيدي وتكذب في وعدها . قالت انها لم تسألك المهلة الا لسوء قصد تريد اجراءه في نفسها لانها على جانب عظيم من العناد وقد يهون عليها قتل نفسها بيدها ولا تسلم لامرك بالرغم عنها هذا اذا لم يتسهل لها طريق الهرب . والآن اذا كنت تتغافل عنها او تصبر عليها ولم تتخذ الاحتياطات اللازمة خسرتها لامحالة اما بقتل نفسها واما بالفرار . فزاد هذا الكلام في اضطراب الملك ورأى من المناسب ان يبقى مدة المهلة اي اربعة ايام في دار الحريم لايخرج منها محافظة على الصبية بنفسه فنهض من ساعته ودخل قصر الحريم وحالما دخله اسرعت الفتاة لاستقباله ودخلت به الى غرفة الجلوس وسألته عن سبب عودته حالا على غير عادة . فأجابها اني ارى نفسي منحرف المزاج قليلا ففضلت البقاء في البيت طلباً للراحة . فلم تتغير قط ولا قصرت في خدمته بل زادت فيها عن الحد المعتاد حتى مرت الاربعة أيام والملك مقيم في القصر لايخرج منه وقد سلم امر تدبير المملكة لوزيره الاول وفي اليوم الرابع كان الملك والصبية معاً وقد اخذا بالمداعبة والملاعبة حتى اظلم الليل فذكر الملك الفتاة بوعدها . فأجابته بمنتهى اللطف والتأدب والخجل . نعم يامولاي هذا هو اليوم الرابع وفيه وفاء الوعد لكني اريد ان اعرض لمعاليكم امراً لتكونوا مطمئنين . فتعجب الملك في نفسه وقال ماذا تريد هل تبحث عن طريقة اخرى للتخلص ثم سألها ماذا تريد فهو صاغ لها . فقالت انت تعلم ياسيدي وولي نعمتي ان العجوز تقصد بي شراً وتتمنى هلاكي فهي في عيني عدو ألد تترقب الفرص للايقاع بي واهراق دمي وتبذل كل مافي وسعها لنوال منيتها بالانتقام مني ولهذا تراني مضطرة على الدوام للتيقظ والتحفظ منها والتحذر والسهر حرصاً على حياتي وانتم تعلمون ذلك وهذا صعب عليّ وثقيل على حياتي ولذلك طلبت مهلة اربعة ايام لاجد وسيلة نافعة لراحتي فتفكرت كثيراً في هذا المعنى وقلت في نفسي ان بقيت على هذه الحالة فحياتي تعب وشقاء ابات بالخوف واصبح بالترقب وربما كان ذلك مضراً بصحتي فأموت رغماً واذا سعيت بقتلها للتخلص منها وهذه اعظم طريقة لراحتي وارتياح

بالي افكر ايضاً ان الله سبحانه وتعالى لايرضى بذلك وقد حرم قتل النفوس فيكون ذلك عليّ بلاء اشد من بلاء الخوف منها والتحذر من مكائدها واخيراً لم ار اوفق من ان يأمر سيدي الملك بارسالها الى بلاد بعيدة باطراف المملكة تقيم فيها باقي حياتها فلا ارى وجهها ولا تراه انت فيما بعد وبهذه الطريقة اتخلص انا من نتائج شرها وعداوتها المستمرة واصبح امينة على روحي ولا يبقى لديّ شيء اخافه وانت ايضاً تنال ما انت طالبه مني وفقاً لما وعدت عظمتكم به

فلما سمع الملك من الصبية هذا الكلام كاد يطير من الفرح والاستبشار وفي الحال استدعى بعضاً من الفرسان وامرهم ان يصحبوا معهم العجوز ويسيروا بها الى اطراف الهندويتركونها هناك في احد البلاد وبعد ان وهبها شيئاً من المال أخذوها وساروا بها الى حيث امر الملك . ومن بعد ان اشتفت الصبية ببعدعدوتها وآمنت من كيدها دنت من الملك فشكرته وقبلته واخذت تداعبه وتلاعبه وتصرف كل جهدها في انماء حظه وازدياد سروره حتى طار به الوجد واشتعلت فيه نار الغرام ولم يعد قادراً على التصبر والتحمل سيما بعد ان وعدته وعداً صحيحاً وسلمت اليه بنفسها فرأى الدقيقة سنة والساعة دهراً ولهذا اسرع فحملها الى سريره وافتض بكارتها وشعر من نفسها بلذة غريبة لم ير مثلها زمانه بطوله وقد انشرح صدره وسر سروراً لامزيد عليه لكنه مالبث ان نظر الى الفتاة حتى رآها قدغابت عن الوجود واصفر لونها اصفراراً غريباً ولا اصفرار الاموات فطار قلب الملك خوفاً وجزعاً وامر في الحال باستدعاء امهر الاطباء والقوابل واحضر الجواري لخدمتها ولم يكن الا اقل من القليل حتى حضر الاطباء وباشروا الاعتناء بها واستنشاقها الروائح القوية ودلك جسمها بالاقمشة الحارة وكلهم يتعجبون من شدة الاصفرار المستولي على ذاك الجسم البديع الجمال ولم يمرّ على ذلك اكثر من نصف ساعة حتى عادت اليها الروح وجلست في سريرها وتبدل اصفرار وجهها بالاحمرار . وبعد ان كانت الصبية قد قطعت الامل من الحياة رأت نفسها قد عادت الى الوجود ثانية فتأكدت كانها قد ولدت من جديد وان الخطر الذي كانت تخافه قد زال وأخذت تصلي وتشكر الله على عنايته وتثني على الملك لاهتمامه والتفاته حتى زال خوفها على يده وقالت له بأي لسان أثني على سيدي الملك فما من فتاة في عائلتي قدرت ان تعيش بعد

افتضاض بكارتها واذا صادف وتخلصت فلا بد ان تموت في وقت الولادة وها أنا قد سررت من عنايتك ولي ثقة ان أتخلص اذا قدر الله بالولادة فقال لها ان كل شيء هو بأمر الله وارادته فهو رحيم كريم وهكذا كان أيضاً فقد أصابها في وقت الولاده كما أصابها في الاول ولكنها تخلصت بعناية الله وسر الملك بها سروراً عظيما وصرف باقي عمره معها على الحظ والسرور لم يلتفت الى سواها ولا مال الى غيرها

ولما انتهت همان بنت قيصر الروم صاحب الاقليم الثاني من حكايتها قالت له ومما تقدم ان الاصفرار الذي وقعت فيه الفتاة كان سبباً لخلاصها وهذا مما جعلني ان أحب اللون الاصفر لانه من أرفع الالوان قيمة ومقداراً ومحبوباً من الناس أكثر من كل الالوان فالنار التي هي من المنافع العمومية للانسان هي صفراء اللون أيضاً ومما يجعل الاصفر مفضلا على كل الالوان هو كون الذهب منه فهو الذي يجعل الانسان عزيزاً كريماً واليه يتسابق الناس من الحقير الى الملك فكل منهم يحبه ويفديه بروحه ولا أظن ان أحداً في العالم لايتهالك في حب هذا الاصفر الرنان ولهذا تراني اخترته وفضلته على سائر الالوان واقتداء بباقي الناس واذلم يكن من أفضل الالوان وأسماها لما اتفق الناس على حبه

فلما سمع بهرام شاه من زوجته هذه الحكاية سر منها جداً ووقعت في قلبه موقعاً عالياً وزادت رفعة في عينيه فضمها الى صدره وقبلها وأظهر سروره منها وشكرها وكان الغروب اذ ذاك قد دنا وعزمت الشمس على الاحتجاب فصار الافق اصفر فقالت له انظر يامولاي ما أجمل لون الافق فانه يصفر شوقاً لمفارقة الشمس رفيقته ونزيلته فزاد سرور الملك وعاد فعانقها ثانية وشكرها ومدح من ذكائها وعلمها وادابها وكانت حكايتها موضوعاً كافياً لتحريك احساسه واشواقه اليها فاخذ في مداعبتها وملاعبتها مداعبة العاشق المشتاق ولما دنا وقت الطعام دعت الملك فنهض و ياها الى الصفرة فاذا هي صفراء وكل ماعليها من الاواني من الذهب الاصفر حتى ان الطعام جميعه كان مرشوشاً بالزعفران فسر أيضاً لذلك وشكر الله على ما أعطاه من العظمة والمجد سيما وان الجواري والخدم المحيطين بالمائدة للخدمة كانوا لابسين الملابس الصفراء البهية • وبعد ان نهض عن الطعام ودخل غرفة الحظ والانشراح وجد صفرة المدام والنقولات والازهار والاثمار مهيئة وكلها

صفراء بلون واحد فالطاسات والاقداح من الذهب الخالص والمشربيات والفاكهة والاثمار منتخبة جميعها من الاصفر وكذلك لون الغرفة ومفروشاتها وكذلك البابوج الذي لبسه في رجله كان أصفر والحاصل بعد ان صرف الملك السهرة على الحظ والانشراح مع زوجته أخذها من يدها ودخل بها غرفة النوم وقد رسخت في عقله الحكاية التي حكتها له فتذكر انها هي أيضاً لطيفة المزاج رقيقة الحركة أشبه شيء بفتاة الحكاية التي حكتها له فنام معها الى الصباح وقد سر منها سروراً لامزيد عليه ولاقى من اعتنائها به وغنجها ودلالها وخضوعها ما انساه الدنيا وملكه وكل شيء عزيز عنده ولما قرب وقت السحر غرق بالنوم طلباً للراحة من عناء الاخذ والرد

وبعد ان نام عدة ساعات نهض من النوم فوجدها قائمة عند رأسه بانتظاره فقام اليها ولفها بين يديه وقبلها في عنقها وخديها وهي تاركة رأسها على كتفه يميله كيف اراد ولما انتهى من استصباحه بها سارت به الى الحمام فنزعت عنه ثيابه بيديها وادخلته الى الداخل واخذت في ان تغسله بيديها وترش عليه العطورات الزكية والمياه المقطرة من ازكى الازهار وكانت قد سألته عن القصر الذي يقصده في اليوم التالي فاجابها انه عازم على صرف اليوم الثاني عند السيدة بري بنت الملك خوارزم صاحب الاقليم الثالث وهي ساكنة القصر الاخضر ولذلك هيئت له ثوباً أخضر بلون الزمرد فاخذت في ان تفرغه عليه وهي تمازحه وتقبله وتباسطه وكان بهرام شاه مسروراً جداً من نسائه فانه لم ير في قلبهما من الغيرة والحسد مايوجد عند سائر النساء بل ان الواحدة كانت تهيئه وتلبسه وفقاً لذوق ضرتها وكان يعلم ان ذلك ناتج عن حسن تربيتهن وادابهن وعظم محبتهن واحترامهن شخصه فشكر الله على ذلك وبعد ان فرغ من كل عمل هناك ودع زوجته وخرج من القصر الاصفر باكثر فرح مما دخل

وفي يوم الاثنين سار بهرام الى القصر الاخضر محفوفاً بالاتباع والخدم ولما بلغه نزل عن جواده فدخله ولم يجتز العتبة حتى تناولته السيدة برى بنت ملك خوارزم سيدة القصر المذكور محاطة بجواريها وخدمها وفي أيديهم المباخر والقماقم الذهبية فترحبت به وقبلت يديه فقبلها في خدها الايمن ثم أخذته من ابطه وتقدمت به الى الحوض حيث أعدت له مايلزم ومشى الجواري بين أيديهما وكان بهرام على

غاية في المسرة والنشاط لما رأى السيدة بري وقد كانت على جانب عظيم من الحسن والجمال النادر المثال فهي بالحقيقة معبود في صفة انسان وقد أفرغت عليها الملابس الخضراء المتموجة بلون الزمرد وزينت القصر وأطرافه بالنباتات الخضراء والازهار البديعة العطرية الروائح فكان يرى من نفسه كانه في الجنان محاطاً بالحور الحسان ولذلك لم يفتر عن شكر العزة الالهية . ولما وصل من الحوض وجلس عنده للراحة بقي مبهوتاً من تدبير زوجته وحسن اتقانها فان كل مايراه كان يدهش له بصره ويشغل فيه أبصاره ولا سيما تلك الرياحين الزاهرة الراهية التي كانت بلون المكان ولون ملابس زوجته

ولم يستقر به الجلوس حتى أخذت بنت ملك خوارزم في ان تباسطه وتمازحه وتلاعبه والجواري وقوفاً تحيط بهما وقد ظلل الحوض المذكور رواق من العرائش والاشجار المخضرة الاوراق يسيل فيه الماء مجدولا بين النبات البديع المصنوع والمقطوع بمقدار واحد ولون واحد وكذلك كانت الاواني من الزمرد الاخضر موضوعة على خوان من جنسها محاطاً بالنبات على شكل غريب . وبعد ان دار بينهما دولاب الصفا مدة قليلة نهضت بري وقبلت أيادي بهرام شاه ودعت له بالبقاء وطول العمر ثم قالت له أجل ياسيدي وسلطاني ومالك رقي اني أراك تحدق بكل ماتراه وأشاهد على وجهك علامات التعجب والاستحسان ولا ريب انه يتردد في فكرك ان تسألني لما اخترت اللون الاخضر وفضلته على باقي الالوان ولهذا اريد ان ابين لك السبب اذ لكل شيء سبب فاذا تنازلت وأمرتني نقلت لك حكاية غريبة في هذا المعنى تسرها وتتأكد منها تفصيل هذا اللون على سواه. فانشرح صدر بهرام شاه من ذلك وأظهر اشتياقه لاستماع حكايتها وأمرها ان تبتدي بها . فدعت له واثنت عليه ثانية واخذت في سرد حكايتها فقالت

﴿الحكاية الثالثة﴾

كان يوجد رجل عابد في احدى مدن بلاد الروم اسمه بشر فلما بلغ الخامسة والعشرين من عمره وصل الى ارفع درجة من العلوم والمعارف والزكاء المفرط فزهد في الدنيا وانسحب عنها وقد صرف كل ماترك له والده من المال والجواهر على الفقراء والمعوزين وكان مكتفياً لنفسه بالخبز اليابس والماء فقط منصباً على

الدرس والمطالعات والصلوات والصيام ارضاء لله جل جلاله وما بلغ الثلاثين من العمر الا وقد اتقن علوم الكلام بأجمعها وبالاخص العلوم الدينية فأصبح معروفاً محبوباً من خاص الاهالي وعامتهم كلهم يحترمونه ويجلون قدره حتى الحاكم ورجال معيته فانهم كثيراً ماكانوا يأتون اليه ويتبركون به لما يرونه عليه من التقوى والعبادة ومداومة الصلوة ليلا ونهاراً وانعكافه على عمل الخيرات والمبرات واذا قدم اليه شيء من ذوي الأموال قبله وفرقه على الفقراء والمحتاجين للمال وهذا كان يزيده اعتباراً في اعين الاهالي وأخيراً فضل الوحدة في المعيشة فاتخذ لنفسه صومعة في لحف جبل واعد فيها لوازمه وجعلها محلا لاقامته ومقراً لعبادته وصار لايدخل المدينة الا في الاسبوع مرة اوفي الشهر مرة وبعد ان يطوف فيهاساعات معدودة يرجع الى صومعته ويلازم الصلاة والعبادة

ففي ذات يوم خرج هذا الحبيس العابد من محل عبادته وجاء الى أطراف المدينة وفيما هو سائر رأى امرأة تسير امامه وحالما اصبح تجاهها وجهاً لوجه نفخ الهواء فأطار الغطاء عن رأسها وظهر من تحته وجهها ·· ولكن كيف ظهر · ظهر كالبدر الفاضح من وراء حجاب من الغيوم أو كالشمس المنيرة من خلف ستار الظلام · ولما وقع نظره عليها وشاهد معنى حسنها وجمالها كاد يطير صوابه واراد ان يحول بوجهه عنها او يغمض عينيه عن مشاهدة انوار تلك المحيا البهيج فلم يقدر وبالرغم عليه انجرح قلبه وطار صوابه ووقع عن غير اختيار الى الارض مغشياً عليه · واما الفتاة فقد اخذها الخوف والهلع فلم تقف واختشت ان يدرن المارة ان ما اصاب الرجل هو منها فأسرعت في اخذ غطاءها واعادته الى رأسها وعجلت المسير وبقي الرجل مطروحاً في مكانه لايعي على شيء مقدار دقيقتين حتى اجتمع حوله الذاهب والآيب من ذاك الطريق وبالطبع ان وقوع هكذا عابد في هكذا مكان تقوم له القيامه فاجتمع حوله الجماهير الكثيرة وحملوه على ايديهم الى معبده ورشوا الماء على وجهه واعتنوا بأمره حتى فتح عينيه ولما رأى القوم محيطين به وادرك الحالة الواقع فيها انفعل في نفسه ثم جلس متسائلا منهم عن السبب الذي اغابه عن الوجود واضاع رشده فقالوا له لانعلم بل رأيناك واقعاً على الارض غائباً عن الوعي فحملناك وذلك في المحل الفلاني في ضحية المدينة وحينئذ عاد اليه

خيال الفتاة التي رأها وكان السبب في تلك المصيبة فوقف في الحـال وأخذ في الصلاة يستغفر الله عما أصابه وعما اذنب اليه به · وعند مارأى الجماعة حالة العابد اخذوا بجماتهم يقبلون اذياله واياديه ويسألونه الدعاء ثم انصرف كل منهم الى حاله

وما انصرف القوم الا وقد عاودت الاوهام عابدنا واخذ قلبه في ان يضرب شوقاً لجمال تلك الفتاة التي أخذت بمجامع قلبه وأطارت عقله من نظرة واحدة على غير قصد ولا عجب فأول الحب نظرة ثم جعل يناجي ربه قائلا الامان ياربي العفو ياربي ياليتني ما كنت خرجت في هـذا اليوم من محلي أو ليت لم يقع الغطاء عن رأس تلك الفتاة الفاتنة ماذا أعمل الآن من نظرة واحدة عـدمت صوابي ورشدي وأضحت معارفي وعلومي وعباداتي وصيامي ضحية لتلك النظرة · وأخذ في ان يجتهد ليبعد عنه هذا الفكر ويطرد من خاطره صورة تلك المخلوقة البديعة ويشغل قلبه عن حبها بالصلاة والعبادة ولكن هيهات هيهات فقد قضى الامر وشغل الفكر وسرى الحب في كل عروقه ورأى الغرام مكاناً خلياً في قلبه فتمكن وهو لايعلم ما الحب ولا قدرة سلطانه حتى وقع فيه فكان تارة يقول ان ذلك تقدير من الرحمن وطوراً ان ذلك طغيان من الشيطان · والحاصل ان عمل العابد قد ضاع واخذ في ان يزيد عليه الحال الساعة بعد الساعة واليوم بعد اليوم لاهم له الا التأمل بتلك الهيئة البديعة والاشتغال في تدبير طريقة للتخلص مما هو فيه دون جدوى وكان كلما وقف الى الصلاة رأى محبوبته واقفة امامه بكمالها وجمالها والغطاء طائر عن رأسها وهي تنظر اليه نظر الحياء والخجل · ومرّ عليـه اسبوعان وهو على ما هو عليه لم ير وسيلة لخلاصه من غرامه ولا نفعه علمه وادابه وتقواه لدى قوة ذاك السلطان القادر الجائر · واخيراً لما رأى ان لارجاء بالسلوى وان هذا الحب كان امراً مقدوراً وقد سأل الله تعالى كثيراً ليبعده عنه ويخلصه من مصيبة الحب فلم يفعل بل دخل الحب قلبه جبراً ورغماً عاد فسلم امره للتقادير وصار يسأل الله ان يريه تلك الفتاة ثانية عسى انه يجد في ذلك سلوى أو تعزية واذ ذاك رأى من قلبه راحة وانعطافاً وانذره ضميره بانه سيراها · فصـار يقصد المكان الذي راها فيه في اليوم مرتين أو ثلاث مرات يطوف فيه ويقف ناظراً في النقطة التي كانت واقفة عليها ولكن لم يرها ولا استفاد الا اشتداد الحب والضنك وعذاب

القلب حتى رق وضعف واصبح كالخيال من نحوله وسقمه٠ وعند ما رأى العابد حاله وقد وصل الى هذه الدرجة غرق في بحار من الهموم والافتكار وهو يقول في نفسه أين العفة أين الطهارة أين العبادة التي صرفت زماني عليها وعاهدت الله ان لا انفك عنها ماذا جرى لي ومن أين جاءتني هذه المصيبة وما المقصود بهذا الحب هل ان الله لايرضى للمرء بحالة التعبد منفرداً عن الناس بل يريد ان يجربني فارسل لي الشيطان فالقى في رأسي هذا الوسواس ولكن محال ان يكون ذلك من الشيطان ولو كان من الشيطان لتغلبت على طرده باسم الرحمن مع اني طالما صليت وسألت الله ان يخلصني من هذا الحب المرغوم فلم استفد الا زيادة غرام وهيام ان لله في ذلك سر عجيب ماذا ياترى اعمل وكيف السبيل الى الوقوف على حال تلك الفتاة ومن هي ياترى وهل هي متزوجة أو بكر واذا كانت متزوجة فقد يحرم النظر الى وجهها ويستحيل زواجي بها

ولم يكن لبشر العابد غير هذا الهم وهذه الافكار وكلما قصد التخلص من افكاره عمد الى الصلاة فصلى وسأل الله ان يبعد عنه خيال تلك الفتاة وينزع حبها من قلبه ولكن دون جدوى واصبح يرى ان من المستحيل البقاء على تلك الحال وقد يستحيل عليه ان يترك صومعته ويسكن في المدينة ويبحث على تلك الفتاة التي لابد ان تكون محجبة في بيتها لايراها واذا رأها فتكون مستترة تحت غطاها فلا يعرفها وليس في قلبها من حبه شيء فمن اين يتوصل اليها هذا فضلا عن انه يصبح مضغة بافواه الناس فبعد ذاك التعظيم والاعتبار وتلك العفة والطهارة وذلك العلم والتقوى يصبح عاشقاً مغرماً بفتاة لايعرف طرق الوصول اليها والحصول عليها ولما زاد به الحد وخرج عن قاعدة القياس لاح له ان يترك تلك المدينة ويقصد بيت المقدس ويقدم العبادة هناك لله عسى انه يفرج عنه وقد ترجح لديه ان هذا الفكر هو الواسطة الوحيدة لسلوى من احبها فاولا البعد وثانياً زيارة الاماكن المقدسة ٠ وحينئذ هيأ ما يحتاجه في سفره وما وصلت اليه يده من الهدايا لبيت المقدس وفي الصباح سار قاصداً القدس الشريف وليس له شغل الا ذكر الله والعبادة ومع ذلك فقد اجتاز الطريق كله عدة ايام وشخص فتاته لا يفارقه وحبها يعظم في قلبه وكلما رام بعداً زاده قرباً ٠ ولما صار قريباً من بيت المقدس نزل عن

جواده ومشى باحترام باقي الطريق حتى دخل المدينة وجعل يزور الاماكن المقدسة ويسأل الله ان يفرج عليه ويجري ارادته فيه فاذا كان ذلك بامره تعالى فليقرب زمن التصاقه بمن جعلها موضوع افكاره حتى كادت تشغله عن عبادته وان كان من الشيطان فليقوه عليه ولينزع حبها من قلبه ويخلصه مما هو فيه

ولما فرغ من وقت الزيارة ورأي نفسه مضطراً للعودة ودع بيت الله بالدعاء والصلاة وخرج من المدينة وفيما كان ذات يوم سائراً في طريقه صادف رجلا فحياه وسلم كل منهما على الآخر ثم سأله من اين آت والى أين ذاهب فقال له انه عائد من المدينة الفلانية الى مدينته . فلما سمع العابد بشر بان الرجل من مدينته وانه سيرافقه المدة الباقية من الطريق فرح جداً وقال له وانا أيضاً ذاهب الى المدينة المذكورة وسنترافق الطريق بطوله . فقال حباً وكرامة وقد ظنه أحد مواطنيه الاعيان . ولما قطعا جانباً من الطريق سأل الرجل بشراً عن اسمه ومن اين آت . فاجابه اسمي بشر وقد ذهبت الى بيت المقدس لاداء الزيارة وانا الآن عائد الى بلدي . فقال له : الآن تبين لي مما ذكرته انك رجل جاهل عديم المعرفة لا تعلم شيئاً عن حالة هذه الدنيا

فلما سمع بشر من الرجل هذا الكلام تعجب منه جداً وسكت مفتكراً قائلا في نفسه ما المعنى يا ترى من هذا الرجل وما هو علمه وفضله ثم صمم النية على السؤال منه وامتحانه فقال له لقد عرفت اسمي ومن انا وأين كنت ومن اين آت فاخبرني الآن من انت وما اسمك وما معنى الكلام الذي قلته . ففتح الرجل فاه وانطلق بالكلام دون تردد وانقطاع . فقال

نعم أي بشر بالحق انك جاهل وبسيط لا تعقل ولا تدرك ما الفرق بين الناس انا الذي يقال لي مليخا امام الائمة وفيلسوف العالم ورب من اشتهر بالعلم والفضل وتفرد فيهما بين الانس والجن . وليكن مؤكداً لديك انه لم يأت الى هذه الدنيا رجل عاقل كامل فاضل مثلي ولا يمكن ان ياتي والان تعلم الحقيقة انه لايوجد شخص يضاهيني في مكان قط . فاصغ الان واعلم مقدار علمي وفضلي وكمال اطلاعي على سرائر الدنيا وخفاياها فكل ما هو في السماء وكل ما هو على الارض وفي البحر وكلما يخطر للانسان ويلوح له موجود علمه عندي وظاهر لديّ وهذا الذي

يجعلني فريد الدهر وحيده · نعم نعم لايوجد مثلي في العالم مطلقاً بالحق انا نادرة الزمان وفريدته · فقد اوصاني العلم الى درجة اعلم منها ما هو اصل تكون الجبال ومقدارها وارتفاع كل واحد منها وكذا السهول والانهر وكيف تجري والى اين تنتهي واجناس النباتات والحيوانات بانواعها وما هو جميل وما هو قبيح وما هو محبوب وما هو مكره منها واعلم اصل منشاء كل شيء واعلم الابراج الفلكية ومكان الشمس والقمر والكواكب والملائكة وكيف صارت وما هو عملها وكلما يخطر في اذهان المخلوقات من اولها واعظمها حتى النملة اصغرها واضعفها اعامه وكذلك اعلم زمن تسلط كل ملك وزمن سقوطه أو انقراضه واخبر به قبل الف سنة وأيضاً اعلم الطب علما لم يسبقني اليه احد حتى اقدر ان ادفع كل مرض يقع فيه الانسان واصونه من الموت عند ما اريد · نعم مهما قات فانا فوق ما اقول انا انسان ولست حيواناً مثلك · · · الانسان الذي يقال عنه انسان هو من كان مثلي ومن كان دوني فهو حيوان الانسان من يعلم كم حبة تراب في الارض ويعرف ما فيها من الجواهر والخزائن والخفايا التي دفنت فيها والحاصل لايوجد مثلي في هذه الدنيا حتى ولا في الفلك والسلام

فلما سمع العابد من رفيقه هذا الكلام بقي مقدار نصف ساعة محدقاً بوجهه بكمال الحيرة والتعجب ولم يجسر ان يفتح فمه وبينما كان يفتكر في نفسه قائلا من هذا الرجل وما هو هذا الهذيان الذي يقوله أهل احد غير الله سبحانه وتعالى يقدر عليه ظهرت في الافق في الجهة الواحدة غيمة سوداء وفي الجهة الثانية غيمة بيضاء · ولما رأى مليخا هاتين الغيمتين التفت الى بشر وقال له · أي بشر الاحمق هل تقدر ان تعلم لماذا احدى هاتين الغيمتين بيضاء ولماذا الثانية سوداء · فضاق صدر بشر العابد من كلامه القبيح ولكنه تصبر وتحمل وقال لنفسه صبراً الى النهاية وحينئذ فتح فاه وقال · نعم يامليخا ان حكمة الله سبحانه وتعالى قد قضت بذلك فالسوداء هي متراكمة متكاثفة متلبدة فوق بعضها البعض سوف تنشرها الريح فتأتي بالمطر والبيضاء هي غيمة رقيقة تمر بدون ان تمطر لضعف اجتماعها ورقتها وعدم تكاثفها · فقال مليخا كلاوهذا الذي يبرهن لي عن جهلك وعدم معرفتك أأدركت العلم كم هو عظيم ان هذا الذي تراه ليسه غيما كما ترى بل هو دخان محترق ولايقدر ان ينكر

ذلك انسان في رأسه عقل . واما البيضاء فهي رطوبة خفيفة متصاعدة من الارض اعلمت ايها الجاهل في أي درجة انا من العلم والمعرفة . فسكت بشر أيضاً وتحمل وصبر ولم يجبه بكلمة . ومن بعد لحظة هبت ريح شديدة فعاد مليخا الى الكلام فقال لبشر اتعلم هذه الريح من اين مصدرها اذ يلزم ان تكون عارفاً كل شيء ولا تكون عائشاً كالبقر والحمير لا تعلم شيئاً . فاجابه بشر سبحان الله لقد تماديت ان الريح تاتي بامر الله سبحانه وتعالى وعند مالا يكون له ارادة بشيء لايظهر شيء من ذلك . فاحمر وجه مليخا وغضب وقال له أي سفيه قليل العقل أأتيت أيضاً بدليل ضعيف فالى أي وقت تعتقد انت بهذه الاعتقادات الباطلة والى أي زمن تمسك بالخرافات العجائزية لماذا تجتهد دون ان تدرك وتدعي العلم وانت جاهل الا تعلم مافي الدنيا الم تحصل بالحقيقة علما واحداً الم يسع كبر دماغك حقيقة واحدة ان ماتقوله هو من الاوهام الفاسدة والاباطيل الزائده ان أصل هذه الريح من الخلاء يحركه بخار الارض ويهزه فلما سمع بشر كلامه ضاق عليه رحب الارض وكاد لا يصبر عليه لولا يحمله عقله على السكوت والتأني منتظراً النهاية وهو يقول في قلبه العفو ياربي اية بلية جلبت على نفسي ياليتني ما رأيت وجه هذا الرجل ولا رافقني في طريقي وفيما هو يفتكر في ذلك صادف مرورهما على جبل عال فالتفت مليخا الى بشر وقال له الان اسألك سؤالا تعلمه الاطفال وتجيب عليه بصواب فاذا زغت عن الحقيقة ضاق صدري واحوجتني الى الغيظ والكدر . أسألك لماذا هذه القمة من الجبل اعلى من باقي القمم ولما هذه القمم اصغر من تلك القمة اجب حالا . فاخذ بشر يهتز من سؤاله هذا اهتزاز الاغصان عند هبوب الرياح وعزم ان لايجيبه لكنه فكر ان يصبر أيضاً ويطيعه ليرى النهاية فقال له ان ماتسأله هو واضح ان الحكمة الالهية قد قضت بمثل هذا التفاوت بين القمم كما قضت بالتفاوت بين اجناس الانسان والحيوان والنباتات وكل المخلوقات سواء كان في الارض أو في السماء . فاظهر مليخا الغضب والحدة الى منتهاها وقال ويلك يابليد يااحمق ياجاهل هل تظن بنفسك العلم والمعرفة وانت حيوان اعجم لا تعي ولا تفرق بين النور والظلام الا تعلم انه عندما تمطر السما ويسير المطر على الارض لايلحق بالمحلات المرتفعة فتبقى على حالها والمحلات التي تسيل عليها مياه المطر تنقص

وتنخفض بما تجرفه المياه منها وكلما اشتد المطر في ناحية زادت انخفاضاً هذا هو السبب في ارتفاع الجبال وانخفاض السهول وتفاوت الاكام عن بعضها البعض بالارتفاع

ففي هذه المرة ضاق صدر بشر العابد ولم يعد قادراً على التحمل والصبر فقال له والغضب يقيمه ويقعده ان كل هذا الهذيان الذي تكلمت به هو كفر واثم وصار من الواجب قتلك ومحوك من مملكة يحكمها الله ويديرها بعنايته ويح لنفسك ايها الخبيث استجمع عقلك وافتكر فيما تقوله فانك تقاوم الله وتخالفه فاذا كنت لا تعلم شيئاً فلماذا تدعي العلم اعوذ بالله هل انت شريك الله في عمله ومعرفته حتى تأتي بالادعاآت الفارغة ما هو حدك لتتكلم مثل هذا الكلام ومن انت لقد صبرت عليك واحتملت منك الاهانة والتحقير ولم افه ببنت شفة حتى غادر بك الكفر والطغيان فلو بلغ عمل الانسان وعلمه اعلى درجات المعرفة والفلسفة لايحسب ذرة بالنسبة لعلم وعمل واجد الوجود نحن لانقدر على عمل شيءٍ الانسان يعلم من نفسه بانه مخلوق مصنوع بيد خالق عظيم وصانع عجيب فكيف يتساوى الخالق بالمخلوق ان ذلك الا عصيان وكفر واذا كنا نعلم ما يعلمه فكيف لانعلم ان ندفع الموت عنا ونتغلب عليه كما هو متغلب عليه فنحن نموت وهو لايموت ان فخر الانسان بعلمه ومعرفته جهل فاضح فما علم الانسان في حالة الوجود الا كعلم الجنين وهو في الرحم فاقتصر الان عن غيك ولا تدعي معرفة ما تجهله . فما انتهى بشر من كلامه حتى قال له مليخا الان تاكد لي جهلك وحمقك وقلة فهمك ... ثم هزّ رأسه وسكت عن الكلام . فقال له بشر لقد احسنت فاني اريدك ان تسكت قل عني جاهلا قل عني حيواناً مهما قلت فقل ولكن اصمت عن كل كفر . فلنر هل يصمت مليخا كلا فانه كلما صادف شيئاً اعترض عليه وطلب من بشر الايضاح عنه وعارضه فيه بالادعاآت الباطلة الفارغة وبشر يتمرمر ويتضجر ويتمنى ان لا كان التقى بهذا الرجل الكافر

وبعد ان سارا على مثل ذلك عدة أيام وصلا الى بر مقفر وصحراء محرقة فعطشا واشتد بهما الظمأ وكانا لشدة حرارة الهواء يتضايقان من شدة العطش حتى أصبحا في حالة يرثى لها وقد تدلى لسانهما من حلقيهما ونشف ريقهما وكان كل واحد منهما يبحث عن الماء من جهة وبشر يقول في قلبه من أين جاءتني هذه البلوى كل

ذلك من كفر هذا الرفيق الخبيث ولم ينقضي النهار حتى رأيا عن بعد شجرة تجتمع اليها الطيور وتحوم حولها فقال لابد ان يكون تحت هذه الشجرة ماء فأسرعا اليها فوجداعند أسلفها ماء صافياً رائقاًووجدا في الارض حفرة كانهافم كوب والماء داخلها فلما رأيا الماء فرحا وكان أشدهما فرحاً مليخا فقال لرفيقه أنظرت كيف وجدت لك الماء أعلمت مقدار عقلي وعلمي فلا تعد تنكر عليّ بعد الآن ما أقوله لك فقال له بشر أخذ الله روحك وأراحني من كفرك هل أنت الذي أوجدت الماء ثم انهما جلسا حول الماء وشربا معه فوجداه لذيذاً صافياً شهياً فاستنسبا ان يقيما ساعة هناك للراحة . ومع ذلك فلم يكف مليخا عن الكفر وكثرة الكلام فقال اي بشر اريد ان أسألك سؤالا لارى هل تقدر ان تجيبني عليه تماماً من أدخل هذا الكوب في الارض على هذه الطريقة ولماذا هذا الماء يجري ومن أوجده فيه فقال بشر نعم انه لم يكن ماء في هذه الصحراء المقفرة فلاجل راحة المسافرين والمارين من هنا ذهاباً واياباً اقام اهل الخير هذا الماء ثواباً لوجه الله ولاجل وقايتها وضعوها في كوب وادخلوا الكوب في الارض وهم الذين يحافظون عليه من الكسر ويأتون بالماء فيضعونه فيه كلما فرغ وبذلك يكتسبون دعاء الذاهب والآيب وينالون أجراً من الله عليه والحاصل ان هذا الماء سبيل من اهل الخير فقال له مليخا ماشاء الله عليك أيها الفيلسوف الماهر والف مرة ماشاء الله عليك على هذا العقل الناقص والفكر القاصر ولو كنت اعلم ما انت عليه من هذه الافكار الجنونية التي لاتصدر الا عن البسطاء والجهلاء من الناس ولا يقولها الا كل ضعيف الرأي عديم الادراك والصواب لاخترت الانفراد بنفسي ولا اتخذنك رفيقاً لان من اعظم الضربات ابتلاء العالم بالجاهل . ألا تعلم أيها الكبير الدماغ الصغير العقل ان هذا الماء ماوضع هنا الا كفخ لان الصيادين الذين يطوفون الصحارى والبراري لاجل صيد الحيوان قد اختاروا هذا المكان فوضعوا فيه هذا الكوب وأملؤه ماء وزرعوا هذه الشجرة وصاروا عندما يطلبون الصيد يأتون فيختفون فيها وبالطبع ان الحيوانات كالارانب والغزلان ونحوهما عند مايشتد بها العطش والظماء تطوف الصحراء مفتشة على الماء حتى تأتي هذا المكان متهالكة من الظماء فترمي بنفسها الى الماء فينقضون عليها ويمسكونها او انهم يرمونها بالسهام فيقتلونها وهذا هو القصد من وجود الماء هنا. فقال بشر ليس هذا بالمهم فكل

انسان يعتقد مايلوح له ويخطر في ذهنه ويرى الامور بحسب ضميره وطهارة قلبه فالرجل المتدين الخائف الله يظن بالناس خيراً ويرى الخير في كل ناحية وأما الرجل الكافر فيظن بالناس سوء فكل خير يعملونه يراه شراً لانه لايعرف للخير باباً فاصغ لي واقبل مني النصيحة ولا تكن كافراً ولا تتكلم بالناس شراً ولا تحد عن طرق الخير وتب الى الله تعالى فيعفو عنك فان المرء من ثمرة أعماله يأكل فاذا سمعت مني وقلعت من قلبك ورأسك هذه الافكار الباطلة الفاسدة وطهرت نفسك من ادران الكفر ذهب عنك غضب الله وتخلصت من انتقامه. فهز مليخا رأسه وقال له اقصر عند حدك فقد ابتليت فيك فلا حول ولا قوة والآن بعد خروجنا من هذا المكان سر أنت وحدك وأنا وحدي، لان رفقة الجاهل مصيبة كبرى وبلية عظمى فكفاني مالقيت منك فيما مضى

ثم انهما وضعا الاكل فأكلا وشربا واستراحا برهة وبعد ذلك قال مليخا اني أريد ان أنزل في هذا الماء وأغتسل فانتظر بضع دقائق . فلم يخالفه بشر بل نهض واقفاً واخذ في ان يتمشى على بضع أزرع من الماء مفتكراً في أمر رفيقه متأسفاً عليه غير ناظر فيه . اما مليخا فانه نزع ثيابه وغاص في الماء ولم يعد يظهر له أثر وبقي مليخا على حاله مقدار ساعة ثم جاء لجهة العين ونظر في الكوب فلم ير أحداً فوقف مبهوتاً متعجباً حائراً لايعلم ماذا يعمل ولا يعرف ماذا جرى لرفيقه هل ان الارض ابتلعته او ان العفاريت اختطفته وقد لاح له ان العين عميقة وان مليخا ربما يكون قد غرق فيها وبقي على حاله نحو الساعتين أيضاً واذا بجثة مليخا قد طفت فمديده اليها وتناولها بأسرع من لمح البصر وأخرجها الى الارض واذا به هو مائتاً فحزن عليه جداً ولكنه قال في نفسه هذا فعل الله العظيم ان لفي ذلك عبرة لاولى الكفر ثم خر للارض ساجداً وصلى لله وشكره على رحمته به وسأله العفو عن روح مليخا الذي انكر قدرته وادعى لنفسه معرفة كل شيء . ثم حفر في الارض قبراً فدفنه فيه وجمع ثيابه وامتعته وما يحمله من الدراهم ومقدارها مائة ذهب وقال من اللازم ان احمل تركته الى المدينة واسأل عن أهله واقاربه فادفعها اليهم اذ لايليق بي ان اتركها لي او لغيري . وسار في طريقه وهو لايفتر عن ذكر الله ولا يغيب عن ذهنه كل ماتوقع له مع مليخا فكان تارة يأسف عليه ويحزن لاجله وطوراً يقول

كمن يناجيه . أي مليخا اين انت وكيف مت مع انك امام العالمين اين تركت علمك ومعرفتك واين كرامتك وفضيلتك قلت انك تعلم علم الغيب وتعرف كل مافي الارض والسماء مع انك لم تعلم مافي هذه البئر الصغيرة لماذا لم تخلص نفسك من الموت لماذا تركت الماء تقوى عليك وتخنقك . لقد قلت لك ان هذا الماء وضع هنا لاجل الانسان ولعمل الخير وانت قلت انه وضع لاجل صيد الحيوان والوحش فها قد جوزيت به

ولا زال سائراً في طريقه عدة ايام حتى وصل من المدينة وكان جل اهتمامه ان يوصل امتعة الرجل ودراهمه لاهله ويخبرهم بما وقع له معه وهو على يقين انهم يصدقونه في كل ما يقوله . ولكنه حالما دنا من المدينة عادت اليه افكاره الغرامية وعاد شخص تلك الفتاة التي رأها وقد طار الغطاء عن رأسها يلوح لعينيه خصوصاً عندما مرّ من تلك الناحية التي رأها فيها فلما اشتد به الحال قال السماح ياربي لقد فارقت المدينة وقصدت بيت المقدس وتبت اليك واستغفرتك ذنبي وسألتك ان تخلصني من ربقة سلطان الغرام فها أراه كالاول لابل يشتد فما هي ارادتك بذلك اغفر ذنبي ياربي وارحمني ولا تجعل حياتي شقية . وكان اهل المدينة قد عرفوا بوصوله فخرجوا كبيراً وصغيراً للقائه وكلهم يقبلون يديه ويتبركون منه . ولا زالوا بين يديه حتى اوصلوه الى محله فودعوه يسألونه الدعاء لهم وبقي هو كسابق عادته يصلي في صومعته ويحارب افكاره الغرامية مدة اسبوعين . ثم رأى من الضرورة السعي والسؤال عن بيت مليخا كي يوصل امواله لاهله فدخل المدينة وسأل عن بيت مليخا فتسابق الناس الى خدمته فأوصلوه اليه فشكرهم وصرفهم ثم طرق الباب فأجابته امرأة من داخل . من الطارق . فقال لها اهنا بيت مليخا . ففتحت الامرأة الباب ووقفت خلفه وقالت نعم فما هو شغلك فأمر به علنا نقدر ان نخدمك به . فدخل بشر ووقف مبهوتاً متفكراً كيف يبلغهم الخبر وكيف يعلمهم بموت مليخا . وبعد التردد سأل الامرأة اهل انت زوجته . اجابت نعم انا اسيرته او بالحري زوجته المعذبة فالله يفكني من هذا القيد . فتعجب العابد من كلام المرأة وطعنها بزوجها . فسألها هل انت غير مسرورة من مليخا . فاجابته اني اطلب الى الله اما ان يأخذ روحي واما ان يأخذ روح هذا الخبيث الكافر

بهرام

الطاغي ويخلصني من يده لاني لاقيت من كفره وظلمه وعذابه مالا يمكن ان تكون قد لاقته امرأة على وجه الارض . مارايت في كل مدة وجودي عنده دقيقة واحدة من الراحة والهناء ولهذا السبب تراني غير مسرورة من هذا البخت التعيس وقد أخفيت حالي عن كل الناس ولم أخبر بحالي أحداً لاقريباً ولاغريباً والآن لا أعلم ما السبب حتى بحت بظلمي وغدري امام رجل لا اعرفه ما ذلك الا بقضاء وقدر فاعذرني فقد تكلمت عن غير وعي . ولكن هذه حالتي انطقني الله بها والسلام

فتعجب بشر غاية التعجب وقال في نفسه اني مارأيت ولا سمعت عمري بطوله ما اسمعه الآن من هذه الفتاة فهي على مايظهر في ريعان الصبوة فكيف تزوجت برجل تكرهه وما هو الداعي لزواجه وما هو سبب العذاب الذي تلاقيه منه وقد رأى من عذوبة كلامها ورقة معانيها ما وقع في قلبه موقعاً رفيعاً وبعد ان طرق برهة قال لها كيف انك تكرهين مليخا واذا كنت تكرهينه فلماذا تزوجت به ومن الذي كان سبب هذا الظلم احكي لي ولا تخفي فاني اكره مليخا اكثر مما تكرهينه وسترين ذلك بعد قليل . قالت كيف لا أكرهه وهو لم يعتبرني بمقام الزوجة بل كان يحتقرني ويهينني ومع ذلك فاني لم اخالفه قط في امر من الامور الا في مباديه الكفرية فأنا بنت فلان التاجر وقد احبني ابي وامي كثيراً . فلا اعلم من اين سمع بي مليخا ولا من وصفني له فصرف جهده للاقتران بي وقد تظاهر امام والدي بالغنا والعقل فزوجاني . وبعد ان قمت عنده مدة يومين ابتدأ باظهار اطواره الوحشية وهو يتكلم بكلام غير معقول ويكفر بالله وبقدرته وحتى الآن لم أر من هذا الرجل الا المعاكسة والاهانة ومع ان ابي وامي كثيراً ما اجتهدا بمنعه من الهذيان والشطط فلم يزد الا توحشاً وبربرية وكفراً ثم صار يمد يده اليّ ويضربني على غير ذنب مع اني ارى العاقل من الناس من يعيش مع زوجته بالحب والسلام لتتم سعادتهما سيما اذا كانت الزوجة متهالكة في راحة زوجها وقيام بيتها عاملة على كل ما يطلبه الله منها من الحقوق الزوجية المقدسة كاملة في محاسنها وأدابها وطهارتها

وكانت تتكلم وبشر العابد يسمع لها وقلبه يختاج من فصيح كلامها ورقة معانيها وحسن مباديها وسمو آدابها ثم قال لها اذا كان الامر كما زعمت فاني آتلك ببشارة كبرى فيها نفعك وخيرك وخلاصك من مليخا فانك لم تعدي ترين وجهه بعد الآن

وذلك اني بينما كنت آتياً من زيارة بيت المقدس صادفت في الطريق مليخا فاتخذته رفيقاً لي ولكن تكدرت منه لكفره وادعائه الباطل ونكرانه قدرة الله فقد لاقيت منه في هذه الايام القليلة من الهذيان كما قلت ماجعلني اكرهه واندم على مرافقته ومازلنا حتى أتينا عين ماء وكنا من العطش في حالة يرثى اليها وبعد ان شربنا وأكلنا طلب ان يغتسل في الماء فانسحبت عنه الى جانب ونزع ثيابه وغاص في الماء فانتظرت ساعات فلم يخرج من الماء فافتقدته فاذا به مخنوقاً فاخرجته متأسفاً عليه وقد تيقنت ان الله جازاه على كفره وعناده وبعد ان دفنته حملت ما كان معه من الامتعة والدراهم واتيت بها على قصد ان استدل على بيته واهله فاسلمها اليهم لانها حقهم الشرعي ولذلك بعد ان وصلت المدينة ببضعة أيام استخبرت من الناس عن بيت مليخا فدلوني وقد اصحبت معي الامتعة والمال لاسلمها لك فها هي حاضرة معي لان الله جلّ جلاله يحب الصدق وقد اوصى بالامانة فمن الواجب عليّ ان أوديها كما هي

فلما سمعت المرأة كلام بشر لم تتكدر على زوجها ولا بكته بل بالعكس فرحت لانها كانت مظلومة وكانت تكرهه لكفره ونكرانه الله جلّ جلاله ولكنها كانت تتفكر بعمل بشر ثم قالت له بالحقيقة انك رجل امين صاحب مروءة وكرامة ولو كان غيرك لاخذ كل ما كان يحمله زوجي واخفى امره اما انت فقد اديت شروط الامانة فمثلك تكون الرجال والا فلا والان ارجوك ان تدخل الى الداخل وتجبر خاطري بكاس شراب فقط جزاء معروفك وتقاك وحسن ذمتك . ولما الحت عليه دخل معها وهي تعظمه وتبجله وتحترمه وتكرمه . ولما دخل بشر البيت وجده واسعاً عالياً مزيناً بانواع الفرش الفاخر وفيه الخدم والجواري وقد سعى الكل الى خدمته . فاحتار بشر من ذلك وتعجب كيف ان مليخا مع كفره ونكرانه واجد الوجود حصل على غنى وافر وسعادة كاملة وزوجة فاضلة مع انه لا يستحق مثل هكذا نعيم . وكانت افكار بشر تشتغل من الجهة الواحدة بحالة مليخا وغناه ومن الجهة الثانية بزوجته وفضلها وادبها وقد شغل قلبه فيها وصار يختلس النظر اليها ثم يتشاغل عنها نادماً على ما فرط منه ولكن قلبه لا يطاوعه الا التقرب منها ولهذا كان يقول ياليت هذه المرأة تقبل بي زوجاً لها حلالا فانها تخدمني وتكرمني وتعرف فضلي واعتبرها واجعل لها عيشة هنيئة راضية فهي صالحة تقية . ثم يغالط

نفسه ويقول كلا كلا لا يلزم ان افتكر بمثل هذا الامر واطمع في زوجة الرجل وامواله سيما وهي لا يمكن ان تقبل بذلك ومن اين تعرفني وتركن الي وعلى الخصوص فانيفقير لا املكمالا ولاعقاراً وكل ماكان عندي انفقته في سبيل الله ٠ وبعد ان قدمت زوجة مليخا لبشر حق الضيافة جاءت فجلست امامه وسألته ان يعيد عليها خبر موت زوجها فاجاب طلبها وحكى لها الحكاية من أولها الى آخرها حرفاً بحرف كيف انه صادفه في الطريق وكيف ادعى انه عالم الانس والجن وعارف بما في الارض والسماء وكيف قاومه وعانده ونصحه وبين له قدرة الله وصمدانيته وهو يهزء ويسخر حتى لقي عقابه ٠ فعادت المرأة الى الشكر من بشر وقالت له نعم ان افكاره كما قلت ولم يكن مسروراً من احد ولذلك كنت اكرهه وقد صرفت معه عدة اشهر على الكره والعناد وهو يجتهد ان يقنعني على مساواته بالكفر واعترافي بوحدانية علمه فكنت اخالفه واجتهد لارجعه الى الله فكان يهينني ويضربني فاشكر الله الان لاني تخلصت منه وشكري هذا لايفي بحق ماله عليّ من الفضل والمنة في خلاصي هذا ٠ واما بشر فانه كان تائهاً من عذوبة كلام الفتاة ولطف حركاتها وحسن محاضرتها ورفيع ادابها يتمنى لو انها تكون له وفي حوزته وقد رأت منه انشغال باله وتيهان عقله فادركت انه تولع بها وكانت هي أيضاً قد رأت فيه التقوى والامانة والعقل والزكاء وشاهدت فيه حسناً باهراً ووجهاً منوراً فمالت اليه وقالت في نفسها ماضر عليّ لو اتخذته زوجاً واقترنت به فاني لاشك اعيش سعيدة واغسل تلك الايام السوداء بايام بيضاء فقد ساقه اليّ القدر لهذه الغاية ولكن ما الوسيلة لمفاتحته وبعد التفكر والامعان قالت له وهو لايزال تائهاً لا يعرف ماخلفه وما امامه ٠ وان كان مليخا قد مات وتخلصت منه فابق انت سالماً والآن اذا ساعدني الحظ وخدمني التوفيق يسهل لي الاقتران بزوج عاقل نظيرك محب فاضل تقي ينسيني مدة العذاب والعناء التي صرفتها مع مليخا فلا ريب اني اعيش واياه عيشة صالحة براحة وهناء كروحين في جسم واحد ٠ فكاد يطير بشر من الفرح وهو يقول في نفسه اصحيح ماتقوله اتريد الاقتران بي ولكن ما الفائدة وقلبي وفكري معلق بتلك التي رأيتها وصورتها لاتبرح من ذهني وفيما هو غائص في افكاره لايدري بماذا يجيبها عادت الى قولها فقالت ٠ نعم اذا كنت

تقبلني زوجة فمن سعادتي لانى لا اتوفق لوجود زوج اوفق منك لاني حالما رأيتك وقعت محبتك في قلبي وبعد ان اخبرتني بموت مليخا تاكدت ان ذلك فعل الله . وانك ستلاقي مني الزوجة المطلوبة فضلا عن انه عندي من الاموال مايكفي لعيشتنا هذا فضلا عما ارثه من مليخا ومن ابي وهذا يساعدني على القيام بخدمتك حق القيام وانت تعلم ان لابد للمرأة من الزوج لتعيش مستورة وتفي بواجبات هذه الدنيا التي فرضها الله عليها بمساعدة الرجل وما من شك عندي اننا سنكون راضيين من طالعنا ونصرف عمرنا على الهناء والسعادة لاني اراك رجلا كامل الصفات حسن العبادة فلا يمكن لي ان اتوصل للزواج برجل مثلك وكذلك انت لايمكن لك ان تقع على زوجة مثلي تعرف قدر الرجل وكيف يجب ان تخدمه فضلا عما اعطانيه الله من الجمال النادر المثال ولكي تتحقق ذلك اكشف لك عن وجهي لتتاكد صدق قولي ثم ازاحت اللثام عن وجهها وبان من تحته جمال باهر وحسن فاضح لم يخلق الله مثله

فلما وقعت عين بشر عليها تبين له انها هي نفس الفتاة التي رآها في الطريق واطار الهواء الغطاء عن رأسها وقد اصابه من حبها وغرامها من نظرة واحدة ما كاد يذهب بسببه ولبه وفي الحال اغمى عليه ووقع الى الارض فاقد الحواس . فتعجبت الفتاة من حاله وقالت يا للعجائب ماذا اصابه وقد شغل بالها لاجله . ثم اسرعت فرشت الماء على وجهه حتى فتح عينيه ورآها الى جانبه فجمع حواسه وجلس في مكانه وبعد ان عاد اليه وعيه سألته عما اصابه وما هو السبب فيه فاجابها كيف تسأليني اذا كنت اقبلك زوجة وانت سبب شغل بالي واضطراب افكاري وموضوع حبي ليس من اليوم بل من مدة اشهر وقد اصابني بالرغم عليّ من عذاب الحب مالم يصب به عاشق فالشكر لله تعالى الذي اوصلني اليك لاطفي نيران غرامي . فزاد تعجبها من كلامه وسألته من أين وقعت بغرامي وانت لم ترني قبل الآن وانا لم اسمع بك ولا رأيت لك وجهاً قبل هذه الساعة . اجابها صدقت فانك لاتعلمين بحبي واما انا فقد رأيتك في الوقت الفلاني في الطريق الفلانية وقد طار الغطاء عن رأسك من الهواء وظهر لي حسنك وجمالك فتعلق به قلبي وارتبط به عقلي وبقيت عدة ايام اصلي الى الله واطلب اليه ان يقتلع حبك من قلبي

فما كنت ازيد الا حباً وغراماً . ولما اعياني الامر وضاقت بي الحيل خطر لي ان ازور بيت المقدس لعلي اسلوك وانسى حبك فجرى لي مع زوجك في اثناء عودتي ماجرى وما ذلك الا من غرائب العناية التي قصدت خلاصك من زوجك الكافر الخائن لان الله عادل فلا يبقي نفساً في ضيق ولا يجمع بين الكافر والتقي فجلّ جلاله . فزاد تعجب الفتاة من هذه الصدفة وقالت له ما من شك ان الله قد فعل ما فعل للاجتماع بيننا لنعيش كما يريد واتخلص من كل شر لاقيته ولهذا اعتبر نفسي كاني ولدت من جديد في حجر السعادة والاقبال

وفي الحال اهتما باتمام العقد وبمدة قصيرة نالا الحظ الوافر والسعادة الدائمة وعاشا عيشة خضراء بهناء وراحة وبقيت كل ايامهما مخضرة زاهرة الى ان فرق بينهما الممات

وبعد ان حكت السيدة بري بنت صاحب الاقليم الثالث أي سلطان خوارزم حكايتها على ما تقدم . قالت له وهكذا ياسيدي اري من الحكاية التي سمعتها ان اللون الاخضر هو مقبول اكثر من سائر الالوان فالنبات عند ما يكون مخضراً يكون محبوباً مرغوباً وكذلك الزمرد كلما زاد اخضراراً زاد قيمة وغلا ثمنه والحاصل ان اللون الاخضر يجلي النظر وتتوق اليه النفس وقد فضلوا الربيع على باقي الفصول لاخضرار الارض فيه . ثم انتهت من الكلام

وعند ما سمع بهرام شاه هذه الحكاية تعجب غاية العجب وبعد ان تفكر فيما كان من أمر مليخا وبشر قال بالحقيقة لا يقدر أحد ان يعرف مقاصد الله واعماله فكم من فتى نراه في اعيننا جميلا وهو قبيح الصفات والاعمال والعكس بالعكس فما كل جميل جميل وقد صدق من قال

وقبيح ظن لما ان دعى   بجميل انه اضحى جميل
كيف لايدري بان الكلب قد   لقبوه بالوفي وهو ذليل

ثم أخذ مع زوجته بالبسط والانشراح والمداعبة والملاعبة وكان المساء قد اقترب وبناء على امر بري لبس نحو خمسين جارية من جواريها الحسان الملابس الزمردية من روسهن الى اقدامهن وحضرن وبيد كل واحدة منهن مصباح اخضر فعلقنها جميعها في اغصان واشجار تلك الحديقة فامست مزينة بالانوار فكان بهرام وهو في الوسط يرى نفسه كانه في جنة النعيم ومن حوله السماء قد تدبجت

بالكواكب وبين يديه الحور العين يتمايلن ويتسابقن في خدمته فسر غاية السرور . ولما حان وقت الطعام تهيأت الصفرة بلون اخضر ووضعت عليها الاواني والصحون وكلها من الصيني الاخضر المرصع بالزمرد ولما جلس للطعام طاف بالصفرة البنات وهن كالاقمار وبايديهن الشمعدانات الخضراء والشموع الخضراء . ولم يكن بهرام ليجحد فضل الله الذي انعم عليه بمثل هذا النعيم ولذلك كان لايفتر عن الشكر والحمد لله عز وجل . وبعد مناولة الطعام نهض وزوجته عن المائدة وغسلا أيديهما وعادا الى الحوض فجلسا في مكانهما وغاصا في بحر الانس والصفا الى ان آن أوان المنام فدخلا القصر والتصقا ببعضهما حتى الصباح فنهضت الملكة قبل بهرام وأمرت باحضار الحمام وما يلزم ثم عادت الى جانب بهرام شاه تقبله وتعانقه ففتح عينيه وشاهد بدر جمال زوجته يشرق فوق وجهه فمد يديه ولفهما فوق عنقها وجذبها الى صدره وقبلها في خدها والصقها به ثانياً . ثم خرجا من السرير ودخلا الحمام فاغتسلا وحينئذ سألته . أي زوجة يقصد في ذاك اليوم فاخبرها انه سيبات عند نسرين بوش بنت ملك صقلاب صاحب الاقليم الرابع فاتته بثوب احمر مرصع بالياقوت الاحمر وافرغته عليه بيديها وخرجت به الى غرفة الراحة وبعد ان شرب ماقدمت له من الاشربة السكرية نهض فقبلها في خدها وقبلته في عنقه وجبهته وودعها وخرج عازماً على الذهاب الى القصر الاحمر وهو لابس الملابس الحمراء

ولا زال بهرام شاه سائراً في طريقه بالابهة والاجلال ولما صار في نصف الطريق رأى صيواناً احمر ترصع جميعه بالياقوت الرائق الشفاف يتلألأ كالشمس في رابعة النهار يعجز المرء على الاحداق به ومن حوله نحو خمسمائة فارس بالالبسة الحمراء فوق خيول حمراء وبيد كل واحد منهم سيف مرصع بالياقوت الاحمر وقد اصطفوا صفين صفين لتأدية السلام

فلما رأى بهرام ذلك قال عجباً ماهذا الصيوان المنصوب هنا ولماهؤلاء الفرسان قائمين عنده . وأما الفرسان فانهم حالما رأوا بهرام شاه وقد صار قريباً منهم خفوا لاستقباله بانتظام وترتيب وقاموا بواجب السلام والاحترام . فتحير من أمرهم واستدعى قائدهم وقال له ماهذا الصيوان فأجابه القائد بعد ان قام بواجب الدعاء

والثناء اننا ارسلنا من القصر الاحمر وأمرنا بنصب هذا الصيوان في هذا المكان لاجل راحتكم وارتياحكم وقد وضع فيه صندوق ليسلم لعظمتكم ولكننا لا نعلم ماداخله فاطرق بهرام شاه وقال في نفسه لابد ان نسرين بوش قد فعلت ذلك تحبباً به ورغبة في خدمته ولما صار عند باب الصيوان نزل عن جواده وقصد الدخول واذا به يرى عند الباب جواداً جميلا بديع الشكل مزيناً بالسرج الفاخر المرصع باليواقيت الثمينة وهو أحمر وسرجه احمر وكل ما عليه احمر . فاندهش بهرام من منظره وسأل لمن هذا الجواد فقيل له انه أرسل اليه لاجل ركوبه الى القصر ففرح به لانه اعجبه كثيراً . ثم دخل الصيوان فرآه مزيناً أيضاً من الداخل بابدع النقوش واغربها واثمن الاقمشة واغلاها بما يكل عن وصفه اللسان . وفي وسطه قد نصب سرير من الياقوت فجلس عليه واذ ذاك حضر رئيس الغرفة فقبل الأرض بين يديه ودعا له ولدولته بالعز والاقبال . ثم اخرج من جيبه رسالة مضمخة بالطيب والمسك قدمها اليه بكمال الوقار والاحترام فاخذها من يده وهو يفتكر بما تتضمنه وفي الحال فتحها واذا مكتوب فيها

« مولاي سلطان العالم ومالك رق العباد صاحب التاج والعظمة والبطش والاقتدار القابض على السبعة اقمار حيبي ومالك قيادي لقد تجاسرت بتقديم عريضة الحب ولاجل اظهار واجبات خلوصي وميلي الى ذاتكم العالية قد أرسلت لاستقبالكم الحاجب واصحبته بصندوق من الالبسة لاجل تغيير ملابسكم فالتمس من معاليكم قبولها مع التنازل بالتعطف على رهينة امركم وغريقة بحور هواكم »

« نسرين بونش »

فلما اتم بهرام شاه قراءة الرسالة سر من زوجته واوعب قلبه حباً لها وفي الحال فتح الصندوق واخرج ما داخله فرأى ثوباً مزركشاً بالياقوت يضيء كالشفق وقد تطيب بازكى انواع الطيب حتى انشرح له صدر بهرام شاه وحينئذ نزع الثياب التي عليه ولبس الثوب المذكور وجلس للاستراحة نحو ساعة ثم نهض وركب

﴿ انتهى الجزء الرابع من قصة بهرام شاه ﴾

﴿ ويليه الخامس ان شاء الله ﴾

الجزء الخامس

﴿ من قصة بهرام شاه ابن ازدشير شاه ﴾

الجواد المرسل من طرف زوجته وسار نحوها محفوفاً بالعظمة والاجلال

ملك يسير مطوقاً من جيشه　　بمواكب الاسعاد والاجلال

فكانه قمر احيط بانجم　　بزغت بنور العز والاقبال

وكان الرائي لا يقدر ان يحدق ببصره فيه لشدة لمعانه لانه كان وجواده قطعة واحدة من الياقوت الاحمر البراق وكانت المهابة والشوكة تزيده اشراقاً حتى ان العيون كانت تنبهر وتندهش عند وقوعها عليه ولما لم يبق بينه وبين القصر الا مقدار نصف ساعة رأى نحواً من مائة رجل على جانبي الطريق بالملابس الحمراء اللامعة يحملون قرباً حمراء مملوءة بالماء والسكر تفوح منها الروائح الزكية الشارحة الصدور وهم ينادون (سبيل ياعطشان) ففرح لذلك بهرام شاه فرحاً لايوصف وقال في نفسه ان نسرين بوش اشد من غيرها رغبة في تكريمي وتفريحي ولا ريب ان الحكاية التي ساسمعها منها تكون ابدع الحكايات واحسنها . ولما قرب بهرام شاه من القصر نزل عن جواده ودخل الباب بالابهة والافتخار وما صار داخل الباب الا واشرق عليه نور محيا زوجته نسرين بوش وهي تمايل كغصن البان وقد لبست ثوباً من الحرير الشفاف الاحمر مرصعاً باليواقيت الحمراء وعلى رأسها تاج احمر محجر باحجار اليواقيت الكبيرة ووجهها البديع الزاهر كان يتدفق باحمرار الجمال كانه ورد جوري حتى ان بهاء محياها الساطع بانوار الجمال اكمد لون اليواقيت والاحجار البراقة التي كانت فوق جبينها اللامع وتحت عنقها الساطع

البدر طلعتها والغصن قامتها　　والمسك نكهتها ما مثلها بشر

كانها افرغت من ماء لؤلؤة　　في كل جارحة من حسنها قمر

وكانت نسرين بوش محاطة بنحو خمسين أو ستين جارية من الجواري الحسان كل واحدة منهن تفضح البدر جمالا والغصن دلالا وكلهن بالملابس الحمراء المرصعة باليواقيت وعلى رؤوسهن اكاليل من الازهار حمر الالوان وبيد كل واحدة طبق

من الذهب مغطي باليواقيت والجواهر الكريمة . وحالما التقى بهرام شاه بزوجته صافحته واخذته من يمينه وتقدمت به بين الجواري وكان كلما خطا خطوة تشير نسرين بوش للجواري فيفرغن الجواهر عن الاطباق عند قدميه فيدوس عليها ولا تلحق قدماه الارض ولا زال يخترق الجواري وهن يرمين باليواقيت عند قدميه ويسرعن الى اذياله فيقبلنها وينشدن اناشيد الاستقبال حتى اوصلته من فناء القصر وجلست واياه على سرير من الذهب مرصع بالجواهر وقد عرشت فوقه ازهار الورد والمنثور ونحوها واحتاطت به الجواري من كل ناحية صفاً صفاً . وبعد قليل قدمت اليه بعض الجواري الشراب السكري الوردي على طبق مرصع باليافوت فشربه وانتعش له صدره ثم التفت من نسرين بوش وابدى لها امتنانه من اهتمامها باظهار كل ما يسره ويرضيه . فدعت له بدوام العز والبقاء وقالت له من الفرض على جاريتكم الخلوص في خدمتكم لا سيما وان الامر الوحيد الذي ينشرح له صدري واتمناه في سري وجهري ان تكون فرحاً منشرح الخاطر راضياً عن جاريتكم

والحاصل ما استقر به المقام حتى اخذ وزوجته بتعاطي كؤس الصفا والمسرات والمداعبه والملاعبة ولم تفاتحه نسرين بوش لا بحكاية ولا بقصة وهو منتظر منها ان تسليه بحديث أو قصة حتى مرّ عليه مقدار ساعتين وهي تشاغله بالتكريم والتبجيل والمؤانسة والمباسطة . وحينئذ ظن بهرام شاه ان زوجته لم يخطر في بالها ان تحكي له حكاية فاستحسن ان يطلب اليها ذلك فاخذ رأسها بين يديه وضمها الى صدره وقبلها في خديها وقال لها . أي بدري ونور عيني وحبة قلبي ان معدات الانس والصفا كاملة شاملة وارى اتماماً لسروري وامتناني ان نقطع قسما من الوقت بالسمر والحكايات فاحب ان اسمع من فيك العذب وحديثك الشهي حكاية أو حديثاً يسليني ويزيد في حبوري خصوصاً اذا كانت الحكاية بديعة عجيبة تنطبق على كمال اهتمامك باعمالك . فلما سمعت نسرين بوش كلام بهرام شاه اظهرت الفرح والانبساط وعادت بدورها فعانقته وقبلته وقالت له اني يا مولاي ومالك دمي كنت منتظرة صدور امرك في ذلك اذ لم اتجاسر عليه بدون ان تامرني به والان من حيث قد تنازلت وتعطفت بالامر لجاريتكم الحقيرة بان تحكي لكم حكاية غريبة فقد صممت على الاسراع بانفاذ امركم واجابة طلبكم انمالي اليكم رجاء واحد

اذا تنازلتم به جعلتموني غريقة في ابحر كرمكم ولطفكم · فقال بهرام شاه اطلبي ما شئت فاني صاغ اليك لا اتاخر عن قضاء غرضك ولا اتوقف عن اجابة سؤالك فهو فرض واجب عليّ فابدت السرور واكثرت من عناقه وتقبيله وقالت له اعلم ياسيدي اني وانا بنت في بيت ابي كنت اتبادل المكاتبات مع اذربون بنت سلطان الغرب ولما سمح القدر وصرنا نحن الاثنتين في قبضة يدك وشرفنا الزمان بان نكون زوجتين لك فكذلك لم نقطع المكاتبة ومن جملة ما دار بيننا التفاخر في خدمتك والتسابق في رضائك لنرى من منا الاكثر اهتماماً والاقدر على رضائك ومسرتك واتفقنا على ان نتخذك حكماً في ذلك وان تنصف في استحسان الحكاية التي احكيها انا لسموكم والتي تحكيها اذربون وها انا الان اضمك الى صدري وافتخر على بنات العالم لكوني زوجتك وقادرة على خدمتك ومسرورة برضاك عني وفي الغد ستضمك اليها اذربون وتسألك ما اسألك انا الان ويبقى بعد ذلك الحكم لك في استحسان حكايتي او حكايتها ومن منا احسنت خدمتك واستجلبت رضاك اكثر من الثانية · ثم ختمت كلامها بان قبلته في عينه وجبينه وعنقه وخديه حتى سكر من مؤانستها له وتحببها اليه فاخذها الى صدره وقبلها بدوره وقال لها اقسم لك بالله العظيم اني احكم بينكما بالحق واتكلم بالصدق ولا افضل في الحكم احداً كما على الاخرى · فلما آمنت نسرين بوش على قضاء مرامها وسمعت يمين بهرام شاه فرحت ومن ثم دعت له بطول العمر والبقاء واخذت في سرد حكايتها فقالت

الحكاية الرابعة

كان في قديم الايام في مملكة سرنديب ملك رفيع القدر عالي الشان كثير العدل والانصاف كريم الاخلاق والطباع حكيماً عالماً عارفاً بجميع العلوم والفنون واقفاً على تواريخ العالم واحوال الازمان باحثاً في امور الدول واعمال الملوك والحكام وبالنظر لعلومه ومعارفه ورقة طباعه وعظيم انصافه وعدله كان محباً لرعيته جداً يباشر الامور بنفسه ولا يعين حاكماً قط في بلد أو على قوم ولا يرضى بمأمور مالم يمتحنه بنفسه ويعلم مقدار علمه ومعارفه ويختبر طباعه واوصافه والحاصل كان كاملا في كل عمل · وقد انعم الله عليه بثلاثة أولاد ذكور اجتهدوا بتتبع خطوات ابيهم باكتساب العلوم والمعارف والسير في طريق الامانة والحكمة مقتدين به في

كل عمل حتى برعوا في كل علم وفن وفاقوا علماء الارض وانتشر صيتهم في شرقها وغربها فكان لو سئل من اعلم علماء العالم لقيل أولاد ملك مرنديب . ومع ان اباهم أيضاً كان يعتني بتربيتهم ويراقب اداتهم ويلازمهم ليلا ونهاراً كان أيضاً متظاهراً امامهم بالهيبة والوقار سالكا معهم على الدوام سبيل الجد حتى كانوا يخافونه ويرهبون جانبه ولو رأي الرائي حالته معهم لقال ان هذا ليس بابيهم واما هم فالبعكس كانوا يعلمون ويحققون ان كل ما يفعل ابوهم هو لاجل نفعهم ومصلحتهم

وعلى ذلك مرت عليهم الاوقات وفي كل يوم يستدعى الاب أولاده ويتباحثون بالعلوم والفنون ويتخابرون بامور الدول واحوال الممالك ويتداولون بشأن الوسائل المرقية الهيئة العالمية والرابطة الجنس الانساني بعضه ببعض فكان ما يراه الملك ويسمعه من أولاده يوعب قلبه فرحاً وسروراً ويشكر الله على هذه النعمة العظمى التي كان يراها في عينيه اعظم وافضل من كنوز العالم وخزائنها المملوءة ذهباً وجواهر واذ ذاك قال في نفسه لم يبق عليّ الا ان امتحنهم في امرين مهمين اعرف بهما غاية ما اريده منهم . فالاول هو اني استدعى كل واحد منهم على انفراد بغير علم اخويه واكلفه بقبول السلطنة فاذا قبل أو مال اليها أرى انه لا يزال فيه وجه نقص فاهتم في طريقة اخرى توصله الى الكمال وان رفض اكون مسروراً منه. والثاني اذا لم يقبل ما اعرضه عليه من السلطنة واعترف بنقضه ورآني قد طردته ثم طلب اليّ ان يتسوح في الممالك لاجل اختبار احوالها وملاقاة العذاب والمحن اعرف انهم قد ادركوا درجة الكمال واصبحوا على غاية ما ارغب. وبعد ان وطد رأيه على هذه الافكار عزم على اخراجها الى الفعل . ففي ذات يوم استدعى ابنه الاكبر الى خلوة وضمه اليه وقبله واجلسه الى جانبه وفتح له باب النصائح قائلا له أي ولدي وفلذة كبدي ونور عيني اني اري الان ان الكبر قد احنى ظهري والشيخوخة تدنو مني وتكثر من اعتناقي ولهذا اري انه غير لائق بي بعد الاهتمام بامر السلطنة والجلوس على عرش المملكة بل من الواجب عليّ ان ازوي لعبادة الله جل جلاله والازم الصلاة والصيام والدعاء الى الله لاجل امداد يده لمساعدتكم . ولما كانت امور السلطنة عائدة لك افوض اليك امرها وابين النصائح اللازمة . فانت من فضله تعالى كامل عاقل وخير خلف اسر به

فكن ليلا ونهاراً في مصالح الحكومة وانظر بامور عباد الله ولا تغفل عن صغائر الامور فان من تغاضى عن الصغيرة يسهل عليه بحكم العادة التغاضي عن الكبيرة واذا احسنت العمل ذكرت بالخير واتصفت بالعدالة والانصاف والذكر الحسن خير من كنوز العالم . واعلم انك انت الراعي والرعية قطيع من الخرفان فاذا لم تنصف فيهم وتسهر عليهم وتعتني بأمورهم انحل عقد راحتهم وافترستهم ذئاب الضعف وتمكن منك ومنهم العدو فهم امانة في يديك فكن صالحاً للامانة حريصاً عليها تنال ثواب الدارين

فلما سمع ابن السلطان الأكبر هذا الكلام من ابيه علا وجهه الحياء والخجل واخذ العرق في ان يتصبب من جبينه وانعقد لسانه عن الجواب ولما سكن روعه قليلا كرر ابوه عليه الجواب فقال لا احرمنا الله منك ياسيدي واطال بعمرك ووقاك من كل ضر وصانك من نكبات الزمان انت تعلم ضعفي وعجزي عما تدعوني اليه وليس من حدي ان اقبل مثل هكذا امر وانا ما انا عليه من الجهل وقلة الادراك ولهذا أرى اني غير لائق لاستلام زمام السلطنة ورعاية الرعية

فسر الملك واوعب قلبه فرحاً عند استماعه كلام ابنه المملوء من الحكمة والتعقل وعدم لانتفاخ بالعلم والمعرفة وشكر الله في سره ولكنه لم يتظاهر امامه بالفرح بل قطب وجهه واظهر الغضب وقال له ويلك اتخالف كلامي ولا تصغى لما اطلبه اليك فاخرج من امامي بالعجل ولا ترني وجهك بعد

فلم يتكدر ابن الملك من طرد أبيه له واهانته اياه ولا غضب من معاملته القاسية بل أظهر الطاعة والانقياد فتقدم من السرير الجالس عليه أبوه فقبل اطرافه وخرج بتأدب مكرراً له الدعاء بطول العمر والبقاء وذهب الى محله وهو حزين القلب منكسر الخاطر وهو يفكر في نفسه لماذا ياتري احتدم أبي غيظاً وحنقاً مني على غير عادة وطردني من امامه وانا لم اقل الا ما اعتقده في نفسي

اما الملك فاستدعى اليه ابنه الثاني على انفراد وهش في وجهه وبش وابدى له من الالتفات والاعتناء والاهتمام ما اجراه مع الاول واجلسه الى جانبه ثم قال له اي ولدي العزيز وقرة عيني انت تعلم اني قد كبرت وقربت من الشيخوخة ولم اعد لائقاً بالسلطنة لان تعبها ليس بالقليل ولا يمكن لي ان احمله لاسيما وان الانسان عند

كبره يطرأ على عقله الخرف فأخاف ان يتغير عقلي وانا لا اعلم فأغير من عدلي واهتمامي برعيتي وارتكب الاثم وانا غير شاعر به فضلا عن اني ارى من الواجب عليّ ان اصرف العمر منزوياً الى احدى المعابد اعبد الله واقدم له الصلاة وفروض العبادة ولهذا لما كنت اراك عاقلا وحكيما ومحباً للناس ولمصالحهم واعلم انك لأتقاً بالتولي على الرعية خطرلي ان اسلم اليك السلطنة واجلسك على عرشي في حال حياتي ولما فرغ الملك من كلامه وقف ابنه بين يديه ودعا له بطول العمر والبقاء وقال له اني ولدك وغرس نعمتك وان كان ليس من حدي الانتقاد على ارادتك والمخالفة لامرك لكني ارى نفسي عاجزاً عن حمل مهام السلطنة وليس فيّ من القدرة مايؤهلني لتاج السلطنة وانني ارى ان اخي الاكبر اوسع مني عقلا واعظم لياقة بالملك فهو احق به مني ولهذا اتجاسر الآن لديكم بالالتماس ان تستدعوه وتفوضوا اليه انفاذ امركم . فطار قلب الملك فرحاً لجواب ابنه المملوء من الحكمة والزهد والحب لاخيه ولكنه لم يظهر ذلك عليه بل قطب حاجبيه وتظاهر بالغيظ والكدر وقال لابنه اني اعرف ان كنت انت اوسع عقلا من اخيك اوان اخاك اوسع عقلا منك وحيث انك لم تطاوعني فاخرج عني في الحال واذهب من امامي سريعاً

فلم يتكدر ابن الملك من ابيه بطرده اياه وغضبه منه بل دعا له وقبل الارض بين يديه وخرج الى مكانه مفتكراً بالسبب الذي حمل اباه على طرده دون موجب حيث لم يجبه جواباً يغيظه . ثم احضر الملك ابنه الثالث وبعد الاعتناء به والالتفات اليه اجلسه الى جانبه وقبله في جبهته وقال له اي سندي ومهجة فؤادي ومحط آمالي لقد تبين لي من اخويك انهما بغير عقل فقد ضاعت فيهما آمالي وخالفا امري على خلاف ما كنت ارجوه منهما واني على يقين انك لم تكن مثلهما فلا تخرج عن دائرة امري وارادتي سيما واني اعهد فيك كل حكمة ودراية واستقامة ولما كنت قد شخت واحب ان ارتاح من متاعب السلطنة اريد الآن ان انفرد الى عبادة الله واعهد اليك بالسلطنة واسلمك زمام المملكة تسوسها بما اعهده بك من الدراية واللياقة . فأطرق ابن الملك الثالث عند سماعه كلام ابيه وقد اخذ العرق في ان يتصبب على جبينه ثم رفع رأسه الى أبيه وقال له عفواً ياسيدي فاني ارجوك الحلم والمعذرة اني اعلم ان الله قد فرض عليّ الطاعة لك والانقياد لامرك

حتى الموت لان ابراهيم لما عزم على ذبح ابنه اسحق لم يخالفه ابنه بل مد اليه عنقه وفقاً لطلبه لكني لما كنت على يقين من عجزي وعدم اقتداري على التولي على الرعية والنظر في شؤونهم اسألك ان تسمح لي برفض ماتأمرني به وان تسلمه لاحد اخوي الاكبر مني لانهما أوسع علما وارفع فهما واكمل عقلا واليق مني في كل حال على سياسة الرعية . ففرح الملك لكلام ابنه وما ابداه من الحكمة في الجواب والحب لاخويه ولكنه عامله كما عاملهما فقال له وأنت ايضاً تخالف امري وتضاد ارادتي فاذهب من امامي ولا ترني وجهك بعد ولا اريد ان أحداً منكم يبقى في بلادي ومملكتي فسيروا أين شئتم فلا ارى لي لزوماً بكم . فقبل ابن الملك الارض ثم قبل طرف السرير ودعا لابيه بدوام العز والبقاء وخرج وهو غارق في بحور الافكار والتأملات

هذا وكان ابن الملك الثاني حزيناً كئيباً وبعد ان اقام في مكانه وقتاً يفتكر بعمل ابيه قال في نفسه يلزم ن اذهب الى اخي الاكبر وأخبره بواقعة الحال واتخذه شفيعاً لي عند ابي عله يعفو عني ويسكن من غضبه وفي الحال نهض الى مكان أخيه فدخل عليه فرآه في حالة حزن واكتئاب يضرب اخماساً باسداس فلما رآه داخلا عليه اخفى حزنه وكدره ولاقاه بالفرح والابتهاج وصافحه واجلسه الى جانبه وهو يهش بوجهه ويبش . غير ان ابن الملك الثاني لحظ منذ دخوله كدر اخيه ولم تخف عليه حالته ولذلك قال له ارجوك العفو يا اخي وحبيبي فاني منذ دخلت رأيت على وجهك علائم الكدر والحزن واخاف ان يكون لذلك سبب لاعلم لي به او ان لذلك علاقة بحضوري اليك . فضمه اخوه الاكبر الى صدره وقال له ماهذا الفكر يا اخي هل انت غريب مني الست انا وانت من دم ولحم فما الذي يغيظني منك بل بالعكس اني كنت مكدراً من جهة ثانية فحالما رأيتك زال الكدر وانفرج الغم عن صدري ورأيت نفسي براحة تامة . وحينئذ اعاد الاخ الثاني على اخيه الاكبر ماوقع بينه وبين ابيه وكيف انه اغتاظ منه وطرده وانه ماجاء نحوه الا ليشكو اليه امره ويتخذه وسيطاً لدى ابيه . فلما سمع منه كلامه تبسم وقال له ان كنت تطلب اليّ ان اكون شفيعاً لك عند ابيك فمن سيكون شفيعاً لي انا الذي وقع لي نظير ماوقع لك . ثم حكى له ما كان من من امره وامر ابيه ايضاً

وكذلك ابن الملك الاصغر فانه بعد ان رجع الى محله حزيناً وغاص بالتفكر قال في نفسه اني اذهب الى اخي الأكبر مني واخبره بحالي وانظر ماذا يرى موافقاً ان اعمل . فنهض في الحال وجاء محل اخيه الثاني ولما لم يره هناك وقد اخبر بانه سار الى اخيه الأكبر سار في أثره ودخل الغرفة الموجود فيها اخواه فوجدهما على ماتقدم يتخابران وهما في شاغل من عمل ابيهما معهما . فحالما شاهدهما على تلك الحالة ظن من نفسه انه ربما يكون عندهما امر مهم اجتمعا لاجله فعزم على الرجوع والانتظار . فنهض اليه اخوه الأكبر وقال له هلمّ يا أخي العزيز لا ترجع فتقدم حينئذ وسلم عليه وقبله فقال له قد خفت ان يكون عندكما شاغلا مهما اوجب انفرادكما فقصدت الانتظار كي لا أثقل عليكما . فقال له كلا لايوجد عندنا اسرار قط وان كان فلا نخفيها قط عنك لانك واحد منا ولست غريباً . وبعد ان اجلسه في مكانه سأله عن حاله وعن سبب القلق المستولي عليه فاخبره بما كان من أمر ابيه وكيف انه اظهر الكدر من جوابه رطرده من امامه

وبعد ان سمع الاخان كلام اخيهما الاصغر اخذوا جميعاً بالمشاورة والتفكير في طرق التدبير وقد قال بعضهم لبعض لاريب ان ابانا مادعانا اليه وعمل ماعمل معنا الا لاجل ان يمتحنا ويمتحن حبنا لبعضنا البعض وماطردنا من امامه ومن بلاده الا وفي قصده ان نسافر في البلاد لاجل التمرين وملاقاة الاهوال لان الغربة تفيد وتعلم مالا تعلمه الكتب والاساتذة المحنكين فأول كل شيء يلزم ان نسافر واننا والحمد لله ثلاثة اخوة من أب واحد وأم واحدة وثلاثتنا قد حصلنا العلوم العالية والفنون الواسعة واتفقنا على السراء والضراء ولم يكن منا من يخالف الآخر فلنتمم ارادة ابينا وبعد ن اتفقوا على السفر ذهب كل الى مكانه . وفي اليوم الثاني اخذوا في تهيئة لوازم السفر دون تردد ولا تاخير فاحضروا ثلاثة حصن جياد واخذ كل منهم مايلزمه من السلاح الكامل والدراهم اللازمة وباقي الاستعدادات السفرية ثم انهم ساروا الى ابيهم لاجل وداعه فدخلوا عليه في قصره فتقدم منه في الاول ابنه الأكبر . فقبل يديه ودعا له بالبقاء وطول العمر واخبره بعزمه . فلم يقدر الاب على الثبات امام ضربة الفراق المر فضمه الى صدره وقال له ان شاء الله اراك عائداً اليّ بصحة وسلامة . فاينما ذهبت فاذهب لكن اريد ان اقدم لك بعض نصائح

ابوية تتخذها لك قاعدة لكل عمل وتتذكرها عند الاحتياج اليها ٠ وهي يلزم ان تتأنى في كل عمل جزئياً كان أوكلياً لان الباحث والمتاني لا يلحق به الندم قط بوجه من الوجوه فالتأني والبحث أمران عظيمان وكذلك لا تنو عملا دون ان تستشير به لان عقلين أفضل من عقل واحد وأيضاً كن مع اخوتك ثابت القدم على التعاضد والاتحاد فلا يمكن ان يقاوم اتحادكم مقاوم ٠ فلما سمع ابن الملك الاكبر من أبيه هذه النصائح وشاهد منه الحنو الغريب لم يتمالك نفسه من اسقاط الدموع فقبل يديه ودعا له وانسحب وحينئذ تقدم الابن الثاني وقبل أذيال ابيـه وايديه ووقف بين يديه فقبله ابوه ودعا له ايضاً بالسلامة والتوفيق وقال له اني اسأل الله ان يكون مساعداً لكم في السير والترحال وان يسهل لديكم كل امر عسير فاوصيكم بالاتحاد واذا انفصل احدكم عن الآخر يلزم ان يكون بغاية التيقظ والاحتراس لانكم جميعاً على ارفع جانب من العقل والكمال فاتحاد عقولكم يتغلب عـلى كل صعوبة وانفصالكم يضعفها ولهذا لايعمل احدكم عملا من رايه لوحده واذا تعذر عليه استشارة اخويه فليتأنّ ولا يعجل ويستشير من يمكن له استشارته اي يقرن راياً اخر برايه والا يندم فيما بعد ٠ ولما فرغ ابوه من وصيته له قبله ودعا له فقبل يديه وذيله وانسحب الى الخارج وحينئذ دخل عليه ابنه الاصغر فلم يتمالك الملك من البكاء عند نظره ابنه الاصغر ثم تجـلد وقال له اسأل الله ن يحفظك ويصونك من حوادث الايام ويعيدك مع اخوتك سالماً اليّ واني الآن انصح لك ياولدي واقدم لك الوصية الوحيدة وهي اذا رايت نفسك قد وقعت في مشاكل وصعوبات فلا تعجل من نفسك في مقاومتها بل اسأل رجل مسن حكيم فاستشره واستعن به على قضاء مصلحتك لانك لاتزال فتى لاتعلم الدقائق والحقائق فتغر بفراستك وعلمك مع ان كثيراً ما كان من هو اكبر منك يوماً اكثر منك علما واذ ذاك انسحب ابن الملك الاصغر الى اخوته واما الملك فلم يقدر ان يضبط نفسه من الحزن فدخل الى قصره وانفرد كي لايعلم احد بحزنه وقلة جلده ٠ وفي الحال ذهب اولاد الملك الى خيولهم فركبوها واصحبوا معهم كل مايحتاجون اليه وخرجوا من المدينة وقد رافقهم الوزراء والامراء واعيان المملكة للوداع وهم يسكبون دموع الاسف على بعدهم وسفرهم وقد عرضوا عليهم البقاء في المدينة فيكونون

طائعين لامرهم ويبايعونهم عوضاً عن ابيهم فنفر اولاد الملك من كلامهم وقالوا لهم ماهذا الا جهل وحماقه فاننا راضون بعمل ابينا طائعون لارائه فهو لايأتي عملا الا وفيه خيرنا ونفعنا ثم انهم ودعوا الجميع وساروا في طريقهم

والحاصل ان اولاد الملك الثلاثة ساروا عن وطنهم المحبوب مكرهين للتنقل في البلاد الغريبة وفيما هم في طريقهم كانوا يتفكرون في امورهم وما جرى لهم والحزن ملوء قلوبهم واحياناً كانوا يرون انفسهم بسرور وفرح لمرافقتهم بعضهم بعضاً وتارة كانوا يلتفتون الى وطنهم ومسقط راسهم ويتحسرون قائلين هل يا ترى يساعدنا القدر بالرجوع اليه . وعلى هذا الوجه قطعوا مسافة من الطريق حتى خرجوا من حدود البلاد الواقعة في حكم ابيهم ودخلوا في البلاد الاجنبية ولكنهم لم يفترق احدهم عن الآخر قط في كل هذه المدة بل بقيوا متحدين في كل امر لايتركون البحث والتنقيب في كل شأن وبينما كانوا يسيرون على هذه الحالة كانوا ينظرون بدقة امامهم واذا رأوا أثر اقدام بحثوا فيها وامعنوا في تركيبها ومحل وجهتها واستنتجوا منها معان غريبة لايعرفها الا ذوو الفطانة والكياسة العالية وكلما دخلوا بلداً او قرية اوقعوا في قلوب اهلها المحبة لهم والاعتبار لما يشاهدونه من ذكائهم المفرط وادابهم الى ان كان ذات يوم اشرفوا من بعيد على مدينة عظيمة ولما رأوها فرحوا كثيراً وقالوا لابد ان تكون هذه المدينة عاصمة مملكة ومن الضروري ان نقيم فيها مدة ايام للراحة بها والاستكتشاف على احوالها

وبينما هم يتقدمون الى جهة المدينة نظروا عن بعـد فراوا رجلا يسير الى جهتهم بسرعة الطير فتعجبوا من دعونا جريه وقالوا لبعضهم البعض نقف وننظر ماهو السبب في شدة جري هذا الرجل . ووقفوا في مكانهم منتظرين وصوله اليهم . وبقي الرجل في سرعته حتى وصل من اولاد الملك وهو على آخر نفس من التعب وقد سال العرق من جسده حتى بلل ثيابه وبعد السلام سألوه عن سبب ركضه . فقال لهم اني اضعت جملي فبالله عليكم هل صادفتموه في طريقكم

فقال الاول . على الغالب ان جملك اعور اي بعين واحدة

فاجاب الجمال . نعم نعم الله يرضى عليكم فهو كما قلت بعين واحدة

فقال الثاني . وكذلك الذي الحظه انا ان جملك اعرج من احدى رجليه

فاجاب الجمال· صحيح · صحيح · تمام · تمام · هوهو كما تقول اعرج من رجله

وقال الثالث · على ما يظهر لي ان الجمل قد قلع من فمه سن

فسأل الجمال · بالله عليكم ان تعلموني كيف عرفتم ان الجمل بعين واحدة وانه من اين اعرج وقد قلع من فمه سن واحد فقط

فلم يجبوه بل قال له الاكبر سر على هذا الطريق مستقيما فلا بد ان تصادف الجمل · فذهب في الطريق الذي دله عليه وساروا هم ايضاً في طريقهم لجهة المدينة حتى وصلوا من اطرافها فراوا عين ماء جار صاف فنزلوا عن خيولهم وجلسوا يستريحون ويفكرن في كيفية دخولهم المدينة · وما لبثوا ان جلسوا حتى راوا الجمال قد عاد لجهتهم بسرعته المعتادة ولما قرب منهم قال لهم ان الامارات التي اشرتم اليها هي موجودة في نفس جملي ولكنني ذهبت في الطريق الذي اشرتم اليه وفتشت في السهل والوعر فما وقفت للجمل على اثر

فقال له الاول · عجباً كيف لم تر الجمل مع انه كان عليه حمل والحمل ضرفان الواحد سمن والآخر عسل

وقال الثاني · نعم وفوق الحمل كانت تركب ايضاً امراة

وقال الثالث · وليس هذا فقط بل ان المرأة التي كانت على الجمل هي حامل ايضاً

فلما سمع الجمال من اولاد الملك هذه الاشارات والعلامات زادت به الحيرة ودقق فيهم فرآهم مسلحين بالاسلحة الكاملة فقال لاريب ان هؤلاء من الاشقياء يتجولون للغارة ونهب أرواح وأموال العالم · وفي الحال أخذ في الصياح والبكاء وهو يقول لم يبق خلاص لكم أيها الاشقياء فاني لا اترككم الا اذا أرجعتم لي جملي ومالي وعيالي · ان الامارات التي اشرتم اليها هي مطابقة جداً لحالة جملي وما عليه ولكن الجمل غير موجود تكلموا واخبروني به اكراماً لله فأسير اليه وآخذه · وبينما الجمال يصيح ويبكي كان الناس الخارجون من المدينة والآتون اليها يعرجون لجهته حتى اجتمع الخلق هناك وقد سمعوا كلامه ورثوا لمصيبته وتبين لهم من حالة اولاد الملك انهم من الاشقياء قطاع الطرقات والا لما كانوا تدججوا بكل هذا السلاح · وفي الحال هجموا عليهم فلم يمانعوا فربطوهم وأدخلوهم المدينة ولما رأى اولاد الملك الحالة التي وقعوا فيها ندموا على مافرط منهم واحتاروا

في أمرهم وصاروا يرجون الناس ان يطلقوهم قائلين لهم اننا غرباء الديار لاعلم لنا بأمر مما تزعمونه ولا رأينا لاجملا ولا امرأة فلم يصدقوهم وقادوهم الى دار الملك واخبروه بأمرهم وما سمعوا منهم ٠ فاستدعى الملك في الاول الجمال وسأله عن القضية ٠ فقال أدام الله سيدي الملك انى أملك جملا اعور واعرج وناقص أحد اسنانه ففي هذا الصباح حملت على الجمل ضرفين لاجل البيع أحدهما عسل والآخر سمن واركبت زوجتي فوقهما وأخرجتها امامي من القرية لنحو المدينة ٠ ثم بعد مدة سرت في أثرها حتى دخلت المدينة وفتشت في مكان معهود معلوم منها فما وجدت لا الجمل ولا الاحمال ولا المرأة فأسرعت في العودة مفتشاً وسائلا فصادفت هؤلاء الثلاثة فسألتهم اذا كانوا صادفوا الجمل فقال لي احدهم ان الجمل أعور وقال الثاني انه اعرج وقال الثالث انه ناقص أحد اسنانه فوصفوه بتمامه ثم دلوني على طريق زعموا ان الجمل سار فيه فسرت في الطريق حتى آخره فلم أر شيئاً فعدت واذا بهم عند العين جالسين وأخبرتهم اني مالقيت الجمل في الطريق فقال لي الاول كيف مالقيته وهو محمل ضرفي عسل وسمن وقال الثاني وكان فوق الضرفين امرأة راكبة وقال الثالث والامرأة أيضاً هي حامل وبالحقيقة كما وصفوا ثم انكروا انهم لارأوا الجمل ولا المرأة فهل يصدق ذلك بعد انابدوا الاوصاف والدلائل المنطبقة على الحقيقة وهذا االذي جعلني أوكد انهم من الاشقياء وقد اغتنموا الجمل بما عليه فأرجوك ياسيدي اخذ حقي منهم وارجاع مالي وزوجتي

وبعد ان سمع الملك كلام الجمال استحضر اولاد الملك وسألهم عما يدعي عليهم الجمال فأجاب ابن الملك الاكبر بعد ان دعا للملك بالبقاء وطول العمر وقد اظهر الادب والحشمة وقال له لسنا من الاشقياء ياسيدي الملك ولا نقبل ان يشاع عنا في مدينتكم وتحت عنايتكم هذا الاسم بل نحن غرباء عن بلادكم مقصدنا السياحة والتطواف في الممالك والبلدان للوقوف على عوائد اهلها والفرجة على آثارها ومصنوعاتها وفيما كنا آتين الى هذه المدينة رأينا هذا الجمال وجرى لنا ماجرى معه وقد استنتج من وصفنا آثار جمله وزوجته اننا اشقياء فجمع الناس وقبضوا علينا بدون ترو ولا فحص واحضرونا الى حضرتكم ورجاؤنا ان تعاملنا بالعدل والانصاف وتطلق سبيلنا لنسير في طريقنا ٠ فتقرر عند الملك بالنظر لما سمعه

من الجمال ومن اولاد الملك واعترافهم بوصف الجمل وما عليه انهم رأوه وسلبوه وانهم دون شك من الاشقياء قطاع الطرق . وحينئذ اشتد عليه الغضب واجابهم بحدة لقد ثبت عندي انكم اشقياء ومغتصبون وقد اعترفتم بالنهب والسلب فمن اين علمتم لولم يكن الجمل عندكم انه اعور واعرج وناقص سناً وان عليه ضرفا عسل وسمن وفوقهما امرأة حامل فكل ما تكلمتم به كذب ومين . فقال ابن الملك الاكبر ان في الواقع مثلما رأيتم لكن يقع امور كثيرة مثل هذه فالانسان كثيراً مايصف اشياء غائبة عن عينيه بحذاقة فكره وبناء على استنتاجه ادركها بما اعطاه الله من التمييز ويكون الوصف صحيحاً منطبقاً على الموصوف . فقال الملك كلا كلا لا يمكن ذلك ومن المحال ان تتخلصوا من يدي قبل ارجاع الجمل وما عليه والمرأة ونوال جزاء ماجنت ايديكم . ثم امر الحجاب بحدة وغضب ان يجروهم الى السجن ففعلوا . وكان اولاد الملك تارة يضحكون من امر هذه الحادثة التي جرت معهم وطوراً يحزنون ولكنهم كانوا يسلون بعضهم البعض قائلين ان الانسان في ديار الغربة والسفر يكون معرضاً لوقوع حوادث كثيرة فمن الحكمة التحمل والتأني والصبر

اما الجمال فانه عاد في المساء الى بيته فرأي الجمل هناك كما كان قبلا وكذلك امرأته جالسة في مكانها لاشيء جرى عليها فتعجب من ذلك وسأل امرأته عن غيبتها فقالت له ذهبت الى المدينة وحال وصولي بعت العسل والسمن وحيث لاشغل لي هناك لم استحسن الانتظار فعدت في الحال من الطريق الفلاني . فقال لها وهل لم تصادفي في طريقك ثلاثة فرسان مسلحين بالسلاح الكامل وتحتهم خيول جميلة قالت لم اصادف الا مشاة وجمالين يسوقون جمالهم الى المدينة . فندم على ما فرط منه في حق أولاد الملك ولم تطعه ذمته ان يصبر الى الصباح بل عاد في ذاك المساء الى دار الملك واستأذن بالدخول عليه فاذن له ولما وقف بين يديه اخبره بان جمله في بيته سالماً من السلب والنهب وكذلك زوجته ولم يفقد له مقدار ذرة وان من المؤكد عنده انهم لم يصادفوا الجمل في الطريق ولا رأوا ما عليه قط . فتعجب الملك العجب الزائد وقال ايمكن ذلك . وفي الحال أمر فاخرجوا من السجن واحضروا اليه بالرقة واللطف فتأهل بهم وترحب وأمرهم بالجلوس فابوا مظهرين التأدب واللياقة في حضرة الملك فامرهم ثانياً وثالثاً بالجلوس والح عليهم حتى رأوا

الطاعــة فرضاً فجلســوا مطرقين رؤوسهم الى الارض لا يرفعون نظرهم في الملك وعند ذلك فتح الملك باب الاعتذار فقال لقد اهنتكم تعدياً وحبستكم بغير حق ولهذا اريد ان استجلب خواطركم وابين لكم غلطي فاجابوه بكل حشمة ورعاية وقالوا العفو يامولانا · انت السلطان المستلم اذمة العالم والمتسلط على بلادك بالحق الشرعي فما اجريته كان بحق وعدل منك · وكان علينا بقضاء وقدر اذ قدر الله وجوب وقوع هذا الحادث علينا لامر يريده · فقال الملك ان كان كذلك فلي اليكم رجاء واحد والامل ان لا تردوه بل تخبروني بالصدق · فاجابوه معاذ الله ان نقول غير الصدق أو نتكلم بغير الحق في حضرة سيدنا الملك فمر بما شئت واكد منا الصدق في القول · فقال ان الاوصاف الصحيحة التي ابديتموها للجمال عن جمله كيف عرفتموها وانتم لم تروا الجمل ولا صادفتموه فهذا هو الرجاء والالتماس الذي اطلب اليكم ان تصدقوني به · فاجاب ابن الملك الاكبر نعم اننا لم نر الجمل ولا الذي عليه قط لكن ان ابانا أوصانا بعض وصايا ونصحنا عدة نصائح وهي لا تزال نصب اعيننا لا تفارقنا ونعمل بموجبها على الدوام ومن نصائحه التدقيق والانتباه في كل شيء وفي كل وقت · وعليه فاننا لا نغفل قط عن البحث والاعتناء في كل أمر · ففيما كنا آتين في الطريق رأيت أثر جمل في الارض وتبين لي من الحشيش النابت هناك اذ كان قد رعى الطرف الواحد وابقى الآخر على طول الطريق انه كان اعور أي انه كان وهو سائر يأكل النبات من الجهة الواحدة حيث يراه بعينه الصحيحة ولا ياكله من الجهة الثانية حيث لا يراه · فاستحسن الملك هذه الحذاقة ومدحه عليها

ومن ثم تكلم ابن الملك الثاني فقال وانا ياسيدي عرفت ان الجمل اعرج من رجله الواحدة لاني لما كنت انظر في اثر رجليه كنت أري اثر ثلاثاً منها بالغة في الارض والرابعة تكاد لا تظهر فرأى الملك في كلامه الصواب فمدحه أيضاً

وقال ابن الملك الاصغر وانا أيضاً ياسيدي فاني كنت ابحث في النبات وادقق فيه فرأيت ان الجمل لما كان يرعاه كان يقتلع اكثره ويبقى في وسط كل غبة واحدة من النبات قائمة لا تمس فعرفت ان الجمل ناقص سناً والا لو كانت اسنانه جميعها سالمة لما سلمت تلك النباتة الباقية وان سلمت واحدة فلا تسلم الثانية · فتعجب السلطان

من حذاقتهم وادراكهم وذكائهم وقال لهم اني لا انكر انه لا يوجد فطنة وذكاء تعادل فطنتكم وذكائكم فالان اظهرتم لي سبب معرفتكم أوصاف الجمل ولم يبق في نفسي من هذا الوجه شاغل فارجوكم ان تبينوا لي سبب معرفتكم ما عليه· فقال ابن الملك الاكبر · انى لما رأيت اثر الجمل في الطريق مستقيما رأيت في الطرف الواحد النمل قد اجتمع صفوفاً صفوفاً وفي الطرف الثاني قد اجتمع الذباب بكثرة فعلمت ان النمل اجتمع على السمن والذباب أيضاً على العسل ولهذا لابد ان يكون الجمل محملا عسلا وسمناً وقد نقط منه على جانبي الطريق نقطاً· وقال ابن الملك الثاني واما انا فقد عرفت ان الذي ركب الجمل امرأة هو لاني رأيت اثر ركب الجمل في الارض فعلمت ان الجمل قد انيخ في تلك الناحية ورأيت عند اثر ركبه اثراً لاقدام شخص ثم رأيت منديلا واقعاً الى الارض فتناولته وحالما شممته تحركت بي الشهوة فعلمت ان ذاك الشخص هو امرأة

وقال ابن الملك الاصغر وانا ياسيدي عرفت ان تلك الامرأة حامل هو لاني رأيت انها بعد ان نزلت عن الجمل جلست وبينما هى تنهض للركوب تركت بجانب اثر رجليها اثراً ليديها فلاح لي انها من الثقل وضعت يديها على الارض ونهضت والذي يثقل عليها لابد ان يكون الحمل

فلما سمع السلطان من أولاد الملك هذه البراهين والادلة العقلية تعجب من كياستهم وحكمتهم وصار يمدحهم ويطنب في زكائهم وقال لهم لست انا وحدي ممن يعجب بفراستكم وافراط ذكائكم بل العالم اجمع لو رأوا ما رأيت وسمعوا ما سمعت لاعترفوا لكم بالفضل واقروا انكم حكماء هذا الزمان وفلاسفته ولهذا تروني قد استفدت منكم اموراً كثيرة منها ان لا احكم بعد الان على الظواهر ولا اباشر عملا بدون ترو ولا اترك شيئاً بدون البحث فيه والانتباه اليه ولكي تزيدوني فائدة ارجوكم ان تضيفوني بضعة ايام وتبقوا عندي مدة لان طعام هذه المدينة لا يوجد مثله قط في غير بلاد · فاجابوا طلبه وفي الحال أمر باخذهم الى سرايته وعين لهم الخدم والحشم والجواري لخدمتهم · فصرفوا عنده خمسة عشر يوماً وفي كل يوم سواء كان فى النهار أو في الليل يذهبون الى الملك أو ان الملك يأتي اليهم فيقتلون الوقت بالاحاديث المفيدة والمباحث النافعة والحكايات التاريخية

الى ان كان ذات يوم اراد الملك ان يمتحنهم فارسل اليهم ابريقاً من الخمر وصحناً من الشواء ثم جاء واختبى خلف الباب ليسمع ما يقولون في حقه · اما اولاد الملك فانهم لما وضع الشراب والشواء امامهم اظهروا السرور والامتنان وابتدأ ابن الملك الاكبر فأخذ كاساً وصب فيه خمراً وشربه وقال اشتم في هذا الخمر رائحة دم انسان · ثم اخذ الثاني قطعة من الشواء فأكلها وقال يترجج لي ان الماعز الذي اخذ منه هذا اللحم رضع من لبن الكلاب وكان الملك يسمع الكلام من وراء الباب · واخيراً قال الاصغر · والذي يلوح لي يقيناً ان هذا الملك ولد من صلب طباخ · فلما سمع الملك هذا الكلام لعب به الغيظ والغضب واحمرت عيناه وهاج دمه · وجعل يفتكر فيما يفعل فلم ير افضل من الصبر والتأني ورجع الى مكانه والكدر يقيمه ويقعده ولما وعي الى نفسه قال من اللازم ان ابحث اولا فيما قالوا فاذا وجد كذب في كلامهم قتلتهم بدون تردد واذا كانوا يصدقون فيما يقولون فلا امسهم بضر · فأرسل اولا فاستدعى بائع الخمر وقال له اصدقني الخبر من عمل الخمر الذي ارسلته لي فاضطرب صاحب الخمر ثم قال أنا ياسيدي عملته · فسأله من اين اخذت العنب الذي عصرته منه · قال من الكرم الفلاني والكرم المذكور بين القبور · فتعجب الملك مما سمع ·وقال ان كلام الفتى الاكبر صحيح لاريب فيه فلننظر هل كلام الثاني صحيح ايضاً · وامر ان يأتوه بالرجل الذي باع الماعز فحضر بين يديه فقال له من اين اخذت الماعز الذي بعتنا اياه قال اخذته من الراعي فلان فارسل الملك واحضر الراعي فوقف بين يديه وهو يرجف من الخوف ويقول في نفسه ماذا ياترى يريد مني الملك · فسأله الملك قائلا ان الماعز الذي بعته لفلان ممن رضع · اجاب رضع من امه · فقطب الملك حاجبيه واظهر الغيظ والغضب وقال له انك تكذب فاما انك تخبر بالصحيح او اني اقتلك في هذه الساعة فوقعت الرعبة في قلب الراعي ولم ير بداً من الاقرار فقال اني اخبرك بالصدق ياسيدي ان أم الماعز المذكور ماتت حالما ولدته وحيث لم يكن عندي اوائذ غيرها ترضعه وقد صادف ان كلبة ولدت عندي فارضعته منها ليعيش ولا يموت فربى مع اجريتها

فلما سمع الملك كلام الراعي طار عقله من العجب وغرق في بحور من الحيرة

والاندهاش وبعد ان اصرف الراعي وهدأمن سكرة الاندهاش نهض فدخل الحرم وهو يفتكر في نفسه ويقول العفو ياربي اذا وجد كلام الفتى الاصغر صحيحاً كيف يمكن لي ان اعيش بعد واصرف باقي عمري . ثم استدعي والدته العجوز الى خلوة فرأته متحيراً ومرتبكا وغضوباً فقالت له ما بالك ياولدي مضطرباً ومكدراً وماذا جرى عليك فقال لها نعم اني اريد اليوم ان اريك عدالتي فزاد تعجبها وكررت عليه قائلة ماذا وقع عليك ولما هذا الكلام

اما الملك فكان يرغي ويزبد ونيران الغيظ والكدر تضطرم في فؤاده وقد قال لهـا نعم اريد منك ان تعترفي لي بالصدق ولا تكذبي بحرف واحد فاخبريني انا ابن من وما هو اصل ابي فتغير لون والدته من كلامه وصـار وجهها اصفر كالموتى واحتارت بما تجيب ... ثم عمدت الى الحيلة حالما سكن روعها قليلا وقالت له ماهذا الكلام ياولدي ضع عقلك برأسك الا تعرف اباك ماهذا الكلام الفارغ ان العالم اجمع يعلمون ان اباك كان ملكا عالي الجاه وسلطاناً مرفوع المقام . فاظهر الملك زيادة غيظ وحدة فاستل سيفه من غمده وهجم على والدته ورفع السيف في يده وقال لها ما دمت لا تتكلمين الصدق وتكذبين عليّ فستصادفين جزاك . وعند ما رأت امه شدة غضبه وثبت عندها انها اذا حاولت لحظة واحدة قطعهـا الى نصفين صاحت مهلا مهلا ياولدي اني اخبرك بالصدق واطلعك على سر الامر فتوقف الملك حينئذ وقال الان وفي هذه الدقيقة اريد ان تعلميني بالحقيقة والا كانت العاقبة وخيمة . ولما رأت الملكة ان لا وسـيلة للانكار وان لابد ان يكون قد اتصـل بالملك خبر سر صباها الذي كان محصوراً بين أثنين أو ثلاثة عزمت على الاعتراف بالحقيقة فاخذت في ان تتأسف وتظهر الندامة وتذرف دموع التوبة وتتأوه وتتأفف فزاد ضجر الملك فصاح بها وقال تكلمي لسنا الان في مقام العبادة فاذا كنت تتأخرين التزمت ان اخلص منك بحد هذا الحسام فقالت كلا لا اتاخر وساخبرك بكل شيء فقط اطلب المسامحة من الله سبحانه وتعالى على سابق عمل ارتكبته في زمن الجهل فقد كنت اوانئذ في الحرم وانا جميلة وشابة . ففي ذات يوم خرج الملك للصيد فاتيت انا ووقفت عند النافذة ابعث بنظري الى الحدائق البهجة المحيطة بالقصر وكانت الاطيار تتنقل على الاغصان والروائح العطرية تنبعث

من الازهار وتتصل بي فتنعش روحي وقد اهاجت مناظر الطبيعة البديعة اشجاني وحركت بي اميال الصبا احساسات غريبة وبالصدفة جاءني في تلك الدقيقة بالطعام فتى طباخ كان دخل جديداً في خدمة المطبخ فالتفت اليه فرأيته جميلا بديعاً لا يتجاوز العشرين وانت تعلم حالة الصبوة والشبوبية فان الفتاة الشابة تميل دائماً الى الشاب الجميل ولا تميل الى الكهل أو الشيخ الاكارهة مغصوبة ولا اخفي عليك اني علقته ووقعت محبته في قلبي وغلبت عليّ شهوة النفس حالما وقعت عيني عليه وحينئذ انسحبت الى خلوة وأمرت احد الجواري التي كنت اثق بها ان تدخل اليّ الفتى التي جاء بالطعام ففعلت وكان الشيطان الذي وسوس لي في هذا الحب حرك بي فعل الطبيعة فاقتدت اليه ولما اخذت بمداعبة الغلام وملاعبته لم اتمالك نفسي ولا عدت اقدر على مقاومتها فقضيت منه وطراً وانا مسرورة وممتنة من ذلك ومن حبي لفتى في بدء العمر اديره كيف اريد ولكن بعد ان مرّ على ذلك عدة ايام رأيت نفسي قد حبلت بك . وعند مالفظت هذه الجملة وقع السيف من يد الملك وندم الندم العظيم على تحريه هذا الامر . ولكن ما الفائدة فقد صار الذي صار .. (وفي الواقع ان الانسان كثيراً مايبحث على اشياء ترغمه النفس على الوقوف عليها وحالما يعلمها يقع في الندم والاسف فلكي لا يحزن ويتكدر الافضل له ان لا يسأل ولا يبحث ولاسيما في مسائل نظير هذه لانه في الاول يكون مرتاباً فتارة يتوهم صحتها وطوراً يكذبها من نفسه الى ان ينساها ولكن اذا تحققها وتثبتت لديه لا يعود ثمنه وسيلة للنسيان فيصرف عمره حزيناً كئيباً فيندم ولات حين مندم) ..

وبعد ان حقق الملك من امه عن حقيقة حاله ومن هو ابوه ووقع السيف من يده خرج وهو مخجول من نفسه لايبي على شيء والحزن ملوء قلبه يعض اصابعه ندماً واسفاً ولكن وقع القضاء فلا مرد له وتأكد لديه انه ليس من نسل شريف فاختلى بنفسه وهو فاقد الصواب وبقي مدة يعاتب دهره فلم ير وسيلة الا التصبر والتحمل على فعل القضاء . ثم جاء على باله ضيوفه فقال يلزم ان احقق من اين عرفوا ذلك فنهض اليهم ولما راه اولاد الملك داخلا عليهم وشاهدوا على وجهه علامات الغيظ والكدر لم تخف على فراستهم حالته فوقفوا في الحال وخفوا

لاستقباله بالتبجيل والتعظيم · ثم ان الملك جلس على سرير هناك واطرق الى الارض ساكتاً لايفوه ببنت شفة وهو يفتكر كيف يفتتح الكلام معهم في هذا المعنى واخيراً التفت الى ابن الملك الاكبر وقال له اني أمس ارسلت اليكم ابريقاً من الخمر وصحناً من اللحم المشوي واختبئت خلف ستار الباب فاخذت انت بعضاً من الشراب فشربته ثم قلت ان رائحته دم انسان فحققت فكان في الواقع كما قلت فالان اخبرني من اين عرفت ذلك

فلما سمع أولاد الملك سؤال الملك ادركوا الباقي فخجلوا ثم فكروا قائلين في نفوسهم مهما جرى يجرى فاننا لم نتكلم كذبا · وحينئذ تكلم الاكبر فقال للملك نعم ياسيدي اننا نحن كما اخبرناك سابقاً اخوة لاب واحد ولما كان ابونا عاقلا حكيما امرنا ان لا نترك شيئاً يمر علينا بدون ان نتروى به ونفحصه وان ندقق في الكليات والجزئيات ولهذا ترانا عندما نأكل ونشرب وننام ونقوم ونذهب ونجلس ونصاحب ونرافق ونتحاور والحاصل في أي عمل عملناه أو رأيناه لا نباشره بغير تفكر وترو فالبحث لدينا دستور العمل · وبمجرد التأني والتدقيق نعرف باطن الانسان من ظاهره فلما شربت من الخمر الذي أرسلته لنا فعوض ان ينشرح صدري أخذني الملال مع انه بالعكس يعني ان الخمر يفرح قلب الانسان ويدفع عنه الغموم والاكدار ولنفرض اذا شرب الانسان المغموم والمكدر جداً قليلا من الخمر فالخمر يزيد كدره وغمه لكن اذا شرب كثيراً تتغير اطواره ويصبح في حالة تنسيه كل هم وغم ويهون لديه كل عمل ويرى في نفسه العظمة والمجد اما انا فاني شربت قليلا فشعرت بانقباض وصرت كلما زدت منه زاد انقباضي وغضبي وسألت اخوتي أيضاً فوجدت بهم مثل مابي أي انقباض وملال وحينئذ ثبت لديّ انه يوجد في هذا الخمر شيء وقد توجه فكري الى ان ذاك الشيء دم انسان

فلما سمع الملك جواب ابن الملك الاكبر وتعليله الامر والسبب الذي لاجله ادرك ان في الخمر دم انسان استحسن زكاه ومدحه ثم التفت الى الثاني فقال له وأنت أيضاً عندما اكلت اللحم قلت ان الماعز الذي قطع منه قد تربى من حليب الكلاب فمن أين عرفت ذلك

فدعا ابن الملك الثاني للملك بالبقاء وطول العمر ثم قال نعم ياسيدي اني لما

اخذت قطعة من اللحم ووضعتها في فمي امتلأ فمي ماء واخذ الماء في ان يسيل من شفافي وقد رأيت له طعماً غير طعمه العادي ولاجل ذلك ادركت ان الماعز تربى من حليب كلب لاني قرأت في بعض الكتب ان اللحم المتربي بحليب الكلاب يسيل ماءه بعد اكله

فاعجبت هذه الافادة الملك ومدحه أيضاً على ذكائه وكان ابن الملك الثالث عرف ان الدور وصل اليه بغاية الخجل والحياء وقد اطرق رأسه الى الارض يتوقع سؤال الملك الى ان سأله قائلا وقد حققت أيضاً ما قلته فاذا هو صحيح فمن أين عرفته

فاجاب كلا يا سيدي اني لم اقل شيئاً صحيحاً وان لا وجه للصحة فيما قلته واني اتبين الغلط من نفسي ولهذا لا اقول شيئاً ولا يمكني اقول شيئاً حينئذ اقسم له الملك انه لا يتكدر ولا يغتاظ وان لابد من اطلاعه على سبب معرفته انه ابن طباخ

حينئذ قال ابن الملك نعم ياسيدي ان لاذنب في ذلك عليكم ولا عليّ ولا على احد انما الذنب على القدر وهذا شأن اكثر حرم الملوك فان نفوسهن تميل الى ارتكاب المحرمات وذلك لانهن يقمن طول ايامهن بلا شغل يشغلهن ولا عمل يعملن به والبذخ والتنعم والترف وطيب الماكل وحسنها يقوي من شهوتهن فاذا لم يكن في قصورهن من الخدمة من لا يفي بحق ارادتهن توصلن الى جلب الذكور من الخارج وهذا ليس في هذا الزمان فقط بل منذ الازل وكما ان الفقر يجر بالمسكينات الفقيرات احياناً لارتكاب الفواحش سدا لجوعهن واحتياجهن الضروري الذي لاغنى عنه فكذلك زيادة التنعم والراحة تهيج نفوس اولئك المتنعمات حتى لا يعدن قادرات على مقاومة الطبيعة ومفاعيلها والاحسن ان لايكون في قصر الملك الا واحدة وان لا تترك بلا عمل ففي ذلك تسلية ورياضة بدنية والتهاء عن المعصية ومع ذلك فلا شيء يجرى في الدنيا الا بعلمه تعالى والقضاء المقدر لابد من وقوعه مهما تحصن المرء منه وهكذا لا بد ان يكون وقع مع والدتكم اذ وقعت تحت حكم ونفوذ القضاء · واما سؤالك عن سبب معرفتي ذلك فانا قلته غير محقق لكن من قبيل التخمين والترجيح وذلك لاننا منذ تشرفنا بناديك حتى الساعة وانا لا اسمعك تذكر شيئاً اكثر من الطعام فدائماً وفي كل وقت وامام كل

واحد تقول مثلا ان الطعام الفلاني لذيذ جداً والطعام الفلاني الذي من الطعام الفلاني وطبيخ هذا الطعام مستوفي الشروط واما الطعام الفلاني فكان يلزمه من السمن مقدار كذا وذاك قد زيد في الارز وهذا قد قل فيه الملح وذلك كان من اللازم ان يطبخ على كذا نسق ويضع له كذا وكذا والحاصل لاتقطع من فمك ذكر الاطعمة والطبخ ولو كنت في اشغال المملكة وتدبير شؤون الرعية على غير قصد منك ومعلومك ان مثل هذا الامر يؤخذ على وجهين فاما ان يكون المرء ذا شهوة غريبة في الطعام اكولا كبير البطن نهاما سريع الهضم فيشعر دائماً بخوار فيطر لذكر الاكل لانه احب شيء لديه واما ان يكون مولوداً من رجل صناعته الطبخ فيكون ميله لذكر الطعام فطرة وتخلقاً ولما لم أر فيك الصفة الاولى مال فكري للامر الآخر فقلته وارجوك العفو لاننا ما تكلمنا ذلك الا بيننا والشيء الذي يقال بيننا لا يعرف فيه رابع قط ولو لم نتقصد الاطلاع على افكارنا وتحتيء لما وقفت على ما وقفت عليه والشيء الذي نقوله مرة لا نعيده ثانية فنرجوك العفو

أما الملك فانه كان يطرق الى الارض وقلبه يشتعل بنار الكدر من وقوفه على حالة وجوده ثم نهض من عند أولاد الملك ورجع الى خلوته يتفكر فيما ينبغي ان يعمله معهم وقد خطر له في باديء الامر ان يدعهم ينصرمون عن بلاده لكن رجع فقال في نفسه هذا لايمكن لانهم على جانب من الزكاء والمعرفة ومن اللازم ان أبقي عندي واحداً منهم وأترك الاثنين يسيران في طريقهما ولا ريب اني انتفع بزكاء وعلم الذي يبقى عندي ولكن هل ياترى يقبل أحدهم ان يفترق عن أخويه ويبقى عندي بعد ان ثبت لديهم اني لست ابن ملك . ثم خطر له ان يأخذ رأيهم في ذلك فدعاهم اليه وأظهر لهم الاهتمام والاتفاق وقال لهم بالحقيقة انكم جميعكم على جانب من الزكاء والفطانة وقد أتقنتم العلوم والمعارف وحزتم أجلها وأرفعها وقد مال قلبي اليكم ولذلك أريد ان أبقي أحدكم عندي فاستوزره واعهد اليه بتدبير شؤن المملكة وأزوجه بابنتي فأرجوكم بقبول طلبي هذا وان لاتضيعوا رجائي بكم

فنظر أولاد الملك الى بعضهم البعض برهة دون ان يفوه أحدهم بكلمة ثم التفتوا الى الملك وقالوا أطال الله بعمر مولانا الاعظم انه لما كان من الصعب علينا ان يفارق أحدنا الآخر بسهولة ولذلك نسألك الترخيص لنا بالمشاورة مع بعضنا

البعض في خلوة لنرى الطريقه التي تقينا من بلايا السفر والنظر في انفاذ أمركم
فقبل الملك طلبهم ورخص لهم بالمشاورة فنهضوا من حضرته وساروا الى مكان أقامتهم ودارت بينهم المباحثة والمخابرة وأخيراً سكت الاصغران ينتظران رأي أخيهما الاكبر فقال أي أخوي العزيزين ونور عيني الاثنين هاأنا قد خرجنا من وطننا المحبوب ووقعنا في بلاد الغربة وكان لاجل ملاقاة المشاق والمحن والخروج والتخلص منها وكان رجاؤنا ان نعود الى الوطن بالسرور والراحة لكنما الدهر الخؤون لايبقى على أخين لم يتفرقا

كم فرق الدهر بين الام والولد   هو الظلوم فلا يبقى على أحد

نعم ان الدهر من شأنه التفريق والجفاء والذي أريده في كلامي الآن هو اني أرى علائم التفريق بادية امامنا ولا بد للملك ان يدعوني اليه فلا أعلم بماذا أجيبه فأبدى أخواه علامات الفرح على وجوههم وقالوا له لقد أصبت يامدبرنا ومشيرنا فان الدهر بدأ بمحاربتنا ليوقع بيننا ومن الحكمة ان لانقاومه لانه اذا قصد تفريقنا لاقدرة لنا على مخالفته وأنواع التفريق كثيرة فالاصوب ان نختار الاهون . فالآن أنت لاتفتكر بنا فاننا نقدر باذنه تعالى على اتمام سفرنا حتى يأذن الله برجوعنا فاذا صرت أنت صهراً للملك ومدبراً للمملكة ربما تنال خيراً اعظم فيما بعد ويكون ذلك بتدبير من الله ونحن كذلك لدى تطوافنا ربما نلاقي من الخير مالا نعلمه الآن ومتى أذن الله بعودتنا نعود عليك ونذهب سوية الى وطننا وبلادنا

فبعد المشاورة والمحادثة اتفقوا على ذلك فنهض ابن الملك الاكبر وهو صاغر لحكم القضاء والقدر حتى جاء الملك واخبره بما اتفق عليه رأيهم فسر الملك من ذلك سروراً عظيما وتقدم من ابن الملك فضمه الى صدره وشكره على قبوله بالبقاء عنده وأمر في الحال باقامة الافراح والولائم وبتهيئة قصر جيل لابن الملك ثم بعد ايام زف ابنته عليه واقامه وزيراً ومدبراً لمملكته واتكل عليه في كل اموره

وأما اولاد الملك الثاني والاصغر فأقاما الى مابعد زفاف أخيهما على بنت الملك ثم ودعا الملك واخاهما والحزن يملئ قلبيهما والدموع تنهل من أماقيهما كالسواقي وخرجا من المدينة وقلباهما مملوءان من الحزن والكآبة لفراق أخيهما الاكبر . وكما كان الاثنان يعاملان اخاهما الاكبر بالاعتبار والاحترام لكونه بمثابة أب لهما اصبح الاصغر يعامل

أخاه الثاني معاملة الاكبر ويحترمه لكونه اكبر منه سناً وبعد ان سارا مدة يوم اراد الاخ الثاني ان يمتحن الاصغر فقال له انظرت كيف ان أخانا الاكبر قليل الوفاء عديم المحبة فقد تركنا نسير لوحدنا وشغل عنا بالعيش والعشرة والصفاء والهناء فأجابه ان ماعمله اخونا معنا لم يكن ناشئاً من قلة وفاء او محبة بل كان ذلك لاجل مصلحتنا وخيرنا . لأن الانسان عند مايكون منفرداً بنفسه يفتكر اكثر ويدقق اكثر وينظر في المشاق والمحن اكثر والا لوجد ثلاثة أو اربعة انفار سواء ولاقوا المحن والمشاق لايهتمون ولا يفتكرون بها ولذلك لايمكن ان يطبخهم الزمان وتعلمهم الايام وعليه فيكون اخونا قد اراد امتحاننا وليس كما تزعم انه تركنا بغضاً وقلة وفاء أرأيت كيف ان أبانا قد طردنا نحن الثلاثة سواء . هل كان ذلك منه بغضاً اوكرهاً كلا بل قصد خيرنا ونفعنا . فلما سمع اخوه كلامه سر منه سروراً لامزيد عليه واستحسن جوابه

وما زالا في مسيرهما عدة أيام وليال حتى انتهيا الى نقطة يتفرع منها طريقان الواحد لجهة الشمال والثاني لجهة اليمين فوقفا مفتكرين ناظرين الى الطريقين ينظران في ايهما يجب ان يسيرا . وبعد التمعن برهة قال الاكبر لاخيه اني أرى من مصلحتي على مايدلني عليه قلبي ان اسير في الطريق الشمالي لان لي خيراً هناك . فأجابه الاصغر وانا ايضاً ارى ان من خيرك ان تسير في الطريق الشمالي واسير انا في الطريق اليمين وبالنظر لما يلوح لي ان لي نفعاً وصالحاً هناك . ولهذا قد قضى علينا ان نقف في هذه النقطة للوداع فهلم يااخي هلم للوداع ان الله حكم بذلك وعلى المرء ان يصغر لحكم القدر وان يكون شجاعاً مقداماً لمحاربة الايام والاهوال . فلما سمع اخوه كلامه قال في نفسه ان اخي مصيب في كلامه فاذا كانت شجاعته وحكمته حملتاه على ارتكاب الاخطار لوحده اجابة لحكم القدر فمن اللازم وانا اكبر منه سناً ان اكون اشد بأساً واقوى قلباً . وفي الحال نزل كل منهما عن جواده وضم اخاه الى صدره ودموعهما تسيل على الخدود كالامطار . ولما انهيا سنة الوداع قال الاكبر للاصغر . اي اخي العزيز ونور عيني ان الفراق قبيح جداً والهجران امر لايحتمل قط . ها ان أخانا الاكبر قد اصبح صهراً للملك في بلاد جميلة عظيمة وهو يصرف اوقاته بالانس والصفا ولذلك افكارنا مرتاحة من جهته ففراقه لم يكن

فراقاً يذكر بالنسبة لهذا الفراق • فقد تركنا وحدنا لانعرف الطريق ولا نعلم ماهي الاهوال والمصائب التي ستمر علينا اما نحن فاننا سنفارق بعضنا وافكارنا محزونة لايعلم احدنا ماذا يتم على الآخر فهنا نقطة المرارة ومركز الصعوبة اذ يبقى احدنا حزينا على الآخر • فلما سمع الاصغر كلام اخيه لم يقدر ان يتمالك نفسه من البكاء فتدفق الدمع من عينيه ثم قال له بالحقيقة ان ما قلته هو الواقع ولكن ماالعمل اذا وقع القضاء والقدر لاينفع التحرز والحذر فنحن عبيد الله وهو خالقنا ومعبودنا وحافظنا ورفيقنا في طريقنا فهو الذي يرى خيرنا ويعرف طريق نجاحنا وهو بالحقيقة والدنا الشفوق الرحيم والذي أراه انه لاجل نفعنا قد اوجد هذين الطريقين وقادنا اليهما ووضع في قلب كل منا الميل الى طريق واحد منهما وبالطبع حتى كان الانسان متكلا على الله حق الاتكال فعليه ان لايخالف دلائل قلبه لانها الهامات ربانية فلننفصل الآن كما شاء ربنا وهو المدبر المتمم • وبعد ان انتهى الاصغر من كلامه انفصل احدهما عن الآخر وهو مملوء من الحزن والغم فاستلم الاكبر طريق الشمال والاصغر طريق اليمين وبقي كل منهما يلتفت الى أخيه وهو سائر والدموع تذرف من عينيه كالانهار حتى غابا عن بعضهما البعض

فلنترك الآن ابن الملك الاصغر سائراً في طريقه وننظر فيما يجري على أخيه فانه بقي سائراً في الطريق الشمالي محزوناً ومأيوساً وفيما هو سائر جعل يفتكر ويلوم نفسه قائلا لاي شيء أحزن وأتكدر ان الدنيا حالها هكذا • فلا لقاء الا ويعقبه فراق ولا فرح الا ويعقبه كدر كل هذه أمور تمر على الانسان فالعاقل من يصبر عليها سيما واني على يقين ان أخوي بخير ومن المرجح ان نعود جميعنا ذات يوم الى ابينا ونجتمع ببعضنا البعض باذن الله • وكان يسلي نفسه بمثل هذا الكلام وهو سائر في طريقه حتى قطع مسافة خمسة عشر يوماً على تلك الحال وقد صادف في طريقه كثيراً من البلدان والقرى والآثار القديمة وكل شيء كان يراه يدقق فيه ويسأل عنه • واخيراً انتهى الى مدينة عظيمة كبيرة فدخلها وسار الى احد الفنادق فاكترى له حجرة سكن فيها وقد رأى من المناسب ان يقيم في تلك المدينة اياماً ليرتاح من التعب والمشاق وكان في النهار يذهب الى الاسواق والشوارع فيطوف فيها متفرجاً باحثاً وفي المساء يعود الى الفندق وكان مسروراً جداً من حسن هواء

تلك المدينة واتساعها واتقان أبنيتها وكثرة جنائنها وحدائقها

فصرف بضعة أيام على هذه الحال وفي ذات يوم خرج من حجرته على جاري عادته وأخذ يطوف في الاسواق حتى وقف امام دكان رأى الناس مجتمعين بكثرة عندها فاختلط بينهم ليرى السبب فشاهد شيخاً قابضاً على ولده الفتى وهو يضربه شديداً ويجتهد في منعه من الذهاب وهو يقول له انت ابني ولي عليك حق السلطة فلا ادعك تذهب . فتعجب ابن الملك من هذه الحال والتفت الى أحد الحضور وسأله قائلا لماذا يا ترى يضرب هذا الشيخ ولده والى أين يريد ان يذهب وهو يمانع في ذهابه . فسأله الرجل الست من سكان المدينة فاجابه كلا بل انا غريب دخلت هذه المدينة منذ أربعة أيام فقط . فقال الرجل يوجد في هذه المدينة ملك عظيم واسع الملك عالي الجناب ولكنه عادل وظالم رحيم وعديم الرحمة . فتعجب ابن الملك من كلامه وقال له كيف يكون الملك ظالماً وعادلا وشفوقاً وقاسياً . قال نعم ان ملكنا كذلك فان له ابنة جميلة جداً حتى انه يندر وجود مثلها في زمانها وهي زكية وفهيمة للغاية وقد اقسم الملك ان لا يزوجها الا لمن يبيت عنده اسبوعاً كاملا ولا يقتله أي للذي يتخلص منه ولا يقتله وحتى الان قد ضافه نحو الثلاثة آلاف فتى من الغرباء ومن أهالي مملكته بعضهم من أولاد الملوك وبعضهم من الاعيان وبعضهم من الفقراء ولا واحد منهم قدر ان يتخلص من بين يديه بل جميعهم قتلوا فهذا هو ظلمه واما قولي بانه عادل فانه لايجبر احداً على ضيافته بل بالعكس يمانع في باديء الامر وقد فوض وزيره ان ينصح كل من يريد الزواج بابنته ويمنعه ويجتهد في ردعه ويخوفه من القتل والاعدام وهذا هو عدله . وبنت الملك المذكورة تخرج في الاسبوع مرة الى الحديقة الكبيرة المحيطة بقصرها فيذهب الكثير من الناس لاجل رؤيتها وفي هذا اليوم موعد خروجها وقد قصد ابن هذا الشيخ ان يسير ليراها فلم يهن على ابيه ذلك فهو يضربه ليمنعه من الذهاب الى هناك

فتعجب ابن الملك وقال لابد في المسألة من سر خفي وتاقت نفسه في الحال لرؤية الصبية فسار حالا نحو قصر الملك فرأى كثيراً من الناس قد تجمعوا عنده لرؤية بنت ملكهم واذا بها قد دخلت الحديقة باحتفال عظيم وبين يديها نحو خمسين جارية جميعهن بالملابس الحسنة والجواهر النفيسة وهي بينهن كالقمر بين الكواكب تمايل

كغصن بان أو كقضيب خيزران وقد سلم عليها الناس بكل خضوع واحترام · ثم انها اخذت تطوف في الحديقة من طرف الى آخر وهي تشاهد الناس وتحييهم · اما ابن الملك فانه حالما رآها تحركت فيه عواطف الحب عن غير ارادته فكأن الله قد سخر حسن ودلال ذاك الغصن الميال لاستعباد قلبه وتقييده بحبال الهوى · وكذلك بنت الملك فانها حالما وقع نظرها على نظره لاح لها من سيمائه انه من أولاد الملوك النجباء وقد انعطفت اليه باميالها ولم تقدر ان تضبط نفسها عن التبسم له والاشارة اليه بالسلام على نوع خاص ثم انسحبت الى قصرها · فاحدق بها ابن الملك برهة وهو يفتكر في أمرها وجمالها · ولما غابت عن عينيه سار الى مكانه وصرف تلك الليلة مشتغلا بما رأى باحثاً في عقله عما يعمل وهو يقول في نفسه هل ابيع حياتي رخيصة في سوق جمال هذه الفتاة التي لم تر عيني اجمل وابدع منها · كلا · كلا · ليس من السهل ان اسلم بنفسي على الخفة والطيش واضحي حياتي لاجل الحب · يلزم ان اتحمل · وكذلك مرّ عليه اليوم الثاني والثالث حتى الاسبوع وهو على تلك الحالة لاهم له الا التروي والتفكر بالتدبير · ولما آن وقت خروج بنت الملك الى الحديقة سار اليها واختلط بجماعة الملك ولكنه لم يقف في المكان الذي وقف فيه في المرة الاولى بل وقف في جهة ثانية وفي يقينه انها ان كانت احبته كما لاح له منها فلا بد ان تبحث بنظرها عليه بين الجموع فيتبين له ذلك ويعرف من هيئتها وحركاتها ما يرتاح اليه ضميره · وبقى منتظراً دخولها الحديقة · واذ ذاك خرجت الفتاة من قصرها كالعادة ودخلت الحديقة للنزهة وبعد ان حيت الجماعة بدأت بالتطواف في الحديقة · وقد أرسلت بنظرها لاول وهلة الى المكان الذي كان واقفاً فيه ابن الملك في الاسبوع الغابر فتأكد له انها تبحث عليه ولما لم تره فيه اكثرت من التلفت والبحث في كل جهة حتى وجدته في مكانه وكان في هذه المرة قريباً منها فتمكنت من السلام عليه وبعد السلام وضعت اصبعها على شفتيها ثم ضمت اصبعها هذا الى اصبع آخر ومضت فلما رأى الناس منها هذه الاشاره تعجبوا وكل واحد أولها لمعنى ولكن لم يدرك احد منهم المعنى الذي تقصده الا ابن الملك · وبعد ان طال به التأمل رجع الى مكانه وهو يتبسم ويتفكر وقد صرف تلك الليلة على هذه الحال وخيال محبوبته يلوح امام عينيه

لايفارقه لحظة واحدة وحبها يزيد وينمو في فؤاده حتى كان الصباح فلبس ثيابه وسار الى الوزراء المعينين لنصيحة الضيوف وتحذيرهم وبعد ان دعا لهم وسلم عليهم اخبرهم بان قصده ضيافة الملك . ولما رأى الوزراء نجابة ابن الملك وسمعوا فصاحة كلامه وشاهدوا رقة جانبه سروا منه فاكرموه واعزوه كثيراً واجلسوه ما بينهم ثم سألوه في بادئ الامر من هو ومن أي البلاد جاء فقال لهم انه ابن احد امراء سرانديب قد خرج من بلاده لاجل السياحة والفرجة على البلاد والآثار . واذ ذاك فتح الوزراء باب النصيحة فقالوا له انك ترمي بنفسك في بحر الهلاك وتختار الموت لنفسك بدخولك في ضيافة الملك لان الرجل الذي لا تقبل به بنت الملك ولا يوافق مشرب ابيها يقتله ولا يبقيه حياً ومن الصواب رجوعك عن عزمك هذا فبنات الملوك والامراء كثيرات فيمكنك ان تختار منهن من تحلو لك فتتزوج بها بغير عذاب ولا خطر وانت لا تزال شاباً وفي بداية عمرك نخيف عليك وعلى صباك . فلم يقبل نصيحتهم وقال لهم اني اشكركم على تحذيركم اياي ونصيحتكم لي فقد اخلصتم ذمتكم وفعلتم فوق الواجب الذي يطلبه الله منكم اما انا فاني مصر على عزمي وقد يفعل الله أمراً كان مقدوراً فلما رأى الوزراء اصراره قالوا له اذهب انت الان وفي الغد عد فندخل بك على الملك والآن ندخل عليه ونخبره بكل ماجرى لنامعك واننا نصحناك وحذرناك فلم ترجع عن عزمك ولاقبلت النصيحة

فعاد ابن الملك الى منزله بعد ان شكر من الوزراء واثنى عليهم وقد صرف باقي يومه وليله وافكاره تضرب بين الرجاء واليأس وكلما فكر بالعدول عن عزمه وجد من قلبه زاجراً وتبين له من اشارتها انها بدون شك ستلتصق به وقد اعجبها فتقوى آماله ويتاكد عنده نوال غايته . وفي صباح اليوم الثاني ذهب الى قصر الملك فلاقاه الوزراء واعادوا عليه النصيحة وخوفوه من العاقبة فلم يصغ اليهم ففي الحال ساروا به الى الملك واخبروه بانه راغب في ضيافته فنظر فيه الملك وكان حكيما فطناً فتبين له فيه دلائل الزكاء والنجابة فترحب به وزاد في اكرامه واجلسه الى جانبه وسأله من أين آت والى أين ذاهب . فاخبره انه من مدينة سرنديب وانه سائح في الدنيا يستطلع اخبارها ويتفرج على آثارها . فارسله الملك الى المكان المعد بضوفه وامر عدة من الخدم بملازمته والاهتمام بخدمته . ولما كان

المساء خرج الملك من ديوانه وسار الى حرمه فاقام هناك نحواً من ثلاث ساعات ثم جاء الى المكان المقيم فيه ابن الملك فاستقبله ابن الملك بالترحيب والاكرام واكثر من الدعاء له والثناء عليه فصافحه الملك ومدحه وجلسا الى جانب بعضهما البعض ولما كان الملك قد رأى من هيئة ضيفه انه لابد ان يكون ابن احد الملوك الكبار اخفى ذلك ولكنه كان يعامله بالوقار والاحترام كما يعامل الملوك وبعد ان صرفا وقتاً بالاحاديث والاخبار حضر الطعام فجلسا عليه والملك يمتحن ضيفه ويسأله المسائل العظيمة وهو يجيب عن كل شيء بحكمة وتعقل وتأن حتى سكر الملك من ذكائه . ولما حان وقت النوم نهض الملك ودخل الى حرمه واخذ ابن الملك الى غرفة نوم مزينة بكل انواع الزينة قريبة من محل الحرم . وكان ابن الملك يتعجب من الاكرام والاحترام اللذين لاقاهما من الملك مع انه كان سمع ان الملك يقتل ضيفه بعد اسبوع فلماذا يكرمه في الاول ثم يقتله في الاخر . ومن بعد ان دخل غرفة النوم نزع عنه ثياب النهار ولبس ثياب الليل أي ثياب النوم وجلس يتفكر في أحواله وفي سر هذا الامر برهة ثم نهض الى سريره وقبل ان يتسلط عليه سلطان النوم سمع صوت فتح الباب فاضطرب قلبه وارتجف ونهض جالساً وامعن في الداخل فرأى فتاة في سن الخامسة عشرة قد دخلت منه فحقق النظر فيها فعرف انها بنت الملك نفسها فخرج في الحال من سريره وترحب بها غاية الترحاب وقدم لها ما يليق بها من الاعتبار والاكرام . ومن بعد ان حيته بكلمات الغنج والرقة والدلال جلست ودعته للجلوس فلم يؤخذ ابن الملك بكل ما ابدته من حركات الغنج والتيه بل جلس الى جانبها مطرقاً الى الارض لا يرفع نظره الى وجهها فضاق لذلك صدر الفتاة وقالت له لماذا تعرض عني هل لم اعجبك فاجابها كلا ياسيدتي فانت معدن اللطف والكمال ولكني مخجول من زيارتك لي في مثل هذا الوقت ولم ار لها معنى غير مقصود فلماذا شرفتني في وقت ليسه وقت زيارة والاصعب من ذلك انفرادك بي في مثل هذا المكان وهذه الساعة . فقالت نعم ياسيدي اني اتيت لاراك لاني حالما رأيتك وقع حبك في قلبي وعشقتك بالرغم عليّ واصبح قلبي اسيراً في يديك . قال لا الومك على ذلك انما ليس من الحكمة العجلة بل الواجب ان تصبري الى حين يدنو وقت نوال المراد . فقالت له رفقاً

بي يا ملكي المحبوب كانك لم تشرب من خمرة الحب ولم تفدك حباله والا لما كنت تحييني بمثل هذا الجواب واني اعذرك عليه لاني كنت مثلك قبل ان رأيتك لا اعذر عاشقاً ولا ارحم مغرماً فهل يطيق العاشق الصبر على وصال معشوقه وهو قريب منه . قال في الواقع كما قلت لكن العرض والناموس اعظم بكثير من العشق والمحبة لا اخفي عليك اني عاشق شديد الغرام بك لكن العرض والناموس يمنعاني عن اجراء ما اروم . فاظهرت الفتاة التأثر وقالت له المعنى انك تظن انه لايوجد عندي عرض وناموس . قال حاشا ياسيدتي ان افكر بذلك فاني لم اقل لك ان لا عرض ولا ناموس عندك بل اني اري ان العشق والمحبة عندك قد التفا بالعرض والناموس وهذا الذي حملك على الجراءة لزيارتي في مثل هذا الوقت مع انه لايزال الناموس عندي منفصلا عن الحب . فقالت له العفو يامحبوبي العزيز ان كل كلامك حكمة وعقل فليس الآن وقت الكلام واللوم فالوقت قصير هلم الآن نغتنم هذه الفرصة فنقتل ساعتنا القصيرة باللهو والتسلي فلم يوافقها وقد دله قلبه ان عملها هذا هو دسيسة وحيلة لامتحانه فقال لها أرجوك ياسيدتي اكراماً لمجد الله لاتمسي شرفي وناموسي باذى فاذهبي عني لانه لايمكن لي ان ادع قلبي يتغلب على عقلي ولا أعمل أمراً مالم افكر في عواقبه ولا آتي عملا الا بعد التروي والتبصر فزاد نفوره وعفافه في هواها وغرامها فقالت له مما انت خائف ياروحي فاني اقسم لك الايمان العظيمة اني اصبحت عاشقة لكن مغرمة بك ومنذ رأيتك أول مرة في الحديقة انسحب قلبي اليك على غير رضى مني وعدت لا اطيق صبراً على بعدك وما ذلك الا بأمر من الله تعالى . فالآن لماذا تظلمني وتجافيني هلم اليّ ارحمني انصفني لاتتركني مأيوسة حزينة . فقال . كلا ياسيدتي فقد يستحيل عليّ ان اوافقك بل أرجوك ان تتركيني لحالي هذه الليلة وتذهبي عني ولا اقول ذلك الا لزيادة حبي لك اني احبك واهواك اكثر مما تحبينني وتهوينني بالف مرة . لكن عدم الصبر والتأني مضر فاصبري اسبوعاً واحداً فقط فاذا تخلصت فيه من ابيك سهل علينا الاجتماع ونوال الوصال . فتبسمت الفتاة وقالت له أي حبيبي ومالك فؤادي لاتعر أذناً لما تسمع ان هذا الامر هو بيدي وما يشيع عن ان أبي يقتل طلابي والراغبين بي بعد زيارتهم له اسبوعاً هو غير الحقيقة بل لذلك سر آخر لا أخفيه عليك وهو انه

اذا جاء ابي ضيف راغب بي فبعد ان يجري معه التجملات والاحترامات اللائقة بالمضيف مدة ستة أيام وفي الليلة السابعة يأخذ في امتحانه فيرسلني اليه ويختفي هو خلف الباب والسيف في يده. وعند ما أدخل انا على الخاطب وابدي لديه اشارات الحب وافاتحه بالغرام يأخذه الطمع بي فيهجم عليّ قاصداً ضمي واعتناقي ونوال غرضه مني في الحال فيخرج اليه أبي فيقتله ويعلم انه غير صالح لي لدناءته وعدم صبره . أما انا فحتى الساعة لم امل قط الى واحـد من جميع الذين رغبوا فيّ ولا أحببت قط واحداً منهم اما انت فحالما وقعت عيني عليك توسمت فيك العقل والكمال والحكمة فرماني الله بالرغم عليّ في هواك ولهذا لا يمكن لي ان اسلم بقتلك مالم أقتل قبلك والدليل اني لم اصبر عليك بل اتيتك اشكو اليك حبي لاصرف واياك هذه الليالي الست على الحظ والانشراح وفي ليلة الامتحان تتحذر فيرى ابي فيك المطلوب ومن ثم يعقدلي عليك ويتم اقتراننا فلا تخف الآن من محذور فما دمت انا في قيد الحياة لاتقع عليك اذية . فلما سمع ابن الملك كلام خطيبته زادبه التعجب وهو غائص في بحر من الافكار ثم دار بوجهه اليها وقال لهـا مادام الامر كما قلت فاصبري فبعد مرور السبعة أيام تنال المراد ويتم لنا الحظ والفرح ولا يبقى في سبيلنا مانع ويبقى ناموسنا محفوظا فتأوهت الفتاة وظهر على وجهها علائم الذل والانكسار وقالت له لمـاذا أنت ياحبيبي عديم الرحمة والشفقة أيمكن لي الصبر سبعة ايام وانت في قصري ولم يكن بيني وبينك حاجب فارحمني واطفئ لهيب قلبي باجابة سؤالي ودعنا نصرف أيامنا بالانس وانا على ثقة من اننا نقترن حـلالا ولا يفرق بيننا الا الله سبحانه وتعالى فلا تدعني حزينة مأيوسة قانطة من الحياة

ولمـا رأى ابن الملك حالة الفتاة وشدة ولوعها به وقلة صبرها على قربه كاد يعذرها ويجيب سؤالها ولكن في الحال خطر على ذهنه وصية ابيه وهي (لاتعمل امراً ربمـا تندم على عمله فيما بعد . لاتعجل بعمل الخ) وعليه فقد عاد الى ممـانعة الفتاة وقال لها لا امل في هذه الليلة الى اجابة سؤالك فاتركيني واذا كنت لاتزالين مصرة على طلبك فانه خير عليّ قتل نفسي من ان اجيبك الى مرادك خفية عن ابيك وانا ضيفه وفي بيته حتى لو كنت ايما كنت . فلما رأت الفتاة عناد ابن الملك وامتناعه الى هذه الدرجة انفطر قلبها وغاب رشدها فرمت بنفسها على قدميه

ترجوه وتسأله الرحمة ولما رأى ابن الملك ان الفتاة لاتقنع ولا تتركه اخذته الحدة والغضب وقال لها الم اقل لك اذهبي عني هذه الليلة فلا يمكن لي ان اجلس واياك دقيقة واحدة بعد فاما ان اقتل نفسي واما ان تذهبي عني واذا كنت لاتذهبين عني فها انا ذاهب الى حجرة الضيافة حيث كنت في النهار ثم خرج وهو بحدة وكدر الا انه مالبث ان اخرج رجله من الباب حتى رأى نفسه واقفاً تجاه الملك والسيف مسلولا في يده فاحتار واضطرب ورمى نفسه على اذيال الملك يقبلها بدهشة ورعبة

وكان الملك لما فارقه ذهب لغرفته وهو يفتكر فيه وفي نجابته وذكائه وجماله وقد وقع في قلبه موقعاً عظيما وخاف من ان تقوده الظروف الى قتله فأراد ان يذهب الى ابنته ويخابرها بشأنه وقد خطر على ذهنه ان يزوجه بها بدون ان يمتحنه اذا تبين له انه شريف ومن اصل عال فخرج من غرفته وقبل ان يصل لغرفة بنته وجدها سائرة تحت الظلام فأشغله أمرها فانزوى الى ان مرت فتأثرها حتى دخلت على ابن الملك فوقف خلف الباب وقد اشهر السيف بيده وسمع كل مادار بينهما حرفاً بحرف

ولما رأى الملك ان ضيفه قد ارتمى على اقدامه قبض عليه من يده وانهضه عن الارض وقبله في جبينه وادخله الى الداخل وقال له وهو مملوء من السرور والفرح لقد احسنت أيها الشريف الذات والصفات بالحقيقة انك ابن حلال فهيم عفيف عاقل لايوجد لك ثان بين الناس ولم تر عيني قط مثلك فأنت هو الرجل الذي اسعي خلفه لمصاهرته واتطلبه زوجاً لبنتي ٠ ومن بعد ان اكثر الملك من مدح ابن الملك والاطناب بصفاته احضر في الحال الفقهاء فعقدوا لابن الملك على بنته ٠ ثم تركهما لوحدهما وانصرف الجميع وبقى العاشقان في خلوتهما يقطفان ثمار الحب ويتلذذان بوصال بعضهما البعض وداما على حظهما حتى الصباح فخرج ابن الملك للحمام فاغتسل وجيء له بالثياب الفاخرة فلبس وخرج الى القصر واذا بالافراح قائمة والموسيقات تعزف وكان الملك من فرحه قد بكر الى اعداد الافراح واخبار حاشيته ورجال معيته بزواج بنته فتوارد المهنون يهنون الملك وصهره وهم يتعجبون كيف انه تزوج بها في اول ليلة ولم يجسر احد ان يسأل عن السبب ولكنهم قد احبوا ابن الملك جداً ومالوا اليه وعجبوا من سياسته وحكمته وبقى ابن الملك عند

عروسه على البسط والانشراح فهذا ماجرى لابن الملك الثاني فلنتركه في فرحه ولا نكدر له عيشاً

أما ابن الملك الاصغر فانه بعد ان انفصل عن أخيه سار في الطريق الايمن حتى مساء ذلك اليوم فعرج الى قرية هناك بات فيها تلك الليلة وفي صباح اليوم التالي نهض من نومه واستأنف المسير حتى المساء فبات في احدى القرى وفي اليوم الثالث عاد الى التقدم في طريقه ودام على ذلك مقدار خمسة وعشرين يوماً وفي اليوم السادس والعشرين وصل الى مدينة كبيرة واسعة لم ير زمانه مثلها قط فسر لذلك لانه كان قد أعياه التعب وشدة السير فتاقت نفسه للراحة ولذلك عزم على البقاء بضعة أيام في تلك المدينة حباً بالراحة والفرجة عليها فدخلها في الحال واستأجر له غرفة في احدى الفنادق وصرف تلك الليلة في الخان حتى أقبل الصباح فخرج الى الحمام ولبس ثوباً نظيفاً جديداً وأخذ في ان يطوف الاسواق والشوارع متأملا وباحثاً في كل مايراه وكانت المدينة جميلة جداً وعامرة وهي محاطة بالحدائق والجنائن الزاهرة وأبنيتها جميعها من الحجارة البيضاء المرمرية مزينة ومزخرفة بابدع النقوش وطرقها ومسالكها واسعة ومعتدلة على ترتيب هندسي جميل وأهاليها على جانب من العقل والزكاء والرقة والانس فاعجبته جداً ولذلك دام على التطواف والتنقل من جهة الى ثانية حتى قادته الصدف الى جمع غفير من نساء ورجال يسيرون مجتمعين الى جانب بعضهم البعض فتعجب ابن الملك من كثرتهم وقال في نفسه يلزم ان أسير بينهم لارى الى اين ينتهي بهم المسير واي جهة يقصدون فاختلط بينهم وسار معهم وفيما هو سائر قال لاحدهم الى اية جهة ياترى تسيرون فاجابه الرجال هل أنت غريب الديار حتى تجهل المكان الذي نقصده . أجاب نعم فقد دخلت المدينة مساء الامس ولم اكن اعلم قط . قال ألم يخبرك بعد احد فزاد تعجب ابن الملك وقال له كلا فاني لااعلم ولا سمعت ولذلك رجوتك ان تخبرني فقال له اعلم انه يوجد في هذه المدينة ملك عظيم الجاه عالي القدر وله بنت وحيدة جميلة لانظير لها قط بالحسن والزكاء والفراسة والعلم والآداب ولما لم يكن له أولاد غيرها أحبها كثيراً وفي يوم ولادتها زين المدينة وقام بالولائم والعزائم وكان يوم فرح عظيم لم يسمع بمثله وتربت بالنعمة والدلال حتى بلغت الثانية من العمر وكانت

وهي في حالة الطفولية يشاهد عليها من آثار الحسن والجمال مايندر مثاله في هذه الدنيا فانعطفت اليها كل أميال الملك وكانت كلما تقدمت في العمر ازدادت محبة أبيها لها ولما أدركت التاسعة لم يتغافل عنها بل عين لها المعلمين والاساتذة لاجل تعليمها كل العلوم بأصولها وفروعها وكانت الفتاة من فطرتها زكية وفطنة فلم تصل الى الرابعة عشرة حتى برعت في جميع العلوم والفنون ثم احضر لها الفلاسفة والحكماء من البلاد الغريبة وكان كلما سمع بفيلسوف ماهر احضره وغمره بالانعام وعين له الرواتب وخصصه لتعليمها كي لايوجد في الدنيا من يفوقها علما وادباً كمالايوجد من يفوقها حسناً وعقلا . والحاصل قد برعت بنت الملك في كل فن وامتازت في كل علم حتى علم الفلك والجفر والرمل والحساب والهندسة والطلسم والسحر فقد أتقنتها جميعها حتى أدركت درجة الكمال فيها

اما جمالها فقد يتعسر عليّ وصفه تماماً ولكن لكي تعلم في أية درجه هي من الحسن أقول لك ان لانظير لها في الدنيا واراهن على ذلك حتى انها لما أدركت الرابعة عشرة كان من الصعب على نساء قصر ابيها وجواريها ان ينظرن اليها دون ان تأخذهن رعشة عصبية فاذا كانت النساء تهيم وتجنّ عشقاً لجمالها ودلالها فكم بالحري الذكور وقد انتشر في الدنيا خبر حسنها وجمالها وادابها وكمالها فكانت آفة الدوران الكبرى فهي ربعة القامة مندمجة الجسم متناسقة التركيب بجبين أبيض وحاجبين سوداوين وعينين (جابن الهوى من حيث أدري ولا أدري) اذامشت يحمل لها جواريها ذيل شعرها خوفاً من ان تدوسه باقدامها وخدين موردين واتف اقنى وفم كخاتم سليمان قد ملكها الله اياه لتأمر به على الأنس والجان فتطيع لها وعنق وصدر لاأقوى على وصفهما وليس النظر كالعيان فلا انا ولا افصح العالم لساناً وأقدرهم علما يقوى على وصف جزء من جمالها وقد اعطيت وحدانية المحاسن فأرجوك ان تعذرني اذا كنت لاأعرف ان اصفها لك فسوف تشاهد صورتها وتتيقن صدق كلامي . وكما انها وحيدة بالحسن والبهاء وبالعلوم والفنون فكذلك لها معرفة وهوس بالصيد والقنص وقد برعت فيهما . فهي تخرج في الاسبوع مرة منتخبة لمرافقتها مائة أو مائة وخمسين فتاة وتوسع في الغابات والاحراش . ولما كانت محبة أبيها تزداد لها اليوم بعد اليوم كان لايخالفا قط بوجه من الوجوه بل

انه يظهر لها انه راغب في كل ما تعمله ولا سيما في خروجها للصيد وكانت عند ماتخرج للصيد مع جوارها يركبن الجياد من الخيول ويخرجن الى الصحارى بغير حجاب ولا نقاب

وهذا عند مايعلم الناس بيوم خروج بنت الملك يتجمهرون ويتجمعون منذ الصباح ذكوراً واناثاً شباناً وشيوخاً واطفالا ويصطفون من المدينة حتى الصحراء بترتيب وانتظام ينتظرون مرور بنت ملكهم (على انه لوكانت بنت الملك قبيحة المنظر وارادت الخروج لاجتمع الاهالي للفرجة عليها فكم بالحري وبنت الملك اجمل كل فتاة صنعتها القدرة الالهية والآن ترى المتفرجين) ولو بقيوا على هذه الحالة سنتين لما اكتفوا من النظر الى ملاكهم السموي وربما تاقت نفوسهم الى زيادة الوقوف والتمتع برؤيتها فلا تكفيهم الايام والشهور والسنون بل كلما زاد الوقوف والنظر فيها كلما زاد الشوق الى جمالها والاستصباح برؤيتها · برعت بفن الصيد والقنص براعة لم يصل اليها اشد الفرسان بسالة واقداماً فهي تنقض على صيدها مهما كان كما ينقض البازي على اضعف العصافير ولم يكن حديث للاهالي في حضورهم وفي أسفارهم في مخازنهم وفي بيوتهم وفي أشغالهم وفي راحتهم الا التلذذ باخبار ابنة الملك واعمالها وكمالها · ولذلك انتشر صيتها في الضواحي وبعد الى الممالك الاخر فأخذ الشبان وأولاد الملوك يتقاطرون من كل الجهات للتمتع برؤيتها فزاد عشاقها وكثر طلابها ولكن دون فائدة لانها كانت لاتميل الى العشق وتمنعها الانفة والكبرياء من النظر الى وجه أي فتى كان وعلومها وأدابها كانت تصونها من التفكر بامر الحب والاشتغال والاهتمام بامور ترى نفسها مضطرة للتنزه عنها لان الله رفعها عن ابناء جنسها ذكوراً واناثاً حتى اصبحت معجبة بنفسها غاية الاعجاب فلم تر في كل من راتهم من هو كفؤاً لها ويليق بان يكون زوجاً ومقارناً لها وكان اكثر العلماء والحكماء والفلاسفة يجتمعون اليها فتباحثهم فتكبحهم وتتغلب عليهم وتذلهم لسلطان علمها ومعرفتها وقد وضعت بسحرها بعض طلاسم حارت بها العقول · وذلك انها فكرت قائلة في نفسها حيث ان شهرتي وصيتي قد أحاطا باكثر اقسام الدنيا فيلزمني اثبات ذلك والاثبات يكون باظهار عدم ميلي الى الذكور فاصنع طلسما والشاب الذي يقدر على ازالة هذا الطلسم ارضى بالتزوج به واقبله رفيقاً وشريكا لحياتي لانه يكون

ولا ريب اكثر مني علما ومعرفة ٠ وبعد ذلك امرت ببناء قلعة على جبل كبير عال قريب من المدينة ٠ وطوقتها بحائط واي حائط فقد اقامت جبلا على جبل فلم تر عين ولا سمعت اذن اصعب منه متانة واكثر ارتفاعاً وحينئذ عملت عمارة بالسحر والطلسم في داخل الحائطة وعملت من الحائطة الى اسفل الجبل عدة من الطلاسم السحرية حتى اصبح من المستحيل ان يقدر احد من البشر الصعود على الجبل ٠ ومن بعد ان اتمت الفتاة كل هذه الاعمال ابانت لابيها غايتها وان مرادها تقيم داخل القلعة فكل من يقدر ان يزيل سحرها وطلسمها ويقبل باربع شروط سنتها وعينتها كانت له زوجة وكان لها بعلا وسألت اباها ان يرخص لها بذلك ولايمنعها من ارادتها فوافقها ابوها على ماارادت لانه كان يحبها كثيراً ولانه كان يعلم ايضاً انها اكثر اهل زمانها عقلا وارفعهم حكمة فلا تفعل الا صواباً ٠ ومنذ ذلك الحين دخلت بنت الملك الى قصرها الجديد وقد اخذت معها نحواً من مائة وخمسين نفراً من خدم وحشم وجوار وعبيد ولها الآن مقدار سنة في تلك القلعة وكانت قد صورت نفسها بيدها صورة بديعة وعلقتها على أشهر ابواب المدينة وكتبت تحتها شروطها الاربعة ٠ اما الاهالي فقد يئسوا جداً من تحجبها عنهم وامتناعها في تلك القلعة ولما لم يروا وسيلة الا الاصفار قنعوا بالتفرج على تلك الصورة والتلذذ بمرآها فصاروا في كل اسبوع يذهبون مرة الى المكان المعلقة عليه الصورة وكثيراً منهم ما يذهب يومياً وهانحن الآن على طريق المكان نسير اليه باجمعنا لنرى صورة بنت ملكنا التي احببناها وعبدناها

فلما سمع ابن الملك من رفيقه هذا الكلام تعجب غاية العجب وبعد التبصر والتروي حمله ميل الشبوبية وحب الاستطلاع والبحث على مداومة السير ليرى تلك الصورة هل تنطبق على الوصف والمبالغة التي سمعها عنها وقد رأى انجذاباً من قلبه الى تلك الفتاة وتاقت نفسه الى رؤية صورتها ولو قبل بدقيقة فأسرع في المشي

وعند وصول السيدة نسرين بوش بنت ملك صقلاب صاحب الاقليم الرابع الى هذا الحد رمت نفسها على زوجها بهرام شاه ولفت يديها على عنقه وضمته الى صدرها تقبله في خديه وعينيه ولما كان بهرام شاه يحب استماع الحكايات والقصص من طبعه كان مأخوذاً بهذه الحكاية صاغياً لاستماعها زيادة عن سواها وكان يدقق في كليات الاشياء وجزئياتها وقد بهت من زكاء بنت الملك وتفردها بالعلم والجمال

وتشوق للاستطلاع عما سيكون لابن الملك معها فهل ينال مراده من زمانه كما نال اخواه ولذلك اسرع الى ضم نسرين بوش الى صدره وتقبيلها في فمها وعنقها وصدرها وخدها وجبينها وقال لها لقد احسنت ياروحي ومنى فؤادي اذ علقت قلبي وفكري بهذه الرواية فأطلب اليك ان لاتنقطعي عنها وتتركيني في شغل افكار لاجل ابن الملك

فتبسمت نسرين بوش ومالت عجباً ودلالا وقالت له أرأيت يابهرامي المحبوب اعراضك عني وتمسكك بالحكاية حتى لم يبق لنا وقت للانس والصفا فاذا كنت لا انقطع عن الحكاية ففي اي وقت نقطف زهرة الحب وصفو العيش اواه من غدر الزمان فانه ينتزع مني فرصة الهناء ويختلس مني ساعة حظ كنت أتمناها مع الحبيب · وكان من غاية بهرام ان يستمع نهاية الحكاية قبل كل شيء ولكن خوفاً من ان يكدر صفو هناء زوجته عاد فضمها اليه ثانياً وثالثاً واكثر من تقبيلها وتلعيبها ثم اخذ كاساً بيده وسقاها اياها ورأسها على زنده وبعد ان شربتها استأذنته وأخذت كاساً وسقته اياها مقابلة بالمثل ثم قربت شفتيها من شفته فامتصهما في مكان النقل (المزه) حتى امتلأ فمه عسلا وذاق حلاوة ولذة كاد يغيب عن هداه منهما ثم بعد ان صرفا نحواً من نصف ساعة على تلك الحال عاد بهرام شاه فطلب الى زوجته ان تتم الحكاية فأجابت طلبه وقالت

ولما وصل ابن الملك الثالث مع المتفرجين من باب المدينة وحالما وقع نظره على صورة بنت الملك انعطف قلبه اليها وقد اندهش من حسنها وجمالها وبقي نحواً من نصف ساعة محدقاً بها يتأمل بتركيب جسمها وبديع جمالها وقوة جاذبيتها ويتعجب من حسن صنعتها ومعرفتها العالية بفن التصوير واما الاهالي فان منهم من كان يتأوه ويتحسر ومنهم من يعض على شفتيه فيدميهما ومنهم من يبكي ومنهم من يكفر ومنهم من لا اعلم ماذا كان يعمل فعذرهم ابن الملك على اعمالهم لانه عرف انه يستحيل على ابن انثى ان يراها ولو مرة ثم يعود يملك عقله ولو لم يكن قد اعطي نعمة الصبر وترفع عن ابناء جنسه من البشر بالعقل والحكمة والتدبير لكان فعل اكثر مما فعلوا

وفيما كان ابن الملك يدقق في حسن الفتاة وبراعة التصوير وقعت عينـه على لوحة معلقة تحت الصورة مكتوب عليها ما يأتي

﴿ ايضاح ﴾

ان جميع أبناء البشر في هذه الدنيا ذكوراً واناثاً جميعهم يتمسكون بحبال الراحة والسعادة فاذا نظرنا الى احاد الناس عموماً تراهم يرغبون في صرف اوقاتهم بالانس والصفا • فبنو البشر يقسمون الى قسمين يقال لاحدهما الخواص وللاخر العوام ولاجل ذلك اذا كان الشخص المعدود من الخواص يطلب الراحة والسكون اللازمين فعليه ان لايختلط بالعوام وكذلك الفرد من العوام اذا مال الى الراحة الواجبة له في حالته فعليه ان لاينظر في الخواص ولا يتقرب منهم يعني ان كل جنس اذا كان يقوم ويقعد مع جنسه يجد الراحة والسعادة ومن المحال أيضاً معاشرة الجاهل للعاقل والعاقل للجاهل لانها لاتكون باعثاً للراحة والهناء كمعاشرة بنت الملك لابن الزبال أو بنت الزبال لابن الملك فانها لاتأتي بالراحة والسعادة لهما • ولكن لو عاشر الجاهل جاهلا والعاقل عاقلا يجدان الراحة والهناء بسهولة وعليه فاذ كنت أرى نفسي بنت ملك عظيم وقد أعطيت من العقل والعلم والحكمة والزكاء ماجعلني ان أرى انه من الواجب عليّ ان أعيش مع من هو مثلي فلكي أجد قريناً يفوقني في كل معنى موجود فيّ وضعت هذا الطلسم فمهما قال العالم عني فليقل ليس ذلك من شأني ولا يهمني فكل طالب يرغب فيّ عليه مع ازالة السحر والطلسم ان يراعي هذه الشروط الاربعة الآتية وهي

﴿ الشرط الاول ﴾

يلزم المباشرة بفتح هذا الطلسم في الساعة كذا من اليوم كذا المخصوص واذا فرض انه لم يراع هذا الشرط وامكن فتح الطلسم فاقبل

﴿ الشرط الثاني ﴾

على الطالب من بعد فتح الطلسم ان يأتي الى حد الحائط الكبير ويقف هناك

﴿ الشرط الثالث ﴾

عند ما يأتي الحائط عليه ان يبحث عن بابه في أي جهة منه ويفتحه

﴿ الشرط الرابع ﴾

اذا أمكنه وجود الباب وفتحه فعليه ان لايدخل الى الداخل بل ينزل الى

أسفل وينتظر الى حين مجيء أبي فاتى وانا متحجبةوأسأله أربع أسألة فاذا أجاب
عليها حق الجواب رضيته بعلا لي وشريكا لحياتي ومن لايراعي هذه الشروطو لا
يقدر عليها سيحل به الاسف والندم اذ الموت امامه في كل دقيقة

وبعد ان قرأ ابن الملك الاعلان المذكور غرق في بحر من الافكار وهو محدق بالصورة
فتأمل فيها وهو يتأوه ويتمنى الحصول عليها ثم ان الجماعة عادوا من الطريق الذي جاؤا فيه
فرجع منه وتلك الصورة نصب عينيه ويتعجب من اللطافة والظرافة اللتين شاهدهما في
الصورة ويسبح الله على غريب صنعته . وكان يقول في نفسه بالحقيقة اذا كان
يوجد في الدنيا جمال ففي هذه الفتاة فيحق لها ان تباهي وتفتخر على ابناء جنسها

ومنذ تلك الساعة شغل ابن الملك بالفتاة بمجرد النظر الى صورتها وتعلقت
أفكاره بالحصول عليها وزرع في قلبه بذرة حبها فبدأت بالنمو يسقيها بمياه الامل
بالفوز اذا ساعدته العناية ولم تكن تبرح عن فكره لحظة واحدة وانفرد لوحده
في سكنه يقدح زناد الفكر في تدبير نفسه حتى أشرق الصباح فنهض من فراشه
ولبس ثيابه وخرج الى ذيل ذاك الجبل يتمشى عنده ليرى في الطريق المساعد لنوال
غايته فوجد حوله جماجم الطالبين مطروحة فوق بعضها البعض والشبان الذين يأتون
ويقعون في ذاك الميدان باقين في حالة النزاع مامن مساعد لهم . فتأثر ابن الملك
عند نظره هذا المنظر المحزن وتمنى لو انه لم ينظر ذاك المنظر المفتت للاكباد وبعد
ان طاف قليلا باحثاً ومدققاً رجع الى مكانه . وأخذ في ان يفتكر قائلا في نفسه
كيف ياترى اعمل وكيف اقدر ان افتح هذا الطلسم وكان تارة يقول الاوفق
صرف النظر وعدم التفكر بهذا الشأن والسفر عن هذه المدينة والخروج منها في
الحال للخلاص من مرض الغرام وطوراً يتصور امامه ذاك الجمال الباهر والحسن
الزاهر فيهون في عينيه الموت ويقول كلا كلا لااتركها واسافر واعجز عن الحصول
عليها وهي بشر مثلي ومن اللازم الثبات في الحب والحكمة في التدبير والتأني في العمل
فاما ان انال غايتي وأتزوج بها واخلص الناس من ايدي سلطتها واما ان اضم الى اولئك
الفتيان المساكين الذين استشهدوا في حبها

وعلى هذا الوجه كان ابن الملك يصرف الليالي بالتفكر والاهتمام وتخطيط الطرق
اللازم اتخاذها وفي النهار يذهب الى الجبل فيطوف حوله باحثاً فاحصاً فمن الجهة

الواحدة كان العشق والغرام قد أشغلاه وتركاه فاقد الراحة ومن الجهة الثانية كان معظم همه ايجاد الوسيلة الموصلة لازالة الطلسم وفتحه . وعند فراغ الوقت (ولكن من اين للعاشق الولهان فراغ وقت) كان يقول هل ياترى اتقهقر امام هذه الفتاة وهل انها تفوز عليّ بعلمها ومهارتها كما قويت بسلطان حسنها وجمالها اذا كانت تفتخر بكل ذلك فلاي شيء لا افتخر انا فهي بنت ملك وانا ابن ملك هي شابة وانا شاب أيضاً هي ذات علم ومعرفة وفضل وأنا أيضاً تعلمت كل علم وفن مع انها هي فتاة وانا رجل ايمكن ان اغلب منها . من يعلم . لا يلزم ان اخافها فاما ان اغلب واما ان اغلب والله يفعل ما يشاء . وعند ما كان يطوف حول الجبل ويرى عنده جماجم الفتيان الذين طمعوا فيها كان يصعب عليه الامر ويقول وا أسفاه على هؤلاء المساكين لقد قادهم مثلي الغرور والعشق ولعب بهم طيار الطمع والعنفوان فهل ياترى يوجد بينهم رأس شيخ كلا بل رأس شبان يعملون مالا يعلمون ولا يفكرون بعواقب الطيش والخفة

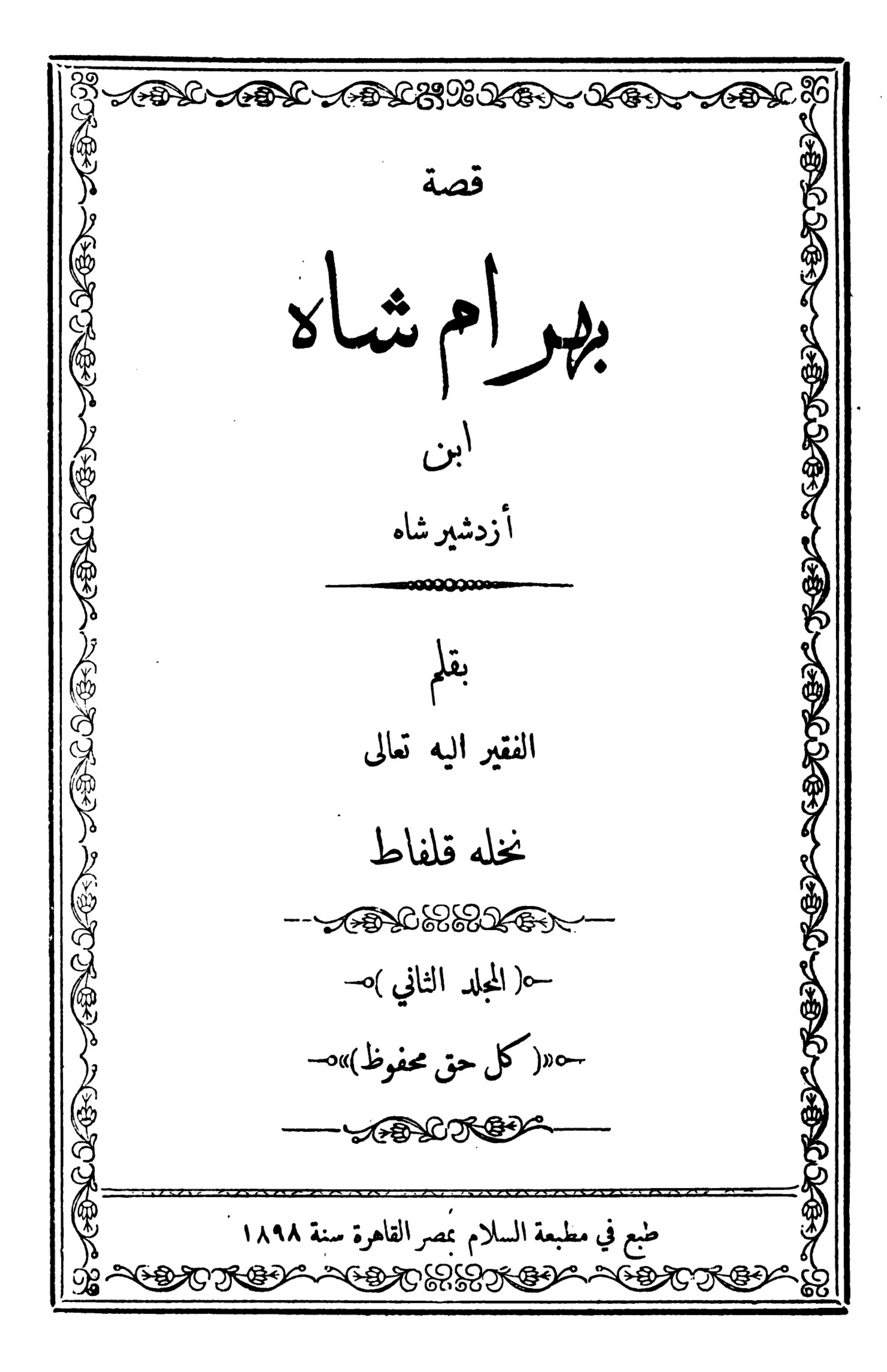
وبقي ابن الملك على هذه الحالة مقدار شهر لاهم له الا التفكر والتدبر لايجاد وسيلة وقد اصرّ كل الاصرار على المباشرة بالسعي بنوال مراده وخلاص الفتيان والشبان الجهلاء من عاقبة غرورهم وفيما هو على ذلك خطرت في ذهنه وصية ابيه ومالها (اذا وقعت بامر صعب ومشكل ولم تقدر ان تتوصل الى حله من نفسك فابحث عن شيخ عاقل خبير محنك فاستشره) ولما لاح في ذهنه هذا الخاطر رآه عين الصواب . وأخذ من تلك الساعة يختلط بالناس ويصاحب ذوي الاختبار والعلوم ويبحث عن غرضه بينهم وكل الذين اجتمعوا به وصادقوه كانوا يعجبون من ذكائه وفطنته ويتحيرون من سمو معارفه وعلومه وآدابه حتى اشتهر وذاع صيته وتمكن حبه من القلوب

ففي ذات يوم بينما كان مجتمعاً مع البعض من اصدقائه وقد اخذوا يتفكهون بالاحاديث والاخبار ويتطيبون بذكر الملوك والوزراء وافاضل الرجال سأل ابن الملك الا يوجد ياترى في هذة المدينة رجل شيخ حسن خبير باحوال العالم حكيم في اعماله وأقواله فاجابه احدهم انه يوجد في مدينتنا رجل شيخ فاضل وهو اكبر من في المدينة من رجال ونساء ومع انه مسن لدرجة انه لم يبق قادراً على التحرك بسهوله فهو قادر على الكلام بحكمة وفصاحة غريبتين وهو مقيم في المعبد الفلاني

خارج المدينة واقيم لخدمته عدة انفار من نساء ورجال وفضلاء عن انه محنك ومختبر ومجرب لكل امر فهو غاية في العلوم والمعارف

فسر ابن الملك عند سماعه هذا الكلام وقال لهم على ما اظن ان زيارة هكذا رجل لا تخلو من فائدة وأري من المناسب ان نقصده ذات يوم فاظهروا مسرتهم من ذلك وقالوا له اننا لا نمتنع عن مرافقتك اليه عند ماتريد قال اذاً نذهب في الغد فوافقوه وعادوا الى ماكانوا عليه من حديثهم الى ان كان المساء فتفرقوا الى اماكنهم وسار ابن الملك الى منزله فبقي فيه الى الصباح فنهض وصلى واغتسل ولبس ثيابه وانتظر الى الوقت المعين وحينئذ سار الى أصحابه ومشوا جميعهم الى الشيخ ولما وصلوا منه قبلوا يديه بكل احترام وادب وجلسوا · فنظر ابن الملك الى الشيخ فرأى النور يتدفق من وجهه وذقنه بيضاء كالثلج تغطي صدره الى حد منطقته وشعره الابيض يتدلى على اكتافه كعقود من لؤلؤ فوسم فيه الخير ولاح له من هيئته انه من ذوي العلوم والمعارف وانه لاقى في زمانه من حوادث الدهر شيئاً كثيراً وخط الزمان على جبينه أثراً لعجائبه وغرائبه · وكان الشيخ قد نظر الى وجه ابن الملك المرة بعد المرة فادرك انه غريب وانه على جانب رفيع من الزكاء والنجابة · فقال له مرحباً بك يابني لقد حللت بلادنا على الرحب والسعة وأخذ يتأهل به ويستفسر منه عن صحته وأحواله بكمال اللطف والحب · فاجابه ابن الملك باحسن جواب يمكن ان يصدر من اعقل عاقل · ومن بعد مرور ساعتين نهض مع رفاقه فودعوا الشيخ وسار كل منهم بطريق · وفي صباح اليوم الثاني سار ابن الملك الى الشيخ لوحده فتأهل به الشيخ وترحب واجلسه الى جانبه ودار بينهما الحديث ولما رأى الشيخ ماهو عليه من العلم والمعرفة والزكاء والفطانة والفصاحة تعجب غاية العجب وادرك من سيمته ومن هيئته انه من أولاد الملوك

انتهى الجزء الخامس من قصة بهرام شاه ابن الملك ازدشير وبه انتهى أيضاً المجلد الاول منها وهو يطلب في مصر من مؤلفها في السكة الجديده ومن مكتبة الهلال في شارع الفجاله ومن باقي المكاتب أيضاً ويطلب في الاسكندرية من مكتبة الخواجه جرجي غرزوزي في سكة الضابط وفي بيروت من ادارة جريدة لسان الحال البهية ومن مكاتبها المشهورة



قصة

بهرام شاه

ابن

أزدشير شاه

بقلم

الفقير اليه تعالى

نخله قلفاط

(المجلد الثاني)

طبع في مطبعة السلام بمصر القاهرة سنة ١٨٩٨

الجزء السادس

وبقي ابن الملك على مدة اسبوعين ياتي بيت الشيخ كل يوم ويتحبب اليه ويظهر له كل ميل ورغبة بخدمته واقتطاف الفوائد من رياض علومه وفي اليوم الاخير التفت اليه الشيخ وقال له اي ولدي اني اظن انك معلق آمالك بينت الملك والحصول عليها ولهذا اتيت هذه المدينة . فاجابه كلاَّ يا سيدي اني لم آت المدينة لهذه الغاية ولكن بعد ان دخلت المدينة وصدف لي فيها وقوع بعض حوادث اوجدت فيَّ الميل والامل وبعد التفكر في هذا المعنى اكثر من شهر وطدت الامل على سلوك هذا السبيل ورأَيت من اللازم في الاول ان اتي اليك واستشيرك واستنصحك واعمل برأيك وقولك . فسكت الشيخ عن سماع كلامه واخذ في ان يفتكر مطرقاً ثم رفع راسه وقال له فليساعدك الله على مرادك واني في الواقع ارى على ناصيتك اثر الادراك والدراية وهذا الذي يجعلني اعلق الامل بنوالك مقصودك لان كل الذين جاؤوا المدينة لهذه الغاية رموا بانفسهم في بحور الهلاك من غير تروٍ ولا تأنٍ ولم يشاور احد منهم احداً من الناس قط . وبالنظر لكونك قد تمسكت قبل المباشرة بالعمل بالمشاورة واخذ راي من هو اكبر منك عمراً واكثر خبرة وتجربة ستفوز لكن لا يخفاك يا بني ان هذا الذي تطلبه كثير الصعوبة والسير في طريقه كثير الخطر فهذه الفتاة تزيد الناس عموماً في هذه المدينة وفي غيرها ايضاً علماً وزكاءً فصنعت طلسماً لا يمكن فتحه قط لانه لا يوجد طريق غيره للصعود على الجبل والصعود من الطرف الاخر مستحيل وغير ممكن البتة وقد وضعت في هذا الطريق قبل الوصول من الحائط ثلاث عمليات سحرية اولها انك في حال ذهابك ترى الطلسم الاول وهو هيكل معمول بادراك وصناعة غريبة في يده سيف مشهر دائماً وحالما يقرب منه الانسان ويريد ان يجتازه يقع السيف بقوة

الصناعة على عنقه فيقطعه ويقع راسه الى اسفل الجبل فجميع الذين جاءوا في طلب ابنة الملك اضاعوا ارواحهم في هذا السبيل وهذا هو السبب الذي حملني على ان اقول لك ان ازالة هذا الطلسم من الامور الصعبة والخطرة

ولما سمع ابن الملك من الشيخ هذا الكلام اطرق قليلاً وهو يفتكر ثم رفع راسه وسأله الا يوجد وسيلة اذًا فاجابه اعلم يا ولدي اني عشت كثيرًا في الدنيا ولاقيت حرها وبردها ودرست العلوم قليلها وكثيرها ولكني لم ادرس علم السحر والعرافة ولهذا لا يقدر عقلي ان يدرك شيئًا في هذا المعنى · ومع ان هذا الكلام قد اوقع ابن الملك باليأس وجرّ له ضيق الصدر غير انه تصبر ولم يقطع الامل وعاد فسأل الشيخ الا تعلم علي من اخذت بنت الملك علم السحر والطلسم ومن هو معلمها الذي علمها اياه فاجابه يستحيل وصولك اليه لان بنت الملك بعد ان درست علم السحر عليه واتقنته اتقانًا تامًا لم يعد يرى قط ولا علم احد الى اين ارسلته والحاصل اصغ لي واقبل مني واخرج من راسك هذا الوهم ولا تجرّ البلاء على نفسك فاظهر ابن الملك الطاعة وشكر الشيخ لحبه اياه ونصيحته له ولكنه كرر السؤال عليه قائلاً وهل لا تعلم ايضاً كيف عمل هذا الطلسم وفي اي زمان عمل · اجاب الشيخ ان الذي اسمعه انه لما كان الصعود على الجبل صعب وغير ممكن وبالنظر لعدم وجود طريق ايضاً من اية جهة كانت حملت الناس على ان يبذلوا غاية ما في وسعهم لحفر خندقٍ من طرف الجبل وعملت في داخل الخندق سلالم وحالما يبتدأ الانسان بالصعود عليها يرى هيكلاً في يده سيف وقبل ان يقرب الانسان من الهيكل بعشر درجات ينجذب السيف من يد الهيكل الى عنقه فيقطعه ومن بعد ذاك الهيكل اسد وهو انه اذا امكن الانسان التخلص من سيف الهيكل وتقدم الى حد ان يبقى بينه وبين الاسد خمس درجات يتحرك الاسد ويخرج من فمه ماء فاذا اصابت النقطة الواحدة الرجل قطعته اربًا اربًا ومن بعد هذا الاسد هيكل افعى عظيم ينفث النار من فمه فالذي ينجو من السيف والماء لا يقدر ان ينجو من الحريق · فهذا جميع ما اعرفه عن بنت الملك وقصرها والسلام

فسأل ابن الملك الشيخ قائلا واذا لزم شيء لبنت الملك من المدينة فكيف

يأتون به اليها وباي طريق . فاجاب الشيخ انه يوجد لذلك خادم مخصوص مطلع على ذلك وعارف قاعدة هذا السحر ففي اي وقت لزم لها شيء من خارج قصرها ارسلت ذاك الخادم فاحضر لها ما تطلبه . واذا فرض ان الخادم غلط او اخطأ او تهامل مرة هلك ونفذ فيه حكم الطلاسم وقد قتل حتى الساعة نحو عشرة انفار من خدمها ممن زاغوا عن الطريق ونسوا ما اهدتهم اليه

فحزن ابن الملك عند سماعه كلام الشيخ ونهض من امامه فودعه وسار الى مكانه مأيوساً متفكراً

وعند ما وصلت نسرين بوش في حكايتها الى هذا الحد سكتت ونهضت فاخذت كاساً حمراء مملوءة بالخمر الاحمر الممزوج بالسكر وتقدمت من بهرام شاه وهي تتمايل وتتجلى بحلل البهاء والجمال وتتيه بثياب الغنج والدلال فناولته اياه فشربه ثم تبسمت وقالت له كيف ترى حكايتي يا زوجي وسلطاني المحبوب . فاظهر لها استحسانه وقال لها بالحقيقة انها حكاية نادرة بعجائبها وغرائبها منها يتعلم الانسان فضائل شتى ولكنها تستجاب خاطر السامع حتى لا يطيق صبراً عن استماع باقيها فهل يا ترى ان ابن الملك الثالث يبطل سحر بنت الملك وينال وصالها ويبلغ غايته منها . فاعادت نسرين بوش التبسم وقالت الاوفق ان لا اخبرك واذا اخبرتك بذلك تتخلص من الانعطاف والميل الى استماع تتمتها ايمكن للانسان وهو في نصف الحكاية ان يخبر بآخرها . فقال لها اذاً يا حبيبتي وساكنة فؤادي انهي الحكاية وخلصيني من الارتباك والتعلق ثم ضمها الى صدره وقبلها في خديها وعينيها ورجاها الاسراع في اتمام حكايتها . وبعد ان قابلته بالمثل قالت

ان ابن الملك بعد ان فارق الشيخ وعاد الى مكانه صرف مدة وهو يبني في فكره ويخطط طرق الوصول الى غايته والتغلب على من سلبت لبه وقلبه قبل ان يرى جمالها الحقيقي وكان كلما رأى صورتها تتجدد فيه الرغبة والمحبة وتقوى فيه الآمال فيوطد العزم على عدم الرجوع عن غايته ولكنه كان عند ما يذهب الى الجبل ويشاهد جماجم عشاقها الذين اهلكهم عشقهم وغرامهم ولم يقدروا على نوال مرادهم يأسف على نفسه ويفتر عزمه فيقع بالارتباك والحيرة وتزيد لديه

المصاعب والمتاعب فيرى التأني والامهال والاتكال على مدبر الاحوال من اهم الاشياء فيصبر ويزيد في البحث والتروي والفحص فيقول في نفسه لا بد لي من ازالة هذا الطلسم واخلص الناس من هذا البلاء ومن الممكن ان اتوصل الى مفتاح هذا الطلسم الذي لا بد ان تكون ازالته بواسطة المفتاح اذ جعل لكل باب مفتاح وبنت الملك ما اقامت هذا الطلسم حاجزاً منيعاً يستحيل فتحه بل جعلت فتحه في الامكان لانها على جانب من العلم والعقل فارادت ان تعرف الفتى المماثل لها في الزكاء والحكمة فالذي يرى هذه الطلاسم بعقل وحكمة يراها في الظاهر صعبة وغير ممكن ازالتها ولكن على ما ارى انها لا بد ان تكون وضعت واسطة لازالتها من اسهل الوسائط واهينها واخفت تلك الوسائط تحت حواجز لا تدرك الا بالفطنة والزكاء الفائقين فهي ولا ريب ترغب في الزواج ولكنها لا ترغب الا في من يثبت انه يماثلها علماً وزكاء والدليل على ان فتح هذه الطلاسم هو من الامور السهلة ان الخادم الذي تعينه للدخول والخروج منها متى بينت له الطريق مع جهله وقلة علمه عرفه وصار يدخل ويخرج دون خوف ولا خشية من الموت نعم لا بد لي من الوصول الى الغاية وكشف هذا المعنى ورفع الستار عن هذه الخفايا كيف لا وانا اعتقد اني واخوتي بلغنا من العلم والزكاء ما لم يبلغه سوانا في هذا العصر فكيف اعجز عن فتاة مهما ترفع عقلها وعلمها لا يدرك مدارك عقولنا وعلمنا فلا بد من زيادة الفحص لا بد من التروي والبحث لا بد من نوال المراد ولو طال الزمان ومرت السنون ولا اقدم على الطلب الا بعد التحقيق والاستيضاح التام واتخذ الله معيناً ومساعداً وعلى هذا صرف ابن الملك مدة غير قصيرة

ففي ذات يوم نهض وجاء ذيل ذاك الجبل وهو يتمشى ويتفرج حتى وصل من السلم وكان الخادم نازلا الى اسفل فلما رآه قال في نفسه الا يمكن ان اقبض على هذا الخادم واحمله اما بالرضى واما بالجبر ان يخبرني بسر هذا الطلسم · ثم فكر قليلا وعاد وقال في نفسه كلاً ليس ذلك من الحكمة · وقد يلزم في هذا المعنى الاحتراز من امرين الاول انه اذا بلغ الفتاة ذلك تقول اني لا اقبل لان هذا العمل مخالف للشروط المضروبة ومن اللازم ان يكتشف الانسان بدرايته

وفطنته على سر هذا الطلسم فيزيله بالقوة من نفسه وعلمه لا بمعرفته من غيره والثاني ان هذا مما يحط من ادراكي وعلمي لانه اذا كنت لا اقدر ان افتح الطلسم الذي وضعته فتاة فالاجدر بي ان اكون خادماً او بواباً ولا اكون ابن ملك وقد افرغ ابي الخزائن على تعليمي وتثقيفي وفيما كان يفتكر في هذا المعنى كان يراقب حركات الخادم حين نزوله ويدقق كعادته في كل حركاته فرآه يدوس على الدرجة الواحدة من ذاك السلم ويترك الثانية فاكثر التدقيق في ذلك فرآه يتحذر كل التحذير من ان يلحق رجله بالدرجة المتروكة فقال ابن الملك في نفسه ها قد وقفت على بعض السر اذا لم يكن على كله . ثم انسحب الى زاوية واختفى فيها وبقي يراقب ارجل الخادم ليرى في النهاية هل يدوس على الدرجة ام لا اذ كان من الواجب ان يعرف ما هي الدرجة التي يدوس عليها وما هي الدرجة التي يتركها ولما وصل الخادم من الاسفل كان دائساً على الدرجة الثانية فقفز الى الاوض وحاق الاولى فلم يدسها . وحينئذ فهم ابن الملك انه لا يجب ان يداس على الدرجة الاولى كل هذا والخادم لم يره ولا انتبه اليه قط لانه كان ينزل على السلم بتمهل واعينه لا تفارق درجاته خوفاً من الغلط وبعد ان صار على الارض سار وغاب عن الاعين فانسحب ابن الملك من مكانه وجاء الى الجهة التي ينتهي اليها اسفل السلم واخذ في ان يفحص الدرجة الاولى ويدقق في وضعها وتركيبها فوجد انها مسمرة بدسار رفيعة جداً تكاد لا تظهر ولا يمكن ان يراها الا الناقد البصير ثم نظر في الدرجة الثانية فلم يرَ اثراً لدسار او لمسمار وحينئذ ادرك سر المسئلة فسر سروراً لا مزيد عليه ورجع في الحال الى مسكنه وهو لا يدري ماذا يعمل من الفرح بل كان يقول في نفسه لقد وجدت السر وفهمت السحر والطلسم على اي طريقة وضعا كل ذلك هو عمل الحكمة والعقل فقد نلت مرادي وخلصت الناس من هذا البلاء

وفي اليوم الثاني لبس الالبسة الجميلة وسار راساً الى قصر الملك وقد دخل عليه وبعد ان ادى واجب السلام والاحترام اخبره بانه جاء من بلاد بعيدة وانه يريد ان يفتح السحر والطلسم اللذين وضعتهما بنته . فلما رأى الملك هيئته

وشاهد فيه اثار النجابة والزكاء وقعت محبته في قلبه حالاً فترحب به واجلسه الى جانبه بالاعزاز والاكرام وغزير الالتفات ثم قال له اعلم يا ولدي اني لا اقبل منك مطلقًا ان تتمسك بمثل هذا الامر لاني حالما رايتك احببتك ولذلك لا اطيق ان اراك واقعاً في حفرة الهلاك الله يجازي بنتي فاني وان كنت في البداية رضيت عن عملها لكن ما كنت اعلم بانها ستكون باعثًا لقتل الكثير من عباد الله وتراني الان نادماً على موافقتها ولكن ما الفائدة لم يبق باليد حيلة والان تفرغ عن هذا الطلب وابعد عنك هذا الفكر واعرض عنه فانا اتخذك ابنًا لي ووريثًا لملكي فهو افضل لك من الموت والهلاك وبعد ان فرغ الملك من هذه النصيحة انسكب الدمع من عينيه . فتأثر ابن الملك من كرامة الملك وحسن طويته واظهر لديه الطاعة والتأدب واغزر من الشكر والامتنان والدعاء والثناء ثم قال له نعم يا سيدي ان في الواقع الحق وكل الحكمة في كلامك وتأثرك على هلاك الكثير من الشبان هو في محله لكن لا يلزم ان تنظر الى الجميع بعين واحدة اذ لا يمكن ان يتساووا عقلاً وعلماً فليس الكل مثل الواحد ولا الواحد مثل الثاني . فانا ايضاً لما نظرت انه هلك قبلي العدد الغفير من الفتيان عرفت انهم القوا بانفسهم في وهدة الهلاك عن طيش وخفة وقلة تروٍ مع ان من ينظر في عمل دون تأن ولا تروٍ وفحص وتدقيق لا يحصل على النجاح اما انا فقد اتيت هذه المدينة منذ شهرين تقريباً وشاهدت هذه الاحوال بعين الناقد فاستشرت ثم فحصت وبحثت وما أتيت بين يديك الاّ وانا على يقين من اكتشاف السرّ . فلما سمع الملك كلام ابن الملك وراى فيه الفصاحة والذكاء تبين له انه ليسه كالشبان الاوائل الذين طلبوا اليه بنته بل ظهر لديه انه ارفعهم درجة واوسعهم عقلاً واثبتهم حكمة ومع ذلك لم يوافقه على طلبه لان قلبه كان يختلج من الحب والميل اليه . فاعاد ابن الملك الالتماس والرجاء وقال له لا يشغل لك بال ولا تخف عليَّ ان شاء الله بعنايتك وبركة دعاك افتح الطلسم واخلص الناس من هذه البلية . فلما راى الملك اصرار الفتى تحير ولم يرَ بدّاً من اجابة طلبه فقال له لقد رخصت . لكن يا بني لكن ارجوك ان تتمعن وتدقق جيدّاً فان الذين جاءوا قبلك كانوا مغرورين بعلمهم

ومعرفتهم فتاملوا فتح هذا الطلسم الصعب وتكلموا كما تكلمت مع اني لم اكن اشاهد فيهم المعرفة والنجابة التي اشاهدها فيك فلاقوا حتفهم فقال ابن الملك كلا يا سيدي لا يأْخذك الخوف والوجل عليَّ فقد اكتشفت السر وعرفت ما هنالك لكن لما كان قد كتب بالاربعة شروط ان فتح السر يكون في يوم مخصوص فارجوك ان تكرم عليَّ بمعرفة هذا اليوم المخصوص · فاجابه الملك ان اليوم المخصص لذلك هو يوم الاربعاء · وحيث ان هذا اليوم هو الاربعاء فافتكر في ترك هذا الطمع من الآن ليوم الاربعاء الآتي وراجع ذاتك جيدًا · وحينئذ افعل ما يخطر لك وما تراه مناسبًا · فقال ابن الملك ما دام هذا اليوم هو اليوم المخصوص فانا ساتمم ما اريده في هذا النهار وان شاء الله لا يأْتي المساء الا وقد انهيت المسأَلة وعدت فائزًا · ولما رأَى الملك انه لا يزال مصرًا على اجراء قصده ويرغب العجلة ولا يريد ان يمرَّ ذاك النهار دون ان يحصل على مرادهِ او يُلحق بغيره ممن سبقه انصاع لارادته وقال له فليعنك الله · وحينئذ نهض ابن الملك وقبل يد الملك وقال ارجوك ان تزودني بالدعاء والرضي والصلاة · فضاق صبر الملك وانهمل الدمع من عينيه واحدق بوجهه حزينًا عليه والحب ينمو في فؤَاده

وخرج ابن الملك من امام الملك وتهيأَ وتحضر بالاسلحة الكاملة وسار نحو الجبل · وكذلك الملك والوزراء ركبوا خيولهم وساروا الى جهة الجبل ليروا ما يتم على ابن الملك وهم لا يفترون من الدعاء والصلاة والطلب الى الله لنجاته وخلاصه · ولما رأَى اصحاب ابن الملك ومعارفه الذين صحبوه في مدة وجوده في المدينة ما عزم عليه اجتمعوا حوله والتمسوا اليه بحرارة ودموع سخية ان يعدل عن عزمه ويترك الطمع ولا يرجو نوال المحال وعددوا له الصعوبات والاخطار واصروا كل الاصرار على ممانعته فلم يصغِ ولا سمع لهم بل قال لهم اني اشكركم على غيرتكم وخلوصكم والانسان العاقل لا يباشر عملا قبل الفحص والتروي · ولما صار قريبًا من الجبل وجد الاهالي عمومًا كبارًا وصغارًا نساءً ورجالا قد خرجوا للفرجة وكلهم يتأَسفون على ابن الملك ويدعون على بنت الملك ويسأَلون الله مجازاتها وقد ارتفع لهم جلبة وضجة في ذاك المكان حتى خيل ان يوم القيامة قد دنا وما منهم الا من ينادي الله

ان يحفظ ابن الملك وينظر الى شبابه

اما ابن الملك فانه عند ما رأى اجتماع هكذا جمهور من الخلق وكلهم ميالون اليه يتمنون خلاصه دبت فيه الغيرة والحماسة وتقدم في طريق الجبل كالاسد الكاسر والسيف في يدهِ وكان لا يسمع الاَّ اصوات الدعاء والافواه جميعها تلفظ هذه العبارات (الله يصون هذا الشاب من الهلاك وينتقم من بنت الملك الساحرة الماكرة ومن الملك الظالم العاتي) وما من واحد الاَّ منديلهُ بيدهِ يبكي ويمسح دموعهُ وكان الملك ايضًا يسير خلف ابن الملك متأسفًا عليهِ وعلى صباه وذكائهِ وفطانتهِ . وحالما دنا ابن الملك من الجبل وقف متفكرًا ونظر بدقة في الجهات ثم بدأَ بالصلاة فقال يا الله انت حاضر وناظر اني رجل غريب الديار وقد تصديت لازالة هذه الحيلة التي يتوهمون انها سحر لخلاص العباد من الهلاك فساعدني اللهمَّ ولا تتركني لايدي الفناء والموت ولا تدمع عين ابي واخويَّ حسرة عليَّ ولا تدع هذه الفتاة واسطة لتفريقنا فراقًا ابديًا فاستجب لي اللهمَّ انت السميع المجيب . وبقي نحوًا من نصف ساعة يسكب الدموع وقد جاءَ في خاطرهِ ابوهُ واخواهُ فهاجوا شوقهُ ولكن سلم الامر لله واتكل عليهِ وتقدم حتى قرب من السلم فذكر اسم الله تعالى ثم وضع رجلهُ على الدرجة الاولى وجرب بان ضغط عليها قليلاً واعاد اذنهُ للسمع فسمع من تحتها الارض صوت سلاك رفيع يكاد لا يسمع فرفع رجلهُ عنها في الحال ووضعها على الدرجة الثانية وضغط قليلاً فلم يسمع شيئًا فزاد الضغط واذا بالدرجة ثابتة فصعد عليها ومنها الى الرابعة ومن الرابعة الى السادسة ومن السادسة الى الثامنة وصار يترك واحدة ويصعد على الثانية ولكن لا يصعد ما لم يجرب برجلهِ كما فعل عند الدرجة الاولى حتى وصل من الدرجة الثمانين فنظر من هناك الهيكل الذي قيل لهُ عنه قبلاً وهناك جرب بان ضغط على الدرجة الثانية والثمانين قليلاً فرأَي الهيكل بدأَ يتحرك فرفع رجلهُ في الحال فوقفت حركة الهيكل ثم وضع رجلهُ على الدرجة الثالثة والثمانين فلم يتحرك بل بقي ثابتًا ورأَى الدرجة ثابتة فصعد عليها ولم يدس على الرابعة والثمانين والخامسة والثمانين بل داس على السادسة والثمانين ولما لم يبق بينهُ وبين الهيكل الاَّ اربع درجات فقط وقف ومن بعد ان تنفس الراحة جيدًا استل سيفهُ وقد تأكد انهُ اصبح اذا مد يدهُ تصل اليه وضربه بهِ على يدهِ الحاملة السيف فقطعها ووقع

السيف وحينئذٍ مسك ابن الملك الهيكل وكسره قطعاً قطعاً واذا به سمع عدة اصوات تحت الارض وبعد لحظة انقطعت تلك الاصوات . فلحق به من الفرح ما حمله على ان ينزل الى الملك ومن معه ليبشرهم

وكان الملك والمتفرجون عند ما صعد ابن الملك على درج الجبل يبكون ويتأسفون على شبابه وفيما هم على ذلك رأوه من بعيد نازلاً فاستدلوا من نزوله بانه فتح الطلسم فتبدل كدرهم بفرح وعلا الصياح من كل ناح بالفاظ الاستحسان والامتنان . الاَّ ان ابن الملك بينما كان نازلاً راوه قد رجع ثانياً وذهب الى طرف الجبل وذلك لانه طلب النزول فلما وصل الى نصف الطريق افتكر قائلاً في نفسه لا يناسب الآن النزول قبل فتح الطلاسم وازالتها . كل شيء يلزمه دقة وتأني فاحسن شيء ان ارجع الى الملك بعد ان اتمم العمل وازيل الموانع كلها اي الطلاسم التي وضعتها عثرة في الطريق ولذلك رجع الى طرف الجبل . ولما وصل الى مكان الهيكل رأى وامتحن الدرجات فوجدها جميعها مدسرة وكل ما وضع رجله على درجة سمع من تحتها صوت الاسلاك . وحينئذٍ غاص بالتفكر وقال لو كنت نزلت الى الاسفل ولم ادقق جيداً لكنت اندم فيما بعد مع ان الامر الاكثر اشكالاً هذا . ومن بعد ان تفكر كثيراً رأى عند مكان الهيكل ثقبين يشبهان اثقاب المفاتيح وبالقرب من الثقبين عند رجلي الهيكل مفتاحين ايضاً فاخذ على الفور مفتاحاً وادخله في احد الثقبين واداره فلم يدر فاخرجه ووضعه في الثقب الآخر واداره فدار وسمع له صوت غريب وبقي يديره الى ان وقف فاخرجه وتقدم من الدرجات ولمس برجله واحدة فسمع صوتاً فتركها وداس التي فوقها فراها ثابتة ففرح غاية الفرح وصعد على السلم يدوس على الواحدة ويترك الثانية حتى قرب من الاسد ففعل به كما فعل بالهيكل وقطعه قطعاً قطعاً ثم اراد ايضاً ان يمتحن درجات السلم الباقية فوجدها غير ثابتة كالتي قبلها فعاد واخذ المفتاح الثاني ووضعه في الثقب الثاني واداره الى ان وقف وعاد الى فوق واذا بدرجات السلم جميعها ثابتة لا تتحرك فزاد فرحه وكاد يطير وبقي في صعوده حتى راس الجبل وعند ما نظر الحائط المصنوع في اعلاه تعجب من جسامته واحكامه . ثم اخذ في ان يطوف حوله مفتشاً على بابه فلم يهتدِ فاخذته الحيرة والارتباك ثم عاد ايضاً فطاف حوله ثانياً وثالثاً دون جدوى ولما اعياه الامر

وعظم عليه جاس ليستريح برهة متكئاً على الحائط غائصاً ببحر التأملات

وكان الملك والجماعة المنتظرون في الاسفل يتعجبون مما رأوا من ابن الملك فانهم بعد ان رأوهُ اتياً اليهم عاد فرجع من نصف الطريق وكانوا يتساءلون عن سبب ذلك وجل ما امكنهم ان يستنتجوهُ في هذا المعنى انهُ قدر ان يصعد الى اعلى السلم ولكنهُ لم يقدر ان يتغلب على الطلاسم ويزيلها ولذلك قصد النزول وتركها ولكنهُ عاد فافتكر ان يعود ثانية اليها و يعالج فتحها وقد اختشى من ان يعود بالخيبة والفشل

اما ابن الملك فانه جاس يطلب الراحة ولكنهُ كان يتفكر كثيرًا واعينهُ في الحائط تخترقهُ وفيما هو على ذلك راى ورقة ملصقة بالحائط من لون الحائط وشكلهِ . فطار قلبه شعاعاً وقال ها قد كشف السر ونهض في الحال فاقتلع الورقة واذا به يرى تحتها ثقباً وفي دخل الثقب سلك من النحاس فمسكهُ باصابعه وسحبه فامتد معهُ وحينئذٍ قبض عليه جيدًا وشد بكل قوتهِ واذا بهِ سمع فرقعة كاصوات وقوع احجار ثم فتح باب في الحائط . ولما رأى الباب وقد فتح كاد يجن ولم يعد يعلم ماذا يجب ان يعمل فخر ساجدًا للارض شاكرًا الله تعالى الذي وفقه وسهل لهُ كل الموانع فازالها بعنايتهِ والهامهِ حتى نال كل ما هو طالب . وكانت بنت الملك في قصرها فسمعت صوت فتح الباب فخفق قلبها وقالت ماذا جرى هل ابطلت طلاسمي ونهضت من مكانها ونظرت من النافذة فوجدت الباب مفتوحاً . وحينئذٍ ارسلت احد خدمها لابن الملك وامرتهُ ان يسلم عليه و يثني على مهارتهِ وزكائهِ ويخبره انهُ لم يبقَ عليه الاَّ الجواب على الاسئلة الاربعة وذلك يكون في المدينة فليرجع هو الى المدينة وهي في الغد تأتي الى امام ابيها وتسألهُ بحضورهِ . فجاء الخادم وعرض لهُ كل ما سمعهُ من بنت الملك فاجاب وعاد في الحال وقلبه مملوء من الفرح والاستبشار ونزل عن الجبل الى الاسفل فلما راهُ الملك والجماعة قد عاد ثانية تيقنوا نجاحهُ ففرحوا بهِ غاية الفرح وانتظروا وصوله فاسرعوا لملاقاتهِ وفي اولهم الملك فاخذهُ الى صدرهِ وقبلهُ في جبينه وسألهُ عن حالهِ فدعا لهُ بالبقاء وطول العمر والسعادة واخبرهُ بانتصارهِ التام حتى فتح الباب فعاد الملك وضمهُ ثانياً وقال لهُ بالحقيقة يليق بان تكون في درجة الملوك لا في درجة العوام لانهُ لا يوجد لك ثانٍ في هذا الزمان . لقد خلصت الناس من بلاء هذه الطلاسم وانزلت عن

ظهري حملاً ثقيلاً وان شاء الله في الغد يسهل عليك مجاوبتها على اسئلتها وينتهي الحال وتزف عليها فافتخر بك وبمصاهرتك على ملوك الارض اجمعها . ثم ان الملك اراد ان يعرف كيف فك الطلسم فتقدم وابن الملك الى جهة سلم الجبل حتى قربا من السلم . وحينئذٍ قال ابن الملك للملك ان هذا الذي يقولون لهُ سحر كلهُ استنباط العقل وهذه المبالغات التي اوهمت الناس وضيعت الشبان زاعمين ان الملكة سحارة هو كذب فليس للسحر والسحارين اثر في الدنيا . فاذا امرت دقق النظر في هذا الذي زعمتم انه سحر . ثم تقدم ابن الملك والملك الى جانبه واراهُ الدسارات المضروبة في الدرجة الاولى فسألهُ لماذا وضعت هذه الدسارات فوضع ابن الملك رجلهُ على الدرجة وضغط عليها ضغطاً خفيفاً واذا به سمع صوت رنة اسلاك من تحتها فتحير الملك وقال من اين جاء هذا الصوت فاجابهُ ابن الملك ان على الدرجة الفلانية من هذا السلم الهيكل وفي يده السيف وتحت رجلي ذاك الهيكل قد ربط سلكان فهما يتصلان بالدرج حتى هذه الدرجة وقد ربط باحد السلكين طرف سلك آخر واطرافهما تخرج من هذه الدرجة كالمسامير فعند ما يغيب هذان السلكان يظهر غيرها مرتبطاً بها تعبئ اسفل الدرجات باحكام ودقة وحسن صنعة فاذا داس الانسان وامعن النظر سمع صوتها كما سمعت واذا تحركت هذه الاسلاك انصلت حركتها بالهيكل فيتحرك على حسب الصنعة المصنوع بها ويصدر منهُ ما يحرك سيفهِ الطويل حركة قوية عند ما يقرب الصاعد منهُ ويصبح تحت حكم السيف وهكذا الاسد فان الاسلاك متصلة من الهيكل الى مكان وجودهِ باحكام ودقة غريبة لكن قد جعل لكل ذلك تدبير فالذي لا يدوس على الدرجة المربوط باسفلها السلك يأمن من غدر الهيكل وكذلك يوجد تحت رجلي الهيكل ثعبان ومفتاحان لاجل ابطال حركة الاسد وتمكين باقي درجات السلم فلو لم استعمل العقل والحكمة والفحص في كل ما اراهُ ولا اتي حركة عن طيش وجهل لاصابني ما اصاب غيري ولكنني استعملت حكمتي فساعدتني العناية . وكذلك ايضاً عند ما وصلت الى الحائط فقد فتحت بابهُ بسهولة وازلت كل الموانع

وكان الملك يصغي وهو متحير مندهش من زكاء ابن الملك وفرط حكمته ودرايتهِ فمدحهُ على عملهِ واظهر لهُ كل ممنونية والتفات فقبل ابن الملك يديهِ وشكرهُ بدورهِ

وابدى لديه الاحترام والاعتبار · اما الاهالي والاعيان والامراء فكانوا يطوفون بابن الملك ويدعون له بالبقاء وطول العمر على فصم هذا الامر وازالة هذا الطلسم الذي كانوا يظنونه سحرًا ويخافون على عباد الله منه وقد انتشر ذلك بين الجميع حتى كان مدحه دائرًا على شفاه الجميع ومحبته تدخل في قلب الكبير والصغير وقد وصل بهم الامر ان قالوا لبعضهم بعضاً اذا كان الملك لا يجيب طلبهُ في الحال ويزف ابنته عليه او اذا امتنعت الابنة عن قبوله نهضنا نحن فارغمنا الملك وبنته او قلعناهُ عن كرسي المملكة واجلسنا هذا الغريب لان مثله يليق بان يسوس العباد ويحكم البلاد · ومن بعد ذلك عاد الجميع الى المدينة وتفرق كل انسان الى بيته وكذلك الملك سار الى قصره وقد اخذ معه ابن الملك فاحله محل الاحترام والاعتبار ثم قال له بالحقيقة يا ولدي انك وحيد عصرك بالعقل والدراية لكن اخاف ان يبقى في الامر صعوبة وهو اني اخاف انك تعجز عن اتمام الشرط الرابع وهو الاجابة على الاربع اسئلة المزمعة ان تسالها تلك فلربما كان فيها صعوبة اكثر من ازالة الموانع التي كنا نظنها من قبيل السحر والطلسم وبالطبع انَّ اسئلة بنتي لا تكون سهلة بل صعبة قد هيئتها واستعدت لها من زمان طويل مع انك اذا كنت لا تعلمها لا تقدر ان تجيب عليها واذا كنت تعلمها فربما لا تخطر على ذهنك ومتى تعسر عليك الاجابة فبالطبع تكون ما اتممت الشروط فلا تقبل بك وهذا الذي اخشاهُ واسأل الله ان يساعدك عليه ويقويك عليها حتى ترغم انفها ولا يضيع تعبك الذي تعبته عبثاً واخسر مصاهرتك بعد ان وقع حبك في قلبي موقعاً عظيماً · فلما سمع ابن الملك كلام الملك افتكر قليلاً ومع انه رأى ان البحث في السؤال والجواب عليهِ صعب وقال في نفسه لقد اصاب الملك فقد يمكن ان تسئلني اسئلة لا اعرف لها جواباً فالانسان مهما طال علمه وفاض فهمه لا يقدر ان يحرز علم العالم اجمع لكنه قال للملك لا اظن يا سيدي اعجز عن اجابة سؤالاتها ومع ذلك فالله المعين على كل حال

ولما وصلت نسرين بوش الى هذا الحد من الحكاية ورأت بهرام شاه مأخوذاً بها مشتاقاً لنهايتها سكتت فطار صوابه وعجب من سكوتها ولذلك قال لها لماذا يا حبيبتي ونور عيني تركتني في ولع وشوق وسكتِ عند قربك من النتيجة وانا منتظر لارى

ماذا جرى لابن الملك الثالث هل يجيب بنت الملك على اسئلتها ام لا يجيب وما هي يا ترى اسئلتها ٠ وهل ان ابن الملك بعد هذه المشقة وبعد ملاقاة ما لاقى من العناء والتعب ينال وصال بنت الملك ام يرجع بخفي حنين

فتبسمت نسرين بوش من كلامه وقالت اعلم يا سيدي وحبيبي ومهجة فؤادي وزوجي المحبوب ان ابن الملك بعد ان ازال الطاسم بقي ينتظر اتمام العمل بما تعهد به وهو الاجابة على اسئلة بنت الملك في اليوم الثاني ٠ فصرف تلك الليلة في قصر الملك وقد تناول الطعام معه وتسامرا وتصافيا ونام هناك حتى الصباح وكانت بنت الملك قد ضاق صدرها من تبطيل عملها وكشف استار طلسمها وقد حسدت طالبها لتأكدها انه لا بد ان يكون فوقها بالحكمة والدراية لكن ما الفائدة وقد ربطت نفسها بذلك وعاهدت طلابها عليه فلا يسعها المخالفة وبقي لها الامل بان تفوق طالبها بعجزه عن الجواب ٠ وحالما اشرقت الشمس وانفرشت اشعتها على قمة الجبل خرجت من قصرها وسارت توًّا الى المدينة ٠ ولما كانت منذ سنة تقريباً لم تخرج من قصرها ولا رأتها عين وقد بلغ الاهالي انها ستأتي من قصرها في ذاك الصباح الى قصر ابيها بكر الاهالي الى الخروج من بيوتهم واجتمعوا على الطرقات من الجبل الى قصر الملك صفوفاً صفوفاً حتى غصت بهم الامكنة وضاقت الفسحات وامتلأت السطوح والنوافذ ٠ ولما نزلت من الجبل محاطة بجواريها وخدمها سارت امامها فرقة من الجند لتفتح لها طريقاً ومع ذلك كان الاهالي لشدة اشتياقهم اليها يتزاحمون ويترامون فوق بعضهم البعض ليمتعوا انظارهم برؤيتها البديعة ٠ وما برحت حتى جاءت قصر ابيها فدخلت مقر الحريم واذ كان الملك منذ مدة طويلة لم يرَ ابنته دخل دائرة الحريم فرآها وفرح بها فرحاً لا يوصف وقبلها في جبينها ثم قال لها اي بنيتي العزيزة لقد اكتشف هذا الشاب الغريب الذي جاء في طابك معنى الطاسم الذي كان باعثاً لظلم العباد وقتل النفوس واني عجبت كثيراً من زكائه وحكمته فهو اعقل فتى رأيته وراه غيري فهذا هو الشاب الذي يليق ان يكون لي صهراً وتكونين له عرساً ٠ فقالت ان نظرك في محله يا سيدي فلو لم يكن فطناً وزكياً لما قدر ان يكتشف على عمل خفي يصعب على اعظم الناس عقلاً كشفه ولكن لا احتم بعقله وزكائه الاّ اذا قام بالشرط الرابع حق القيام واجاب كما يجب ان

يجيب ليظهر لنا فضله فضاق صدر الملك من كلامها وقال لها ماذا يكون الشرط الرابع ولا اظن يصعب عليه ولكن الاحسن ان لا نضع العقبات في سبيل اقترانك به فهو لائق بك وقد احببته كثيرًا فقالت له كل شيءٍ يلزمه امتحان اذا كان العمل يتم بدون تجربة يعقبه ندامة فشرطي الرابع ان اسأله عن اربعة اشياء فاذا اجاب الجواب الكافي فلا يبقى لي كلام بعد ذلك ولا يحق لي اعتراض بل اقبل به ويكون قد أقام بعمله وانا قمت بتعهدي وتمت ارادة الله واذا لم يجب وعجز عن تأدية الجواب فليرجع من حيث اتى لان ابطاله طلسمي لا يعجبني ولا يكفيني · حينئذٍ ارتبك الملك في امره وبقي حائرًا · ومن بعد ان مرَّ ذاك اليوم وتلك الليلة علي هذه الصورة خرج السلطان عند الصباح من محل الحريم وجاء ردهة الاجتماع ودعا بالوكلاء والوزراء واركان الدولة واعيان الامة فحضروا وانتظم المجلس بكمال الابهة والاجلال وكانوا جميعهم متألمين ومتأثرين من عمل بنت الملك وقد كرهوا اعمالها حتى تمنوا لها القتل اذا تغلبت على ابن الملك ولم تختاره زوجًا لها

اما بنت الملك فخرجت من مقصورتها وتقدمت تتجلى وتتمايل كغصن البان متباهية مفتخرة بسلطان جمالها الفتان وبقيت تتقدم شيئًا فشيئًا حتى وصلت من تحت ابيها فجلست الى جانبه · ولما رأى المجلس والحضور حسن وجمال ملكتهم تاهت عقولهم وخفقت قلوبهم وتغيرت من عقولهم تلك الافكار التي كانوا ينكرون بها وما منهم الا من كان يدعي لها بطول العمر ويتمنى ان تبقى جالسة امامه طول حياته · وبعد ان استقر بها المقام سألت عن الفتى الذي جاء في طلبها وفتح الطلسم · فقالوا لها انه في المكان الذي عين له · فامرت باحضاره فارسل الملك احد وزرائه فسار اليه وبلغه امر الملك فنهض وجاء نحو المجلس وهو لابس ابهى الملابس وافخرها · وحينئذٍ نهضت بنت الملك ودخلت غرفة ثانية فسأل الملك عن سبب ذلك فاجابته من اللازم ان ابقى انا في مكان وانت وضيفك في مكان آخر فارسل اليه باسئلتي مع رسول فيبعث لي باجوبتها · ولما دخل ابن الملك المجلس بكمال الاجلال والوقار نهض جميع من فيه وابدوا لديه علامات الاعتبار والفاظ الاكرام فشكرهم بدوره ودعا للملك ولدولته بالنصر وطول العمر ثم ان الملك دعاه للجلوس في مكان مرتفع عن مكان الوزراء

فاجتازهم وجاس فيه وبعد ذلك جيء بالشراب وشرب كل من كان حاضرًا في ذاك المكان وبعد الشراب مدت سفرة الطعام وعليها من اصنافه اشكال والوان. فتناولوا الطعام بالفرح والانبساط وعاد كل انسان الى مكانه منتظرين اسئلة الصبية

ولما رأت بنت الملك ان الوقت قدازف وانتهت فروض الاكرام اخذت من اذنيها حبتين من اللؤلوء المتزينة به فدفعتهما الى جاريتها وقالت لها ادفعي هاتين للضيف واتيني منه بالجواب عن ذلك

فاخذت الجارية اللؤلوء ودخلت مجاس الملك وسلمته لابن الملك بعد ان وقفت امامه وابدت رسوم الدعاء والتبجيل وسألته التنازل بالافادة والجواب عنهما الى سيدتها لانها بالانتظار

واذ ذاك اخذ ابن الملك اللؤلؤ من الجارية واطرق يتفكر قليلاً واما الحاضرون فقد تحيروا في نفوسهم قائلين ما هذا السؤال الخفي الرمزي وما ذا يا ترى يكون معناه ولم يقدر احد منهم ان يفهم له معنى او يعلم به قصداً ومالوا جميعهم بانظارهم لابن الملك ينتظرون ماذا يكون منه وبماذا يجيب عليه · وبعد ان تفكر ابن الملك قليلاً التفت الى الملك وسأله ان يأمر باحضار عدد من اللؤلوء فامر الملك فجيء في الحال بعلبة صغيرة ضمنها نحو ستين او سبعين لؤلؤة فاختار ابن الملك منها ثلاثًا فقط فضمها الى المرسل من بنت الملك ودفع الجميع للجارية وقال لها هاك الجواب فاوصليه اليها

فاخذت الجارية الخمس لؤلوءات وعادت الى سيدتها الاَّ ان الملك وسائر المجالس غاصوا بالافكار وتقولوا ذلك لمعانٍ كثيرة بعيدة عن القصد لم يقدروا ان يفهموا منها السر المقصود

وعند ما اوصلت الجارية اللؤلؤ الى سيدتها وقالت لها هذا هو الجواب تبسمت الفتاة عند وقوفها عليهِ وسكتت برهة · ثم امرت فجيء لها بميزانٍ فزانت الخمس لؤلوءات كل واحدة لوحدها فوجدتها كلها بوزن واحد لا تزيد الواحدة عن الثانية ثقل شعرة · وحينئذٍ اخرجت عقدها من عنقها فرفعت ماسة واحدة وضعتها في هاون وسحقتها حتى نعمت ثم وضعت فوق المسحوق سكرًا ناعمًا مزجته به مزجًا كاملاً وارسلته الى ابن الملك · فاخذ ابن الملك الماس والسكر وبعد الامعان قليلاً امر باحضار قدح من اللبن

فاتوهُ بهِ فوضع اللبن فوق السكر والماس في قدح واحد وارسل القدح لبنت الملك فلم تنطق الفتاة بكلمة ولكنها اخرجت خاتمها من اصبعها ودفعتهُ للجارية وقالت لها خذي هذا واتني بجوابهِ . فاخذتهُ الى ابن الملك ودفعتهُ اليهِ . فاخذ الخاتم وبعد ان نظر فيه برهة ادخلهُ في اصبعهِ فجاءَ كانهُ مصاغ لهُ فتركهُ فيهِ واخرج منهُ ياقوتة حمراء سلمها للجارية وقال لها خذي هذا هو الجواب فعادت الجارية بالياقوتة لسيدتها . اما الملك والوزراء والجارية والحاضرون جميعاً فلم يفهموا شيئاً مما كان يجري بل كانوا مندهشين مما يرون

وعادت الجارية الى بنت الملك واخبرتها بما عمل ابن الملك ودفعت اليها الياقوتة التي اعطاها اياها فتناولتها ونظرت فيها قليلاً ثم اخذت يواقيت العقد الذي في عنقها واخرجت ياقوتة من بينها بقدر ولون الياقوتة التي ارسلها اليها ووزنها لا يمكن ان تفرق الواحدة عن الثانية فسلمت الياقوتتين للجارية لتوصلهما الى ابن الملك فرجعت اليه واعطته اياها فاخذها وتأمل فيهما برهة ولما لم يقدر ان يفرق بينهما ولا ان يعرف ايها ياقوتته وايها ياقوتتها طلب في الحال خرزة زرقاء قرنها الى الياقوتتين وارسلها جميعها الى بنت الملك وبعد ان اخذتها اعادت ياقوتتها الى عقدها وضمت الخرزة اليها ونهضت تتمايل وتتهاوى وتعجب بجمالها الذي ميزها الله به عن ابناء جنسها حتى دخلت مجلس ابيها فانير المكان من بهائها وجمالها ونهض الجميع اجلالاً لها حتى جلست الى جانب ابيها وما من احد الأ وكان يختلس النظر اليها كأنه مغرم بها من زمان . اما الفتاة فانها بعد ان دارت بنظرها على الجميع وصلت الى ابن الملك ووقعت عينها على عينه وقد رأته بديع الجمال نادر المثال فدار في فؤادها دولاب الهوى في الحال واستأثرها فانزلها عن سلطان مجدها الى حضيض الذل والانكسار وشعرت في داخلها بشيء لم تكن تعرف له تأثيرًا قبل تلك النظرة

ثم انها قالت لابيها بحضور الوزراء والوكلاء . هل ظهر لك يا سيدي نتيجة رأيي وموافقتك عليه بان كل شيء في هذه الدنيا كلياً كان او جزئياً يحتاج الى الامتحان . ولو لم يكن الامتحان في الدنيا لما عرف الخير من الشر . ولو لم ادقق انا واتأنى واضع وسيلة الامتحان الصادرة عن ذكاء العقل وقد ظنه الجميع سحرًا اي لو لم اضع طريق الامتحان بل قبلت بان اتزوج بفتى جاهل لا معرفة ولا آداب عنده لصرفت كل حياتي

بالهم والغم والحزن ومن اين كنت اتوصل للزواج بشاب جمعت فيه كل الصفات الحسنة فهذا هو المطلوب وهذا الذي يستحق ان يكون صهرًا للملك وملكاً فيما بعد على البلاد · اذ انه فضلاً عن ذكائه وعلمه فهو ابن ملك

وعند ما سمع ابن الملك كلام الفتاة لم يجب بشيءٍ بل اطرق الى الارض خجلاً وحياءً ولكنه كان يتعجب كيف عرفت انه ابن ملك مع انه لم يقل ذلك امام احدٍ · وكذلك الملك والحضار فانهم بعد ان سمعوا كلام بنت الملك بقيوا صامتين متفكرين بامرها ومتيقنين انها بعلمها وعملها حصلت على زوج لا يمكن ان تحصل عليه لو تركت طريق الامتحان الذي اتخذته · ثم ان السلطان دار بوجهه الى بنته وقال لها اصحيح ما تقولين من انه ابن ملك · فاجابت الفتاة نعم يا سيدي انه ابن ملك ولا ريب الم تدرك ذلك من عمله وسمته وحركته وعظمة نفسه فان كل ما يبدو منه يدل على انه ابن اصل شريف

واذ ذاك التفت الملك الى ابن الملك فوجده مطرقاً باسماً والخجل والحياء والعرق يتصبب من جسمه · فسأله اي ولدي العزيز لا بد ان تكون بنتي صادقة في كلامها فاخبرني من اي ذات عالية خرجت ومن اي صلب مقدس اتيت ومن هو ذاك الاب السعيد الذي اوجد مثلك في هذه الدنيا · حينئذٍ رأى ابن الملك ان من اللازم ان يخبر بابيه واصله اذ لم يبقَ مانع يدعوه للتستر ففتح فاه ودعا للملك بالبقاء وطول العمر ومدح منه ومن رجال دولته ورعيته وبنته وشكر الله الذي اوصله اليهم اتماماً لسعده وحسن حظه وفي الاخير قال نعم يا سيدي ان الملكة صادقة في كلامها وقد حملها ذكاؤها على اكتشاف حقيقة امري فانا ثالث اولاد ملك سرنديب ونحن ثلاثة اولاد قد صرف سيدي والدنا معظم همه واعتنائه في تعليمنا وتهذيبنا حتى ادرك غايته وخرجنا بعونه تعالى على جانب من الخبرة والعلم ومع انه كان متهالكاً في حبنا وايصالنا الى الدرجة المطلوبة فقد رغب في تسفيرنا وتغربنا لانه يعتقد ان الغربة تعلم الانسان ما لا يعلمه وتفيده فوائد لا يمكن ان يستفيدها من كتاب او معلم فالغربة اكبر معلم ومهذب للانسان · وعليه فقد خرجنا نحن الثلاثة من وطننا وبعد ان سرنا في الطريق اياماً قضي علينا ان نتفرق عن بعضنا وينفصل كل واحد في جهة وما ذلك الا بامر الله سبحانه وتعالى

ولما سمع الملك وجميع الحاضرين من ابن الملك هذا الكلام تعجبوا من ذكائه وغريب احواله ومن ادراك بنت الملك وفطانتها حيث علمت انه ابن ملك . واذ ذاك نهض الملك بنفسه وعانق ابن الملك وقبله في وجهه وابدى له مزيد الاعتناء والترحاب ثم التفت الى بنته وسألها كيف عرفت انه ابن ملك . فاجابت انه لما ابطل الطلسم وفتح باب الحائط الخفي فلكي لا يدخل الى الداخل بل يرجع الى اسفل لاجل اجراء الشرط الرابع ارسلت اليه احد خدمي فبعد ان راه الخادم واخبره بامري رجع اليَّ فسألته عن هيئته وحالته ففصل لي ما راهُ فيهِ ومنهُ فقلت في نفسي انه ربما يكون ابن ملك و بقيت في ارتياب الى ان رأيته فتأكد لي انه من اصل ملكي شريف لان هيئة الملكية تطبع على جباه اصحابها . فسرَّ الملك من ذكاء بنته وفطانته ثم قال لها والآن يا عزيزتي لم يبقَ مانع ولم يعد لك من عذر تعتذرين به فمن اللازم ان توافقي بعقد ازدواجك على ابن الملك لاننا بمثله نفتخر على ملوك الارض طرًّا كيف لا وقد جمع فيه الشرف والذكاء والعلم النادر المثال والعقل والحكمة الغير موجودين في غيره من جميع رجال هذا الزمان . فاجابته الفتاة بحرية نعم يا سيدي لم يبقَ لي قط كلام ولا اعتراض واني اشكر الله على حسن بختي وطالعي ولا اخفي امتناني وسروري بالاقتران بفتى زاد علمًا ودراية على علمي ودرايتي

وكذلك كان الملك وجميع الحاضرين لا يزالون في هاجس من جهة الاسئلة الخفية التي سألتها بنت الملك بالاشارات والرموز واجابها ابن الملك بمثلها ولم يفهموا شيئًا منها فطلبوا اليها ان تبين لهم معنى اسئلتها وما فهمته من اجوبتها فاجابت طلبهم واخذت في ان تشرح لهم معنى كل ما راوا فقالت

ان معنى اللؤلؤتين الاثنتين اللتين ارسلتهما اليه في الاول هو اني اقصد بهما ان العمر كناية عن يومين فيلزم ان نغنمهما . فضم الى اللؤلؤتين ثلاثًا واعاد الجس اليَّ يقصد ان العمر ولو طال الى خمسة ايام فهو سريع الزوال

وكذلك السؤال الثاني فاني ارسلت اليه الماس والسكر مسحوقين فمعناهُ ان العمر ذو قيمة كالالماس وهو شيءٌ ممزوج بالشهوة الحلوة كالسكر فهل من الممكن يا ترى انفصال احدهما عن الآخر . فاجاب ابن الملك بان اخذ قدحًا من اللبن وضعهُ فوق السكر والماس فذاب السكر وبقي الماس وهو يزعم انهما بالحقيقة ممزوجان مع بعضهما كالسكر

والماس لكن ان الشهوة تنفصل عن العمر بهكذا نقطة من لبن

ومعنى ارسال الخاتم اليه في السؤال الثالث هو اني قصدت ان اقول له · نعم انك لائق بي واني اقبل بك وقد رضيت بعقد ازدواجي عليك واما معنى الياقوتة التي ارسلها لي فهو اني انا مثل الياقوت لا نظير لي · واما معنى ضم الياقوتة الثانية المماثلة طبقاً لياقوتته وارسالها اليه هو اني اقول له اني انا نظيرك ومساوية لك وقد رأيت انهُ لا يوجد بين بعضنا البعض زيادة او نقصان · فلما رأى الياقوتتين بقدر واحد لا تزيد احداها عن الاخرى فلاجل الحفظ من العين ربطهما بتلك الخرزة الزرقاء وارسلها اليَّ

ولما اطلع الملك والوزراء على اسئلة بنت الملك الخفية وعلى اجوبة ابن الملك عليها بسهولة تعجبوا وغبطوا سعادتها · ومنذ تلك الساعة امر الملك ان يبدأ بتهيئة لوازم الزفاف وان تزين المدينة وتقام الافراح فباشر الناس الحظ وقامت المدينة برمتها على البسط والانشراح حباً بالعروسين مدة اربعين يوماً ثم عقد لابن الملك على بنت الملك وكان فرحهما وسرورهما ببعضهما البعض مما لا يوصف ولا يقاس اذ كان كل واحد منهما يقدر الثاني حق قدره من الذكاء والعلم والادب فيؤمل السعادة بالانضمام اليه · وصرفا وقتاً بالحظ والصفاء متلذذين مع بعضهما البعض باقتطاف ثمرات الحب والهيام الى ان جاء اليوم الموعود لوفاة الملك فارتحل الى دار البقاء فجلس ابن الملك في مكانه واشتغل بتدبير امور الرعية واصلاح شؤونها والاعتناء بها حتى زاد حب الرعية له اضعاف ما كان

وكان ابن الملك عند ما يخطر على باله اخواه يحزن ويتحرك قلبه شوقاً لمعرفة اخبارهما وعلى الخصوص اخوه الثاني لانه ما كان يعلم بمكان وجوده ولا يعرف لاي جهة راح ولا اين ذهب ولذلك ارسل رسالة الى اخيه الاكبر يخبره بكل ما جرى عليه من الاول الى الآخر وكيف انه تزوج ببنت الملك بعد ان ابطل عملها وفك طلسمها وتولى بعد ذلك على المملكة ثم سأله ان يخبره عن اخيه الثاني اذا كان بلغه عنه خبر لانه فارقه ولم يعد يعرف شيئاً عنه

وكان ابن الملك الثاني ايضاً بعد ان راق باله واستقام حاله ارسل رسالة

ايضاً الى اخيه الاكبر يخبره بها بانه تزوج بنت الملك وجرى له ما هو كذا وكذا وانه براحة تامة وعظمة تامة لا يكدره الا فراق اخويه ولا سيما اخوه الاصغر لانه فارقه ولا يعلم بعد ذلك ما جرى عليه ويرجوه اذا وقف على خبره او اتصل به امره يرسل فيعلمه ليسعى في ايجاده

فلما وصل جواب ابن الملك الثاني الى اخيه الاكبر سرّ وفرح كثيرًا بما اتصل الى اخيه من التوفيق والنجاح ولكنه تكدر لانفصالهما عن بعضهما البعض ولجهله معرفة مكان اخيه الاصغر وبقي بضعة ايام في كدر عظيم يؤمل ان يأخذ خبرًا عن اخيه الاصغر واذا برسالته قد وردت اليه ففضها وقرأها وفرح الفرح العظيم لما قرأ ما وصل اليه اخوه من العظمة وخرّ على وجهه الى الارض شاكرًا الله الذي خلصه من الخطر ورفعه على سرير مملكة عظيمة . وفي الحال كتب رسالتين الى اخويه يهنئهما بما وصل اليهما من السعادة والمجد ويعلمهما بمكان بعضهما البعض ويخبرهما بانه بعد ان سافرا عنه بمدة وجيزة مرض ابو زوجته وتوفي فتولى الملك في مكانه ويشكر الله الذي وفقهم بان صيرهم الثلاثة ملوكاً وسهل لهم التزوج ببنات ملوك . وبعد ان ارسل الرسالتين الى اخويه ارسل رسالة ايضاً الى ابيه يطلعه بها على كل ما توقع لهم من الاول الى الآخر

وعند ما وصل رسالتا ابن الملك الاكبر الى اخويه فرح كل منهما الفرح الذي لا يوصف لما نال اخوه من التوفيق والاقبال وتبادلت بينهما الرسائل يهنئ كل منهم اخاه على ملكه وزواجه وكتبا ايضاً الى ابيهما يعلمانه بامرهما ويسألونه دوام الرضى والدعاء ولما اتصل اخبار اولاد الملك بابيهم فرح وشكر الله حيث اصبحت اربع ممالك في ايديهم وارسل يهنئهم وبقي هو على كرسي دولته واولاده على ممالكهم الى ما شاء الله

ولما انهت نسرين بوش حكايتها قالت لبهرام شاه الآن يا سيدي قد تخلصت من الولع الذي لحق بك من جراء هذه الحكاية واريد ان اسألك هل سررت منها او لم تسر كالواجب فلف بهرام شاه يديه على عنق نسرين بوش مظهرًا كمال المسرة والانبساط وقبلها في عنقها وشفتيها وقال لها اني سررت من حكايتك سرورًا

عظيماً فقد اعجبتني جداً ولا اظن انه يوجد حكاية تماثلها في حسنها وغرابتها

فقالت له نسرين بوش نعم يا ملكي المحبوب ان مرامي من هذه الحكاية مدح اللون الاحمر ولاجل ذلك ترى الانسان في وقت الفرح يحمرُّ وجهه كما انه في الكدر والمأتم يصفر . فاللون الاحمر بالحقيقة مقبول ومحبوب اكثر من جميع الالوان حتى ان الخمر لما كان احمر اوجب فرح الانسان وانبساطه . وكذلك الدم فانه احمر ويعبرون عنه بالروح في الجسم وكذلك الذهب الاصفر فانه يفضل بالذهب الاحمر ويعلو قيمة والياقوت كلما ظهر احمر كلما كان ارغب واثمن وكذلك الورد فما دعي بسلطان الزهور الا لكونه احمر

فشكر بهرام شاه نسرين بوش وصدق على كلامها . وعند ما اقبل المساء اشتغلا في تلك الحديقة المنشور فوقها رواق الصفاء والانس بادارة الكؤوس الياقوتية بين اغصان الورد المتوج باقراص الزهر المعطر الرائحة الى ان حان وقت الطعام فتهيئت سفرة الطعام المعمولة من الياقوت والمرجان وصفت اطباق الطعام الكثيرة العدد والالوان فجلس عليها بهرام شاه وامامه نسرين بوش واخذ كل واحد منهما يطعم الآخر بيده ويلقمه اللقمة بعد الثانية وحولهما نحو سبعين او ثمانين جارية كأنهن الاقمار يحملن بايديهن الشموع الكافورية ينتظرن الامر في كل امر

وكانت نسرين بوش تأخذ اللقمة بيدها وتمدها بلطف الى فم بهرام شاه وكذلك كان بهرام ايضاً عوضاً عن ان يضع يده في فمه يضعها في فم زوجته وكثيراً ما يضع احدهما فمه علي فم الآخر ويمنحه قبلة شهية فيقابله الآخر بمثلها فتكون سبباً للهضم وتهييج القابلية وتجديد الشهوة للطعام

ومن بعد مناولة الطعام على هذه الصورة تحضر مجلس الحظ والانشراح فاخذا في معاطاة الخمور بين شم وضم وتقبيل وامتصاص وارتشاف حتى لعبت برأسيهما فناول احدهما زنده للآخر فالفه على خصره وانسحبا الى خلوة وتمددا على سرير المسرة والهناء ودارت بينهما المداعبة والملاعبة ونسرين بوش تقعد وتقوم وتبدي من انواع الخلاعة والمعاشرة الحركات العجيبة حتى اطارت النوم من اجفان بهرام

شاه وحببته بالرغبة بكثرة اقتطاف ثمرات الحب والتنعم بلذات الزواج فدام معها ما بين قطع واتصال حتى بان وجه الصباح وحينئذٍ تركته لينام ساعتين ويرتاح جسمه من تعب الاياب والذهاب ونامت هي ايضاً مذهولة الجسم منهوكته ولما استيقظ جاءت اليه والقت بنفسها عليه وقبلته في عنقه وعينيه وجبينه وخديه وشفتيه ففتح عينيه فرأى وجهها عند وجهه فوفاها ما اسلفته ولما رآها على تلك الحالة وقد نهضت من النوم وبدنها اطرى من ريش النعام تذكر عمل الليل فاعاده استصباحاً ولف كل منهما الآخر نحو ساعة تقريباً ثم نهضا ثاملين بخمرة اللذات ودخلا الحمام فاغتسلا كل منهما بيد رفيقه وبعد ذلك جاءته بثوب قرمزي جديد فلبسه وامرت ان يهيأ له جواد احمر واخذته بخصره الى ردهة الراحة وقدم له الشراب بالماء ورد والسكر وكان بهرام شاه مسروراً من نسرين بوش ومن خدمتها له بيدها لكنه كان متحيراً ومندهشاً كيف البسته الثوب الاحمر وكيف يذهب به الى القصر الازرق وقد خالفت عمل باقي زوجاته ومع ذلك لم يعترض عليها بل ودعها وخرج قاصداً القصر الازرق (السماوي)

وكان اليوم الذي صار فيه بهرام نحو القصر الازرق يوم الاربعاء فتقدم في طريقه بالابهة والاجلال وما تقدم الا القليل حتى رأى الارض مفروشة بالقطيفة الزرقاء الحريرية وعلى جانبي الطريق نحو مئة وخمسين نفراً يلبسون الملابس الزرقاء وقد اصطفوا لاجل السلام وكذلك نحو مئة خادم من الفتيان بالملابس الزرقاء بايديهم القماقم مملوءة بالعطريات ومياه الزهور ونحو خمسين ايضاً يحملون المباخر المرصعة باحجار الفيروز · وعند اول الطريق المفروشة ستة حجاب يمسكون جواداً سماوي اللون عليه عدة محجرة باحجار الفيروز الصافي اللون وعلى ايدي بعضهم بقجة من الحرير الازرق داخلها الثياب الحريرية الزرقاء الملوكية · ولما رأى بهرام هذه الشوكة والاجلال سرَّ حتى انه كاد ينسى الاحتفالات والاهتمامات التي قامت لديه بها نسرين بوش فاجتاز الخدم والحشم وبقي سائراً في طريقه فلم يقل لهُ احد استرح هنا او قدم اليه الجواد ليركبه والثياب ليلبسها ولذلك دام على تقدمه مفتكراً انه سيدخل على آذر بون بالثوب القرمزي الاحمر وهناك

ينزعه ويلبس غيره وكان الخدم يسيرون من خلفه حتى انتهى الى ساحة فيها مئات من الخدم اللابسين الملابس الزرقاء واقفين لاستقباله وراهم وقوفاً عند باب صيوان مركب من الاشجار اليانعة المتلاصق اوراقها الزرقاء بعضها ببعض وتحت تلك الاشجار المحكمة الوضع سرير ازرق فيروزي اللون والارض مفروشة بالاقمشة الحريرية الزرقاء وعندما وقف عند باب الصيوان خرّ الخدم سجوداً لديه وادعوا له بدوام العز والنعم ومشى حاملو المباخر والقماقم بين يديه حتى دخل الصيون وجلس على السرير وحينئذٍ قدم اليه الشراب باقداح زرقاء شفافة فشرب وحمد الله ثم تقدم اليه خادمٌ شاب جميل الصورة بهي الطلعة يحمل على يديه طبقاً من الذهب المرصع بالاحجار الفيروزية وعليه رسالة زرقاء اللون فتناول بهرام شاه بايدي الفرح والمسرة الرسالة ففضها وقرأ فيها ما يأتي

اطال الله بعمر سيدي ومولاي وزوجي المحبوب صاحب الشرف العالي والبهاء المتلالي من سار ذكره بالآفاق حتى بلغ السبع الطباق وساد على كل ملك وسلطان بالحلم والعدل وباقي الصفات الحسان . لقد ارسلت لاعتابك العلية خدمي وحشمي يقدمون لذاتك الكريمة عن فروض الخدمة فتنازل واقبل خدماتهم كرماً ولطفاً وما يقدمونه اليك من تقدمات جاريتك واطلب اليه تعالى ان يحفظ لي ذاتك الكريمة ويقيك من عين كل حسود ويديم ملكك الى آخر الزمان امين

فلما قرأ بهرام شاه الرسالة ورأى ما تضمنته من الرقة واللطف فرح فرحاً لا يوصف وحينئذ دخل المحل ولبس الملابس التي ارسلتها اذربون ثم ركب الجواد المرسل منها ايضاً وجاء بمنتهى الشوكة والاجلال والابهة والتعظيم الى جهة القصر وعند ما اصبح قريباً من الباب نزل عن جواده ودخل والتفت الى ما حول القصر فوجده محاطاً بالازهار وقد تهيئت الكراسي الزرقاء حول حوض من الماء وتهيء ايضاً في صدر المحل سرير عالٍ مرتفع جميل نادر المثال مصنوع من حجر الفيروز وقد تكأت عليه آذربون وهي فاترة العينين كأنها غارقة بالنوم وقد احمرت وجنتاها واصبحتا بلون الورد والعرق يتصبب من وجهها كأنه حبات لؤلؤ تتدحرج فوقه وقد اسندت رأسها على وسادة من ريش النعام وكشفت عنقها الى ما فوق

نهديها حيث تتدلى جواهرها الوهاجة وصدرها العاجي وعنقها وخداها وجبينها تشعشع بانوار الحسن والجمال · والحاصل ان بهرام لما شاهد تلك الحالة تاه عقلهُ وضاع صوابه وتقدم رويدًا رويدًا حتى جلس على السرير بالقرب من اذربون ولم يشأ ان يوقظها وقد قنع بالنظر اليها والتلذذ بالتأمل في جمالها وبهائها ثم مسح العرق المتصبب من وجهها بلطف ففتحت عينيها قليلاً ثم اغمضتهما وتبسمت تبسم الغنج والدلال فهاج حب بهرام شاه ولم يعد قادرًا على الصبر والتأني فالقى نفسهُ فوقها وهو يقبلها في خديها ويمص شفتيها وقد قال لها اي روحي وحبيبتي ونور عيني وحبة فؤادي ومنتهى امالي لماذا تتغافلين وتتظاهرين بالاستغناء عني وعدم الاكتراث بي ايمكن لك بعد ان علمت ان بهرام زوجك الذي ملك العالم وخافت الاسود بأسهُ قد زارك ان تعرضي وتنامي عند زيارته فانهضي الآن وانظري ضيفك واعطفي عليهِ بلطفك · فنهضت شيئًا فشيئًا وجلست الى جانبهِ ثم فتحت عينيها ومدت يديها الى عنقهِ وجذبتهُ الى صدرها فقبلتهُ ثم اخذت في ان تعتذر اليهِ قائلة العفو يا سيدي وسلطاني ومحبوبي ومالك حواسي · فاني في الامس لاجل شاغل جزئي ماقدرت ان انام اما قولك اني مستغنية عنك فهذا غير الواقع لاني مستغنية عن العالم باسرهِ ويكفيني منهُ انت فقط ثم غمزتهُ بطرف عينها وتبسمت عن ثغر فاتر فعانقها وعانقتهُ وتبادلا الحب والشكوى وبعد ذلك انشدت

ان كنت ياسيدي فقت الورى شرفًا فنور خديَّ منهُ الشمس والقمر

فقال هذا مما يسرني لان هذا النور البديع يضيء عليَّ ولا يتصل بغيري · ثم انشدت

ان كان تاجك من ياقوت جواهرهُ فتاج حسني منهُ المسك ينتشرُ

فقال وهذا ايضًا اشتم منهُ نكهات سعادتي وحظي · فقالت

ان كان تختك من عاج ومن ذهب فتخت صدري فيه يبهر النظرُ

فقال ذاك لقيامي وذا لمنامي · فقالت

وان بلغتَ سليمانًا بعظمتهِ فعظم سلطنتي ذلت لها البشر

قال صدقت وانا اول من ذل لسلطان حسنك الذي املكهُ فاصبحت مالكًا مملوكًا ثم انشدت

ان كنت تمتلك الدنيا برمتها فلا عجيب فحسني ملكهُ القدر

قال لا انكر عليك ان ما يفعلهُ سلطان حسنك يعجز عن فعله مالك الدنيا · وانشدت

ان كانت الشمس من كفيك مطلعها ففوق عنقي تدور الانجم الزهرُ

قال هي بدور اطلعها حسن حظي وحصلت عليها بقوة بأسي · فانشدت

وكيف ارهب آساد الشرى وانا اضم الذي خافهُ الاسادُ والنمر

قال وهذه نعمة اوصلك اليها حسن حظك وحصلت عليها بنفوذ جمالك · فانشدت

فان ملكت بنات الارض اجمعها فانت ملكي وهذا فيهِ الفخرُ

قال من كثرت زوجاتهُ · وتوفرت معداتهُ · زادت مسراتهُ · فانشدت

فبنت سلطان ارض الهند قد سرقت من ليل شعري سوادًا فيهِ تشتهرُ

وبنت قيصر من حسني لقد خجلت فاصبحت باصفرار اللون تستترُ

وبنت مولى خوارزم لقد خرجت عن حدها اذ بلون الخضر تختضرُ

كذاك نسرين من ياقوت طلعتنا ومن عقيق شفافي شاقها الحمرُ

قال لكل منكن ما احبت وما فيكن الاَّ من سادت وتباهت وكلكن في اعيني اقمار حسنٍ تنير بأنوار الكمال فمقامكن عندي واحدٌ فانشدت

يهناك مولاي اذا عطيت جاريةً الورد من خدها الجوريّ ينتثرُ

فاقطف ولا تخشَ من عين الرقيب وزد حظًا وانسًا فمزن الحظ ينهمرُ

وهاك عنقي فقبلهُ على عجلٍ وكلما زدت بالتقبيل يزدهرُ

ثم امتصن شفتيَّ اللعس مرتشفًا ثغري الذي فوقهُ العناب يعتصرُ

واجني بحقك رمان النهود فقد آن القطاف ودلي ذلك الثمرُ

وهاك صدري فسرح فيه طرفكم فأبيض الصدر قد يجلى بهِ البصرُ

وهاك خصري فطوقهُ بزندك واجـ ـذبهُ اذ الخصر بالتطويق يختصرُ

ولا تطل زمن التشويق ياسندي فانني عن وصالٍ لست اصطبرُ

ان كنت موسى فاني اليوم صخرتهُ فاضرب عسى بعصاك الماء ينفجرُ

واعجل بالصاق جسمينا لبعضهما فهل عن الوصل يا مولاي تعتذرُ

ان الغيوم اذا شمنا تراكمها قلنا فلا بد يأتي بعدها المطرُ

فسرَّ بهرام من انشادها وقال لها اني ما اتيت اليك الاَّ وفي نفسي من حبك شيءٌ عظيم وها زمن السرور قد حان ولا بدلنا من اقتطاف ثمرات لذاتهِ . وفي الحال اخذت كاسًا من الخمر وسقتهُ اياها من يدها ومدت عنقها ووضعت شفتيها على شفتيهِ حتى اذا التصقا فقضيا مصلحة في النفس واذربون تبدي الف نوع من الغنج والدلال حتى نسى بهرام الدنيا ورأى فيها من حركات التشويق والترغيب لم يره في غيرها من نسائهِ ولم يعد يسعهُ الصبر على مثل هذهِ الحالة فاخذها بين يديهِ كما يأخذ الاسد الغزال او الباشق الواحدة من الحمام والقاها على سرير مفروش بفراش من ريش النعام قد هيئتهُ لمثل هذهِ الغاية وملأ فمهُ بعصير السكر الذي امتصهُ من شفتيها ونهديها وقد خط على عنقها وصدرها إسطرًا من اللذة لا تمحى بكرور الايام كيف لا وقد ذاق من حلاوة العمل مالم يذقهُ عند غيرها من نسائهِ والحاصل بقيا نحوًا من ساعة يطوق كل منهما بيديهِ جسم الآخر ويضغط عليهِ ضغط التشفي . ثم افترقا وانفكت اياديهما عن بعضهما البعض وفي الحال نزلا الحوض وسبحا فيهِ وهما يلعبان ويمزحان وبعد ساعة خرجا من الحوض ولبسا ملابس جميلة فاخرة . وجلسا للمنادمة والمسايرة ولا يخفى ما في هذهِ الراحة من النفع للجسم والعقل . وحينئذٍ قال لها بهرام اي حبيبتي وزوجتي ومعنى راحتي سليني منك بحكاية غريبة لنقتل بها بعضًا من الوقت . فتبسمت اذربون وقالت لهُ نعم يا سيدي اني احكي لك الآن حكاية عجيبة غريبة جميلة لكن ارجوك رجاءً واحدًا فقط وهو ان تكون منصفًا وتبين وجه التفضيل بين حكايتي التي تسمعها مني الآن وبين الحكاية التي سمعتها من نسرين بوش في الليلة الماضية . فوعدها بهرام انهُ يقول الصحيح ولا ينكر على احداهما وجه التفضيل بين حكايتيهما . وحينئذٍ بدأت ازربون بسرد الحكاية فقالت

﴿ الحكاية الخامسة ﴾

كان في مصر السعيدة تاجر واسع الثروة كثير الاموال ولعظم غناهُ لقب بشيخ التجار . ولهذا التاجر ولد اسمهُ ماهان في الخامسة عشرة من عمرهِ كان يهتم بتربيتهِ وتعليمهِ . ولما كان ماهان عاقلاً وذكيًا اجتهد بان حصل العلوم والمعارف منذ صغرهِ ولذلك كان جميلاً وعالمًا . وكان في الصباح يذهب مع ابيهِ الى المخزن وفي المساء يرجع

ايضاً مع ابيهِ الى البيت ويصرف نصف الليل يقرأُ ويطالع الكتب واحياناً يبقى ابوهُ في البيت فيذهب لوحدهِ الى المخزن ويبيع ويشتري برقة ولطف ولسان عذب والناس تسر منهُ وتشكرهُ والتجار تثني عليهِ وتمدحهُ حتى اخذ لصغر سنهِ موقعاً عالياً بين التجار وصار اسمهُ يذكر بالمديح والاطراء في السهرات العادية والحفلات وفي كل مكان يجتمع فيهِ التجار وصاروا يدعونهُ في الاسبوع مرة الى بيوتهم فيجيب دعوتهم ويبقى عندهم على المكالمة والمنادمة والمحادثة الى نصف الليل . وكان ابوهُ بالنظر لاعتقاده بنزاهة ابنهِ ودرايتهِ وسعة عقلهِ وعلمهِ لا يمانعهُ بل كان يقول لا بأس من اجتماعه في الاسبوع مرة للتسلي مع رفاقهِ . وقد عقد ماهان ايضاً شركة مع احد التجار فكان الغلام يقيم في المخزن للبيع والشراء وشريكه يذهب الى الخارج لاجل جلب البضائع والاتجار ايضاً . ولما كان شريكه مسافراً في احدى المدن لاجل اشغال تجارية دعا احد التجار ماهان وبعض رفاقهِ بجاري العادة الى بيتهِ . ثم ان التجار استصوبوا ان يصرفوا اليوم الآتي في حديقة مشهورة في طرف المدينة . فذهبوا اليها وجلسوا حول حوض من الماء في وسطها واخذوا بترويح النفوس وادارة الكؤس وراق لهم كاس الصفاء وانتشر لواء الصفاء

ولما كان ماهان شاباً مال بزيادة للعيش والعشرة . وشرب خمراً اكثر من الجميع حتى سكر ولكن بالنظر لثباتهِ وعزة نفسهِ لم يدع رفاقهُ يلحظون منهُ ذلك بل كان يجيب على اسئلتهم بلياقة وحكمة ولما لم يدركوا من ظواهره شدة سكره لم يقفوا عن تقديم الشراب اليهِ

واقبل المساء وجاء وقت العشاء فوضعت سفرة الطعام فاكلوا حتى اكتفوا ثم نهضوا عن الطعام وعادوا الى اماكنهم حول الحوض وعادوا الى المنادمة والبسط والمعاشرة الى الساعة الثانية من الليل وحينئذٍ شعر ماهان بغشيان وثقل على معدتهِ فأراد ان يقيءَ فنهض من مكانهِ بثبات وشدة عزم وقصد البعد الى جهة ثانية فسأَله رفاقهُ اذا كان يريد الذهاب . فقال كلاً وانما اطوف قليلاً في اطراف هذهِ الحديقة فلم يعترضوا عليهِ بل شغلوا بحظهم وبسطهم

وابتعد ماهان عن المجلس الى طرف الحديقة فتقيأَ قليلاً فشعر براحة وقد عاد اليه

وعيهُ وصحا من سكره على نوع ما فاخذ في ان يتمشى بين الاشجار وبينما يطوف من جهة الى ثانية وقد انتهى الى جهة الباب رأَى شبحًا تحت ظلام ذاك الليل فاندهش وتعجب ووقف ينتظر دنوهُ اليهِ

ولما قرب الشبح اليهِ امعن فيهِ فتبين لهُ شريكه الذي كان مسافرًا وقد تقدم منهُ واظهر لهُ كانهُ عالم انهُ في ذلك المكان فجاء ليراهُ وسلم عليهِ فتعجب ماهان عند ما رآهُ وقال له ماذا اتى بك يا اخي الى هنا وفي اي وقت رجعت من السفر وكيف وجدت في هذا المكان ولماذا اتيت في وقت ضيق مثل هذا فاجابهُ شريكه انى ذهبت الى المدينة الفلانية فحالاً وباسرع ما يمكن بعت كل ما معي من البضاعة وربحت فيها ارباحًا وافرة ثم صادفت اصنافًا من البضاعة تباع هناك رخيصة جدًا فاشتريت بكل الدراهم التي معي منها وعدت في الحال وكانت سفرة موفقة لا اظن يوجد سفرة اوفق منها واتيت في الساعة واحدة من هذه الليلة فوجدت باب المدينة مقفلاً ولا يمكن للقافلة الدخول ليلاً فانزلتها في الخان الفلاني في المحل الفلاني وقد ادركت انك هنا فاتيت لاخبرك . والآن هلم نذهب معًا ومهما حصل فليحصل اذ يلزم ان نخرج بضايعنا الآن واذا ارشينا البواب سمح لنا بالدخول ليلاً فأولاً نخلص البضائع من رسم الدخول ثم من خطر الليل وكذلك نكون في الصباح عند ازدحام السوق مباشرين بيعها ولا يخفاك ما يكون لنا في ذلك من الفوائد والارباح والاقتصاد وعندي ان هذه البضائع ستربح معنا ارباحًا باهظة جدًا ومتى رأَيتها وعلمت بأَصل ثمنها تأكد لك مقدار الارباح المنتظرة منها

فلما سمع ماهان من شريكهِ خبر الارباح والمنفعة لعب بهِ الطمع وحب المال وقال لهُ هلمَّ يا اخي لقد فعلت حسنًا فسار شريكهُ وسار في اثرهِ حتى خرجا من الحديقة واستقبلا الصحراء ومع ان ماهان كان سكرانًا لم يفكر بشيء من تأْثير السكر بل اخذ في ان يصحو شيئًا فشيئًا حتى نصف الليل وهو يسرع الجري في اثر شريكهِ وقد بدأَ بهِ التعب وخطر لهُ ان شريكه قد وضع البضائع في مكان بعيد فقال لهُ الى اين سائرين الآن فقد ابعدت المكان وهل لا يزال بعيدًا فأَجاب شريكهُ كلاً بل صار المكان قريبًا ولازم السير وهو في اثره وكلما سالهُ يقول لهُ اصبح المكان قريبًا

حتى قرب وقت الصباح فتعب جدًا وزاد اندهاشهُ وتكدر من شريكهِ فصاح من الغضب ما هذا العمل لقد اخرجتني من حفلة حظي وسرت بي في القفار وفي طرق لا اعلمها وانا سكران وفوق كل ذلك مرادك تسحبني الى آخر العالم لقد تعبت رجلاي من المشي ففي اي جهنم وضعت هذه البضائع · فاجابهُ الشريك بلين ولطف لم يبق وجه للوم يا اخي نعم ان المكان بعيد ولكننا وصلنا اليهِ ولم يبق امامنا الا مسافة قليلة وسوف نتأكد ذلك ثم اسرع في الجري فلم ير ماهان بدًّا من تاثرهِ وهو في حالة غيظ وغضب وكدر من شريكه وما سار مقدار نصف ساعة حتى بدا الشفق ان يظهر في الشرف ونور الصباح ينجلي شيئًا فشيئًا وحينئذٍ نظر الى امامه وحواليه فلم يرَ شريكهُ ولا تبين له اثرًا فزاد كدره ووقف مبهوتًا ثم جلس على الارض للراحة ولم يعد قادرًا ان يقف ثم القى رأسهُ الى الارض فنام لان تأثير السكر والتعب والغيظ والسهر تغلب عليه حتى لم يعد قادرا ان يضبط نفسهُ وبقي نائمًا الى نصف النهار حيث لذعتهُ حرارة الشمس فاستيقظ مرتاحًا صاحيًا والتفت الى ما حواليه فلم يرَ اثرا للعمران والسكان ولم ير امامهُ الاَّ احراش وادغال وبرارٍ وقفار وسهول واوعار وجبال عالية محيطة بالمكان الموجود فيه وجعل يسمع فحيح الحيات وزئير الاسود واصوات الوحوش على اختلاف اجناسها وهو يراها تمر وتوغل في الفلاة فيظهر غيرها اسرابًا اسرابًا فوقع الخوف والرعب في قلبه وبلغت روحهُ التراق فلبث في وهدة الخوف والياس مقدار ساعة ومع ان الوحوش كانت تراهُ فلم تدنو منهُ ولا اضرتهُ بشيء ثم اخذ قلبهُ في ان يتقوَّى ولم يرَ بدًّا من المسير عساهُ يدرك العمران قبل دنو الظلام فصلى لله وسأَله المعونة وسلم اليه حياتهُ واتكل عليه في حفظها ونهض يعدو متكلاً ايضًا على الله في الطريق الذي يقصدهُ لانهُ كان لا يعلم اية جهة يسير واية وجهة يقصد ليصل للطريق العام وبقي في مسيره حتى اقبل المساء فعاد اليه خوفهُ ورعبهُ واحتار ماذا يعمل وكان وهو سائر يخاف من ظله

وعند حلول المساء كاد عقلهُ يذهب من راسه فان التعب والجوع والعطش قد انهك جسمهُ ولكنهُ نسي كل ذلك وعظم عليه الخوف والفزع حتى توهم عند حلول الليل ان الجبال سقطت على صدره فضاق وثقل عليه الامر فجعل يتضرع الى الله ويبكي

ويقول ماذا جرى عليَّ يا ربي من اين جاءتني هذه المصيبة ياليتني لم اوجد في الدنيا نعم ان الدنيا يومان يوم شقاء ويوم رخاء · لكني لا ارغب في يوم الرخاء ان كان لا بد من يوم الشقاء · ما الفائدة ان الامر ليس حسب رغبتي · فالآن ماذا اعمل والى اين اذهب كيف اجد الطريق وفي اية جهة الطريق وذاك الشخص الذي ظهر كانه شريكي اين ذهب · هل كان بالحقيقة شريكي او هل هو شخص آخر لاريب انه جنيٌّ لا اعلم ما هو والآن ماذا افعل وكيف انام وماذا اكل · والحاصل انه بعد البكاء والعتاب على نفسه وعلى زمانه لم يرَ وسيلة الاَّ ان يلجا الى احدى المغائر وهو يرى امام عينيه ان كل عود افعى وكل شجرة وحشًا وفيما هو يفكر في امره سمع صوت انسان آت لنحوه فسرَّ ماهان من سماعه هذا الصوت وامل النجاة وحدثته نفسهُ بالخلاص ونظر الى جهة الصوت فرأى رجلاً عجوزًا من خلفه امرأته وعلى كتفيهما الحطب · ولما وصلا من باب المغارة ونظر الشيخ ماهان اظهر التعجب والاندهاش وقال له من انت يا رجل ولماذا اتيت هذا المكان وكيف وقعت هنا مع انهُ مكان الغيلان وملفاها فاذا وجدت انسانًا لا تصبر عليهِ بل مزقتهُ اربًا اربًا · فطار عقل ماهان عند سماعه هذا الكلام ووقع على الشيخ يسألهُ المعونة والمساعدة وقال لهُ ارجوك يا سيدي الرحمة والمساعدة فاني لم آت بارادتي الى هذا المكان فانا ابن احد التجار وبينما كنت اتمشى في الحديقة جاءني شخص بصفة شريك فغشني وقادني الى هذه الاماكن وانا لا اعلم الآن الى اية جهة اذهب ولا اعرف كيف اتخلص واعود الى العمران وقد صرفت هذا اليوم على الجوع والعطش وقد طفت كثيرًا فلم اهتد الى الطريق العام واعاد عليهِ قصته بتمامها · فقال الشيخ ان امرك احزنني فقد تعذبت كثيرًا ولاقيت كثيرًا ومن حسن حظك اني صادفتك هنا لاخلصك فالرجل الذي اتاك بصفة شريكك هو لا ريب غول وقد اراد ان يقودك الى مكانه فادركهُ النهار او في عزمهِ ان تهلك في هذه الصحراء من العطش والجوع · فهلمَّ يا ولدي سر خلفي ولكن حذار من ان تخرج صوتك من فمك او تتفوه بكلمة والاَّ فاني لا اعود قادرًا على خلاصك · ثم قبض على ماهان من يده وسار بهِ وسارت العجوز معهما واذ كان الليل حالك الظلام ساروا بسرعة كلية · ومن شدة الخوف لم يخرج ماهان صوته قط بل كان يسرع في الجري ويرتجف عند كل حركة

ولا يعلم الى اين يقوده ُ الشيخ وزوجته ُ بل كان متعجباً منهما متيقناً انهما لا يقصدان به ضرًّا ولا زال على سيره حتى ظهر الشفق وبدأ نور النهار بالجلاء وحينئذ افتقد الشيخ وزوجته ُ فلم ير لهما اثرًا وقد اختفيا بغتة ولم يشاهد امامه ُ الا صحراء واسعة وجبال مرتفعة ووحش تزئر وحيات تنفث وغربان تنعق

وعند ما رأى ماهان نفسه ُ على هذه الحالة عاد اليهِ الخوف بأكثر من الاول ووقع الى الارض مغمياً عليه وبعد ساعة رجع اليهِ وعيهِ وهو يكاد يجن من عظم الاخطار المخيفة ولكن لما كان من طبع الانسان المحافظة على حياته والاجتهاد بحفظ سلامتهِ بمنتهى قواه ُ لم يرَ وسيلة الاَّ السير والتفتيش على الطريق العام عله يهتدي اليه ويتخلص من برية التيهان لانه ُ لو بقي في مكانهِ سنة لما استفاد فائدة لا سيما وان المخاطر محدقة به من كل جهة واحدة . الجوع والعطش وقلة النوم والتعب والخوف وقد اضطر لشدة الجوع ان يأكل من نبات الارض ما يراه ُ طرياً وصالحاً للاكل ولكن لعدم وجود ماء يروي به ظمأه ُ اصق لسانه ُ بحلقه وكان يسأل الله ان يهديه الى الصواب ويخلصه ُ من هذا العذاب ويفرج عنه ُ تلك المخاطر ويحفظ حياته من الضواري والوحوش المفترسة

وبعد ان بقي برهة على هذه الحالة رأى نفسه ُ باضطرار للنوم ولو قليلاً ليقدر على الثبات في مقاومة ما يتهدده ُ من الاتعاب والاخطار فانسحب الى مغارة هناك ونام فيها قليلاً بعد ان تقلب وتفكر اكثر من ساعتين . ثم نهض ايضاً والخوف نصب عينيه فخرج من المغارة وكانت الشمس شديدة الحرارة فغطى رأسه بطرف ثوبه واستلم الصحراء وبدأ في السير والتطواف بهمة ونشاط وصلاة لا تنقطع وطلبات متواصلة ولا زال على ذلك حتى المساء فلم يتوفق لايجاد طريق الخلاص فخطر له ان يقتل نفسه ُ ويتخلص من هذا العذاب الاليم لكن حب الحياة منعه ُ فوقف يفكر كيف يصرف تلك الليلة واين يتخبأ وماذا يفعل وفيما هو على مثل ذلك سمع صوت وقع اقدام جوادٍ فكاد يذهب عقله من راسه واخذ في ان يرتجف قائلاً في نفسه هوذا مصاب جديد يدنو مني والتفت الى جهة الصوت فرأى فارساً يتقدم اليه وهو يقود جوادًا اخر في يده فلما وصل اليه صاح فيه اى خبيث محتال لماذا انت تمشي في هذه النواحي وما هو شغلك

في وقت الليل في هذه الارض · لقد اتيت هذا المكان لتنظر عالم الجن وتطلع على احوالهم فاذا كنت لا تتكلم الصحيح لاخلاص لك من يدي · فاضطرب ماهان من كلام الفارس وخاف منهُ ثم قال لهُ العفو يا اخي اكراماً لله اقتلني وارحني من العذاب الواقع فيه فاني انا كدت اقتل نفسي مراراً ولم اجسر على ذلك · فاظهر الفارس الحيرة من كلامهِ وقال له ما معنى هذا الكلام هل اتيت بين الجان بالرغم عنك ولماذا انت كاره في الحياة

فقال ماهان نعم ان الدهر الغدار قد اوصلني الى هذه الديار ولم اجد لي معيناً او مساعداً ولا رأيت انيساً او مخلصاً يخلصني من حالتي الحاضرة وانا نفسي لا اعرف من الذي اوصلني الى هذه الصحراء وما هي هذه الارض التي ارعبتني واخافتني كثيراً · ثم حكى لهُ السببَ واعاد عليهِ القصة من اولها الى آخرها منذ كان في الحديقة الى تلك الساعة فتعجب الفارس وقال له اشكر الله على خلاصك فان الشيخ والعجوز اللذين صادفتهما في ليل الامس هما من الغولة واتعجب كيف ابقيا عليك وربما كان بفكرهما ان ياتيا بك الى محل اقامتهما ويا كلاك لكن ادركهما الشفق ونور النهار فخافا واختفيا · لان النور يخيف الغيلان ولو لم يدركهما النهار لاتيابك مكانهما وقطعاك قطعاً فاشكر الله الذي لم يصلا الى مكانهما وادركهما النهار فهربا والآن سر خلفي ولا تخف فاني اخلصك من عذابك ثم قبض على يد ماهان ورفعهُ الى ظهر الجواد وسارا يضربان في تلك الصحراء تحت ظلام الليل

وكان ماهان قد تسلى على نوع ما ولكنهُ لم يكن مطمئناً للغاية لانهُ وان كان يعلم انه تخلص في الليلة الماضية من مصاب عظيم فقد وقع في مصاب اعظم لكن ما الوسيلة وماذا يقدر ان يعمل غير الاتكال على الله والتسليم لارادته واندفع يجري وراء الفارس · وكان الفارس ينظر اليهِ المرة بعد الثانية ويقويه ويطمنهُ ويقول له لا تخف فقد تخلصت من العذاب فلا تغفل عن ذكر الله · فقطعا الجبال على هذه الصفة وطافا في السهل وكان النسيم لطيفاً وبينما كان الفارس يسلي ماهان ويشدد عزائمهُ سمع ماهان صوت طنبور وغناء · ثم عقب ذلك صوت ينادي قائلاً (خرج من هذه الجهة · الى هنا تعال · لا تذهب الى هناك) وتبع ذلك اصوات كثيرة فدقق ماهان النظر واذا بهِ يرى في تلك

الصحراء الكبيرة نحو الف او الف وخمسمائة من الغيلان قد تجمعوا الى بعضهم البعض وكل واحدٍ يضاهي العفريت قباحة ومنظرًا وهم في هرج ومرج كان يوم القيامة قد قام بينهم فاضطرب ماهان وخاف كثيرًا وكاد يغيب عن صوابهِ ووصلت روحهُ الى حد شفتيهِ . ثم لاحت منهُ التفاتة الى بعيد فرأى ايضًا نحوًا من الفي عفريت بالمشاعل وهم سود الوجوه قباح المناظر يترنمون و يغنون باصوات كريهة جدًا وقد وضع الواحد منهم يديه بيد الآخر وهم يرقصون و يلعبون . ثم رأى عفريتين من العفاريت الاوائل قد خرجا من بين فرقتهما وخفا لاستقبال هؤلاء . ولم يكن الاَّ القليل حتى اختلط الفرقتان بعضهما ببعض ودار بينهما الرقص والنط واللعب . وحالما رأى ماهان هذه الحال شعر بان الجواد من تحته قد بدأ بالرقص فتعجب وقال ماذا جرى للجواد واذا به يرى النار تقذف من فمه وقد تغيرت هيئته وصارت كهيئة العفريت فزاد عليهِ الوهم والخوف حتى غاب عن هداهُ فوقع الى الارض مغميًا عليهِ وكان قد تيقن قرب الاجل وبقي في غيبوبتهِ الى نصف اليوم الثاني فانتبه من نفسهِ فلم يرَ احدًا في تلك الصحراء وما زال تائهًا حتى عثر على طريق ففرح واستصوب السير فيهِ فتطرقهُ وسار على بركة الله . وقد كان الطريق المذكور صعب المسلك كثير الصعوبات الاَّ ان الخوف هوَّن لديهِ كل صعب فلم يتوقف عن السير ولا تردد فيهِ بل بقي يتقدم حتى قرب المساء وحينئذٍ لاح لهُ شجرة كبيرة امامهُ فقصدها ولما دنا منها رأى تحتها عين ماء فطار من الفرح فجلس وشرب قليلاً وبعد ان اخذ روعهُ وارتاح قليلاً شكر الله وطلب اليهِ قائلاً الهي ارحم عبدك لان لاقدرة لي على تحمل هذه المشاق الهي انت حاضر وناظر لارجاء بغيرك ولا مساعد الاك العفو يا الهي من اين جاءتني هذه المشقة وهذا العذاب فاهدني الى ما بهِ خيري وخلصني من الخطر يا رحيم يا رحمان يا واسع الملك يا سلطان وكان يتكلم والدموع تسيل من عينيهِ كالسواقي . وبعد ان صرف نحوًا من ساعة على الاستغاثة والبكاء عاد فتناول جرعة ثانية من الماء وغاص بالتفكرات وقد خطر على بالهِ بلادهُ فتقطع قلبهُ قطعًا قطعًا لانهُ كان عائشًا بالراحة عند اهلهِ والحظ والانشراح مع رفاقهِ لا يعرف قط كيف يكون الهم ولا من اين يأتي الغم بل دائمًا على الهناء والسرور وبقي ايضًا مدة وهو يتذكر سابق ايامهِ ويأتي على باله كل ما هو عزيز ومحبوب فتتدحرج الدموع من عينيه فيعود

الى البكاء ويذم الدهر واعماله ثم يعود الى الاستغاثة بالله والاتكال عليه

وبعد كل ذلك قال في نفسه ان قمت انا الآن لاذهب عدت الى البلاء والعذاب واذا لم اذهب فلا خلاص لي من المشاق والمخاطر فكيف العمل ثم خطر لهُ ان ينزوي الى مكان خفي ينام فيه تلك الليلة الى ان يشرق الصباح فنهض من مكانه واخذ يبحث عن مكان ينام فيه في تلك الجهة فتبين مغارة قريبة فدخلها ولبث فيها نحواً من ساعتين ينتظر مصاباً جديداً فلم يصادف شيئاً فشكر الله على ذلك . ولما ارتاح بالهُ على نوع ما القى رأسهُ الى الارض فنام فعاودته الاحلام المخيفة فاستيقظ مرعوباً وجلس خائفاً وكانت عيناهُ قد ورمتا من شدة البكاء وسكب الدموع فعاد الى التأوه والانين وزاد عليه الضجر والملل وعادت اليه ذكرى اهله وابيه فعظم الامر عليه وقال في نفسه ماذا يا ترى يكون جرى على ابي هل يبقى حياً اذا افتقدني ولم يرني وانتظرني ولم اعد اليه اواه واحسرتاه عليك ايها الاب المسكين لا ريب انك تموت او تقاسي عذاب الفراق والحسرة علي بعدي وهذا اشد وقعاً من الموت

اواه من فعل الزمان وما اتا ... هُ من المصائب والبلايا والمحن

فطر القلوب من الفراق وكسي الجسو ... م شعار اثقال وقد اوهى البدن

اواه اين هي راحة الانسان في هذه الدنيا بالحقيقة لا يوجد راحة وكل من قال انه مرتاح فهو كذاب فلا تضحك الدنيا يوماً الا وتبكي سنة وقد يمكن ان توجد الراحة في البدو والعالم المتوحش هكذا نظن لكن من يعلم نعم انهم لا يفكرون بشيء ولا يعرفون شيئاً ولكنهم ذوي احساس مثلنا يشعرون بالالم والوجع كنت قبل الآن عائشاً بنعمة وراحة لا افكر بأمر الا بالحظ والعمل بالراحة ومن اين يرضى الزمان لي هذه الحال وهو ابو المصائب

وعلى هذه الصورة جلس في زاوية المغارة يفكر بماضيه ويناجي نفسه ويسأل ربه المساعدة والخلاص من هذا الضيق الواقع فيه وفيما هو كذلك لاح له بصيص نور في الزاوية الثانية من المغارة كانه سراج الليل ومع ان هامان كان في حالة مخيفة وارتباك واضطراب وقد مرَّ عليه من المخاوف ما جعله ان يخاف من تحريك ورق الشجر لكنه في هذه المرة لم يبق مستكناً في مكانه بل حمله الطمع والفضول على

ان ينهض من مكانه و يتقدم شيئًا فشيئًا الى جهة النور ولما دنا منه وجد ثقبًا في الارض يخرج منه النور فتعجب من خروج النور من ثقوب الارض ومد اصبعه في الثقب فوسعه فرأى النور قد زاد بقدر اتساع الثقب

وحينئذ اخذ حجرًا وجعل يوسعه حتى اصبح في درجة يمكن للانسان الدخول منها واذا به يرى سلمًا عريضًا ينحدر الى اسفل فرجع الى الوراء واخذ في التفكر قائلًا في نفسه ماذا اعمل ابقى هنا او انزل الى اسفل لا اعرف في اي مكان تأتيني المصيبة فاذا بقيت هنا ربما ياتى احد الغيلان المخيفة فيزيد رعبي وخوفي او ربما يأتي بلاء آخر واذا نزلت الى اسفل ربما صادفت ايضًا من المخاوف ما لا اعلمه وبعد التفكر قال في نفسه الاحسن ان انزل وارى ما يوجد اسفل ومهما وجد فاني اظن انه لا يوجد من العالم المخيف الذي اصادفه في الصحراء فتحت الارض اكثر اطمئنانًا من فوق الارض . ثم اخذ في النزول على السلم بتمهل وتأنٍ وامعانٍ وبعد ان نزل نحو عشر او خمس عشرة درجة رأى حائطًا عاليًا جدًا وفيه بابًا كبيرًا جدًا. فنظر ما داخل الباب فرأى الجهات مضيئة منيرة كالنهار فوقف مبهوتًا متحيرًا وقد خاف ان يدخل فيصادف ما يخيفه ولكن الروائح العطرية المنبعثة من الداخل دفعته الى الدخول بالرغم عن مخاوفه وكان الباب مفتوحًا فوجد في الداخل حديقة زاهرة كبيرة جدًا لا يعرف لها اولاً من آخر وارضها مفروشة بالازهار البديعة الالوان القوية الرائحة والاشجار قائمة صفًا صفًا من تفاح واجاس ورمان ونحوها والاثمار مدلاة عليها كل واحدة قدر البطيخة وقد نضجت حتى طاب اكلها وهي اي الاثمار تنير على الاغصان كالنور لحسن نضجها وصفاء لونها والماء يتجدول بين تلك الاشجار بترتيب وصنعة غريبة وقد جعل حول جداول الماء طريق من الحصا الابيض بلون الفضة ثم تقدم فرأى في وسط الحديقة فسحة مفروشة بانواع المفروشات والبسط وقد نصب فيها سرير من الصندل . ومع كل ذلك لم ير في تلك النواحي روحًا تدب فتعجب من ذلك وبقي برهة يتأمل في الحديقة وما يراهُ فيها من اسباب النعيم والراحة وكيف هي خالية من السكان واخذ ينتقل من جهة الى ثانية ومن مكان

الى آخر ولما لم ير احداً تاقت نفسه لاقتطاف بعض الاثمار والتقوت بها فمد يده وتناول واحدة منها فاكلها ثم مد يده وتناول غيرها وبينما هو يقتطف ويأكل سمع صوتاً وصياحاً اللص اللص امسكوه فنظر الى جهة الصوت واذا برجل شيخ على كتفه عامود من الخشب قد انقض عليه . فاحتار ماهان واندهش من عمل الشيخ وقال في نفسه هذا مصاب جديد قد وقعت فيه وتدارى خلف شجرة ليحافظ على حياته من صولة الشيخ وصار يعاتب الدهر قائلا اواه منك ايها الدهر الغدار الظالم ان الانسان لا يتناول نقطة ماء صافٍ ما لم تجرعه الوف نقاط من السم في مقابلها . اواه ايها الزمان الجائر ماذا اعمل لاتخلص والى اين اهرب لافلت من يديك . لا قيت ما لاقيت من العذاب وانت ساكت عني ولما وصلت الى محل الراحة والسكينة واشتهت نفسي واحدة من هذه الفاكهة الشهية لم تصبر عليّ لاتمم اكلها حتى فاجئتني بغدرك قبل ان تستقر في جوفي . ولم يكن الا القليل حتى وصل الشيخ منه وقال له ويك ايها الخبيث كيف اتيت الى هنا في مثل هذا الوقت المظلم هل قادتك المنية بيديها لكي تخرب لي حديقتي ولي عشرات من السنين وانا اعمل فيها فهل يمكن لك الخلاص من يدي ومن في الدنيا يقوى على ذلك فاخذ ماهان في ان يقبل ايادي الرجل ويتوسل اليه وقال له العفو يا والدي تمهل واسمع مني شرح حالي لتعرف ان كنت لصاً ام لا وبعده افعل ما انت فاعل اذا لم تحب ان تعذرني

فلما سمع الشيخ كلام ماهان دقق النظر في وجهه متعجباً ثم رمى العمود الى الارض واسند نفسه على الشجرة وقال له اخبرني اذاً بواقعة حالك ومن انت وكيف اتيت هذا المكان

واذ ذاك اخذ ماهان في شرح حالته للشيخ فقال له آكد يا ابي اني عجزت من عناد الدهر حتى صرت اتمنى الموت لاتخلص من عذابي الحالي ولكن اين الموت وهو يهرب من وجهي . فانا ابن رجل من تجار مصر الاغنياء وقد صرفت وقتاً جميلاً براحة ومسرة في بيت ابي وبينما كنت غارقاً ببحر الهناء والملذات مع بعض اصدقائي واحبابي حسدني الدهر واستصوب انزالي من سماء الهناء الى

جهنم العناء · ففي البداية سخر احد الجن فظهر لي بهيئة شريك لي فغشني فاخرجني بالحيلة من بلدي ومكان راحتي فوقعت في ارض مخيفة لاقيت فيها عذاب الهون ولم يكتفِ بكل ذلك بل قاد لي ايضاً شيخاً وزوجته العجوز فتظاهرا بالغيرة عليَّ فطافا بي الصحراء الليل بطوله وهما يقودانني الى الهلاك ومع ذلك فان عملهما معي يحسب رحمة بالنسبة لما صادفته بعد ذلك فان فارساً اتاني وزعم انه عامل على خلاصي وهنأني بخلاصي من العجوز والشيخ لانهما من الغيلان واركبني جواداً وقد ظهر لي انه اكبر عدو لي فقد قادني بين الوف من الجن والعفاريت او الغيلان لا اعلم وكلهم قباح المنظر لا يمكن الانسان ان ينظر الواحد منهم بدون خوف وفزع والحاصل تخلصت من هؤلاء ايضاً وانا في غاية الجوع والعطش فقادني الدهر الى هذه الجنينة واراني الاثمار الشهية من كل انواعها فتحركت بي شهوة النفس واشتد بي الجوع ولما مددت يدي وقطفت واحدة منها دفعك اليَّ فتوهمت اني لص اتيت لاخرب لك الحديقة مع اني لولا الجوع وشدته لما تجاسرت لمد يدي قط فهاك قصتي فاحكم بيني وبين زماني وكن راحماً يرحمك الله

فاظهر الشيخ تأثره من كلام ماهان ومما جرى عليه وتأسف على حالته حتى سال الدمع من عينيه حزناً عليه · فقال له يا للعجائب هل كل ما اخبرتني به هو صحيح وهل يدخل العقل ان مثل هذه المصائب تقع على رأس الانسان واني اتعجب منك كيف قدرت ان تثبت في وجه هذه المخاوف والشدائد واهنئك الآن بالخلاص لان رأس مال المصائب السلامة فما دمت سالماً فالذي مرَّ عليك كانه ما كان فلا تتكدر يا ولدي ولا تحزن · فاقبلني لك في مكان الاب واني اترك لك املاكي واموالي وموجوداتي الغزيرة اذ لا ولد ذكر لي ولي خمسين سنة وانا اعتني بهذه الحديقة واخدمها بنفسي حتى اصبحت عندي بمقام عزيز عليَّ جداً وبالحقيقة اني افضلها على نور عيني لكثرة اعتنائي بها وحبي لها والآن ان كنت تقبل ان تكون بمثابة ولدٍ لي انذر اليك بجميع اموالي وازوجك فتاة جميلة وحسناء جداً وتعيش معي بهناء وراحة لم ترَ مثلها عمرك

بطوله فتنسى وطنك وبيت ابيك

فابدى ماهان الفرح عند سماعه هذه البشارة من فم الشيخ فعاد الى تقبيل يديه ثانياً وقال له العفو يا سيدي انا عبد لك وليس من حدي ان اكون ابناً لك لان حظي الاسود لا يؤهلني لقبول مثل هذه النعمة التي لا تليق بي ولست اهلاً لها ومن اين للزمان ان يساعدني على هذا الحظ ان ذلك لمن اعجب العجب

فاجاب الشيخ كلاً يا ولدي فما هذا الكلام الذي تتكلمه فلا تقطع آمالك من مساعدة الايام فان فرحاً بدون كدر لا يصير وراحة بدون محنة لا تقع وهذا امر ظاهر ان الراحة والسكينة يعقبهما العذاب والمشقة ومتى انسحب العذاب والمشقة حل في محلهما الراحة والسعادة ومن المقرر ان الراحة بعد المشقة تكون لذيذة وحلوة والمحنة التي بعد الراحة تكون صعبة جداً ولاجل ذلك فبعد ان انقضت محنتك واوقات عذابك وصلت الى ميدان الراحة والسعادة فلا تندم فقط عليك ان تصغي لي ولا تخالفني . فاكثر ماهان من الدعاء للشيخ والثناء عليه وقال له كيف لا اصغي اليك واسمع كلامك مع انك تنازلت الى حد ان قبلتني عندك واهتممت بي وصممت على مساعدتي فماذا اريد من الله غير ذلك وحينئذ اخذ الشيخ ماهان من يده وقبله في جبينه وعاهده في ان يكون له اباً ومساعداً وحنوناً وكذلك عاهده الآخر بان يكون له ابناً طائعاً محباً وعلى ذلك اصبح كل منهما ينظر الى الآخر نظر الحب والامتنان وقد سر ماهان مما اوصل الزمان اليه وقال في نفسه اني اقيم الآن عند هذا الشيخ واتخلص من كل عذاب وعناء واتخذه اباً لي ومعيناً في حياتي الى ان يقضي الله امراً كان مقدوراً

ومن ثم قال الشيخ لماهان انت تعلم يا ولدي ان هذا المكان هو بعيد عن العمران وهو مكان الغولة والعفاريت ولاجل ذلك انشأت هذه الحديقة تحت الارض ومع ذلك فاني لست اميناً على نفسي في وقت الليل فاني اذهب كل ليلة الى بيتي . واتي الصباح فاذا شئت اذهب معي الى بيتي واذا كنت ترغب في ان تبقى هنا فادلك على مكان محصون مخفي عن العيون تبات فيه الى الصباح وفي الصباح نذهب سوية الى البيت فاريك اموالي وجواهري واسلمك الجميع

واستريح انا من العمل .

فاطرق ماهان متفكرًا عند سماعه كلام الشيخ وقد قال في نفسه من يعلم اذا كان الشيخ صادقًا في كلامه ام لا فلربما اذا ذهبت معه الى البيت اقع هنالك ببلاء عظيم الم يكن الرجل الذي صادفني في الامس اظهر لي من الغيرة والاهتمام ما اكد لي انه سيخلصني ثم اتضح لي انه غول وقادني الى البلاء وسحبني الى داخلية الصحراء عوضًا ان يخلصني وربما لولا بزوغ الصباح لكان اهلكني فالاوفق ان ابقى هنا هذه الليلة فانام مستريحًا الى الصباح وفي الصباح اعرف ان كان الشيخ صادقًا ام كاذبًا وهل هو انسي ام جني . واخيرًا قال للشيخ ارجوك يا سيدي ان تسمح لي ان ابقى هذه الليلة في هذا المكان لان ما لاقيته في الامس من الاتعاب وصافته من المصائب انهك جسمي فارغب اذا سمحت لي ان استريح في هذ المكان وفي الغد نذهب الى حيث امرت

فحينئذ قبض الشيخ على يد ماهان وقال له ان كان كذلك فهلمَّ لا ريك المكان الذي تنام فيه فتكون مستريحًا في هذا الليلة . ثم سحبه الى شجرة صندل عند حوض الحديقة وأراه سلمًا من الجلد معلقًا فيها وقال له اصعد ياولدي الى الاعلى وهناك ترى على قاعدة الاغصان محلاً مصنوعًا من الخشب على شكل تخت وهناك ايضًا سفرة من الطعام عليها من الاطعمة الوانًا فيمكنك اذا جعت ان تأكل ماتشتهي نفسك منها وهناك سرير للنوم . فقط انصح لك ياولدي فاصغ لي وان كان هذا المكان خال من السكان لكن ربما يأتي اليه احد من الغيلان او العالم الوحشي فهذا المخبا احفظ مكان يمكنك ان تختفي فيه عن العيون فابق فيه الى الصباح واذا نزلت قبل الصباح ربما صادفت مصابًا جديدًا وأكرر لك النصيحة فحذار من النزول مهما صادفت من الغرور والخزعبلات والامور التي تتوق اليها نفسك والا فلومك على نفسك

واذ ذاك اندهش ماهان من كلام الشيخ وصار يردد في نفسه ان كان كما يقول عن وجود خوف في هذا المكان فالاوفق ان اذهب الى بيته لكن لا

(تم الجزء السادس و يليه الجزء السابع ان شاء الله)

الجزء السابع

﴿ من قصة بهرام شاه ابن ازدشير شاه ﴾

لا اذهب فانهُ يغشني ويخيفني لاذهب معهُ الى البيت الم اتعلم من كل ماوقع على رأسي من المصائب والتجارب والذي اراه ان هذا الشيخ اكبر مصيبةلي وأعظم بلية لانهُ يقول لي هلمَّ معي الي البيت في مثل هذا الوقت وتحت هذا الظلام فكيف يمكن لي ان اسير معه في الصحراء لا ريب انه يقصد بي شرًّا ثم قال للشيخ اني حسب امرك سانام في الشجرة ولا انزل الى الاسفل · وفي الحال تسلق السلم وصعد الى اعلى الشجرة

اما الشيخ فانه ترك ماهان وذهب وبقي ماهان خافق القلب ينظر من الشجرة الى جهات الجنينة الاربع بخوف وقلق وهو يدعو الله ان يصونه تلك الليلة من وقوع مصيبة جديدة لانه لم يعد قادرًا على احتمال المصائب والشدائد وفيما هو على مثل ذلك يرجو رحمة الله والتفاته ويسأله الاغاثة والمعونة رأى نحوًا من خمسين ستين مشعلاً مقبلة من اطراف الجنينة ولما صارت على قرب منه رأى مقدار ثلاثين فتاة على جانب من الحسن والجمال والبهاء والكمال وفي وسطهن صبية تتمايل كغصن البان وقد لبست ثياب الحسن والجمال بما ميزها عن الجميع ورفعها عنهن في كل شيء · فلما راهن ماهان خفق قلبه وقال في نفسه ها قد دنت مني مصيبة جديدة ما هذا البخت وهذا الطالع المنحوس لا تمر عليَّ ليلة براحة · ولكنه عاد فغالط نفسه وقال كلا ان هذه ليست مصيبة كما اتوهم بل ان الله سبحانه وتعالى قد استجاب دعائي وسمع صوت استغاثتي فاراد ان يخلصني من محني الماضية ويظهر لي غزير رحمته واحسانه · اني ارى هذه الفتاة جميلة جدًّا لم ارَ مثلها زماني بطوله لقد مال قلبي اليها اواه ياليت هذه الصبية تدعوني اليها فاصرف هذا الليل معها على الحظ والهنا واتسلى بالتمتع بجمالها ووصالها (هذه حالة الانسان فهو ظالم لنفسه جهول قليل العقل لا يتخلص من البلايا والعذاب

بل لا يزال محاطًا بها من كل ناحية يفكر بالفسق والزنا ولم يخطر له ان ربما تكون هذه الصبية واحدة من البلايا المتراكمة عليه المتسابقة اليه) . ولما قرب الفتيات من الحوض نصبن عنده سريرًا مذخرفًا جميلاً فدنت الصبية الحسناء وجلست عليه ووقف باقي البنات حواليها صفاً صفاً للخدمة . ثم ان الصبية اشارت فاحضرت سفرة من الطعام الكثير الالوان داخل اطباق من الذهب المرصع بالحجارة الكريمة فنهضت من مكانها وهي تتمايل بدل وخفر وجلست على الطعام وشغلت في الاكل

وكان ماهان ينظر اليها بكمال الدقة والامعان فتاه عقله وكاد يغمى عليه من مفاعيل الغرام وتاثير الجمال . وحيث انه كان قريبًا من مجلس الصبية اخذ في ان يتفرج عليها جيدًا ويشاهد كل معنى فيها وكان يلوح في خاطره ان هذه الصبية هي بنت الشيخ وهولاء البنات هنَّ خدمها ومن عادتهن ان ياتين في الليل الى هذه الحديقة للتسلي والحظ والانشراح . ثم تأوه وقال آه كم هي جميلة كم هي بديعة وحسناء اني اكاد اقع مغمياً عليَّ ما هذا التاثير العجيب اواه ما هذه الشفاف العنابية ما هذه الحواجب والعيون السوداء وما هذا العنق اليقق البلوري اني لم ارَ مثلها زماني بطوله فهل يا ترى اقدر ان انال منها ما اشتهيه. واتمتع بهذا الجمال الباهر . ان كانت بنت الشيخ صاحب هذا المكان فهي نصيبي لا محالة لانه وعدني انه يزوجني بفتاة حسناء ويتخذني كولده . وبقيت هذه الافكار تقوى عليه وتتلاعب به وعيناه لا تفارق الصبية

ثم ان الصبية بعد ان فرغت من الطعام نهضت ومالت يمينًا وشمالاً ومشت الى السرير وهي تهز خصرها تارة وتحرك ردفها اخرى وتلاعب عنقها آونة وتذبل عينيها أُخرى. وما استقر بها الجلوس حتى استوى كل جماعات البنات حولها واخذت كل واحدة منهنَّ آلة طرب واخذن في الضرب عليها والغناء باصوات فردوسية ودارت عليهن احدى الفتيات بكاسات الخمر وقد رقص ذاك المكان على نغمات الطرب والحان المغنيات . ولما مضى نحو من نصف ساعة عليهنَّ وهنَّ على تلك الحال رفعت الصبية نظرها الى فوق فرأَت ماهان محدقًا بهن يتفرج

عليهن فارسلت في الحال واحدة من اتباعها وامرتها ان تدعوه للاشتراك معهن على مائدة الحظ والانشراح

فتقدمت الفتاة بقدمائس الى تحت الشجرة وخاطبت ما هان بلسان عذب وغنج سالب ودعته للنزول والجلوس بينهن والاستئناس بهن فانجذب قلبه برقتها ودلالها واراد النزول في الحال ولكن طرأ على فكره قول الشيخ له احذار من النزول الى اسفل والاَّ جلبت على نفسك بلاء عظيماً ولذلك تردد في النزول واخذ يفتكر فيما يجيب وقد راهن على اتم صفاء وانس وما من داعٍ للحذر . ولما راته الفتاة على ما هو عليه من الارتياب قالت له لما هذا التردد والجفاء فان سيدتنا قد امرتني باحضارك اليها ليتم حظها بك لاننا جميعنا بنات ابكار وليس بيننا رجل وهي تحب الغرباء وتكرمهن كثيرًا وانت لا ريب غريب عن هذه الديار فلا تحرم نفسك من ساعات حظ لم ترَ مثلها زمانك بطوله وقد ساقك الزمان الينا من حسن حظك وارتفاع نجم سعدك والدليل ان سيدتنا ما دعتك الاَّ وقد مالت اليك واحبتك من اول نظرة ولقيت في قلبها موقعاً حسناً مع ان كثيرًا من الملوك وابناء الملوك يتمنون ان يحصلوا على نظرة منها او كلمة رضا من فيها . وما انتهت الفتاة من كلامها حتى هبط ما هان من اعلى الشجرة الى اسفلها وسار بفرح لا يوصف الى جهة المجلس فنهض البنات جميعهن لاستقباله والترحب به وقد حملنه على ايديهن واتين به الى سيدتهن فتلقته بالبشر والترحيب واجلسته الى جانبها وشغلت بمصاحبته وملاعبته

فنسى ما هان نفسه وما كان فيه من العذاب وغرق في بحر الانس والصفا ولم يعد يعلم ما في الدنيا خربت او عمرت وهل الزمان يحاربه ام يسالمه وهل هو تحت خطر ام تخلص من الاخطار ولم يعد همه الاَّ النظر في وجه الصبية والتمتع بمداعبتها وقد تحرك عليه فاعل الشبوبية فنضب ماء الحياة من وجهه فاكثر من التطاول وقد لف يديه على عنقها فقبلها وكان يخطر له انها ربما تمانع او تدافع او تغضب فلم تبد الاَّ السرور والرضا فقال في نفسه انها ولا ريب غريقة حبي قتيلة غرامي ولما رأى منها الطوع والانقياد وعدم الممانعة هاجت به الشهوة

وحب الفسق فسألها السماح بالوصل فاسرعت الى الاجابة ونامت في الحال على السرير الجالسة عليه غير مختشية من وجود البنات فزاد ميل ماهان فلم يتأخر ولا تهامل . وقد اعاد الكرة ثلاث اربع مرات وهي لديه اطوع من بنانه وفي كل مرة ينهض والصبية فيجلسان اما على سفرة الطعام واما على سفرة المدام ويطوف بهما البنات للخدمة وتلقي الاوامر وقد غابت عن خاطر ماهان الدنيا وما فيها وحسب ذلك من نعم الزمان واحساناته عليه فاكثر من الطعام ومن مناولة المدام وافرط في الجماع وسلوك الغابات والبقاع . ولم يعد يفكر ماذا يجري عليه في الصباح وما سيكون له في اليوم الثاني فكانت الصبية كثيرًا ماتنهض بادية ضروب الخلاعة والدلال فتسقيه المدام من يدها ثم تجلس على ركبته فتداعبه وتلاعبه وتمسح خديها وعنقها على شفتيه فيكثر من التقبيل والعناق حتى تتحرك به الساكنات فيأتي العمل بغير مهل كل هذا والبنات يغنين ويطربن على الآلات ويهيجن منه الاشواق وقد صرف الليل على مثل هذه الحال بين نغمات وكاسات ونيل وصال

وبقي ماهان يتسلى مع الصبية على مثل ما تقدم الى ان قرب وقت البزوغ وتبين ان الصباح صار قريبًا فشعر بنوع من الغم لعلمه بقرب رجوع الشيخ ومع ذلك اراد ان يتودع من الصبية قبل الانفصال فقبض عليها من خصرها وجلسا على الطعام فاكلا حتى اكتفيا ثم عادا الى الشرب واللعب وسولت لماهان نفسه ايضًا ان يعود ايضًا الى الالتصاق بصدرها وختم ليله بختم شهوته فمد يديه اليها فنامت فعلاها وكان شفق الصبح قد ظهر بالافق وفيما هو مشغول بعمله رأى نفسه راكعًا بين رجلي عفريت كريه المنظر قبيح الخليقة هائل مخيف لا يجسر الانسان مهما كان شجاعًا على ان يرفع نظره الى وجهه كانه خرج من جهنم في تلك الساعة

ولما رأى ماهان هذه الحال خاف جدًّا واحتار ماذا يعمل وقد جمد في مكانه ولم يعد من الخوف قادرًا على التحرك . اما العفريت فقال له ماذا جرى لك يا حياتي لماذا هذا الخوف اين ذهبت محبتك الم تكن انت الذي كنت

تقبل وجهي برغبة واشتياق . الم تكن انت الذي كنت تواصلني بوجد وهيام وكنت تارة تمص شفتيَّ وتلحس خديَّ وتارة تطوق عنقي بيديك وتضمني بحرقة زائدة الى صدرك اليس من العار عليك ان تفتر محبتك ورغبتك في وصالي مع اني نفس الصبية الجميلة التي رأيتها ونفس المحبوبة التي احببتها فما انت مندهش الآن

فلم يقوَ ماهان على الجواب ولكنه رفع عينيه الى السماء وقال العفو يا ربي ما هذه الاحوال وكيف هذا الامر الا يمكن لك ان تخلصني من جور وظلم الدهر الغدار الى متى تجلب لي هذه البلايا والمصائب والى متى ابقى هكذا مقهورًا ومحزونًا الم تفرغ الم تنته الم يكف كل ما لحق بي من العذاب كيف تطيق نفسي الصبر وكيف يمكن قلبي التحمل . ليتني ما اتيت هذه الدنيا ولا رأيت من دهري المحنة والجفا آوه ماذا اعمل وكيف الخلاص . ثم تعاظم عليه الحال وكبر الامر فوقع الى الارض مغميًا عليه

وبعد ان بقي مقدار ساعة غائبًا عن الصواب مطروحًا على الحضيض عاد اليه وعيه وانتبه الى نفسه والتفت الى ما حواليه فاندهش واضطرب زيادة عن الاول لانه رأى نفسه كمن قد خرج من الجنة الى الجحيم وقد حرم من الانس والصفا ماذا رأى يا ترى رأى ان تلك الحديقة التي كانت عامرة بالاشجار والازهار عبارة عن غاب من الاشواك وتلك المفروشات التي كانوا جالسين عليها عبارة عن قطع اخشاب قذرة مكسرة وتلك الآلات التي كانوا يضربون عليها قطع من عظام الحيوانات وكذلك ظهر له ان تلك الاطعمة الشهية الكثيرة الالوان كانت من النجاسة والاقذار فلما رأى ماهان ذلك اضطرب اضطرابًا عظيمًا واخذ في التقيء واستفراغ ما اكله وبعد ان صرف نحوًا من ساعة في قيء واستفراغ تضجر من عمره وكره في الحياة ولم يقف به الحد الا عند البكاء واسكاب الدموع بكثرة واخيرًا لم يرَ وسيلة الا اعادة الشكوى لله والعتاب على الزمان الذي حط بكليته عليه

والحاصل قد صرف ماهان عدة ساعات بين تأسف وعتاب وشكوى والتماس حتى هان عليه الامر وعرف انه ما عاد يفيد الا السعي والجري فنهض يركض

وهو يفتش ويطوف البراري والقفار مفتشاً على الطريق والاهتداء اليه وهو كلما جال في خاطره ما مر عليه في الليلة الماضية تطبق الدنيا على رأسه ويصيح كالمجنون ما هذا الذي وقع عليّ لقد رأيت الصبية فاذا هي جميلة ولمستها فاذا هي ناعمة البدن طرية الجنبين وواصلتها فاذا هي نهاية في اللذة والغنج والحركة ثم رأيتها وقد دخلت في هيئة عجيبة غريبة مخيفة شيطانية وتلك الحديقة التي جلت فيها وشاهدت اشجارها وازهارها واكلت منها اثماراً لا تنقص عن الجنة في كل امر كيف باقل من لمح البصر اصبحت كجهنم وكيف ان ذاك الطعام الفاخر المتنوع الشهي الذي كنت التهم منه بشوق زائد قد ظهر لي في آخر الامر نجاسة وغائطاً وليس هذا فقط بل كل شيء حسن كنت اسر والتذ به ليلاً اصبح وقت الصباح قبيحاً وكريهاً يا للعجائب من هذه الحال لقد قضى كل هناء باسرع من لمح البصر وعدت اجول واركض في اطراف الصحراء كما كنت في اول يوم

(ومن دقق النظر يرى ان ما وقع لماهان هو طبق ما يقع للناس في الامور الدنيوية وهم لا يشعرون بها فاذا رفع الغشاء عن عيوننا رأينا ان كل الامور التي نميل اليها والاشياء التي نتعشقها ونتيه بها ذات زينة خارجية فقط وملبسة بجلد وهمي فمتى ازيل ظهرانها نجاسة واكثر كراهة من النجاسة فالانسان على الدوام يغش بالظواهر لانسدال حجاب الوهم فوق عينيه فيعجب بما يرى) والحاصل ان ماهان بقي على حاله في تلك الصحراء وهو تارة يفكر وطوراً يحزن ويعظم عليه الامر فيبكي بدموع غزار وتارة يسأل الله الخلاص من الضيق الواقع فيه والعذاب المحيق به

ودام على هذا الوجه يضرب في تلك الصحراء الواسعة الجوانب لا يعلم ماذا يعمل ولا الى اين يذهب وفي اية جهة يسير وهو متيقن ومؤكد انهُ لا بدَّ في المساء من ان يقع في بلية اخرى اذا دام تائهاً لا تمر ليلة بدون مصاب ولم يكن يهتدي الى طريق عام يقدر ان يصل منهُ الى العمران ولما قرب المساء اخذ في ان يرتجف من الخوف وقد قرب وقوع المصيبة وصاح من قلب مقروح ماذا اعمل ها قد دنا المساء وانا اعرف

انهُ لا يمكن لليل ان يمر عليَّ بدون ويل وعذاب وكان لا يغيب عن فكرهِ قط كل ما جرى عليهِ في الليلة الماضية فقد اكل باشتهاء وشرب باطمئنان ثم تبين ان ما اكله وشربه كان من اوساخ المخلوقات المتنوعة وان تلك الفتاة التي ظهرت لعينيهِ بابدع منظر واجمل صورة تبينها على نور النهار فاذا بها عفريت قبيح المنظر كريههُ تنفر من كراهة صورته الوحوش الكاسرة · ولما رأى ان الليل اخذ في ان ينتشر شيئًا فشيئًا على تلك الصحراء جعل يبحث في نفسهِ ماذا يعمل واين يختفي وما هي الطريقة التي تقيهِ من حوادث الليل ومن يقدر ان يخلصهُ من مصابهِ غير الله سبحانهُ وتعالى واخذ في ان يدعو الله ويسألهُ المعونة ويقول الهي ان كنت قد اذنبت اليك فالجزاء الذي لاقيتهُ كافٍ فلم يبقَ لي اقتدار على تحمل الشدائد لقد فرغ صبري ارحمني ارحمني وافرج عني ولا تتركني عرضة للنوائب تتلاعب بي ايدي العفاريت والغيلان · ثم ما فرغ من دعائهِ حتى لاح لهُ تحت الظلام نار تضرم في احدى الجهات فبقي محدقًا بها برهة والظلام يشتد عليهِ حتى كاد يجن من الخوف ومع انهُ رأى من المصائب كثيرًا لم يتمالك نفسهُ من التقدم لجهة النار شيئًا فشيئًا متسترًا هاربًا من سواد الليل وخوفًا من مفاجئة تفاجئهُ ولا يراها · وبقي يتقدم لجهة النار المشبوبة حتى قرب منها فرأى عندها عفريتين سود الالوان بيد كل منهما دقماق · وحالما شعر العفريتان بصوت وقع اقدام ماهان خفا اليهِ · فغاب عقلهُ من رأسهِ وقال لا حول ولا قوة الاَّ بالله ما هذه الامور ارؤيا ام سحر ام انا في معرض القيامة · ان كنت قد تخلصت فيما مضى من البلايا التي وقعت على راسي فلا اظن في هذه المرة التخلص من هذين العفريتين وزاد عليهِ الخوف فلم يعد يعي الاَّ على الاستغاثة والبكاء

ولما رأى العفريتان ماهان في حالة بعيدة عن الصواب قالا لهُ اي ضعيف وحقير لقد اتيت وحدك الم يكن لك رفيق · فرمى ماهان نفسهُ على ارجلهما واخذ في ان يتوسل اليهما ويستغيث بهما وقال لهما كلاَّ لا رفيق لي بل انا وحدي الذي انقلب على جمر الشدائد والاهوال · فقالا لهُ ان كان الامر كذلك فهلمَّ واجلس حتى يأتينا رجل آخر فنقتسمكما فيأكل كل واحد منا واحدًا · فارتجف ماهان من ذلك ووقع عليهِ الرعب والخوف وتيقن بالموت والهلاك وبقي

واقفاً كالاموات فقبض عليه احدهما وساقهُ الى جهــة النار وهو يقول لهُ انك ضعيف للغاية لا تشبع احداً منا فدائماً يأتينا اثنان سمينان فنا كلهما ٠ فلم يقو ماهان على الكلام بل بقي يضطرب مقدار ساعة تقريباً يرثي نفسهُ ويصلي الى ربه ويطلب اليه المساعدة والخلاص والفرج ثم بعد ذلك انتبه الى نفسه فسمع اصوات العفريتين يتخاصمان فنظر اليهما فرأى احدهما قابضاً الآخر باليد الواحدة ويضربهُ بالمطرقة على رأسهِ باليد الثانية وقد سألت الادمية على جسديهما وسمع الواحد منهما يقول للآخر هذا لي ورزقي فانا اكلهُ ولا يمكن ان اطعمك منهُ لقمة ولو قطعت ارباً ارباً فيجيبهُ الآخر كلاً انا ا كلهُ ولا تقدر ان تمد يدك اليهِ او تشاركني فيهِ بقطعة ٠ فقال ماهان في نفسهِ انهما يتخاصمان عليَّ الآن الامل بالله ان يميت بعضهما البعض فيحرما من هذه الاكلة اللذيذة ٠ وبقي ناظراً اليهما وكل واحد يطرق بمطرقتهِ على راس الآخر دون فتور ولا رحمة وداما على ذلك مقدار ساعتين حتى فتحت في راسيهما الفتحات وانفجرت الادمية كالغدران وكلاً وملاً ولم يعودا قادرين على الثبات فغابا عن الوجود ووقعا الى الارض كالموتى

فلما رأى ماهان منهما ذلك كاد يطير من الفرح ولم يضع هــذه الفرصة فنهض من محلهِ وتقدم اليهما فوجدهما يخفقان من التعب والجراح وهما في حالة النزع فاخذ مطرقة احدهما وسحق بها رأس الواحد بعد الآخر ثم خر على وجهه الى الارض شاكراً الله تعالى على خلاصهِ وقد شعر من نفسهِ كانهُ عاد الى الدنيا ثانية واكتسب حياة جديدة ٠ وكان الشفق حينئذٍ قد قرب فاخذ في الركض وهو يقول ياليت ان الليل لم يخلق والظلام لا ينتشر في هذهِ الصحراء لبينما اتخلص من ايام مصائبي ومحني ودام في ركضه طائفاً في تلك الصحراء مفتشاً على الطريق العام المؤدي الى العمران ولم يرتح حتى المساء دون وسيلة ولا فائدة وقد تسلق الجبال وطاف السهول والوعور والغابات والاحراش ولما رأى الليل قد قرب عاد الخوف الى قلبه ووقفت روحه عند شفتيه واستعد لملاقاة جديدة مصيبة يعلم نوعها وعظمها ولم يعرف ماذا يعمل وصار يردد هذه الجملة انا لله

وانا اليه راجعون

وبينما هو يفكر في نفسه قائلاً اين اذهب وفي اية زاوية اختفي سمع من خلفه صوتاً يقول هذا هو هذا هو فدار بوجهه الى الوراء فرأى اثنتين من العفاريت لم يخلق الله اقبح منهما منظراً ولا اكره خلقة وبيد كل واحدة منهما مطرقة ولمادنتا اليه قالت احداهما للاخرى هذا هو الانسان الخبيث الضعيف الذي قتل زوجينا في الليلة الماضية فلننظر الان في طريقة مجازاته ومعاقبته على فعلته الشنعاء

وما لبث ان سمع ماهان هذا الكلام حتى وقع الرعب في ركابه وصارت روحه تتردد في صدره . يسال الله المساعدة على الخلاص منهما وان يهديه الى وسيلة للنجاة كما خلصه من غيرهما وكان يفكر ان من المستحيل افلاته منهما وهما تقصدانه وتفتشان عليه للاخذ بالثار والانتقام منه . وفيما هو يردد الفاظ الاستغاثة بالله ويفكر في وسيلة للخلاص قالت احداهما الاخرى انا اخذه الى مكاني واقتله هناك بعد ان اذيقه انواع العذاب واشدها فاجابتها الثانية كلاً كلاً . بل انا اخذهُ واعذبه واقتله لان ثاري عليه اعظم من ثارك حيث ان زوجي كان احسن من زوجك . فخالفتها ولم تسلم معها واغتاظت منها وحينئذ وقعت المنازعة بينهما وكل واحدة منهما تقول للاخرى لا يمكن ان اتركه لك بل انا اخذهُ واقتلهُ في زوجي ولم تلبثا ان وقع بينهما الضرب بالمطارق على رأسي بعضهما البعض . وعند ماراى ماهان ذلك انفرج عنه بعض الهم وقال ان شاء الله اتخلص منهما كما تخلصت من عفريتي الامس ولبث ينتظر نتيجة المنازعة حتى راهما وقد تخدشتا بالجراح وسالت الادمية من راسيهما الى الارض كالغدران ثم وقعتا غائبتين عن الوجود فقال الحمد لله وهذه طريقة مناسبة للخلاص وفيما هو عازم على الفرار سمع صوت اسدين يزئران وقد راهما يتقدمان اليه من بعيد

فماذا يترتب على ماهان ان يعمل في مثل هذه الحال لقد زاد خوفه في بادي، الامر لكنه راى نفسه واقعاً بين خطرين فاسرع اولاً للخلاص من المصاب

الاول فاخذ مطرقة احدى العفريتين ولحق بها راسيهما دون امهال وصبر الى ان دنا منه الاسدان فاسرع حالاً ورمى لكل واحد منهما واحدة من المقتولين فتناولاها بسرعة وبركا الى الارض واشتغل كل واحد بأكل واحدة فاغتنم ماهان هذه الفرصة ومال الى جهة ثانية وصار يركض في تلك الصحراء ولكن كان قلبه يخفق وجسمه يرتجف وهو يتلفت الى ورائه المرة بعد الثانية خائفاً من ان يلحق به مصاب جديد ايضاً وهو لا يعلم ماذا يعمل والى اين يذهب وقد تمزق الحذاء الذي في رجليه قطعاً قطعاً فالقاه وصار يمشي عاري الرجلين وهو يتضجر من نفسه ويقول . اه . ما هذه الحال . ما هذه الحياة ليت الاجل يفاجئني فيخلصني من هذا العذاب المهول . ان حياتي ليست بيدي والا كنت اتركها . لقد عجزت وهلكت من التعب والركض كأني اتيت الدنيا لملاقاة البلايا والمصائب لقد رماني الدهر في وهدة العذاب وتخلى عني فالى اين اذهب من وجهه ولمن اخبر بحالي وانادي من لمساعدتي واين اتخبأ ومن يقدر ان يخلصني . يا ليت ان الموت سبق فادركني قبل خروجي تلك الليلة لتلك الحديقة ولكن قدر فكان انما الذي يحيرني الآن ان اعرف ما هذه الاحوال وكيف وقعت في هذه الجهات وما هي تلك المصيبة الاولى التي جاءتني بشكل شريكي ان كل هذه الشدائد من وجه تلك . وبقي يتضجر ويشكو ويتحسر ويسرع في الركض مفتشا على مكان يختبئ به حتى اخذ الصبح بالظهور . ولما راى الشفق وقد بان من الشرق انفرج بعض الهم عن صدره وحسب ذلك نعمة كبرى لعلمه ان الاهوال والمخاوف لا تأتيه في النهار بل في الليل ولذلك فرح بدنو النهار وشعر بالاحتياج الى الراحة فعرج الى ذيل اكمة وجلس عندها وهو يفتكر بما طرأ عليه وما صادفه في هذه الايام القلائل من النوائب العظيمة وعلى الخصوص عند ما خطر على باله وطنه واهله وقد سال الدمع كالسيل من عينيه وصاح من قلب معذب اواه كم هو حسن ان يكون الانسان في وطنه وبين اهله يصرف عمره بالراحة والهناء ولما كنت في بلدي ما كنت افكر في امر قط ولا كانت تهمني الدنيا وامورها واحوالها واتعابها فكنت انهض في

الصباح من سرير جميل ووسادة لينة فاغسل عيني ووجهي ويدي وارجلي واجلس براحة اضحك واتسلى مع اهلي حتى ياتي وقت المخزن فالبس الملابس الجميلة وفي المخزن ايضاً اصرف النهار بالتسلي والضحك والممازحة والفرح بالارباح وفي المساء اقفل دكاني بفرح واعود الى بيتي فاغتسل بماء الورد من راسي الى قدمي واغير ثياب النهار بثياب الليل واصرف السهرة بالمزاح والتسلي لا افكر خربت الدنيا او عمرت . اه . ما اجمل الاوقات التي صرفتها وما الذها ففي الاسبوع كان يدعوني اصحابي مرتين او ثلاثاً فنبقى الى نصف الليل واحياناً الى الصباح على الحظ والانشراح . من كان يظن يا ترى اني انتشل عن ذلك النعيم وارمى في هذا الجحيم باسرع من لمح البصر ليت ان الله كان اخذ روحي قبل ان وصلت الى هذه الحالة او ليتني كنت اعيش في وطني عيشة القهر والفقر لما كان الزمان يفكر بي ويجربني بمثل هكذا تجاريب ليرد لي فعل الراحة والسعادة . وبقي يعدد ويذكر بماضي حالته حتى ضجر ولم يرَ من فائدة الاّ السعي والجد والتفتيش فنهض وعاد الى البحث عن الطريق كالايام السابقة .

فلنرَ هل يعرف الطريق او هل يوجد طريق واين هو الطريق وقد اخذ ماهان في الركض من ناحية الى اخرى في الصحراء والآكام تائهاً مقروح الفؤاد وقد تشققت رجلاه وسال الدم منهما وكذلك نشف ريقه من قلة الماء والتصق لسانه بحلقه ولم يكن له ما يأكله ليرطب به جوفه الا النباتات التي كان يصادفها احياناً في طريقه في بعض البقع ودائماً كان يدعي ويصلي ويقول يا الهي بحق انبيائك الكرام اما ان تخلصني من هذا العذاب واما ان لا تدع الليل يأتي ولا تذهب بالشمس . اواه هاك الشمس تغيب والليل يتقدم بويلاته ومخفياته واحسرتاه ما هذا العمر السيء والحياة التعيسة . ولما رأى الليل قرب ايقن بدنو العذاب فصار ينتظر وقوعه الدقيقة بعد الثانية

وفيما هو على تلك الحالة رأى في الافق غيمة سوداء ظهرت من الغرب واخذت في التقدم والانتشار حتى ملأت السماء وظللت تلك الصحراء فزادت الليل اسوداداً كما اسود قلب ماهان منها وقال ويلاه هذه مصيبة كبرى وبلية

عظمى واخذ في ان يرتجف من الخوف لانه لكثرة الظلام وتغطية الكواكب لم يعد قادراً ان يرى ما امامه . وبعد دقائق قليلة انفتحت ميازيب السماء وانفجرت منها ينابيع الامطار فطار صواب ماهان وصار يبحث عن مكان يختبئ فيه او شجرة يستظل بظلها ولكن عبثاً كان يبحث فانه لم يتوفق الى وجود غصن يظلله او صخر يختبي فيه بل كانت الحصى تجرح رجليه والوحل يغرقهما وقد ابتل جسمه وثيابه وصارت المياه تصفي منها كالميازيب واصبح في حالة يرثى لها غارقاً بالوحل والمياه والمطر لا ينقطع وهو لا يرى اين يضع رجله لشدة الظلام فمرة يدوس في حفرة مياه فيغرق الى وسطه ومرة يعثر في حجر او شجرة فيقع على وجهه وقد ضاق نفسه وخارت قواه وسالت ادميته فصاح من الم العذاب . اه يا ربي ما هذه الاحوال وما هي الفائدة لك من عذابي و بلواي واي ضرر عليك لو كنت تشفق عليَّ وتخلصني من هذه المصائب والمحن اني اسأَلك بحق جلالك وعظمتك ان تخلصني من هذه الشدائد او انك امتني في الحال لاني لم اعد قادرا ان اتحمل اكثر مما تحملت فقد صغرت روحي وهلك جسمي واصبحت على آخر رمق من حياتي واذ ذاك اشتد المطر واصبحت النقطة الواحـدة قدر الجوزة فزاد الخوف على ماهان وتعاظم العذاب والضيق ولا سيما عند ما برد الهواء وزئر الزمهرير واصطدمت الارياح بعضها بالبعض واشـتدت الرعود والصواعق وتواترت الزوابع حتى صار يرتجف مثل ورق الشجر عند هبوب الريح (الله لا يري احداً مثل ما راى ما هان في تلك الليلة) وفيما هو على ذلك طرق سمعه صوت نباح كلب فطار قلبه من الفرح وقال لابد من وجود قرية على مقربة مني ثم ارتمى لجهة صوت الكلب ومع انه سمع الصوت قريباً منه فبعد ان مشى مدة انقطع الكلب عن النباح ولم يعد يسمع له صوتاً فارتجف ووقف وفيما هو واقف عاد الكلب الى النباح على مقربة منه فمشى طويلاً فانقطع الصوت فوقف فعاد الكلب الى عمله فتحير ماهان من ذلك وقال في نفسه يا للعجائب ما هذا هل انهُ مزمع ان يقع عليَّ مصاب جديد اواه من ظلم الدهر ما هذه الاحوال وهل بعد عند

الزمان انواع من المصائب لم يسقها الي هل راى احد من الانس في زمانه مثلما رايت انا و بقي على حاله مع الكاب حتى اصبح الصباح فانقطع الصوت وذهب كل خوف ولما لم يعد قادراً على الوقوف وقع الى الارض غائباً عن المدى

وبعد ان مر عليه ساعة على تلك الحال عاد اليه وعيه ففتح عينيه فوجد الشمس قد خرجت ولم يبق اثر قط للغيوم وهب النسيم لطيفاً وظهر على الآكام المحيطة به النباتات الخضراء والزهور الملونة الزكية الروائح تتلالأ تحت نور الشمس البهي

وعندما راى ماهان هذه الحالة رفع عينيه وقال سبحان الله ماهذه الاحوال وماذا كانت الحالات التى رايتها وماذا تكون الاشياء التي ساراها فيما بعد فيا ترى اتخلص من هذه البلايا وان كنت اتخلص فاي متي وهل يا ترى ارى بعد وطني وبلادي واقيم فيها براحة كما كنت قبلاً اواه من يعلم ومن اين لي ذلك وسوء حظي يتعاظم اليوم بعد اليوم

ولما وصلت الملكة اذربون بنت سلطان الغرب صاحب الاقليم الخامس في حكايتها الى هذا الحد قالت كيف ترى يا حبيبي بهرام حكايتي وكان بهرام يستمع حكاية اذربون وهو متأثر مما جرى على ماهان ويتعجب من الامور التى طرأت عليه وينتظر النهاية ليعلم ان كان يتخلص من تيهانه ومن الحوادث الغريبة التي كانت تقع عليه فلما سألته قال لها نعم ياعزيزتي وعيوني ان حكايتك هي بالحقيقة تفوق غيرها من الحكايات التي سمعتها وهي بالحقيقة جميله ومؤثرة وهي موعظة وعبرة للانسان تبين له عجائب مخلوقات الله وانواعها وانا ارجوك ان لا تقفي عند هذا الحد ولا تطيلي السكوت لاني احب ان اعلم هل ان ماهان يتخلص من البلايا والمحن ام لا وكيف يكون خلاصه اذا كان يتخلص

اما اذربون فتمايلت من الفرح تمايل السكران وابدت الف غمزة وغنجة وعادت الى تمام الحديث فقالت ورأى ماهان نفسه في تلك الصحراء والبر الواسع وراى تلك النباتات والازهار الجميلة وشعر بالهواء يهب لطيفاً ومنعشاً فاهاج ذلك خاطره بزيادة وحرك حنينه الى وطنه وبلاده فطفق يبكي على

غير ارادته وبعد ان جف دمع عينيه بالبكاء مقدار ساعتين او ثلاثة راى ان الوقت يمر والنهار يقصر وهو على تلك الحالة لا يفيــده البكاء شيئًا ولا تخفف عنه الذكرى مصابًا بل تزيده بلاء وعناء وحينئذ نهض وكان النهار قد تناصف فاراد السير فلم يقدر كسابق الايام لان البرد اثر في جسمه وثيابه المبللة اضرت به فنزعها عنه ونشرها في الشمس حتى نشفت وارتاح جسمه قليلاً فلبسها واذ ذاك راى ان الشمس قد مالت نحو الغرب فحزن ولا حزن يعقوب وقال ويلاه هوذا الليل يتهددني ولا اعلم جنس المصيبة التي تخبئت لي فيه هذه الليلة

ولما لم يجد فائدة ولا وسيلة ليقي نفسه بها وهو في ذلك المكان نهض واخذ في التطواف من جهة الى ثانية ومن مكان الى اخر فلم يهتد الى طريق كل هذا وعيناه لا تنفصلان عن الشمس حتى كادت تخفى عن الارض فصاح واويلاه ماذا اعمل في هذه الليلة واين اختبيء من نكبات هــذا الليل التي لا أعلم كيف تكون . ثم انه لجأ الى ذيل جبل فوجد مغارة صغيرة فاستصوب ان يختفي فيها تلك الليلة واخذ في ان يجمع اخشابًا واشواكاً وحطبًا ويأتي به الى المغارة واحكم وضعها على بابها واقام داخلها لكن كيف كانت حالته فان قلبه من الخوف والهلع كان يرتجف واذانه من دقيقة الى ثانية تسمع اصوات المصيبة وعيناه تراقب باب المغارة وافكاره تدله على ان المصائب تتزاحم عنده ومر عليه ساعة وهو على تلك الحالة ثم شعر بان جسمه يرتجف ويهتز كمن يتحرك بقوة كهربائية فقال ها البلاء قد جاء فكيف الخلاص وتعاظم عليه الحال واشتد الامر وكبر الوهم وهو لا يعرف كيف يفعل حتى مر نحو ثلاث ساعات من الليل ولم يعد قادرًا ان يتحمل فوقع الى الارض مغميًا عليه مدة ثم وعى من غشيته وقفز كالسهم من الوتر الى خارج المغارة ومزّق ثيابه قطعًا قطعًا حتى لم يبق عليه شيء منها واخذ في ان يركض في تلك الصحراء تحت ظلام الليل كالمجانين لا يملك درهمًا من العقل ولا يعي على شيء

ولما لم يبق للماهان لا عقل ولا ادراك اخذ في ان يجول كالوحوش الضارية في تلك الجهات لا يعرف الخوف والفزع ولا يشعر بالتعب والجزع فكان يلعب

بالحجارة والاعشاب والنباتات ويسير مع مهب الهواء ويضحك عند اشتدادها ثم يبكي بكاء مرًّا وقد مر عليه باقي الليل على تلك الحال . ولما صار الصباح لازم السير في الصحراء لايعي على امور الدنيا مطلقًا . بماذا يفتكر المجنون .. قد اصبح مجنونًا فكيف يخاف فلم يكن يعرف شيئًا ولا يشعر بشيء ياكل من النبات كالبهائم والحيوانات ويأوى الى الكهوف والمغائر ويمشي كيفما تاخذه الصدف تارةً شرقًا وطورًا غربًا . وبقي هذا المسكين في تلك المحلات على هذه الحالة مدة شهر تقريبًا وقد تدلى شعره على اكتافه واسودَّ وجهه وطالت اظافره وصارت حالته غريبة يرثى لها وتخدش جسمه الناعم اللطيف الذي تربى على التنعم والدلال

ففي ذات يوم بينما كان يطوف في تلك الصحراء صادف عين ماء عليها رجل جالس وبين يديه الطعام يأكل منه وقد وقف من حواليه نحو ١٥ نفرًا . ولما كان ماهان جائعًا فارغ الجوف لم يحتفل بالرجال الوقوف بل دنا من الجالس على الطعام وجلس تجاهه واخذ في مناولته ومع ان الرجال الوقوف اهتموا كثيرًا بمنعه واشاروا له بايديهم واعينهم ان يمتنع ويرجع الى الوراء فلم يصغ ولا سمع

وكان الرجل الجالس على المائدة عند العين ملكاً والرجال المحيطون به رجال معيته وقد خرج في ذاك اليوم للصيد ثم لفى لذاك المكان ليستريح من التعب وياكل ما جيءَ له به من مدينته

فلما رأى الملك ان هذا المجنون قد جلس معه على الطعام غير مهتم باحدٍ ولا خاف احدًا وهو في حالة غريبة سر منه جدًّا وزاد سروره لما رآه يهذي بكلامه ويتكلم بلغة غريبة لا يفهمها فدارت المعاشرة بينهما بالاشارة والحركة والملك يضحك والسرور ظاهر عليه

اما ماهان فانه نظر بعينيه في وجه الملك وبعد ان امعن فيه برهة اخذ في ان يقهقه ضحكاً ثم اخذ في البكاء والعويل واتبع ذلك بتنهدات حارة ثم مزق قبته ووضع يديه على صدره وكان ايضًا ينظر الى اتباع الملك ويضحك عاليًا

فلما رأى الملك احوال ماهان وما هو عليه ادرك انه غريب وان لا بد ان يكون قد مر عليه حوادث عجيبة ووقوعات غريبة فاستصوب ان يستصحبه معه الى المدينة واذ ذاك التفت اليه واشار له بيديه قائلاً هلمّ فلنذهب فاجفل ماهان وقفز الى جهة اليمين قاصداً الهرب فامر الملك اتباعه ان يقبضوا عليه فاسرع الخدم في اثره ولم يرجعوا عنه حتى مسكوه فتصدى لمقاومتهم وقد جرحهم باسنانه واظافره واخيراً تغلبوا عليه وربطوا يديه الى خلفه وجاءوا به الى بين يدي الملك

ولما جيء بماهان الى امام الملك اخذ في ان يقهقه فلاطفه وهدأ روعه ثم نهض الى جواده فركبه وسار الى المدينة بعد ان امر ان يؤتى بماهان اليها . ولما استقر في قصره جيء بماهان ثانية لبين يديه وامروه ان يجلس على كرسي فوضع الكرسي على اكتافه وجلس على الارض وهو تارة يضحك وتارة يبكي . وكان الملك والحضور يتعجبون من حالته وجعلوا يتشاورون في امره

اما الاهالي فكان قد اتصل بهم ان الملك عثر برجل مجنون وهو في الصيد ولما كان حال هذا المجنون غريباً احضره معه الى الديوان فخرجوا صفوفاً صفوفاً الى الطرقات الكبيرة والصغيرة ودخل الاعيان منهم الديوان يتفرجون عليه

وعند ما راى ماهان هذا التجمع والتجمهر وقع الرعب في قلبه فاسرع في الحال الى الباب وقفز منه الى الخارج فصاح الملك اقبضوا عليه ولا تدعوه يفلت فتسابق الخدم خلفه ولكنهم لم يقدروا ان يقربوا منه وهو يهدر كالجمل الهائج ويعدو عدو الغزال حتى خرج من المدينة . فتكدر الملك من ذلك واستدعى باحد فرسانه وامره ان يسير في اثره وان لا يرجع عنه ما لم يأتِ به . فركب الفارس جواده واسرع خلفه حتى صار قريباً منه فرآه ماهان فاضطرب وخاف وطلب الفرار فتأثره ثم نزل عن جواده وصار يناديه ويصفر له فالتفت ماهان فمد اليه يده كأنه يريد ان يعطيه شيئاً فرجع ماهان ودنا من الرجل وعانقه واخذ في ان يقهقه ويضحك فلاطفه الرجل وقبض عليه من يده واشار اليه بالجلوس على الارض فجلسا الواحد بجانب الآخر . وقد اخذ ماهان ان

يقتاع من النبات الجالس عنده ويأكل منه ويضع في جيبه وفي الحال وقع الى الارض غائباً عن الوجود فلما رآه الفارس وقد سهل عليه اخذه فرح كثيراً فربطه على الجواد واسرع به عائداً الى المدينة ودخل على الملك واخبره انه تاثره حتى المكان الفلاني وهناك لاطفه واجلسه الى الارض فجعل يأكل من النبات ثم اخرج من جيبه شيئاً اكله مع ذلك النبات فوقع الى الارض مغمياً عليه فربط يديه وحمله على جواده وجاء به مسرعاً . فتعجب الملك من ذلك وامر ان يوضع في قصر وان يؤتى له بالحكماء فتقاطر اليه الاطباء والحكماء فسقوه الادوية ورشوا الماء والمقطرات على وجهه حتى وعي الى نفسه

ولما فتح ماهان عينيه ورأى نفسه محاطاً بهكذا جمهور غفير وهو بتلك الثياب الرثة خجل كثيراً وغطى وجهه بيديه وهزّ براسه فلما رأى الملك وجماعته حالة المجنون تحيروا وتعجبوا وقالوا لا بد لذلك من سبب ثم ان الملك امر بان يؤتى له بالثياب الحسنة وبعد ان لبس ورتب نفسه واصلح حاله وقف امام الملك بكل حشمة وادب فزادت حيرة الملك من هذا التغيير وسأله عن حاله وسبب ما كان مصاباً به فلم يفهم كلامه ولا عرف ان يتكلم بلغته وكان في ديوان الملك جماعة يعرفون عدة لغات فاستدعاهم ليرى من منهم يعرف لغة ماهان فكلمه احدهم بلغته ففهم منه فاعاد عليه طلب الملك ان يخبره بحاله واصله وفصله وباي طريقة وصل الى ذلك المكان . ولما عرف ان الجالس امامه ملك خرّ بين يديه وقبل الارض ودعا له بدوام العز والبقاء وبعد فوقف مكانه والتفت الى الترجمان واعاد اليه قصته من اولها الى آخرها واخبره بكل المصائب التي طرأت على رأسه وتيهانه في صحراء الجن والغيلان فزاد تعجب الملك والحضور من هذه الحوادث الغريبه وتأثروا لاوجاعه وآلامه ونهض الملك من مكانه وقلبه مملوء من الفرح والسرور وقبله في جبهته وعاد الى سريره والتفت الى رجال دولته وقال لهم أهل رأيتم كيف ان الله سبحانه وتعالى اذا اراد اجراء امر سخر له من عالم الغيب من يقوم به فالشكر لله لانه بعث بهذا الرجل فكان سبباً في خلاص ابنتي . ما عندي

الاحوال وما هذا العالم وكم هي عظيمة قدرة الله وحكمته لقد ساق هذا الرجل من بلاده ورماه في بحر المصائب والاهوال واذاقه منها اشكالاً والواناً حتى خسر عقله وجن ثم رماه على مملكتي واوصله اليها في الوقت الذي خرجت فيه للصيد والقنص واوصله اليَّ جائعاً بينما كنت آكل ووضع حبه في قلبي حتى ما كنت اريد ان افارقه ثم هرب مني فارسلت فارساً في اثره حتى وصل الى المكان الموجود فيه الدواء فاكله وشفي فيظهر من كل ما جرى ان الله سبحانه اراد ان يدلنا على الدواء الشافي لابنتي من مرض الجنون مع اني صرفت كل ما عزَّ وهان في سبيل شفائها واستحضرت الحكماء من اقطار العالم فما منهم من قدر ان ينفعها بشيء حتى سخر هذا المجنون ليكون واسطة لاهتدائنا الى العلاج الذي كنا نجهله ولا يتصور احد اننا نهتدي اليه الا باعجوبة الهية فما هذه القدرة العالية وهذه الحكمة المترفعة والرحمة الواسعة

ولما سمع رجال الملك كلامه ما منهم الا من سبح ووحد وقال لقد صدق اعتقادك ايها الملك فان الله عادل رحيم لا يشارك احداً في علمه ومعرفته ففي كل عمل من اعماله معجزة واعجوبة

وحينئذ امر الملك ان يؤتى بثياب ماهان القديمة الممزقة فاحضرت بين يديه فبحث فيها عن النبات فاخرجه من جيوبها وسار الى بنته وكانت مجنونة منذ عدة سنين ولم ينجع فيها علاج فاطعمها من النبات المذكور وفي الحال وقعت الى الارض مغمياً عليها مدة ساعتين تقريباً ثم انتبهت من نفسها واذا بها مقيدة فاظهرت التعجب وقالت لابيها ما هذا ولماذا انا مقيدة فطار قلب الملك فرحاً ولم يعد يعرف ماذا يفعل وقد تقدم منها وفك قيدها وجعل يقبلها في وجهها وعينيها وحكى لها ما مر عليها من تجارب الزمان . ولما سمعت كلام ابيها شكرت الله سبحانه وتعالى واثنت على ماهان .

ولما لم يكن للملك غير هذه البنت فرح بشفائها كثيراً وامر ان تزين المدينة ثم ارسل ماهان الى الحمام فاغتسل واتى له بالحلاق فحلق شعر وجهه واصلح له شعر راسه والبس البسة فاخرة ملوكية واعيد الى بين يدي الملك فنهض الملك من شدة

فرحه وتلقاه بالاحضان وقبله ما بين الاعيان واجلسه الى جانبه وبعد ان مدحه وتلطف به كثيرًا امر باقامة الافراح وزف ماهان على بنته ولما راى ماهان انه قد تخلص من تلك العذابات المؤلمة وان نهايتها كانت خيرًا عليه اذ كانت الطريق لوصوله من الملك والواسطة لزواجه من ابنته والتمتع بوصالها والحصول عليها وهي ذات حسن باهر وجمال زاهر خر ساجدًا على ركبتيه وشكر الله سبحانه وتعالى على انعامه ومن ثم ارسل الرسل بالرسائل الى ابيه يخبره بامره و بمكان وجوده وبما ناله من السعادة

وكان ابو ماهان قد ضعف لفراق ابنه لا يقر له قرار لا في ليل ولا في نهار دابه البكاء والانين وقد قطع الرجاء ويأس من لقاء ولده واما التجار الذين كانوا مع ماهان في الجنينة ليلة فقده قبضت عليهم الحكومة والقتهم في الحبس ليبنما يظهر خبره . ولما وصلت رسالته الى ابيه صنق من الفرح وطفح السرور على قلبه حتى غيبه عن الهدى وافقده الصواب عدة ساعات ثم رجع الى نفسه فشكر الله وحمده على ارتياح باله واطمئنانه على ولده وفي الحال ذهب الى دار الحكومة واعرض الامر للحاكم فاخرج التجار واعتذر اليهم . ثم بعد ذلك باع املاكه وكل متعلقاته وحمل عياله وما يحتاج اليه في سفره وسار قاصدًا ولده

اما ماهان فكان منذ صار صهرًا للملك يهتم بارضائه وساعده على ذلك ذكاؤه وحسن تربيته غير ان همه كان لغة البلاد والتعود على عاداتهم فوجه باجتهاده الى هذه النقطة وبوقت قريب تعلم كل ما يحتاج اليه واصبح كانه مولود في المدينة متعلم فيها فصار يصرف اكثر اوقاته مع حميه الملك ويعيد عليه حوادث المصائب التي مرت عليه فيتعجب لها ويشكر الله على خلاصه منها

وبعد مرور اشهر قليلة دخل ابو ماهان المدينة فبلغ الخبر ابنه ففرح الفرح العظيم وخرج لاستقباله وعانق احدهما الاخر وقد اغمي عليهما من شدة السرور مدة ساعتين تقريبًا ثم ادخل ماهان اباه الى قصره بالاحتفاء والاحتفال وافرز له مكانًا يقيم فيه وعين له الخدم والحشم . ولم يمر على ذلك الا اشهر قليلة حتى توفي الملك وجلس ماهان في مكانه وقد عظمت شوكته وازداد اجلاله

..نت شهرته لان مع ادراكه ودرايته فالبلايا والمحن التي لاقاها علمته مالا يعلم
..قد استفاد منها امورًا كثيرة واصبح ماهان الملك المتسلط والحاكم في البلاد
فانعكف على الاشتغال بالحكم والاحكام بنفسه وصرف جهده الى العدل والحلم
وقد احضر لديه الوزراء وكبير الوكلاء وابدى لهم كل التفات واحترام وقال
لهم اني اوصيكم بامور عباد الله فلا تغفلوا دقيقة واحدة عن رعايتهم والاهتمام
..الحهم على ما يرضيه تعالى واريد منكم ان يخبرني كل واحد عما في ضميره
..ما يجب عمله

فدعا له الجميع بالبقاء وطول العمر ثم تكلم الوزير الاول فقال لاخفى
..اليكم السامية ان الاهالي والجنود على الدوام مشغولون بالدعاء لدولتكم ليلاً
ونهارًا على ما يرونه منكم من العدل والميل لراحة الرعية وعلو شأنهم حتى هان
عليهم ان يقدموا اموالهم وارواحهم بين يديكم · وفيما الوزير يتكلم دخل رئيس
..جاب ماهان وبعد ان ادى واجب الثناء قال لقد حضر معتمد من قبل ملك
الصين ويطلب مواجهتكم فاصفر لهذا الخبر وجه الوزير الاول حتى صار
..لاموات فتعجب الملك من ذلك وسأله عن سبب هذا الخوف والتغيير الذي
حدث في وجهه

فاجاب الوزير ان سلطان الصين قادر باسل ولديه من الجند والفرسان
ورجال الحرب والتدبير عدد غفير ولذلك في كل سنة يجمع الخراج من كل
..لك وقد سبق له ان يأخذه منا ايضًا ولهذا جاءنا معتمده · فتبسم ماهان
وقال وما هو وجه الخوف هنا هل لاجل الدراهم يصفر لون الانسان ويعظم عليه
الامر فعادة الخوف هذه لا تحدث عن هذا الشان وان كان من طبعه الجبن
والخوف فلا يلزم ان يظهر عليه ويصفر ويصير كالاموات بلونه فخجل الوزير
واعتذر ثم امر ماهان باحضار المعتمد

وقد تحير الوزير الاول وباقي الوزراء من شجاعة ماهان وثبات جاشه وتانيه
في الامور · وعلى حسب العادة أُتي برسول ملك الصين الى امام السلطان ولما
رأى الرسول عظم هيبة ماهان وجلالة قدره وعلو منزلته وقع الرعب في قلبه

وصار يرتجف وبعد التعظيم واداء واجب الثناء والدعاء اخرج من جيبه رسالة سلطان الصين وقدمها الى الملك فاشار الملك الى وزيره الاول ان يتناولها من يد الرسول وان يقرأها بصوت عال ففعل الوزير وكان مضمون الرسالة ما ياتي

« بعد تقديم التبريك لكم لجلوسكم على تخت الملك حيكم ابين لكم انه بناء على المعاهدة المعقودة بين دولتنا وحكومتكم ان يرسل الينا في كل سنة مقدار معين من المال بادرنا لارسال معتمد خصوصي لاجل ان تسلموه المبلغ وتكرموا بتجديد المعاهدة وانذركم ان لا تسببوا ما يوجب كدرنا ويحمّلكم من الارتباك والخراب ما لا تطيقه بلادكم والعاقل من عرف قدر نفسه »

ومع ان ماهان احمرّ قليلاً عند سماعه مضمون الرسالة لكنه اظهر الجلد وتبسم ثم التفت الى المعتمد وهش في وجهه وقال له اذهب الآن الى محل الضيافة وفي الغد ان شاء الله ننظر في الامر فاخذه الحاجب وخرج به الى المحل المعين لاقامته

وكان الوزراء يظنون ان ماهان سيتبع امر سلطان الصين فحزن اكثرهم لانهم كانوا متأملين منه يكرهون الطاعة لامره . وفي ذلك المساء جمع ماهان اليه وزراءه وعقد معهم مجلس مشورة وابتدأ هو بالكلام فقال لهم ان الملك عمل عظيم وان مدار راحة الدنيا وحفظ السكينة موقوف على الملك ورجاله ولذلك تحتاج السلطنة الى المهابة والبسالة كما تحتاج الى العدل والانصاف فاذا كان لا يوجد في الدولة عدل وانصاف وحب للرعية فمن المؤكد ان سقوط تلك الدولة وخرابها يكون قريباً وكذلك اذا لم يوجد للدولة مهابة واجلال فيكون جسمها ضعف وبدأ بالانحلال ولكن ارى ان هذه الدولة وان كان العدل والحلم سائدين فيها غير انها مفقودة الاجلال والمهابة ولذلك طمع فيها ملك الصين . فالدولة اذا كانت بالحقيقة ضعيفة فمن اللازم ان لا تترك مهابتها وابهتها وان لا تدع الاعداء يكتشفون على احوالها واسرارها بل من اللازم ان تعرف وجه ضعف الدولة الثانية وتطلع على اسرارها ولاجل ذلك قصدت استشارتكم وانا اريد ان ابين لسلطان الصين المهابة والعظمة فاطلب اليكم ان

يبين لي كل واحدٍ منكم ما في ضميره ولا يخفي شيئًا عما يلوح في خاطره لان في ذلك مصلحة البلاد وحفظ شرف العباد

ولما فرغ ماهان من كلامه لوزرائه الخمس الذين كانوا مشهورين بالحكمة والفضيلة فيما بين اعيان الدولة واركانها وكان جميع الاهالي والجنود يحبون بارائهم ويعتمدون على مشورتهم نهضوا وقوفًا امام ماهان وابدوا رسوم الدعاء والثناء على احسن وجه ثم جلسوا وبقي الوزير الاول فقال نعم ايها الملك المظيم والسيد الكريم ان هذا الامر في الواقع امر خطير جدًا ومن الواجب والمفروض علينا ان نبين بصدق وامانة ما يلوح في خواطرنا ونصرح بكل ما يرتايه كل واحد منا فالذي يلوح لي انا العاجز ان يتدبر الانسان في المصلحة الموافقة لصيانته عند الشدة والذي اراه ان الدولة الضعيفة لا تقدر على محاربة ومقاومة القوية ولذلك لا مندوحة لها عن متابعة ومسالمة تلك الدولة القوية لان الحرب خطر عظيم ووقوعها مناف للمدنيه ويظهر بسببها آفات كثيرة وفتن جسيمة وعليه فالدولة الضعيفة التي تكون قد دفعت بالنظر لمصلحتها الجزية والخراج اول باول للدولة القوية مظهرة العجز لديها اذا نكثت عن الدفع وامتنعت عن تسليم المعين عليها فلا بد لتلك الدولة القوية ايضًا ان ترى انه لا يليق بشانها ان تتخلى عن غنيمتها وتترك الدولة الضعيفة تقاومها بالخروج عن سابق عادتها فلا تتوقف قط عن محاربتها ومنازعتها بكل ما تقدر عليه . وعند مالا يكون لتلك الدولة بسالة واقدام للمقاومة فتسقط ولا ريب فمن اللازم ان لا تغش ولا تقدم على الحرب وهي عارية من قوة الدفاع

وعند ما سمع ماهان كلام الوزير الاول حزن في قلبه وقال ان ما اظهرته من الحزن اوان الخوف قد انساكم النقطة اللازمة لتدبير المصلحة واعلاء شان الدولة ثم قال للوزير الثاني قل انت لارى ما رايك في ذلك وما الذي تستصوبه فتقدم الوزير المذكور وقبل العرش وعاد الى مكانه فقال اطال الله بعمر سيدي الملك اني لا اوافق مطاقًا على راي الوزير الاول وارى ان الذي قاله لا يناسب في تقدم المملكة ولا اظنه صادرًا عن فراسة وحكمة لان من الضعف تكتسب الشدة وتنتج القوة ولا اعلم ما المعنى هل لسبب ان الدولة الفلانية

قد اعطت خراجاً لدولة اخرى صار من الالازم ان تعطي الخراج دائماً بالرغم
عليها اتباعاً للعادة فهذا ليسه صواباً فهل من العيب اذا امتنعت الدولة التي
كانت تدفع الخراج بالنظر لضعفها ثم قويت وامتعنت • وعليه فالذي اراهُ موافقاً
لنا مناسباً لعلو شاننا ان نظهر اقدامنا ونبين مهابتنا ونجيب ملك الصين بانه اذا
اراد الحرب فاننا مستعدون لمقاومته بالقوة والبسالة ولا يليق بنا ان نبقى على
الضعف والذل الى الان فاذا ساعدنا الله سبحانه وتعالى حصلنا على المراد ونلنا
المطلوب وقررنا شوكتنا وعظمتنا وارتاح ملكنا من الذل والعار واذا لم تساعدنا
العناية فنعود الى الذل والاستعباد كما كنا ومن الامثال من لا يخاطر لا يطيب
له خاطر فكم من دولة صغيرة اصبحت كبيرة لحسن تدبيرها وبسالتها وكم من
دولة عظيمة سقطت لجهلها وسوء تدبيرها فلنظهر الان امام عدونا الجراءة والجسارة
والاقدام فنرعبه ونخيفه فلما سمع ماهان كلام الوزير الثاني وشاهد ما فيه من
الحماسة والجراءة سر في قلبه منه ثم التفت الى الوزير الثالث وتلطف به وسأله
ان يقول رايه وما خطر في خاطره • فقبل الوزير العرش وبعد ان اكثر من الدعاء
والثناء عاد الى مكانه وقال لا يغيب عن سيدي الملك اني لا استصوب قط
راى الوزير الثاني ولا اوافق ايضاً على راي الوزير الاول لانهما لم يتمسكا بعمل
يستدل منه العقل والدراية كيف يليق بنا ان نباشر امراً من قبل الامتحان
والوقوف على الحقيقة والذي اراه الان موافقاً لمصلحتنا ان لا نغفل قط عن النظر في
وجه الاصلاح الداخلي وتعزيز القوة وان نرسل بالجواسيس لاجل الوقوف على
احوال واسرار وقوات العدو فنعلم بذلك حالة مقدار قوته ونقيسها بقوتنا ونعلم ما
هو الفرق بين القوتين فاذا وجدت قوتنا اقل من قوته هل يمكننا اتمامها او هل
تكفي الشجاعة وتعادل مقدار النقص واذا وجدت القوة معادلة ويمكن لنا المقاومة
نصحنا العدو وعرضنا عليه المصالحة والمسالمة وان يكون كل منا مشغولاً بحكومته لايتعرض
احدنا الآخر ولاينازع واحدنا للثاني فان رضي بذلك رضينا نحن ايضاً وتخلصنا من
قوته وخرجنا عن سيطرته واذا ابى حاربناه والنصر بيد الله وان كان ليس من اقتدارنا
الحرب فلنعرض عليه المسالمة ايضاً فاذا اباها اخذنا في الاحتيال والتدبير فان حسن

التدبير والنظر في الامور من حيث هي يأتي بالفائدة المطلوبة والنجاح في الحرب مكفول مع التدبير والحكمة ومن وجوه هذا التدبير اننا اذا فشلنا عدنا الى المدينة واقفلنا ابوابها وخابرنا العدو بالمصالحة ولابد ان يقبل اذا راى مناعة حصوننا وحسن تدبيرنا فالتدبير مع القوة يرفعان شان المملكة ويعظمانها في اعين سائر الممالك واذا سقط تدبير الدولة كانت سخرية وهزءا في اعين رعاياها وجندها مرذولة ومحتقرة عند جميع الدول

فلما سمع ماهان كلام الوزير الثالث اعجبه قليلا لكن لما لم يره موافقاً لراي احد من رفيقيه السابقين قال في نفسه ياللعجائب لا يمكن ان يتفق رايان في شان خطير الا اضطرارًا ولكن فلنرماذا يرى الوزير الرابع فالتفت اليه وقال له قدجاء دورك فاسالك ان تبدى رايك وماذا تراه موافقاً في هذا الامر

وبعد ان قام الوزير الرابع بواجب الدعاء والثناء كرفاقه قال لاخفى سيدي الملك اني ابدي لديه الآن ما يلوح في فكري وما يدفعني اليه ضميري بدون ارتياب اواضطراب وهو ان ترك مملكتنا واختيار عار الفرار احسن من دوس ناموسنا القديم الثابت فان كنا لا نعلم قوة العدو ومقدار شدته فليس من الحكمة ان نخاف مما يقال عنه والمعنى اننا اذا كنا نحسب من رعاياه واتباعه فاي لزوم لسلطنتك هنا وان كنا دولة دستورية وعسكريتنا منظمة وخزينتنا عامرة ولانعلم درجة قوة العدو ومقدرته فلنسكت لاعتلال ناموسنا بهكذا جهل ولنحقر نفوسنا امام الاصدقاء ... لان مثلاً اذا كانت دولة الصين تصبغ غداً بصبغة الضعف والعجز ولم تعد قادرة على اكراهنا لدفع الجزية والخراج تنهض دولة اخرى وتقول قد جاء الدور لي وتطلب الينا دفع الجزية والرسوم لانهم لا يرضون مطلقاً باخراج الدولة الضعيفة من دائرة الانحطاط والخوف والذي اظنه الآن وربما كنت اعلمه ايضاً ان قوتنا وماليتنا تفوق قوة ومالية الصين فلنتدرع بالجسارة لاننا اذا دفعنا الجزية كما في الماضي فمن المعلوم انهم لا يقنعون بها وربما كلفونا حمل امر آخر اثقل منها وتطمح انظارهم الى امتلاك بلادنا . وقد قال الحكماء والفلاسفة ان لمداراة العدو والسير معه درجة محدودة يلزم ان لا نتعدى وان لا تصل

الى درجة الافراط والحاصل اذا رأت الصين منا الثبات والجسارة فلكي لا تحقر نفسها تقنع منا بالجزية فقط وتضرب عن باقي مطامعها

وبعد ان سمع ماهان كلام الوزير الرابع واستقطف خلاصة رأيه التفت الى الوزير الخامس وقال له هلمَّ فقد جاء الدور لك واني ارى فيك عين الذكاء والفطانة فانظر فيما فيه النفع وقل اي رأي من هذه الآراء تستصوبه واي قول تفضله . فنهض اذ ذاك الوزير وقبل اذيال الملك ثم عاد الى مكانه وقال ان الذي يستصوبه عبدكم ايها الملك العظيم هو انه ينتج من الجواب الذي نجيب عليه ملك الصين امران وهما اما اختيار السلام او الحرب ومن المعلوم ان السلام بهكذا جواب افضل من الحرب . فمن الواضح والمعلوم عند الناس الآن انهم اي الصينيون اوفر منا عدداً وعدداً وارفع منا منزلة في الحرب . ونحن لا يحق لنا ان نقول الآن باننا اكثر منهم عدداً واشد اقداماً لان ذلك معلوم والحروب التي وقعت بيننا قبل الآن انجلت عن فشلنا وتقهقرنا . فالذي يلزمنا الآن هو ان نامن جانبهم . نعم لا نقدر ان نقول باننا نتغلب عليهم لان من الممكن في الوقت الذي نتلاقى ونقترب من بعضنا البعض يطلبون الفرار وفيما نحن نطاردهم ونسير في اثرهم يغافلوننا ويعودون الينا ومن الممكن ايضاً انهم في اثناء هزيمتهم وفرارهم ينصبون لنا اشراك المكائد والخداع وربما يتظاهرون ونحن في ميدان الحرب والقتال بالضعف والعجز ليرمونا بفخ مكرهم واحتيالهم لان ابواب الحيل في الحرب كثيرة ولذلك لا يلزم ان ندخل معهم باب الحرب والقتال

فقال ماهان ما دمت لا تستصوب الحرب فما هو الجواب الآخر الذي نرسله لملك الصين . فاجاب الوزير الخامس ينبغي في هذا المعنى التأني والصبر والتفكر لان المنافع التي تحصل للسلاطين من جراء التروي والصبر والامعان لا يحصل مثلها بالمال والسلاح لان الشجاع مهما كان باسلاً لا يقدر ان يتغلب بقوة سيفه على اكثر من مائة رجل ولكن يمكن للرجل العاقل الصائب الراي ان يتغلب بحسن تدبيره على قبيلة او مملكة والمقصود في هذا الباب ان يقرن

مولانا رأيه المبارك بآراء العاقل والحكيم من وزرائه لان رايكم الحسن يشبه المرآة فاذا اضاف اليه راي وزرائه زادت تلك المرآة صفاء وجلاء ولا ننكر ان رايكم هو بحر فائض فآراء وزرائك هي كالانهر اذا صبت فيه تزيده فيضاناً . والسلطان الذي لا يستشير وزراءه الامناء الحكماء ففي وقت قصير يضيع حظه وتنفرق كلمته غير ان مولانا محاط بوزراء امناء معزز بكلمهم وآرائهم وفي مشاوراتهم سواء كان بانفراد كل واحد منهم عن الآخر او باجتماعهم معاً عين الحكمة فاذا كنت انفر من الحرب والقتال فكذلك اكره التذلل والتزلف ولا استصوب ايضاً دفع الجزية على هذا الوجه لان الرجل العالي الهمة يرغب في ان يعيش طويلاً محافظاً على الانفة والشهرة واذا لا سمح الله لاجل بعض الراحة فقدنا شرفنا وقل اعتبارنا فالاحسن ان لا نعيش في هذه الدنيا فالموت افضل اذ اني لا ارضى ان تمس شوكة وعظمة جلالتكم وقد يكفي ما ابنته الآن علناً والتمس من لدنكم ان تسمحوا لي بخلوة لابين لكم على انفراد ما لا احب ان اقوله علناً . فلما سمع باقي الوزراء كلام الوزير الخامس لعب فيهم الحنق وشتهم الغيظ فرفعوا اصواتهم قائلين ما هذا الراي الا يحق لنا المداخلة في هذا الامر والمشاورة عليه مع الفائدة بالمشاورة والمباحثة واعطاء القرار بالاتفاق ولم نفهم ما هو المقصد من انفرادك بمولانا وما هو الذي تريد ان تخفيه عنا

فاجاب الوزير الخامس نعم ما كل مستشار مؤتمن وما دامت اسرار المملكة ليست من المهمات والمعاملات الرسمية والعرفية لا تصح المفاوضة فيها امام كل انسان لان كشف اسرار الملوك تقع على الغالب اما من ارباب المشورة واما من السفراء والرسل فمن اين تعلمون انتم اذا كان يوجد هنا الآن اذن جاسوس او لا يوجد يلزم التدقيق في كل شيء فربما لا نكون جميعنا امناء الميس اذا قررنا تدبيراً الآن وقبل ان نباشر ذلك التدبير يبلغ العدو فنحرم من فائدته ولنفرض اننا جميعنا امناء ولم يكن بيننا جاسوس قط فهل نامن ان لا احد منا يقول لاحد اصحابه او حاشيته اما افتخاراً او حباً بخدمة الامة والدولة . لقد

فعلت كذا وقلت كذا وتقرر كذا وبهذه الطريقة ينتشر الخبر ويسمع به الصديق والعدو فنفقد نتيجة تدبيرنا وقد صدق من قال ان كل سر تجاوز الاثنين شاع فضلاً عن انه يلزم الحذر من الصديق قبل العدو وقد صدق من قال

احذر عدوك مرة   واحذر صديقك الف مره

فلربما انقلب الصديـ   ـق فكان اعلم بالمضرة

وقد قيل كتم الاسرار من شئم الاحرار والعاقل من حبس سره في صدره مع ان كتم الاسرار عند الملوك من اهم واجب اي كتمها عن كل كبير وصغير من خواص وعوام . وحتى الان لم يصر شيء بعد . فمن كشف الاسرار نخسر التاج والتخت وتفقد الامة والسلطنة

فلما اجاب الوزير الخامس بهذا الجواب المملوء بالعقل والحكمة لم يبق في وسع رفقائه ان يتحملوه لشدة حسدهم فاعترضوا عليه قائلين انك لا تقصد الا اخراجنا من المشاورة والبحث لينظر كل انسان شغله بعقله مع ان العمل الذي ينظر بدون مشاورة تكون اخرته ندامة

فاعاد الوزير الخامس الجواب ثانية وقال كلاّ ليس ذلك لاجل مشورتنا بل علينا ان نساعد راى مولانا السلطان لان الله سبحانه وتعالى قد اقام لكل امة ملكاً فعلى الملك وحده تدبير الامة ولكي يكون الملك على ثقة من نفسه في تدبير رعيته اقام الوزراء والمستشارين ليقف على ارائهم فاذا كان فيهم من يفوقه عقلاً وحكمة عمل برأيه والاّ استقل براي نفسه وانا الان لم اقل ان ليس من الواجب مشاورة سيدي الملك لوزرائه لكني اقول بوجوب كتم السر صيانة للمملكة ومن اللازم ان تجرى المشاورة افرادية وفي خلوة فيبقى ذلك مكتوماً واذا كان في رأينا اختلاف لا يعلم فنأمن الانقسام والنفور من بعضنا البعض

وكان ماهان يسمع ويتعجب من اختلاف اراء وزرائه ومن ذكاء وفطانة الوزير الخامس ثم التفت الى وزرائه الاربعة وقال لهم متعجباً هل تظنون ان الوزير الخامس غلط في طلبه كلاّ فما هو الضرر الذي يحدث يا ترى لو اني استشرته على انفراد ما دام الكلام الذي نتكلم به ستعلمونه فيما بعد فلماذا العجلة والذي

تبين لي منكم الان ان الحسد يفعل بكم والعدوان ضد بعضكم البعض متسلط عليكم مع ان الحسد مخصوص بالعوام فاذا لا سمح الله وقع البغض والحسد بين الوكلاء والوزراء فكيف تكون احوال الرعية ولهذا ترون اني غير راضٍ منكم ولا اعجبني رأي من ارائكم ثم نهض مظهرًا الحدة ودخل الحرم وتفرق الوزراء كل الى مكانه . وفي اليوم الثاني خرج ماهان من حرمه وامر ان يؤتى اليه بالوزير الخامس وانسحب الاثنان الى خلوة واخذا في تبادل الاراء فابتدأ الملك سائلاً وزيره ماهو قصدك من الانفراد وابداء رايك في خلوة وما هو الذي تريد ان تقوله ولا يطلع عليه احد قل رايك الان فليس بيننا ثالث فاجاب الوزير نعم ياسيدي اني وان كنت اذهب الى بلاد الصين ولم يتسنَّ لي ان اكشف تلك الجهات بنفسي لكن الذي اعلمه بالنظر للفحص والبحث ممن راوا البلاد الصينية ان اهاليها مغرورون بكثرتهم موهومون بشجاعتهم منهمكون دائمًا بالمعاشرات الفاسدة غارقون بالفسق والفجور يجهلون كل الجهل فنون الحرب وطرق القتال ولا سيما ان الجندي منهم يسير في الشوارع والمومسات الى جانبه ويطوف في الازقة ومحلات اللهو وهن حواليه اي ان جنودهم غير منظمة مفسودة الاخلاق والقلوب مثلاً ان الواحد من الجند اذا راى امراة في الازقة يستعبد لشهوته فينضم اليها ويصرف ايامه معها غير سائل عن فرقته وضابطه ولا ملتفت الى نظام او طاعة وكذلك الاهالي فانهم على اعلى مقام من الكسل والانحطاط لا يهتمون بغير الاكل والشرب والنوم ولا يعلمون ما هي الحرب والقتال ولا كيف تحارب الفرسان وتلتقي الابطال والشيء الوحيد الذي يعرفونه هو الصناعة فانهم يتعلمونها من بعضهم البعض بحكم العادة لسد احتياجاتهم الضرورية وجل ما يصرفون اليه عنايتهم صناعة النقش والنسج بالالوان الغريبة فلا يوجد في العالم كله نقاشون يقارنونهم في هذه الصناعة وبالنظر لهذه المظاهرات وما يشاع عنهم من كثرة العدد واتساع البلاد وزخارف الصناعة تخافهم الملوك وترهب جانبهم والمحقق عندي انه اذا وقع بيننا وبينهم القتال وتقابل الجيشان نتغلب عليهم لامحاله والتدبير في ذلك سهل علينا جدًا وهو ان نأتي بخمس اوست

الاف امراة من العواهر فاذا وقعت العين على العين وتم وقوف الطرفين ار يناهم اياهن قبل الهجوم وهم على استعداد لملاقاتهن فما من ريب عندي ان جيوش الصين تترك القتال وتميل الى مغازلة النساء فنهجم عليهم حينئذ ونغتنم هذه الفرصة للفتك بهم وعندي ان هذه الوسيلة من انفع الوسائل للانتصار على الاعداء وكبح جماحهم

فتعجب الملك من حكمة وزيره وسعة اطلاعه وحسن تدبيره فقال له لقد احسنت فبالحقيقة انك وزير عاقل خبير عرفت النقطة التي يتوقف عليها فوزنا باطلاعك على احوال الصين وحالة جنودها ورجالها وانت جالس على كرسي وزارتك لكن لو فرضنا اننا انتصرنا في الحرب على الجنود الصينية ونجحت مساعينا وتمت حيلتنا فماذا يترتب علينا ان نعمل بعد ذلك وهل في امكاننا الدخول للبلاد الصينية والاستيلاء على قلاعها وحصونها ٠

فاجاب الوزير اطال الله في عمر سيدي الملك اننا اذا انتصرنا نحن وكسر العدو فتدبير الامر بعد ذلك سهل ٠ لان من اصعب الامور علينا ان لا ننتصر في الوقعة الاولى ولكن اذا انتصرنا دخلنا في الحال بلاد الصين واستولينا على كل قلاعها وحصونها حتى العاصمة والذي علمته واتصل بي من البحث والتحري ايضاً ان الخفراء والقواد المعهد اليهم بحماية الحصون والقلاع قد اعتادوا في كل ليلة على السكر وشرب الخمور حتى يغيبوا عن الوجود فهم على الدوام سكارى لا هم لهم الا السكر والفسق ومن الصعب لا بل من المستحيل على من تعود مثل هذه العوائد ان يرجع عنها ويتركها وبواسطة عاداتهم هذه ندخل حصونهم ونستولي على بلادهم ٠ فاستصوب ماهان رأي وزيره ومدحهُ عليهِ وسألهُ قائلاً : انك على ما تقول لم تذهب الى بلاد الصين ولا شاهدت اهاليها فمن اين عرفت عوائدهم واطلعت على نقائصهم فاجاب الوزير نعم يا سيدي الملك اني بالحقيقة لم اذهب الى بلاد الصين وانما انا وزير وما المعنى بالوزارة والسفارة فالمعنى انهما دعامة الدولة وركنها فالوزير الذي لا يهتم في صغائر الامور قبل كبائرها في كل العالم ويصرف وقته بالمسرات والمعاشرات ويقول في نفسه ماذا يهمني

من امر الدنيا وما هي فائدتي من الاطلاع على احوال العالم ودرس عوائدهم واخلاقهم وماذا يتعلق بي خربت البلاد او عمرت لا خير فيه لامته وملكه بل ربما كان تهاونه سبباً لخراب مملكته واكثر الوزراء في ايامنا لا يهمهم الا عزل فلان ونصب فلان والانتفاع باموال زيد وعمرو وعند وقوع كل تدبير صغيراً كان او كبيراً يرتبكون ويحملهم التكاسل على التأخير فيكتفون باصدار اوامرهم لمن تحتهم وكثيراً ما يقولون فليبق هذا العمل للغد وذاك سندبره فيما بعد مع ان في وسعهم انهائه في الحال فتمر الايام والاشغال تتراكم ثم تموت من نفسها وتضمحل مع الايام وتضيع الفوائد الناتجة عنها للبلاد والعباد فمثل هؤلاء لا يصح ان نسميهم وزراء بل جهلاء واعداء امتهم لان من المعلوم ان الوزير وكيل الملك ولسان حاله وشريك افكاره ومدبر اموره والملك هو المسئول امام الله عن شعبه وامته ولهذا نرى ان خطة الوزارة ليست من الامور السهلة فلا يصح ان يتولاها الجهلاء والكسالى . وانك لو سألت في الامس رفاقي الوزراء الذين كذبوني وقاوموني بغضاً وحسداً عن الصين واحوالها واخلاق حكامها واهلها لما عرف احد منهم ان يجيبك بكلمة واحدة ولكن لو سألتني عن الصين وغلاتها وجنودها واهاليها وكل ما هو فيها كبيراً او صغيراً لاجبتك اليه دون شك ولا ارتياب . والسبب اني لما لم اكن اميناً من العدو لا افتر عن الافتكار به لا ليلاً ولا نهاراً والسعي في الوقوف على ما استفيد منه ربما ينفع بلادي وذلك لاني كنت اعتقد ان من المفروض ذمة وادباً على الوزير العاقل ان لا يغفل عن تدبير شؤون الرعية ولا ينفصل عنهم ولا يشتغل بصوالحه الخاصة عن صوالحهم والوزير الذي لا يكون كذلك ولا يخف الله بترك تدبير العباد فممن يخاف ... وكذلك السفير عليه ان يكون عاقلاً وذكياً ذا دراية وحكمة . فعلى الوزير زيادة البحث والاعتناء بشأن السفير اي الرسول اللازم ارساله بمصلحة وخدمة الى احدى الجهات لان الرسول يشخص مرسله فاذا كان فصيحاً حكيماً عالماً دل على زكاء وحكمة ملكه واذا كان بليداً جاهلاً قصير الحجة دل على جهالة وحماقة سيده الذي ارسله وعليه فمن الضروري اختبار السفير

والركون الى كماله قبل ارساله لان ما دام السفير لسان الملك فالطبع يجب الانتباه الى ان يكون اكثر رجال المملكة كمالاً ثم على السفير ان يكون عارفاً بامور الدنيا مطلعاً على تاريخ العالم وجغرافية المواقع عالماً باكثر لغات العالم كي لا يفوته أمر في مهمته حريصاً على انفاذ غرض سيده وقد قيل ارسل حريصاً ولا توصه وفوق كل ذلك يلزم ان يكون جسورا مهاباً من الجهة الواحدة رحليما رقيقاً من الجهة الثانية فيدافع عن حقوق سيده وبلاده دون ان يهيج غضب المرسل اليه ويعرف بذكائه وحكمته افكاره ولو لم يبدها ويستخرج بالحيلة واللين دفائن قلبه ويقرا على وجهه اسرار قلبه مهما اخفاها وفوق كل ذلك عليه ان يبحث بعين عقله عن حال الحكومة الموجود لديها ويقف على مكانة مالكها من قلوب رعيته ويزن بفطانته مقدار ما عند وزرائه ورجال ديوانه من العقل والدراية ويختبر قوة البلاد ونظام جنودها وانتظام رعاياها الى كل ما هو من هذا القبيل ولا يخفى على سيدي الملك اني صرفت نحواً من اربعين او خمسين سنة على هذه الخطة وارسلت الى العدو مرات كثيرة ولم اغفل ولا مرة عن واجباتي وعرفت حالة البلاد وطرقاتها وكل شعب فيها · وما عدا ذلك فقد رايت طريقاً سهلاً وهو ان ننظم نحومائتي الف فارس نسيرهم امامنا واما نحن فنزحف بجميع عساكرنا ولا يمكن للصين محاربتنا حتى نصل الى عاصمة بلادهم والمائتا الف فارس نرسل كل فرقة منهم في طريق فيدوخون البلاد ويستولون على المدن بينما نكون نحن زاحفين على العاصمة وبذلك ينقطع المدد عن العاصمة وانا الكفيل بنجاحنا واستيلائنا على بلاد العدو

فلما سمع ماهان كلام وزيره الخامس وقد رآه عين الصواب وتبين انه من ذوي الفطانة والامانة وان ما يقوله هو عن اختبار وامتحان وثقة سرّ منه سروراً لامزيد عليه وعهد اليه بتدبير الامر والاسراع الى ما يراه مناسباً بعد ان مدح من امانته وصداقته · وفي الحال التى الوزير القبض على سفير ملك الصين وجمع نحو مائتي الف فارس سيرهم على قلاع البلاد ومدنها وسار باقي الجيش في اثرهم فافتتحوا القلاع ووصلوا الى المدن الكبيرة دون ان يقدر احد على محاربتهم او يقف في وجوههم

وبالقضاء والقدر توفي في تلك الاثناء ملك الصين فانهمك بامر ماتمه جنده ورجال دولته وفيما هم مشغولون بذلك وصل ماهان بجنوده الى العاصمة فهاجمها بغتة ودخلها بدون تأخير ونهب المدينة وقتل في اهاليها قتلاً ذريعاً حتى لم يبق في وجهه من يقاومه وقد سلمت اليه الحكومة واستامن الاهالي فامنهم وجلس على تخت مملكة الصين وجعل وزيره الخامس السابق الذكر وزيراً اولاً وفوض اليه امور البلاد والعباد واقام اباه ملكاً على حكومته الاولى وصرف باقي عمره في راحة وسكينة ولاجل ان يعزي اهالي الصين عن ملوكهم لبس هو اللون الازرق المختص بهم وقد تيمن به ولم ينزعه عنه حتى الممات

وبعد ان انتهت ذربون بنت سلطان المغرب صاحب الاقليم الخامس الى هذا الحد قالت لبهرام وهكذا يا سيدي انتهت حكاية ماهان وقد لاقى السعادة بعد العذاب والهناء بعد التعب

فقبل بهرام اذربون في خديها وقال لها بالحقيقة انها حكايه عجيبة غريبة جداً والذي زادها غرابة تصادف وقوع وفاة ملك الصين

فقالت اذربون نعم يا سيدي وذلك من حظ ماهان فانه عند ماراًى الاهالي يلبسون الثياب الزرقاء فهم منها ان السلطان قد مات ففرح للون الازرق وبالحقيقة انه لون جميل بديع للغاية يسر الخاطر ويجلي الناظر واذ كان لون السماء ازرق نال اللون الازرق المجد والشرف وكذلك فان الفيروز الازرق محبوباً وثميناً وعلى الخصوص ان العيون اذا كانت زرقاء تحب وتمدح

ثم ان بهرام بعد ان سمع كلام اذربون وراًى ماراًى منها من الدلال واللطف والرقة جذبها الى صدره وقبلها مراراً وساعداه تطوقان عنقها وقد اظهر لها مزيد الميل والتحبب والشغف وكان المساء قد اقبل ودنا وقت الطعام فدخلا غرفة الطعام وكانت انواع المأكولات والمشروبات قد صفت على خوان من حجر الفيروز وكلها بلون فيروزي ازرق فجلسا وشربا بين غنج ومسامرة وتقبيل وعناق ومساجلة ومغازلة ومناشدة . ومن بعد الفراغ من الطعام نهضا الى حوض مبني من حجر الفيروز فجلسا حوله وعادا الى استئناف العمل القاضي به

سلطان الغرام وداما الى ان غيبهما خمر العشق عن الصواب فانسحبا الى غرفة المنام وارتميا على السرير والتفا التفاف اللام بالالف .... وقد اخسنا الصنع واحكما الوضع .... وبقيا على ذلك الى الصباح فخرجا من خلوتهما ناقمين على الليل لسرعة رحيله وعلى النهار لجراءته على افتضاحهما بكشف الغطاء واظهار سرّ ما ستره الليل وجاء الى حوض في الحديقة فدخلاهُ وهما في لعب ومزاح ولمس ودس وبعد ان نظفا بعضهما البعض خرجا من الماء وأُحضر الى بهرام ايضاً ثوب ازرق جديد ونقدم من الجنينة الى القصر ثم خرج من هناك قاصداً القصر المشابه لونه للون شجر الصندل

ونقدم بهرام في صباح يوم الخميس الى القصر الصندلي اللون وبعد ان بعد من القصر الازرق قليلاً رأى الطريق مفروشة ببسط من لون الصندل واشتم رائحة الصندل قد ملأَت الفضاء وشاهد نحوًا من مائة او مائة وخمسين جارية من الجواري الحسان اللاتي يفضحن بحسنهن الاقمار . بيد بعضهن القماقم المملوءة بماء الورد وبعضهن يحملن المباخر الذهبية وبعضهن يحملن اطباقًا من الذهب عليها الجواهر والدنانير لاجل نثرها عند وصوله . فلاقينه بالتعظيم ومشين بين يديه والدنانير تنثر على الرؤوس والمياه العطرية ترش على المتفرجين من الجانبين . ولما قرب من باب القصر وجد تختًا منصوبًا وعنده ثلاث جوارٍ يحملن على ايديهن الاقمشة النفيسة فنزل بهرام عن جواده ودخل الخيمة فقدم له الجواري الثياب ففتح البقجة الاولى فوجد ضمنها ثوبًا نادر المثال لم يرَ مثله طول عمره ففي الحال نزع ثيابه وافرغه عليه . ثم فتح البقجة الثانية فرأى ضمنها تاجًا مرصعًا بالجواهر الكريمة وقد بهرت نواظره من عظم لمعانه فعرف بهرام في الحال ان التاج هو تاج كسرى المشهور الذي كان يلبسه اجداد زوجته درستى ففرح لذلك كثيرًا فرفعه على رأسه . ثم فتح البقجة الثالثة فرأى منطقة مرصعة باكبر الحجارة الكريمة ومصنوعة على شكل غريب فتمنطق بها وقلبه طافح من السرور والامتنان لهذه الهدايا التي قدمت اليه وكان يلبسها قبله اكبر الملوك الاكاسرة . وبعد ذلك خرج من الصيوان ودخل القصر فلاقاه نحو ثلاثمائة

جارية من الجواري الفارسيات وبايديهن الاطباق المذهبة على الجواهر المنوعة وحالما رأينه دخل الباب رمين بالجواهر عند قدميه ليسير عليها فاجتاز بهرام صفوف الجواري بالعظمة والاجلال وتقدم الى جهة الحديقة فسمع اصوات الموسيقى فتعجب لهذه الاصوات قائلاً في نفسه ما هذه وتقدم قليلاً فسمع صوتاً رخيماً لا يفرق عن صوت العود يغيب عنده عقل الشيخ المتعبد ويفقد لسماعه صبر الفتى الولهان وقلب الشجاع الباسل · فزاد من ذلك تعجب بهرام فتقدم في الحديقة شيئاً فشيئاً وارسل بنظره فيما بين الاشجار حيث الصوت آتٍ فتبين تحتها بركة يتنفر الماء من وسطها فيحلق الاشجار التي تظللها وقد تحضر حول البركة سرير مرصع بالجواهر وفوقه السيدة درستي جالسة وعليها قميص رفيع متكئة على وسادة من الحرير محشوة بريش النعام وقد وضعت العود على صدرها تضرب به وتغني بصوت رخيم ضاع تحته صوت العود ومن حولها عشر جوارٍ كل واحدة منهن تفوق بلقيس بالحسن والاعتدال · فتحير بهرام عند مشاهدته هذا الحال وتاه عقله حتى لم يعد عارفاً ماذا يعمل وعلى الخصوص قد اثر فيه صوت درستي فوقف جامداً في مكانه لا يقدر على المشي واصاخ سمعه لاستماع الصوت واستيعاب ما كانت تنشده في غناها وقد سمعها تقول

هلمَّ الى نيل المسرة والهنا ورشف كؤس الراح من ايدي الظبي
ودعني اغذي النفس منك بقبلةٍ اطفي بها نار الفؤاد من الجوى
بحقك يا مولاي زرني فانني معذبة من عظم هجرك والقلى
وواصل فتاة في رضاك حياتها فانت لها روح المسرة والهنا
وهاك خديدي فاقتطف عنه ورده فما مثل ورد الخد في الحب يجتنى
وذق عسل الثغر النظيم فانهُ رضاب شهيٌّ طعمه اليوم قد حلا
وجنة صدري فادخلن نعيمها الم ترَ رمانَ النهود قد استوى
وطوّق بزنديك الخصير وضمني اليك فذا وقت المسرة والصفا
ولا تخش في فعل الحلال مراقباً فان رقيب السوء عنا قد انتفى
عدمت اصطباري عن وصالك سيدي فعجل به ان كنت ترحم من هوى

فكن بطلاً عند النزال سميدعاً وشق حجاب الستر اذ تبلغ المنى
وغص لجة البحر الخضم عسى اذا توغلت فيه تخرج الدر من خنا
فذلك ما ترجوه كل عقيلة اذا اتبعت مع قلبها سنن الهوى

فلما سمع بهرام انشادها هاج به غرامه ولم يعد يطق اصطبارًا فرمى نفسه عليها وضمها الى صدره وهي بين جواريها واخذ يقبلها في خدها ونحرها ويكثر من ضمها وامتصاص شنافها وقد اخذ الجواري الحياء واحمرت وجوههن من الخجل . ثم نهض بهرام وتناول من زوجته العود وقال لها قد جاء دوري الآن وضرب عليه اشكالاً والوانًا وانشد

شروط الهوى عند المحبين خمسة اذا اتقنوها ادركوا منتهى الفنِ
عناق وتقبيل ورشف وضمة ومن بعدها الصاق بطنٍ على بطنِ

فلما سمعت درة التي انشاد بهرام تحرك بها داعي الغرام فرمت بنفسها عليه وقابلته بالمثل ونولته منها المراد ثم جلس كل منهما للاستراحة والتنفس وحينئذ سألها ان تقص عليه ما عندها من الاحاديث والسمر فاجابته بالسمع والطاعة وبدأت بالكلام فقالت

﴿ الحكاية السادسة ﴾

في ذات يوم من الايام خرج من بلد واحدٍ بقصد السياحة والتطواف في البلاد الغريبة اثنان احدهما يدعى خير والآخر شر (ولا بد ان نتعجب من هذين الاسمين فسبب تسميتهما ان الاول كان رقيق الطبع حليم الاخلاق يرغب في خير عدوه كما يرغب في خير صديقه ولذلك دعي بالخير . والثاني كان رديء الطباع حاد المزاج مفسدًا تمامًا يتمنى الضر لكل انسان فلقب بالشر . وقد حكمت التقادير بخروجهما للسفر معاً) . ولما خرج الاثنان من المدينة استأنا الطريق في البر الاقفر . ومع ان خيرًا كان يتألم كثيرًا من مرافقته شرًا لكنه كان يسالمه ولا يضمر له الا الخير وبالعكس شر فانه كان يتمنى عذاب فيقه وايقاعه بالنكبات وكان خير يحمل على جواده طعامه وماؤه وكذلك شر

الا ان خيرًا عند ما يجلس للاكل يدعو رفيقه لمشاركته فيأتي شر ويشاركه في طعامه ومائه وقد خبا طعامه وحرص عليه وداما على ذلك مدة ستة ايام حتى بعدا عن بلدهما بعدًا شاسعًا . وحينئذ فرغ الاكل والماء من خير ولم يبق عنده ما يسد به رمقه واخذ الجوع والعطش في ان يفعلا فيه ويشتدا عليه . فقال لرفيقه يا اخي كن منصفًا فاننا مثلما اكلنا الطعام وشربنا الماء اللذين كنت اتيت بهما فمن العدل ان ناكل ونشرب الطعام والماء اللذين معك بينما نكون وصلنا احدى المدن فنبتاع ما يكفينا . فاجاب شر بحدة كلاً لا يمكن ذلك لان ما معي من الزاد لا يكفيني لوحدي فلماذا لم تحرص انت على زادك ومائك . فقال خير انت تعلم يا اخي ان زادي لم اكله لوحدي بل اكلناه انا وانت فلا تكن ناكرًا لمعروف جاحدًا للجميل فعاملني كما اعاملك . فاجاب شر ومن حملك على ان تدعني اكل طعامك واشرب ماءك الم تكلفني انت نفسك الى ذلك فانا اجابة لدعوتك كنت افعل اما انا فلا ادعوك ولا اريد ان اكون مجنونًا مثلك فلا تطمع مني بنقطة ماء او لقمة خبز

فسكت خير متكدرًا من رفيقه حتى اشتد عليه الجوع والعطش وكان الحرُّ قويًا حتى لم يعد قادرًا على تحريك لسانه وفتح شفتيه ولم يكن في كل تلك الناحية عين ماء ليستقي منها ولما راى شدة مصاب رفيقه لم يكتف بما فعله معه بل جلس على الارض ومد زاده ونصب كوز الماء واخذ في ان ياكل ويشرب وعين خير تنظر اليه وقلبه يتحرك على الماء ولم يجسر ان يغصب شرًا ويحمله على السماح له بجرعة ماء لعلمه انه رديئًا وقويًا وشريرًا وسفاكًا لا يشفق ولا يرحم . وما زال الحال يشتد على خير حتى ذهب عقله من رأسه ونشف ريقه ولم يعد قادرا على الاتيان بحركة وقد ايقن بهلاكه . ثم عاد الى التذلل والتوسل الى رفيقه فقال « اكرامًا لله وللانسانية اشفق عليَّ وارحمني واعمل معروفًا معي وكن ذا مروءة واحسبني غريبًا منك لان روحي وصلت الى شفتي تذكراني لم اعاملك الاَّ بكل خير وما اسأت اليك قط فاسمح بنقطة ماء فقط لابل بها لساني وبذلك تحييني وتدفع عني الموت ارحمني يرحمك الله . اني اموت

الان من قلة الماء · المعونة المساعدة · الرحمة · الشفقة · ان روحي تخرج مني الان ولا سبيل الى الماء الا منك · فسد شر آذانه عن سماع كلامه وبقي مصرا على عناده وقساوة قلبه وقال له عبثاً تحاول فاني اذا سقيتك من مائي يفرغ فالاحسن ان اتركك تموت واذهب انا في حال سبيلي · فزاد الامر على خير واعاد التوسل والرجاء وقال له الا تشتري حياة انسان بنقطة ماء · نقطة واحدة فقط صبها على لساني فانها لا تقدم ·ولا تؤخر في الماء الذي معك فاذا تركتني اموت لاجل نقطة ماء تقع بالعار ويلومك الناس نخف الله والانبياء وافتكر انك اذا لم ترحمني يوقعك الله بمصاب اشد من مصابي فلا يرحمك احد ويقسي عليك القلوب فتموت معذباً · فلم يتأثر شرٌّ من كلامه ولا شفق عليه بل اجابه بحدة وغيظ اذا كنت لا تكف عن طلب الماء حملتني على قتلك بيدي والخلاص منك ومن ثقلتك

وراى خير ان لا فائدة له بالحصول على الماء وقد بلغت روحه التراق وخارت قواه · فايقن بالهلاك والفناء · وحينئذٍ مد يدهُ الى وسطه واخرج كيساً تناول منهُ حجرين من الياقوت لا يوجدان في خزائن الملوك فاراهما لشر وقال له هاك هاتين الجوهرتين فخذهما ومدني بجرعة ماء احساناً منك وكرماً

وعند ما راى شرٌّ الجوهرتين مالت نفسه الى اخذهما ولعب به سلطان الطمع فجعل يفتكر برهة قائلاً لخير اذا اخذت منك الان هذين الحجرين فمتى وصلنا غدا الى المدينة تسترجعهما مني فقال خير كلا اني اقسم لك بالله انى لا افكر بهما ولا اخذهما مطلقاً بل هما حلال لك وقد سمحت بهما من كل قلبي وخاطري · فلم يقتنع شر من كلامه وبقي مصرًّا على عناده ولم يسمح لهُ بنقطة يبل بها لسانه

فبقي خير حزيناً كئيباً يتوجع ويتألم وقد قال في نفسه يا ليتني كنت مت في بلدي ولا خرجت رفيقاً مع هذا القليل الرحمة ماذا اعمل لو لم ارافقه لما وقعت في هذه البلية وبعد قليل شعر بمفارقة الحياة فوقع الى الارض ثم تمالك نفسه وقال لشر اني اموت الآن داعياً الله ان يوقعك بمصيبة اعظم من مصيبتي

هذه لاجل جرعة من الماء تمنعها عني تتركني اموت · ارحمني اعطني جرعة ماء واطلب مني مهما شئت فاعطيك · فاجاب شر اني اسمح لك بجرعة ماء على شرط ان تتركني اقلع لك عينيك وتعطيني الجوهرتين اللتين معك · فقال خير اوّاه منك ايها الظالم الغاشم ألا تخاف الله لقد منّ الله عليّ بهاتين العينين وهما اعزّ ما عليّ وانت تريد ان تسلبهما مني فما فائدتك ولما تنفعانك · فاجاب شر بغير ذلك لا يمكنني ان انولك مرادًا فلا تطمع بنقطة ماء الا بخروج عينيك لانك اذا اعطيتني الجوهرتين الآن فمتى دخلنا بلدًا ما تدعى عليّ وتطالبني بهما ولكن اذا اقتلعت عينيك فلا تعود قادرًا على ان تراني بعد ولا تعرف بمكاني فلا يتسنى لك ارجاعهما فيما بعد

فاعاد خير الالتماس والرجا وقال لشر الرحمة يا اخي تذكر اني من وطنك وقد اطعمتك وسقيتك عدة ايام وانك مديوني بالمعروف فتكرم عليّ بالماء ان لم يكن في مقابل ذلك فاكرامًا للوطنية والانسانية او بالحري اكرامًا لله الذي خلقك وقادر عليك في كل وقت فان كنت لا تراعي لاذا ولا ذا فاعطني شربة ماء وخذ مني الجوهرتين فهما لا يثمنان بمال وخذ ثيابي وكل ما معي من المال وخذ مني سندًا على نفسي اني وهبتك كل اموالي وامتعتي وملكي واقسم لك اني اهبك الكل ولا اعود فاطالبك بشيء واعف لي عن عيني واشتر حياتي · فهز شر كتفيه ودار ظهره ولم يتأثر ولا لان وقد قال له في الاخير عبثًا تحاول الا بعينيك الآن لا يوجد عندي وقت فاما ان تدعني اخرجهما واما ان اتركك واسير

ورأى خير ان لا فائدة بالرجاء والالتماس والتذلل وان خصمه شرّ لا يعرف الرحمة والشفقة وشعر بان روحه تتردد في صدره فصاح من الالم والدموع تتدفق من عينيه آه يا ظالم ياقليل الرحمة والمروءة هلم خذ عينيّ وانتظر الجزاء من خالقك هيا افعل فيّ ما شئت وخذ ما تحب فقط عجل لي بشربة ماء افعل ما تطلبه اليك مروءتك وانسانيتك · فلم يتردد شر في العمل بل اخرج السكين من جيبه باسرع من البرق وتقدم منه وهو غائب عن الوجود لا يرى لشدة عطشه وعظم المه ما بين يديه وما شعر الا ويد شر على عينيه فاخذ الياقوتين منه ولم يعطه نقطة ماء بل تركه في

مكانه وصار يجري في تلك الصحراء كي لا يسمع صوته فيما بعد وفي عهده انه لا يلبث ان يموت بعد ساعة او ساعتين . ولم يكن هذا بالامر العظيم على شر الذي اعتاد على الشرور منذ نعومة اظفاره . فقد اكل زاد خير وشرب ماءه واخرج عينيه وسلبه جوهرتيه واخلف بوعده فلم يعطه الماء بل تركه ليموت شر ميتة وسار عنه

اما خير المسكين فقد خسر عينيه وجوهرتيه ونقطة ماء لم يعط فغاب عن الوجود وبقي على الارض يلاقي العذاب والموت وبعد ان قطع الرجاء من الحياة (الله لا يرى احدًا هذه الحالة ولا يرمي انسانًا برفيق كشر الخبيث الظالم) ولم يعد خير قادرًا على الاتيان بحركة بل كان يأن ويصعد الزفرات والدم يسيل من عينيه على وجهه وثيابه يلين لحالته الصخر الصلد الا قلب شر الذي لا يمكن ان يوجد انسان قاس مثله في كل العالم حتى ولا بين البرابرة والوحوش الذين لايعرفون الرحمة ولا يراعون الحرمة ولا تهمهم قوانين الانسانية والمدنية اذ قد اعتادوا على القتل والسلب والسبي وعندهم قتل الانسان كقتل اصغر الحشرات ولكنهم يحنون الى اخوانهم ولا يوقعون بابناء قبيلتهم ولا يضرون برفقائهم مهما كانوا قساة ولكن الله جل جلاله العارف مافي الخفايا لا يغفل ولا ينام ولا يقعد عن نصرة المظلومين ولا يبقي على الظالمين

وبالتصادف ان على بعد ساعة من المكان الموجود فيه خير قرية صغيرة لم يكن يعلم بها وقد خرج في صباح ذلك اليوم من القرية بنت احد رعيانها وعمرها نحو ١٥ سنة والى جانبها اخوها يسوقان غنمها للمرعى في اطراف تلك الصحراء ولما تضاحى النهار ساقا الغنم الى عين ماء كانت وراء المكان الملقى فيه خير بنحو ميلين فسقيا الغنم وجلسا عندها والغنم تسرح مقدار ثلاث ساعات . ثم ساقا الغنم وعادا الى جهة القرية في وقت الاصيل فجاءت طريقهما على خير وقد سمعت الفتاة صوت انينه وزفراته فوقفت مستطلعة ثم مالت الى جهة الصوت وتقدمت بضع خطوات فرأت خيرًا على تلك الحاله وقد تعفر بالتراب والدم يسيل من عينيه وهو في حالة النزع فتاثر قلبها له وبكت لحالته وحملتها الشفقة على التقدم

منه فسألته عن حالته وعن الذي اوصل اليه هذه البلايا ورماه بتلك المصائب

فلما سمع خير صوت انسانٍ بكا من شدة الالم وصاح الرحمة يا اصحاب الخير اني اموت الآن من قلة الماء وروحي تتردد في صدري ٠٠ ارحموني ٠٠ اغيثوني ٠٠ الحقوني بنقطة ماء اكراماً لله ففي الحال عمدت الفتاة الى كوز ماء وصبت منه في فم خير ٠ ولما شعر خير بالماء نهض وجلس ثم اخذ الكوز بين يديه وجعل يشرب منه جرعة بعد اخرى ثم ارجع الكوز الى الفتاة وقال الحمد لله ٠٠٠ ثم وقع الى الارض مغمياً عليه ٠ فلما رات حاله وضعت الكوز على الارض ورفعت راس خير الى ركبتها وقد فهمت من حالته انه غريب ورأت عينيه يسيل الدماء منهما الى الارض وهو لا يزال في حالة الشبوبية فشفقت عليه وصارت الدموع تذرف من عينيها على غير ارادتها (ومع ان الفتاة كانت قروية متربية على البدوية لكنها كانت ذات قلب رقيق واطوار ميالة للخير ربما لا توجد في فتيات الحضر) ٠٠ وبعد ساعه تقريباً عاد خير الى نفسه فرأى الفتاة تصب الماء على عينيه وتغسلها بيدها ولما نظفتا ربطتهما بمنديلها وانهضته على قدميه وقادته من يده الى اخيها وقالت له خذ هذا المسكين وسر امامي الى البيت بينما اعود الى العين واملي الكوز ثانية لانه فرغ ٠ ثم رجعت الى العين وملئت الكوز وانكفئت الى جهة البيت فصادفت خيراً لا يزال في الطريق لانه كان غير قادر على العجلة ٠ واذ ذاك قالت لاخيها ٠ اني ساسبقكم الى البيت فابق انت مع ضيفنا ولا تتعبه بالمشي ٠ ثم اسرعت الى البيت وحكت القصة من اولها الى اخرها لوالدتها ٠ فحن لكلامها قلب والدتها على غير ارادة وقالت لها مسكين اين تركته ولماذا لم تبق معه وبقيتا بانتظاره

اما ابن الراعي فانه بقى قابضاً على يد خير يقوده شيئاً فشيئاً حتى وصلا البيت ولما دخلا من الباب خفت امراة الراعي وبنتها لملاقات خير وفرشا له فرشاً ناعماً تمدد عليه براحة ٠ ولما رات ام البنت خيراً في هذه الحالة لم تقدر ان تتحمل وتضبط نفسها من التأثر فبكت وجلست هي وبنتها عند راسه واخذت تناديه وتتحسر عليه وتقول واحسرتاه عليه انه فتى وجميل فمن يا ترى

عمل معه هذا العمل وبايدي اي ظالم وقع الم يشفق على شبابه الم يكن في قلب ذاك القاسي رحمة وكانت تعدد مثل هذه الالفاظ وتبكي كانه ابنها وهذا يدل على انه يوجد في قلب تلك القروية التي عاشت عمرها بطوله في البرية عيشة البدو في القفار من الرحمة والحنو الطبعيين ما تحسدها عليه نساء المدن اللاتي يفتخرن بالمدنية والتمدن ويعيرن اولئك المسكينات اللاتي قسم لهن الحظ ان يحرمن من التنعم والترفه ويعيشن على الاتعاب والاثقال بالفلاحة والزراعة وخدمة مواشيهن وبيوتهن بانفسهن · والله سبحانه وتعالى لم يحرمهن من الاحساسات الرقيقة فيعملن الخير برغبة ولا ينكلن فعل الجميل لصيت ونفخفخة والنتيجة ان تلك الوالدة بقيت نحوًا من ساعة جالسة مع بنتها عند رأس خير تبكي على حاله وتتوجع لمصابه · ثم اسرعت فعملت له شرابًا من عسل فسقته واحضرت له الطعام فاطعمته

فأكل خير وشرب باشتهاء وكان قد ارتاح قليلاً وتقوى بعد الطعام فشعر بخسارة عينيه وعظم مصابه وصار يندب حظه ويشكو من دهره ويسأل الله المساعدة والمعونة ولم يفتر دقيقة عن الاتكال عليه والشكر له لعلمه (لا تسقط شعرة من رؤوسكم الا باذن ابيكم السموي)

وفي المساء عاد الراعي الى منزله فراى على خلاف العادة رجلاً مريضًا ملقى على فراش في بيته تعتني به زوجته وابنته فتعجب من ذلك وسأل من هذا المريض ومن الذي جاء به الى هنا · فاستقبلته بنته وقالت له الرحمة يا ابي لا تسأل · انه رجل غريب مظلوم فاني قد ذهبت في هذا اليوم الى العين لاملأ الكوز ماء وفيما انا عائدة الى البيت سمعت صوت تنهد وانين فعرجت لارى فوقعت عيني على هذا الفقير المسكين ملقى على التراب يبكي ويستغيث ولما رأيته على هذه الحالة تأثرت كثيرًا ولم اقدران اضبط نفسي عن البكاء ولو كنت انت في مكاني لما تأخرت عن مساعدته خصوصًا وقد رايته معفرًا بالتراب والدم يسيل من عينه ولما سألته عن حاله صاح مستغيثًا بي وقال لي انه يموت من العطش فسقيته · وبعد ان ارتوى تأوه ووقع الى الارض مغميًا عليه فزدت

تاثيرًا من حالته وجلست عنده ارش الماء على وجهه فغسلت عينيه ونظفتهما من الدماء والتراب . ولما عاد الى نفسه لم يطعني قلبي ان ابقيه يموت على حالته فاتيت به الى البيت

فلما سمع الراعي كلام ابنته تاثر ايضًا زيادة عنها . وقال لها . احسنت يابنتي لان خدمة هكذا فقراء وغرباء لا تضيع عند الله . ثم تقدم حالاً الى خير وسلم عليه وطيب بخاطره وساله عن حاله وكان خير غير قادر على فتح عينيه ولا على التكلم فعلم الراعي منه ذلك ففتح له عينيه بيديه ونظر داخلهما ثم قال لزوجته انظري عيني هذا المسكين كم ظلمه وغدر به الظالمون فقد اخرجوا عينيه بالسكين ولكن الله سبحانه وتعالى لم يشأ ان يضره فان انسانيهما لم يصابا بضر وانا اقدر ان انفعه وافيده واعيد اليه نظره كما كان وذلك انه يوجد في المحل الذي ارعى فيه الغنم شجرتا صندل قد التصقتا ببعضهما البعض فاذا اخذ من اوراقهما كمية وسحقت واخذ عصيرها وقطر منه في عينيه صباحًا ومساء ففي ظرف خمسة او ستة ايام يعود اليه نظره وكذلك اذا قطر منه في اذنيه يعود اليه سمعه لانه الان لا يسمع لشدة المه

ولما سمعت الامراءة وابنتها كلام الراعي طارتا من الفرح واخذتا في تقبيل يديه وشكره وقالتا له ارحمه وساعده فان انفاذ هذا العمل الحميد منوط بك والحا عليه بالالتماس والرجا فاجاب اكراما لعائلته وحبًا بتخفيف اوجاع خير والامه ونهض في الحال وسار الى جهة الجبل فقطف باقة من اوراق شجر الصندل واسرع بالرجوع الى بيته ودفع الاوراق الى بنته فاخذتها من يده ودقتها في الحال بهاون مقعر وعصرتها واخذت ماءها ودنت من خير وقطرت بعض نقط من ذلك العصير في عينيه بيدها وهي تبكي لحالته . وكذلك خير فانه بقى مقدار ساعة يتالم ويتوجع من شدة التهاب القطرة في عينيه وبعد ساعة سكن الالم وشعر براحة . وفي صباح اليوم التالي نهضت الفتاة وقطرت ايضًا بضع نقط من تلك القطرة في عيني خير فلم يتهيج منه المه كالاول . وبقيت الفتاة لمدة اسبوع تقطر لخير في عينيه كل يوم مرتين وحينئذ راى خير جراح عينيه

قد التئمت وبقي لها اثر بسيط ففتح عينيه قليلا وبدأ في ان ينظر الى الدنيا ويميز ما بين يديه . والحاصل انه بعد عشرة ايام من وجوده في ذلك المكان فتح عينيه جيدًا وصار نظره صحيحًا اكثر من الاول . وحينئذ غطت امرأة الراعي وبنته وجهيهما ولكنهما بقيتا على خدمته ورعايته كالاول . وكانت الفتاة قد وقعت في حب خير على غير قصد منها وصارت تشعر بحكم الطبيعة بميل خصوصي لخدمته والتقرب منه ولذلك كانت تهتم شديد الاهتمام بكل خدمة ومصلحة تلحظ انه باحتياج اليها . وكذلك خير فانه بعد ان فتح عينيه راى نفسه مديونا بحياته وراحته لهذه الفتاة فاحبها محبة لا توصف واصبح عاشقًا لها مغرمًا بها خصوصًا لما راى منها ميلاً اليه واجتهادًا في خدمته وكان لم ير وجهها ولا استجلى محاسنها ولا راى جمالها بعينيه ولكنه ادرك بعين عقله انها لا بد ان تكون جميلة . وعليه كان كل منهما يخفي حبه وغرامه ولم يكن بينهما كلام او معاشرة بل كانت دلائل الحب معروفة من بعضهما البعض بالاشارة والايماء . وكان خير ينهض في الصباح ويذهب مع الراعي لرعي الغنم وقد اهتم كثيرًا واجتهد ليوقع حبه في قلب الراعي وكان في الصباح والمساء يقبل ايادي الراعي ويقول له انت ابي وانت السبب في ارجاع نظري فعيني الآن هما من عندك فالله يجازيك عني خيرًا في الدنيا والآخرة وبكلامه هذا استجلب محبة الراعي وزوجته فتعلقا به باكثر من تعلقهما بابنتهما وكانا لا يرتاحان ان لم يكن حاضرًا . وهكذا اصبح كل فريق من خير وعائلة الراعي مولعًا بحب الآخر مجتهدًا براحته ملتفتًا الى خدمته . واما محبة الفتاة فكانت تزيد وتتعاظم من يوم الى آخر ومحبة خير تنمو وتتجسم في قلب الراعي وصار يعتبره كابن له ويعامله معاملة الوالد . ومن بعد ان مر عليهم بضعة اشهر على هذه الحالة جلسوا ذات ليلة مع بعضهم البعض الراعي وزوجته وابنته وفي اثناء الكلام والحديث قال الراعي لخير اني ممنون ياولدي كثيرًا من شفاء عينيك ورجوع نظرك اليك ولكننا لما كنا لا نعلم الاسباب التي جرّت عليك هذه المصيبة الكبيرة ترانا في قلق من جراء ذلك فاخبرنا بقصتك وخلصنا من انشغال البال

والقلق . فلم يخفِ خير عنهم امره بل حكى لهم قصته من اولها الى آخرها وكيف انه خرج من بلده لاجل السياحة فصادف شرًّا وكان لا يعرفه في بلده فصار يطعمه من زاده ويسقيه من مائه . ولما فرغ زاده وماؤه اعرض عنه شر وابى ان يعطيه نقطة ماء في حالة نزعه واخيرًا طمعًا بالجوهرتين اقتلع عينيه واخذهما وسار ولم يسقه وبقي في حالة الموت حتى وصلت اليه بنته وخلصته . فتأثر الراعي وزوجته من قصة خير ولم يقدرا ان يضبطا نفسيهما عن البكاء وصارا يستلان الويل والبلاء لشر وقد تعاظمت محبة خير عندهما وصارا يدعيان له بالسعادة وحسن المآل

الا ان خيرًا كان فكره وقلبه عند بنت الراعي . فكان يقول في نفسه هل يا ترى يسعدني الزمان وانال وصال هذه الفتاة . كلاَّ . ما هي المناسبة بيني وبينها ايمكن ان يقع امر مثل هذا لاني انا بعنايتهم دخلت الى الحياة وارى نفسي مضطرًا لان اكون خادمهم وربما هم ايضًا يعتبرونني في عيونهم كعبد رقٍ فهل يمكن لهم ان يعطوني جوهرة ثمينة كهذه . اواه يا ليتني كنت مت وانا اعمى ولا رأت عيني هذه الفتاة ولا عرفت صفاتها الملائكية واطوارها الحسنة فكل ما فيها يعشق ويحب . وكان يفكر بهذه الافكار وقلبه يضرب بدقات الرجا واليأس والغرام يقيمه ويقعده وقد غرق في بحران التفكر لايجاد طريقة تنوله بغيته واخيرًا قال في نفسه لا طريقة الا بان استاذن الراعي بالخروج من هنا والذهاب الى بلدي . فاذا كان الراعي مسرورًا مني وراغبًا في بقائي عنده فلا يتركني اسافر ومن المحتمل ان يعرض عليَّ مصاهرته فابقى وانال بغيتي من مالكة قيادي واذا على فرض سمح لي بالذهاب وتركني اسافر اسير الى بلدي حينئذٍ ومن المامول ان محبة الفتاة تبرد من فؤادي شيئًا فشيئًا لاني لا اقدر ان اقيم هنا ولا اقوى على هذه الحالة الموجود فيها الآن وكلما رأيت هذه البنية ارتجف وقلبي يلتهب بنار هواها . عند ما كنت بغير ماء في الطريق فجناية شر انه كان يخرج كوز الماء امام عيني ويشرب اني اقسم بالله ان هذا التعطش هو اشد صعوبة ومرارة من ذاك التعطش لان

ذاك العطش كان فداؤه العين اما هذا العطش [illegible]
عزيز فيّ . ومن بعد ان صرف نحوًا من اسبوع [illegible]
عاد ذات مساء من البرية الى البيت وعلائم الكدر [illegible]
وجهه . ولما رأى الراعي حالة خير وما هو عليه من [illegible]
امره وسأله ما بالك يا ولدي مهمومًا [illegible]
من مكانه وقبل يدي الشيخ وقال له اذا كنت تسمح لي [illegible]
لازمًا . فاظهر الراعي التعجب وقال ما هذا الامر تكلم يا [illegible]

فقال خير . في الواقع انك الآن يا سيدي تعاملني معاملة لا [illegible]
يعامل بها الاب ابنه وعيني قد وجدتا النور بواسطتك ولا [illegible]
بنعمتك وحقي ان ابقى كل عمري خادمًا لك واعرف [illegible]
جزءًا من الحقوق التي لك عليّ لكن ما العمل فان امرًا [illegible]
الى الاستئذان منك بالسفر الى بلدي ومع اني ارغب ان ابقى [illegible]
فمن وجه آخر ارى نفسي في اي مكان كنت فروحي [illegible]
متحيرًا ومضطربًا وخجولاً منكم وعارفًا مقدار الجميل الذي [illegible]

فلما سمع الراعي كلام خير لم يقدر ان يضبط نفسه من البكاء [illegible]
خير وقبله في جبينه وقال له خف الله يا ولدي لقد احرقت لي فؤادي [illegible]
لا اريد ان اصرف عمري بدونك انا لا اتركك واذا تركتك [illegible]
بي فدع عنك هذه الافكار فجميع امتعتي واموالي فهي لك [illegible]
اهبك ايضًا ابنتي فاعطيك مقتنياتي جميعها وابنتي ايضًا [illegible]
فاستلم الجميع ودعني انا اصرف باقي عمري تحت عناياتك . [illegible]
التصور اكرامًا لله ولا تحرق قلبي فليس لي اولاد غيركم . [illegible]
يرتجف بكمال التأدب والحياء وبعد ان اطرق برهة عاد ثانية [illegible]
الراعي وقال له يعلم الله يا سيدي اني لا اريد الانفصال عنكم [illegible]
الاوقات ولا اقدر حتى يوم القيامة ان انسى معروفكم [illegible] والآن [illegible]
ارادتك ان ابقى هنا ولا ترخص لي بالسفر فسأبقى هنا واقوم [illegible]

عمري وفوق طاقتي

فسر الراعي من كلام خير سرورًا لا مزيد عليه وفي اليوم الثاني عقد لبنته عليه وازوجه بها وصار صهره من ذلك اليوم

وقد سرَّ كلٌّ من خير وبنت الراعي سرورًا لا مزيد عليه وتلذذا بوصال بعضهما البعض وكان خير يظن في نفسه انه اكثر سعادة من زوجته لحصوله عليها وهي ايضًا كانت تفكر انها اكثر منه سعادة لحصولها عليه لان الحب كان يري خيرًا انها مع ما هي عليه من الجمال الباهر والحسن الزاهر قد تخلقت باخلاق الملائكة ولما لها عليه من المعروف والجميل في شفائه وخدمته والاهتمام به ترفعت عليه وصار حصوله عليها من سعادته وكذلك الفتاة فانها كانت قد رأت فيه من المزايا الحسان والاداب ولين الطباع ما لم تره في غيره من ابناء قريتها الذين كان لابد لها ان تقترن باحدهم ولذلك حسبت نفسها سعيدة فوق ما تؤمل وهذه الافكار كانت تزيد تعلقهما وحبهما لبعضهما البعض

ولما اصبح خير صهرًا للراعي صار في النهار يخرج معه لرعي الخرفان والانعام وفي المساء يضم اليه زوجته وينام الى جنبها وكثيرًا ما كانت الفتاة تخرج معهما الى البراري في وقت النهار فيتسلى بها وتتسلى به وهو مرتاح البال ساكن الخاطر خالي الهم . ففي ذات يوم بينما كان خير يتجول مع حميه لرعي المواشي في البرية صادفا شجرة الصندل التي كانت اوراقها سببًا في فتح عينيه . واذ ذاك قال له الراعي هاك يا ولدي الشجرة التي اخذت من اوراقها وعالجت بها عينيك حتى شفيت ورجع النور لها وتلك الشجرة التي الى جانبها تفيد اوراقها للصمم فاذا اخذ منها وعصرت وقطر من عصيرها في اذان الاصم شفي . فخف حينئذ خير الى الشجرتين واخذ من كل منهما بعضًا من الورق وقد اخذ قطعتين من القماش فخاطهما في الحال كيسين وملأهما من اوراق الشجرتين . وقد قال في نفسه لربما ذات يوم احتاجها اما لي واما لمنفعة الغير وخيرهم . وعند المساء عاد مع حميه الى البيت وبات مع زوجته على الهناء والراحة

ومع ان خيرًا كان مسرورًا من هذه العيشة السهلة الحسنة يشكر الدهر

الذي اوصله الى بيت هذا الراعي يقطع الاوقات بهناء ولذة لاهم له الا الشكر من الراعي وزوجته . لكنه لما كان قد تربى وعاش في المدن ولما لم يكن في تلك الصحراء الواسعة والبراري الشاسعة سكان يتلهى بمعاشرتهم اخذ صدره في ان ينقبض من الوحـدة والانفراد شيئاً فشيئاً ولذلك كان يقول كم كان حسناً لو كانت هذه الراحة التي الاقيها هنا في بلدي او لو كنت امضي وقتي مع زوجتي في بلد واسع كم تكون مسرورة ومنشرحة . وصار يفتكر دائماً بمثل هذه الامور حتى لم يعد يخرج من ذهنه او يبعد عن خاطره امر سكنه في المدن واخيراً بعد التفكر والتبصر قال يلزم ان اعرض هذا الامر على زوجتي ذات مرة لارى هل ترغب فيه او ترفضه . ففي ذات ليلة بينما كانا نائمين في فراش واحد يتحادثان و يتسامران قال لزوجته الا يوجد في جوار هذه الصحراء مدينة كبيرة كباقي المدن . فاظهرت التعجب من كلامه وقالت له ما المعنى بذلك وماذا تقصد بقولك الا يوجد بالقرب من هذه الصحراء مدينة . فقال اني لا اقصد شيئاً ولكني اسألك هل ان المدينة تبعد كثيراً من هنا . قالت كلاً لا تبعد المدينة عن هنا اكثر من ١٢ ساعة و يسار اليها على الطريق العام . وحينئذ قال لها بالفاظ التحبب اي رفيقة حياتي الامينة وحبيبتي الصادقة اليس الاحسن والاجدر بنا ان نذهب الى المدينة ونكتري لنا بيتاً فيها ونعيش عيشة اهل المدن وننخرط معهم في حظوظهم ومسراتهم وتعتادين على المدنية والمساكن الحسنى ان هذا اوفق لنا من البقاء في هذه الصحراء منفردين لا نشاهد الا صخورا واشجاراً وغابات واكاماً . وبعد ان افتكرت الفتاة برهة قالت له نعم ياحبيبي ولاريب في ان العيشة في المدينة احسن وانسب لك لانك ربيت في المدن ونميت على العيشة فيها فتراها احسن بكثير من عيشتنا هذه الحقيرة اما انا فاني وان كنت افضل العيشة في الصحراء والبقاء في هذا البيت على قصور الملوك لكن اكراماً لك وحباً لراحتك اترك هذا المكان واسير معك الى المدينة وعليه فاننا في الصباح نتقدم نحن الاثنان بالرجاء الى ابي ونستأذنه بذلك . فسر منها خير ومدح من حبها وحسن ادراكها . وفي صباح اليوم الثاني تقدم الاثنان

من الراعي واخبراه بما قر رايهما عليه في الليل وسألاه ان يجيب التماسهما ورجاءهما فاطرق الراعي برهة في الارض متفكرًا ثم رفع راسه وقال لخير اطمان ياولدي فاني لا ارد لك طلبًا ولا امنعك مما تحب فاكراما لك وانفاذا لارادتك ابيع غنمي وكل امتعتي هنا واسير معكما الى المدينة لقد صرفت معظم عمري في هذه البرية وساصرف الباقي في المدينة لارى ما هو الفرق بين العيشة الهمجية والعيشة المدنية عسى يكون في ذلك راحة لي في اخر عمري فاموت قرير العين . لكن اذا كان ولا بد لنا من السكنى في المدن فالاوفق ان نقصد احدى المدن الكبيرة والعواصم العظيمة لاني ارى ان القرية مثل المدينة الصغيرة فاذا كنت تقبل كلامي وتسمع مني رايي فسر الى حيث اقول وهو انه على بعد عشرين يومًا من هنا مدينة بلخ العظيمة فنقصدها ونسكن فيها مسلمين امرنا لله تعالى فرضي خير وزوجته بذلك وشكر الراعي على قبوله بترك وطنه ومسقط رأسه وبيع املاكه ومقتنياته واللحاق بهما كي لا يفارقهما . اما الراعي فلم يتأخر بل في الحال باع املاكه وغنمه وكل ما ملكت يده لاهل قريته ودبر كل ما يحتاج اليه في سفره . وبعد بضعة ايام خرج الجميع من القرية وساروا يقصدون مدينة بلخ حتى وصلوا اليها ودخلوها وطافوا في اسواقها ولما كان خير معتادًا على المدن ويعرف اصطلاحاتها بحث عن خان موافق استأجر فيه محلاً لسكنهم. وبعد يومين من وصولهم الى المدينة وجد خير بيتًا صغيرًا فاستأجره ونقل اليه زوجته واباها وامها فسروا لذلك واستراحوا عدة ايام . ولما لم يكن الراعي معتادًا على المدن كان يندهش من كل ما يرى وكان يذهب ويعود برفق خير على الدوام وكان خير يهتم بجلب احتياجات البيت ويحترم الراعي وعائلته كالاول ولم يهمل لهم امرًا قط

ومرّ عليهم شهران في المدينة يصرفون الوقت على مثل ما تقدم وقد رأى الراعي وزوجته وبنته راحة السكنى في البلاد المعمورة وذاقوا لذة العيشة بين الناس وسرهم تخاصهم من الصحراء ورعي الخرفان وبعدهم عن برد الليل وحر النهار وكل انواع التعب والعذاب فكانوا يشكرون خيرًا على الدوام ويدعون

له بالسعد والتوفيق

ففي ذات يوم خرج خير لكي ياتي البيت ببعض اشياء يحتاجونها وفيما هو يتمشى في الشارع سمع ضجة وصوضاء كأن يوم القيامة قد قام ورأى الناس من كبيرهم الى صغيرهم يسرعون ويسيرون كالجيش . فتقدم من احد الناس وسأله عن السبب . فقال له انهم يسيرون للمناجاة على حسب العادة المعلومة . فزاد تعجب خير من ذلك وقال في نفسه ما المعنى اني لم افهم شيئًا فالاوفق ان اختلط بين الناس واسير معهم فاعرف السبب وما هي المناجاة على حسب العادة المعلومة . فتتبع الناس وسار يرافقهم حتى خرجوا من المدينة وجاؤوا الى محل واسع فالقى كل منهم عباءته عن اكتافه وكشفوا رؤوسهم ووقفوا عراة ونظر ايضًا ان جنود المدينة قد جاءت صفًا صفًا فكشفوا رؤوسهم ووقفوا ومن بعدهم جاء الملك بكمال التواضع وكانت عيونه تذرف الدموع فيمسحها بمنديل في يده ووقف في وسط الجماعة . وبناء على امره جلس الجميع وبقي هو واقفًا . وكان خير يتعجب من كل ما يرى وقال يا الله ما هذه الاحوال ماذا يعملون هؤلاء هنا . ثم راى الجميع وقد اصغوا وسكنت حركاتهم وصاروا كانهم صم بكم ولم يعد يسمع صوت قط وحينئذ رفع الملك صوته كانه يخطب فقال اي رعاياي الامناء الذين ادخلهم الله في رعايتي وعلمني الواجب عليَّ والمفروض على ذمتي من الاعتناء بهم والمحافظة على راحتهم . انتم تعلمون اني ارتقيت سرير السلطنة وانا في الخامسة عشرة ولي الآن نحو ستين سنة حاكمًا عليكم واشكر الله اني صرفتها على العدالة والانصاف حتى لم ادع احدًا يتشكى او يتظلم مني بل كنت ارى بنفسي امور الرعية الخصوصية وامور الدولة العمومية واديرها على ما يرضي الامة والذمة وينطبق على شرع العدالة الربانية ولم اغفل امرًا ولا تغاضيت عن راحة احدٍ وقد رجوت الله كثيرًا بان ينعم عليَّ بخلف يخلفني على هذه الحكومة فاعلمه طرق الحق وادربه على حب الرعية فلم تشأ ارادته ذلك فترونني مايوسًا لهذه الغاية نعم ان الله لم يدعني بدون ولدٍ بالكلية بل رزقني بنتًا حسناء فاعتنيت بتربيتها وتهذيبها مدة عشر سنين وعلمتها جميع العلوم والفنون

وقمت بحق الابوية المفروضة عليَّ وفيما انا مسرور وقلبي فرح واقول في نفسي ساترك الاهالي وللرعية وريثة اكثر مني ادراكاً وارفع علماً واميل عدلاً قضت الارادة الالهية ولا اعلم ما الحكمة بذلك ان تبلى ابنتي المسكينة بالصمم والعمى فلم تعد تسمع ولا ترى فتقطع قلبي لذلك وضعف لذلك جسمي وعدت الى الياس اكثر من الاول ومع ذلك فانا اعلم ان لا بد من حكمة لله في هذا . نعم اني لم اجبركم ولا اتيت بكم الى هنا بالرغم عليكم بل اتيتم من نفسكم دلالة على حسن رضاكم وسروركم مني وقد حملكم حبكم لي على الخروج مرتين في الاسبوع الى هذا المكان للدعاء والصلاة الى الله سبحانه وتعالى لاجل شفاء بنتي وها لنا الآن مدة شهرين مداومين على الدعاء والالتماس والطلب نتضرع ونتوسل اليه تعالى وقد اتينا الآن لهذه الغاية ايضاً فاسالكم بل ارجوكم ان ترفعوا اصواتكم بالتوسل للحكيم الشافي عن نيات صادقة وقلوب طاهرة عسى ان الله سبحانه وتعالى يجيب توسلاتنا ويرحم قلوبنا المنكسرة فيفتح عيني ابنتي واذنيها فتعود الى ما كانت عليه قبلاً ولا بد ان لا كثركم بنوناً وبنات فتعلمون مقدار حبهم ومعزتهم وكم يكون الاب حزيناً منفطر الفؤاد عند ما يكون اولاده مصابين بالآلام والاوجاع

فلما سمعت الرعية كلام الملك الممزوج بالتأوه والتحسر واخراج التنهدات والزفرات ما منهم الا من بكي وانجرح قلبه من كلامه ثم خروا جميعهم على وجوههم سجداً ورفعوا اصواتهم بالصلاة والدعاء الى الله جلَّ شانه ان يرحم بنت الملك ويشفيها مما هي فيه من الصمم والعمى

كل هذا وخير يسمع ويرى وقد اخذ في ان يرتجف من راسه الى قدمه وبقي متحيراً في نفسه غارقاً في بحر الاوهام والافكار . يقول في ذاته سبحان الله كم هو عظيم وكريم ان حكمته قد قضت بذلك لخيري ومنفعتي . ماذا ياترى اعمل أأتقدم من الملك واخبره باوراق خشب الصندل التي عندي او لا اخبره بها . ولبث برهة يفتكر وقلبه يرتجف ثم قال في نفسه يلزم ان اتأنى واصبر هذه الليلة واراجع الامر بنفسي لان من تأنى نال ما تمني ومن عمل

عملاً بدون تروٍّ وصبر خاف عاقبته ودام على عزمه متعجباً من عمل القدر وحكمة الله الغريبة

وبعد ان بقيت تلك الجموع مدة ساعتين يبكون مع ملكهم ويتضرعون الى الله تعالى بقلوب حارة خاشعة رجعوا الى اماكنهم . اما خير فرجع الى البيت متفكرًا متغير الاحوال . لانه من الجهة الواحدة كان يبشر نفسه بالسعادة والاقبال ومن الجهة الثانية كان يخاف من ان يجلب على نفسه الويل والهم ولذلك كان غارقًا بين امواج الحزن والسرور . ولما راى الراعي وامراته وبنته حالة خير وما هو عليه من الاضطراب وانشغال البال قلقوا ولا سيما زوجته . فقالت له العفو ياسيدي ماذا اصابك ولماذ انت مصفر اللون مشتت الافكار فلم يجب قط بكلمة بل ذهب الى احدى الزوايا وجلس . فزاد لذلك قلقهم وانشغال بالهم ولا سيما عندما راوه لا يتكلم فطافوا حواليه وقال له الراعي الرحمة يا ابني لا تزد قلقنا اخبرنا ماذا طرأ عليك في هذا اليوم اجبنا اكرامًا لله والا قتلت نفسي . وقالت له زوجة الراعي لماذا انت حزين لا تجاوبنا ياولدي والحت عليه كثيرًا حتى عاد اليه صوابه فتبسم وقال ماذا جرى لم يجر عليَّ شيء دعوني الان بحالي فزادوا عليه في الالحاح ولا سيما زوجته وامها فقال لهم اني لما خرجت في هذا اليوم من البيت وكنت اطوف في الاسواق كان جميع الاهالي والعساكر حتى الملك نفسه خارجين الى البرية فذهبت معهم لانظر ما الخبر فوقفت في جهة اراقب ماذا يجرى واذا بالملك قد انتصب على كرسي عال بكمال العظمة والاجلال وخاطب الجميع بكلام موثر وذلك ان له بنتًا صماء وعمياء فسألهم ان يصلوا لله ويسألوه شفاءها . فلما سمعت انا كلامه اردت ان اتقدم اليه واعرض عليه امر مداواتها وانا اعتقد ان الصندل يشفيها فلم اجسر فبقيت في اضطراب وهذا هو السبب الذي اشغل بالي

فلما سمع الراعي هذا الكلام وحالما وقع في اذنه اسم الملك اخذ في ان يرتجف وصاح العفو يا ولدي حذار من ان تتعرض لمثل هكذا امر أانت مجنون لا تجلب الويل والشر لنفسك بيديك فماذا يعنيك من ذلك وربما لم يصر حسنًا

فكيف يمكنك بعد ان تتخلص اكراماً لله ياولدي لا تترك هذا الامر في خاطرك بل اصرفه عنك . العفو يا ربي يقول الملك . اي دخل لك بالملك . ثم اخذ الراعي في ان يبكي ويرتجف . فتبسم خير وقال في نفسه ان البدوية مزية فيه ماذا يعمل الملك هل يأكل الناس . له الحق ان يخاف من ذكر اسم الملك لان الحضور بين يدي الملوك ليس بالامر السهل فان هيبتهم ووقارهم يخيفان الداخل عليهم ... فالان باي طريقة ادخل على الملك وهل يمكنني ان امتنع عن ان اسعى في شفاء بنته والدواء في جيبي . وبقي غائصاً في هذه الافكار مدة

ودام خير اياماً على ما تقدم الى ان كان ذات يوم شاهد الازدحام كاليوم الاول فاختلط بهم وسار معهم ولما وصلوا من المكان المعهود وقف في محله . واذا بالملك كاليوم السابق قد علا الدكة واعاد على الحضور نفس الكلام الذي القاه في اليوم المتقدم ذكره ولكنه زاد عليه قوله « واني ايها الشعب الامين الصادق مسرور منكم وممنون لكم بسبب الثقلة التي تتحملونها لاجلي فجزاكم الله عني خيراً واخبركم اني في الليلة الماضية ظهر لي في الرؤيا ان دعانا سيستجاب اما في هذا اليوم او في الغد وان اذني ابنتي وعينيها ستفتح بواسطة خير . فلما سمع خير ان السلطان يلفظ اسمه حيث قال ان اذني ابنتي وعينيها ستفتح بواسطة خير لاح له انه يقصد انه سيجيء خير ويشفيها فصاح في الحال من بين تلك الجموع نعم ايها الملك انا هو خير وقد اتيت اوني اعدك اطال الله بعمرك ان اشفي لك بنتك من صممها وعماها باذن العلي الحكيم . فلما سمع السلطان والشعب الساجد الى الارض هذا الكلام التفتوا بوجوههم اليه وتعجبوا منه عند ماراوه شاباً وجميلاً وبناء على امر السلطان أحضر خير الى بين يديه . فقال له السلطان ما اسمك اجاب لا برحت ايها الملك السعيد عائشاً بالعز والاجلال وزاد الله بعمرك وقدرك ان اسمي (خير) فاستبشر السلطان بالفوز والنجاح وقال له اهلاً وسهلاً ان شاء الله يكون قدومك علينا خيرا . لقد قلت الان انك تشفي اذني وعيني بنتي فكيف ذلك فاجابه خير بجراءة ممزوجة بالحيرة والخوف نعم ياسيدي اني في مدة عشرة ايام اعيد بنتك احسن مما كانت واعدك

بذلك وعداً صادقا

فبقي السلطان متحيراً من كلامه ولكنه قال له هلم لنرَ ان شاء الله يكون خيراً ٠ ثم نهض الجميع وجاؤوا المدينة فاخذ الملك خيراً معه الى قصره وعين له مكاناً مخصوصاً ورتب له الخدم والحشم

الا ان الملك كان متعجباً من تصادف هكذا انسان بغتة ولذلك كان يقول اصحيح ما يقوله ام كذب اني في شبهة من كلامه ٠ ولما لم يقدر ان يرتاح نهض من مكانه ودخل على خير ٠ ولما شعر خير بقدوم الملك خاف من جهة وفرح من اخرى وتقدم لاستقباله بالخوف والفرح ولما صار قريباً من السلطان دعا له واثنى على عنايته به وقبل اذياله فاخذه الملك من يده وقبله في جبينه ودخل الغرفة التي اعدت لخير فجلس وبقي خير واقفاً بين يديه بكمال الوقار والاحتشام الا ان السلطان الحّ عليه بالجلوس فجلس تجاهه ٠ وبعد ان اظهر له مزيد الاعتناء والاكرام وهش في وجهه وابدى له كل مؤانسة ولطف وترحاب سأله عن بلده ٠ فاجابه خير اني من البلد الفلاني من احقر سكانها وقد اوصلني القضاء والقدر الى هذه العاصمة لكن باذن الله تعالى ساعيد على ابنتك سمعها ونظرها فتصبح احسن مما كانت والعلاج موجود معي فكن براحة ولا يشغل بالك امر ولا ترتب بحكمة الله تعالى فاني بمساعدته وعنايته اشفي عيني بنتك واذنيها وليس على الله من امر عسير

فزاد فرح الملك لهذه البشرى ولم تعد الدنيا تسعه ولم يعد يعرف ماذا يعمل لعظم فرحه وسروره ولذلك كان يتردد وهو يكاد لا يصدق ما يسمع يقول في نفسه اصحيح يا ترى ام كذب

ومن ثم احضر الطعام لمجلس الملك وخير على المائدة واخذا بمناولة الطعام وكان العرق يتصبب من جبين خير لشدة خجله ولم يكن يرفع نظرهُ الى وجه الملك بل كان لسانه لا يفتر من الدعاء للملك والشكر له ٠ وهذا زاد الملك فيه محبة واليه ميلاً

واما الراعي وعائلته فلما رأوا ان المساء قد اقبل ولم يعد خير شعروا ان

الدنيا بما فيها انطبقت عليهم وصاروا يبكون وينوحون ويقولون ماذا طرأ عليه ولماذا لم يعد وما هي المصيبة التي منعته عن الرجوع الى البيت . وقال الراعي اخاف ان يكون الجهل والطيش قد حملاه على الذهاب الى الملك وقد رغب باحراق نفسه بيده ولم يلتفت الى نصائحي واقوالي ولا اعتبر باقوال الحكماء الذين حذروا من معاشرة الملوك والقرب منهم ان من اكبر الآفات التقرب من الملك وقد قال لقمان الحكيم ان السلطان يغضب غضب الولد الصغير وينتقم انتقام الاسد القدير ولهذا اقول انه رمى نفسه الى التهلكة بيده ان الحق كله عليّ لاني اطعته في المجيء الى هذا المكان فياليتنا بقينا جميعنا في الصحراء سالمين مرتاحين الافكار ولا اتينا الى محل انشغال البال والقلق والهلاك . وبقيوا في هم ونكد صابرين على حكم القدر يعلقون آمالهم برجوع خير اليوم بعد اليوم

ولنعد الى خير فانه بعد المساء تناول الطعام وصلى ثم نهض مع الملك ودخلا غرفة بنته فجلسا فيها وكان خير خائفاً بزيادة فقد شاهد كل هذا الاعزاز والاكرام والاحترام اضطر الى مشاهدة حرم الملك فماذا يجرى به اذا لم ينجح وتبين للملك انه ضحك عليه واستهزأ به اذ لم يكن طبيباً ولا حكيماً ولذلك صار يناجي الله في نفسه قائلاً . الرحمة يا الهي لا تتركني ولا تتخلى عني فكما انك شفيت سمعي وبصري وارجعتني صحيحاً احسن مما كنت سابقاً اجعل شفاء هذه الفتاة على يدي ولا تخجلني ياحي ياقيوم . ثم ان خيراً هدأ روعه قليلاً بتسليم امره لله فسأل الملك ان يؤتى اليه بهاون فامر الخدم فاحضروا له ما طلب فاخرج من جيبه اوراق شجرة الصندل التي كان اخذها منها كما تقدم معنا وقال للملك كن براحة ياسيدي فان الله قد ارسلني الى هذه المدينة لاكون واسطة لشفاء ابنتك . وبعد ان سحق الاوراق بالهاون واحدة فواحدة عاد فعصرها ايضاً واحدة فواحدة واخرج ماءها وامر ان يؤتى بزجاجة وضع العصير فيها واخيراً صب بضع نقط من العصير في آذان الفتاة وفي عينيها وربط اذنيها وعينيها . ومنذ وضع الماء في عينيها شعرت براحه تسكين في الوجع . ونامت تلك الليلة بهدو وراحة حتى الصباح . وعند الصباح

دخل عليها خير ايضاً وسألها عن حالها فاخبرته براحتها ففرح نوعاً ونقط لها من العصير في اذنيها وعينيها كما فعل بالاول وربطهما وعاد الى المكان الذي اعد له . وبقي على هذا المنوال يداوي بنت الملك بذاك العصير في كل صباح ومساء حتى مرّ عليه عشرة ايام وحينئذ عاد النور الى عينيها فصارت تنظر وتسمع وقد رات كل ما حولها وشاهدت اباها واقفاً امامها ولشدة فرحها لم تعد قادرة على الكلام فرمت نفسها عليه تقبله . فلم يقدر الاب على ضبط نفسه عن البكاء العظيم لما لحق به من السرور الذي لا يقدر ولا يوصف . فضم بنته الي صدره وجعل يقبلها ودموع الفرح تتساقط من اعينهما وهما يشكران الله على هذه النعمة . وبعد مرور ساعة على هذه الحالة ترك الملك بنته وضم خيراً الى صدره وقال اني اشكر الله ياولدي كثيراً حيث ارسلك اليّ لتخلص ابنتي من البلايا والاوجاع التي انصبت عليها وما ذلك الاّ لان الله راض عنك راغب فيك مساعد لك ولا اغالط اذا قلت انك من رجال الله المختارين لان عملك هذا معجزة فلا انسى لك هذا الجميل ما دمت حياً وارى نفسي مدفوعاً بالهامات الهية الى مكافأتك على جميلك اعظم مكافأة اقدر عليها فما دمت قد دخلت بيتي واكلت معي على مائدتي كاحد اولادي وشاهدت بنتي ومددت يديك اليها ولم يعد شيء مخبأ او محجوب عنك فصار من اللازم ان ازفك عليها واجعلك صهراً لي وحاكماً في بلادي تسوس مملكتي وتدبرها لان الله معك وانا احببتك ولم اعد قادراً على مفارقتك . وبما اني صرت شيخاً واحب ان انزوي الى عبادة الله واصرف باقي عمري براحة وسكينة اسلمك زمام الاحكام واعهد اليك بتدبير الرعية منذ الآن . وهذه نعمة كبرى قد منحني اياها الله سبحانه وتعالى لاني كنت بهمّ زائد وانشغال عظيم انام مكدراً واقوم حزيناً على بلادي ورعيتي لا أعرف لمن اتركها من بعدي ففي وقت واحد فرج الله عني اذ ارسلك اليّ فشفيت ابنتي ووجدت لي صهراً موافقاً لها وزال عني الهم والغم حيث وجدتك كفوءاً للملك وقادراً على ادارته فاسمك خير وعملك خير وكلك خير بخير فالف شكر لله على هذه النعمة

فلما سمع خير كلام الملك اطرق راسه الى الارض من الحياء والعرق يتصبب من جبينه . غير ان الملك لم يهمل هذا الامر قط بل امر في الحال باقامة الافراح وان تزين المدينة ويعم الفرح سكانها كبيرًا كان او صغيرًا وكان الاهالي لما سمعوا بان بنت الملك قد ملكت صحتها ونالت الشفاء تمامًا سروا سرورًا لا مزيد عليه وزاد سرورهم عند سماعهم بخبر زفافها على الرجل العاقل الحكيم الذي ارسله الله لشفائها فاسرعوا الى اقامة الزين وتنوير الشوارع والاسواق وتعليق الاقمشة والاعلام وقد اهتموا بعمل الافراح مدة سبعة ايام وسبعة ليالي بتمامها غارقين بالغنا والرقص وعمل الولائم واطعام الفقراء والمساكين

وفي ظرف تلك المدة كان الراعي واهل بيته قد طارت عقولهم من روؤسهم لا يذوقون طعم الراحة لا ليلاً ولا نهارًا وكل بكائهم وحسراتهم على خير وبعد عشرة ايام من غياب خير راوا المدينة قد زينت واقيمت فيها الافراح فسال الراعي البعض من الناس عن سبب ذلك فقال له ان رجلاً اسمه خير جاء المدينة وداوى بنت ملكنا فشفاها من العمى والصمم فالافراح لهذه الغاية . فلما سمع الراعي ذلك طار قلبه من الفرح واصبح كالمجنون وخف الى بيته فاخبرهم بما سمع عن خير وطمنهم عنه فسروا جميعهم على هذه البشرى وشكروا الله وباتوا ينتظرون عودة خير محفوفًا بانعامات الملك حائزًا على رضاه والتفاته

ومن بعد نهاية ايام الافراح السبعة امر الملك بان يعقد لبنته على خير وقد عين لها اجمل قصر عنده وفرشه بابهى فرشٍ واهداها الجواهر النفيسة والاموال الغزيرة وقدم لبنته من الحلى الغالية ما استغرق خزينته برمتها لانه كان يحبها محبة لا توصف ولعظم فرحه لم يعد يعقل او يعرف ماذا يفعل

ولما راى خير نفسه في هذه الحال وشاهد تلك النعمة والاجلال والابهة والكمال شكر الله شكرًا عظيما وسر من حسن طالعه وجمال بخته وقد حصل على مرامه ومقصوده من وصال بنت الملك واصبح صهرًا شرعيًا له وحينئذ ارسل رجلاً بالخفاء فاحضر الراعي مع عائلته ونقلهم الى قصرعالٍ جميل وعين لهم الخدم والحشم ومن بعد مرور بعضة ايام جلس لوحده في غرفة منفردة

وارسل رسولاً لاحضار الراعي اليه فظن الراعي انه سائر للوقوف امام الملك فصار يرتجف كالغصن عند اشتداد الريح من الخوف والوجل ولكنه كان متحيراً عند دخوله القصر من التجملات والملاطفات التي كان يلاقيها في طريقه الى حين دخوله على خير . ولما دخل الغرفة نظر الى ما فيها باندهاش وتعجب وقد راى في الوسط خيراً جالساً على تخت مرصع منصوب في الوسط فلم يعرفه لشدة الخوف والاندهاش بل ظنه السلطان فخر ساجداً وقبل الارض بين يديه فنزل خير عن السرير وقبض على يد الراعي فوجدها باردة كالثلج وهي ترتجف كالدولاب البرقي فخاف ان يلحق به أذى فقال له لما ياوالدي العزيز تضطرب وترجف الم تعرفني وهل نسيتني في ظرف بضعة ايام . فلما سمع صوت خير احدق فيه وقد عاد اليه وعيه فعرفه وصاح من شدة الفرح ولف يديه على عنقه وصار يقبله كمن ضاع له ولد وحيد فلقيه بعد زمان طويل . فاخذ خير يده وقبلها وقال له بحياء وخجل اعلم يا ابي وسيدي ان هذه النعمة الحاصل عليها والسلطنة القابض على زمامها هي من فضلك وجميلك فالمرجع في كل ذلك لك وانا اشكر الله على هذه النعمة والسعادة الحاصل عليها لكنها لم تكن لتنسيني اياك او تنسيني فضلك ومعروفك عليّ فمن اللازم ان تشاطرني حظي وسعادتي وتتنعم بهذه النعم بعد ان لاقيت من مشاق هذه الدنيا واتعابها ما استغرق كل عمرك تقريباً . فشكر الراعي الله على ذلك وشكر خيراً ثم جلسا يتباحثان ويتحادثان والراعي يظن نفسه في حلم ومن وقت الى اخر يلتفت الى ما حواليه مندهشاً ومأخوذاً بتلك الزين والزخارف الملكية . وبعد ان مر عليهما ساعة تقريباً وهما على ما سبق قال خير للراعي اعلم ياسيدي ان وقتنا الان لا يشبه اوقاتنا السالفة فالله سبحانه وتعالى هو المغير والمبدل في احوال الناس ومراتبها فالرجل الذي تراه اليوم فقيراً لا يبعد ان تراه غداً غنياً والغني اليوم قد يمكن ان يصبح فقيراً فكم من ملوك حالت عن عروشها وكم من رجال كانت منحطة فرفعت على العروش بامره تعالى فلا يعلم احد منتهى حكمته ولا يدرك سر غايته فها انا الان قد اصبحت صهراً للملك بخ وحيث ان لاولد

ذكر لتلك فاليوم او غداً اجلس مكانه على تخت المملكة اي انني صرت ملكاً على مدينة لخ ومهما كانت السلطنة عظيمة نحي معزية والمراد من كلامي هو ان الانسان في اي حالة كان يلزم ان يحسن تلك الحالة ومن اية طائفة او قبيلة كان يلزم ان يتخلق باخلاق تلك الامة والقبيلة ومهما كان مسلكه فينبغي ان لا ينفصل عنه والحاصل ربما تظن من ظاهر حالي اني انسى من انا او اتغافل عن واجباتي مع اني لا يمكن قط ان انسى احوالي السابقة فكل ما يلوح في خواطرنا هو من صنائع الله فقد كانك انت لشفائي وجعلك وسيلة لايصالي من العلاج الذي بواسطته شفيت بنت الملك حتى تسنى لي ان اصير ملكاً وكافني لانتشالك من تلك البرية الموحشة التي كنت عايشاً فيها منفرداً كوحوش البرية واجيء بك الى عالم الراحة وحاشا لله ان يتخلى عن رجال الحسنات والخيرات فليس المرء باكرم منه وعليه فقد عينت لك قصراً مخصوصاً واعددت لك كل اسباب الغذاء والمعيشة السالفة فاقم فيه الان انما عليك بالصبر بضعة ايام لارى ماذا يكون من امر الملك وفي اي وقت يسلموني العرش وليس لي عندك الا وصية واحدة وهي ان تحفظ زوجتي بنتك لانها في اول حربي فتهتم براحتها وحفظها وخدمتها واخبرها ان لا يشغل بالها ولا تقلق لهذا الامر وان شاء الله قريباً نتلاقى . وبعد ذلك صرف خير الراعي ليرجع الى بيته ودخل هو الى حرمه وكان يقضي اوقاته معها بالحظ والانشراح وكانت بنت الملك منذ فتحت عينيها ونظرت خيراً لم يعد يطمئن لها قلب ولا يرتاح لها خاطر الا بقربه وقد احبته محبة زائدة وعلقت به ولم تطق فراقه فكان يهتم بما فيه سرورها وراحتها وكذلك كان يسعى لارضاء الملك فكان يرى مصالح العباد بالعدل والانصاف ويساعد الفقير اكثر من الغني ويجبر بخاطر الضعيف والكسير ويعظ الناس على ترك الشر واتباع الخير ومحبة بعضهم بعضاً لانهم اخوة في الوطنية والادمية ولذلك احبه الكبير والصغير ومال اليه الغني والفقير والامير والحقير

اما الراعي فانه عندما رجع الى بيته لاقته زوجته وبنته الى خارج الباب

وسألاه عن احوال خير فحكى لهم قصته من اولها الى آخرها فاظهرتا الفرح والمسرة على ارتياحه وعلو مقامه اما الفتاة بنت الراعي وان كانت اظهرت سروراً اكثر من الجميع لكن وقع على قلبها من الحزن الناتج عن الغيرة الشديدة التي تلحق جميع النساء الضرائر . وانتظرت النهاية بفروغ صبر لترى زوجها وتسير اليه وهي تخاف ان ينساها ويلتهي بزوجته الجديدة عنها ولا يعود يذكر بها وبعد مرور شهرين على ذلك وهم يرتعون في نعمة الملكة يرسل اليهم كل ما يحتاجونه ارسل خير خلف الراعي ثانية واحتفل به كثيراً واظهر له منتهى الرعاية والعناية . وابان له ان من اللازم ان يوجد معه وتحت دراية وعلى حجابه . ثم في الساعة نفسها البس جماعة من شبان المدينة البسة الفرسان وامر ان يؤتى بالثياب الفاخرة الثمينة المرصعة فخلعها على الراعي واقامه رئيساً للحجاب وقائداً عاماً على جنود المملكة . ثم دخل به على الملك وقال له ان هذا الرجل هو من الشجعان النادري المثال وله فضل علي عظيم فاردت ان اكافئه فأقمته على الجيوش قائداً عاماً ولذلك اسألك ان تقبله في هذه الخدمة وتصدق على عملي هذا . فالملك اكراماً لخاطر صهره قال له افعل ياولدي ما تراه حسناً وموافقاً لصالح البلاد والعباد فاني لا ارد لك امراً ولا اخالف لك عملاً فسر خير من كلام عمه وقبل يديه وكذلك الراعي دعا له ولدولته وسار الى بيته وحكى كل ما توقع له لعائلته فسروا لذلك سروراً لا مزيد عليه واملوا في خير خيراً زائداً لهم

والنتيجة كي لا نشغل القراء نقول انه ما مر على زواج خير اكثر من سنة ونصف حتى قضى الله سبحانه وتعالى بوفاة ملك بلخ حمي خير فاستقل خير في الملك وصار الآمر والناهي في العباد لا معارض له ولا مراقب فاجتهد اكثر من الاول في تنظيم احوال المملكة وترقية جنديتها ورفاه الرعية وكل ما من شانه ان يزيد محبة الاهالي له ومع كل ذلك لم ينس احواله الماضية فقد خطر على باله ذات يوم ما مر عليه من المصائب فشكر الله وقال في نفسه صدق من قال ان من يعمل خيراً في هذه الدنيا يرى خيراً ومن يعمل

شرا يلاقي مثله فياليتني اصادف مرة ثانية رفيقي (شرا) فيرى ما انا عليه من الجاه والعظمة والملك فلا ريب ان الحسد والغيظ يميتانه . وكان كلما راى خير محبة الناس له وميلهم اليه يفرح ويسر ويزيد نشاطًا واقدامًا . وقد نقل الى دائرة مخصوصة في قصره الراعي وبنته وباقي عائلته فكانوا يصرفون وقاتهم على السرور والهناء والفرح لا يصدقون بالحالة الموجودين فيها وكلما جلس خير على كرسي الاحكام جلس امامه الراعي كمستشار ومساعد له وهذا ايضًا كان يسر الراعي ويزيده حبورا لانه عندما يقيس بين حالته الحاضرة وحالته الماضية وهو في البراري يقاسي شدة حرارة الشمس وصبارة البرد لا يصدق انه في يقظة ولهذا كان داب خير والراعي وعائلته الصلاة والشكر لله على انعامه ورحمته

وهكذا كان خير كلما تقدمت الايام زاد اهتمامًا في تدبير المملكة والعدل بين الرعية لا يعمل الا على مقتضى الشريعة . وقد اخذ بتعمير المدن الكائنة تحت تصرفه وفي ظرف مدة قصيرة انتشر صيته عند الحكام والملوك حتى انهم حسدوه على عدله وعمران بلاده وحب رعيته له . وكان قد انشأ في ضاحية المدينة حديقة غناء للنزهة وراحة الاهلين فكان يذهب اليها في الاسبوع مرة اي في كل ستة ايام يومًا يستدعي الوزراء ويبقى معهم في الحديقة الى المساء يصرفون الوقت ما بين المخابرة باحتياج الرعية والاسباب اللازمة وحالة المتوظفين والحكام ومن منهم لائقًا فيستحق لمكافأة ومن منهم غير لائق فيطرد وبين الصفا والانس وعند المساء يعود الى قصره . وكان كالاول يحترم زوجته بنت الراعي ويحبها ويتجنب كل ما يكسر بخاطرها فيذهب ليلة اليها وليلة الى بنت الملك وعلى هذه الحالة كانت تمر معه الايام والليالي الى ان كان ذات يوم نهض عند الصباح فركب جوادًا كريمًا عليه عدة مزركشة بالذهب وسار الى جهة الحديقة والى يمينه رئيس الوزراء وبين يديه الموكب الملوكي يسير بنظام وانتظام

وقد صف على الطرقات التي في جهة اليمين الجنود لاجل السلام وكذلك

الاهالي فقـد اقبلوا كما كيتهم كجاري العادة عند ذهاب الملك الى الحديقة ووقفوا خلف الجند صفوفاً صفوفاً منتظرين مرور ملكهم الى ان اقبل راكباً بالابهة والعظمة والى جانبه رئيس الوزراء ومن خلفه الراعي شاهراً السيف ورافعه بيده وهو كانه الاسد لانه كان قوي الجسم متين العضلات لا يقـدر احد في كل مدينة بلخ ان يصرعه · وكان الحجاب صفوفاً صفوفاً يتقدمون الملك ويتأخرونه واثنان منهم يسيران الى جانبه · وفيما هو سائر كان يتمهل ناظراً في الاهالي والجنود مسلماً عليهم باشاً في وجوههم وهم يجيبونه باصوات الدعاء والشكر وبينما هو على مثل ذلك واذا به وقعت عينه على شر رفيقه القديم فاصابه من جراء وقوع نظره عليه رعشة وارتجاف خفيف في جسمه فتقرب منه قريباً وامر الحاجبين اللذين يسيران الى جانبيه ان ياتيا به متى وصلوا الى الحديقة واشار لها بيده عليه فقبضا عليه في الحال وساقاه بينهما وهما متحيران من ذلك لا يعلمان السبب الذي حمل الملك على الامر بالقبض عليه وقد ظنا انه تظاهر بما اغاظ الملك

ولما وصل خير الى باب الحديقة نزل عن جواده ودخلها بالابهة والاجلال وتقدم الى السرير المخصوص لجلوسه فجلس عليه وجلس رئيس الوزراء ورفاقه كل واحد في مرتبته ولبثوا منتظرين امر الملك وكذلك الراعي فانه جلس خلف الملك والسيف مشهر في يده وعيناه لا تفارقانه · وحينئذ امر خير بان يؤتى لبين يديه بالرجل الذي امر الحجاب بالقبض عليه · وفي الحال قدم شر اليه ووقف ذليلاً حقيرا ولم يكن يعلم انه رفيقه خير ولشدة خوفه لم يتمكن من الامعان في وجهه ولا تجرأ على النظر اليه لكنه كان يرتجف كاوراق الشجر اذا هزها الريح وهو يسأل نفسه ماذا يا ترى عملت وما هو ذنبي · واذ ذاك التفت خير الى شر وسأله مستنطقاً اياه

خ · ما اسمك

ش · اطال الله بعمر سيدي الملك وبلغه سعادة الدارين ان اسمي مبشر

خ · (متبسماً) هذا ليسه الصحيح فتكلم بالحق فهو افضل لك

ش · (بارتجاف واضطراب) معاذ الله ان عبدكم لم يقل الكذب زمانه بطوله وكل من يعرفني يعلم ان اسمي مبشر

خ · (بحدة) حذار ايها الخبيث ان الكذب بحضور الملوك امر عظيم اتظن ان الكذب ينجيك من عاقبة غدرك وشرورك

ش · (باضطراب زائد وخوف عظيم) العفو يا سيدي ان شئت تقتلني وان شئت تبقي عليّ فالامر لك اما انا فاني لم اتكلم بالكذب قط وما قلته هو الصحيح

خ · (زاجراً اياه بتحرق وغضب) تكذب وتقول انك لا تكذب كي لا يقال انك صدقت مرة الم يكن اسمك شر الخبيث الست الذي قلعت عيني رفيقك خير ولم تعطه الماء واخذت منه الياقوتتين وتركته في حالة النزع ولم تشفق عليه · الست انت فاعل كل هذه الشرور

فلما سمع شر من الملك هذا الكلام اخذت ركبتاه في ان ترتجف ولم تعدا قادرتين على حمله فوقع الى الارض · ثم تجلد ونهض واحدق بوجه الملك فعرفه انه رفيقه خير فتقوى قلبه نوعاً لعلمه بسلامة قلب خير ودنا من التخت فقبل اطرافه وقال له بالحقيقة يا مولاي اني انا شر لكن لي حديث ان امرت عرضته لديكم وما بعد ذلك مروا بما تريدون اما بجزاء القتل او بالعفو فالامر لكم · فقال قل ما تشاء لارى ما هو حديثك · قال معلوم عظمتكم ان القضاء والقدر قد حتما بان يكون اسمكم خير واسم عبدكم شر ولاجل ذلك فعلت الشر معكم طبقاً لاسمي اما الآن فلا بد ان تعملوا معي الخير طبقاً لاسمكم وهكذا قضاء الله ان تكون صفات كل منا كاسمه

فلما سمع خير كلام شر تحركت الرحمة في قلبه فقال له هيا فاذهب فقد عفوت عنك ولم اعاملك بما تستحق جزاء شرك · وحالما سمع شر كلمة عفو من الملك طار قلبه شعاعاً فقبل اذيال الملك وانسحب من حضرته غير مصدق بالنجاة وما غاب عن العيان حتى خرج الراعي في اثره ولما ادركه صاح به آه يا خبيث ما دام اسمك شرٌّ فشرًّا تلاقي وضربه بالسيف الذي بيده عن قلب

مقروح ففصل رأسه عن جسده ثم فتش في جيبه فوجد الياقوتتين اللتين اخذهما من خير فجاء بهما وطرحها امام الملك وقال له ان كنت قد عفوت عن شر لسلامة قلبك فلم اعفُ عنه انا خوفاً من ان يوصل شرهُ لغيرك فموته افضل من بقائه . واذ ذاك اخذ خير الجوهرتين في يديه فاحدق بهما وقد تذكر كل ما جرى عليه وشعر بالآلام التي تألمها من شر فاستصوب عمل الراعي ولذلك قال له يا ابي ان عينيَّ الاثنتين هما منك فاذا شئت اقبل مني هاتين الجوهرتين هدية في مقابل معروفك معي لان عينيَّ اغلى منهما فشكرهُ الراعي وقبلهما تذكاراً مقدساً وصرف خير باقي عمره في السلطنة وبعد نصف سنة تقريباً ركب وركب معه نحو خمسمائة فارس من فرسانه الاشداء وسار الى شجرة الصندل التي اخذ اوراقها فجلس تحتها مدة مستظلاً بظلها ملاقياً اعظم راحة ولذة ثم خاطبها قائلاً ايتها الشجرة المباركة انت الباعث لسعادتي وهنائي فان نور عينيي منك وبك عدت فنظرت هذه الدنيا وانت التي اعدت بصر بنت الملك ووهبتها الراحة بعد العناء والاوجاع انت التي اوصلتني الى درجة الملك فتزوجت بنت الملك وعلوت على عرش السلطنة وانقادت لامري البلاد والعباد فزادك الله بركة واطال بعمرك وزاد نفعك في العالم . ثم امر ان يبنى قصر حول الشجرة وصار ياتي اليه المرة بعد الثانية معترفاً بجميل اشجار الصندل المباركة

ولما وصلت السيدة درست بنت كسرى من نسل كيكاوس من سلاطين ايران السابقين الى هذا الحد قالت ادمك الله يا حبيبي ونور عينيَّ وساكن فؤادي ان خيراً بواسطة اشجار الصندل رجع البصر الى عينيه وصار ملكاً وفي الواقع ان شجر الصندل محبوب جداً ولونه يسر الانسان ويشرح له صدرهُ وهو بالحقيقة لون جميل يمتاز على غيره من الالوان واذا كنت لا تصدق فانظر . ثم كشفت عن صدرها القميص الناعم الرفيع وقالت له انظر كم هو جميل وبديع عند ما يتحد اللون الابيض المتشرب صفرة

ولما رأى بهرام صدر زوجته يتلألأ بانوار اللطف والبهاء سر سروراً

لا مزيد عليه وفي الحال اخذ يديها الاثنتين بيديه ومد راسه حتى اوصل فمه الى بين نهديها فاشتم رائحة العطر من ذاك الوادي البهيج · ومن بعد شم وتقبيل وامتصاص ضمها الى صدره وانهمك معها بالانس والصفاء ولما رأت الجواري المحيطة بهما غرقهما في بحر اللذات ابتعدن عنهما حتى خلا لهما الجو

وحينئذ جذب بهرام درست اليه وضمها والتصق بها واكثر من المداعبة والملاعبة وما انفك عنها حتى قضى الامر ونال كل منهما الوطر وبعد ذلك نزلا في الحوض الموجود امامهما فاغتسلا ومن ثم خرجا من الماء ولبسا ثيابهما وكان المساء قد اقبل فامرت درستي باحضار الطعام · وفي الحال تهيئت المائدة من شجر الصندل وجميع ما عليها والكرامي المحاطة بها من خشب الصندل ولما وضعت انواع الماكولات نهض بهرام وزوجته فجلسا على المائدة واشتغلا بمناولة الطعام

ومن بعد ان اكتفيا من الطعام رفعت المائدة واصطفت الجواري وبايديهن الاعواد وآلات الطرب وصفت القناني مملوءة من انواع الشراب الفاخر ودارت الكؤوس تجلي على نغمات الالحان كجلاء العروس وقد انهمك الزوجان باستجلاء كؤوس الانس والصفاء وقد تذكر بهرام حالة النهار وما جرى له فيه فاخذ العود واصلحه وضرب عليه وانشد

هاتها ضحوة النهار شمولاً ... مثل شمس النهار وسط النهار

قهوة مثل مقلة الديك صهـ ... ـباء كنار الكليم ليست بنار

ذات عصر ادناه عهد انوشر ... وان ليست بمزة معطار

فتراءت كالشمس غب سماء ... تجلي بين حمرة واصفرار

لا تخشى من لطفها بعد سكر ... من صراعٍ بادٍ ولا من خمار

فاسقنيها واشرب على زهر الرو ... ض وسجع القمري وشدو الهزار

واغنم فرصة الزمان وروّق الـ ... ـخمر من قبل ضيعة الاعمار

لا تبالي اذا سكرت بوزرٍ ... ان مولاي غافر الاوزار

ولما فرغ بهرام تناولت درست العود وضربت عليه اشكالاً والوانا ثم نشدت

اضحى التصبر حبله مقطوعا لما رأيت معذبي ممنوعا
وفقدت قلبي عنده واظنه لبليتي قد ساء فيه صنيعا
فغدوت انشد واللهيب بمهجتي والحب جرعني الاسى تجريعا
بالله يا اهل الهوى وبحقه لا زال قدركم به مرفوعا
قولوا لمن سلب الفؤاد مصححاً يمنن عليَّ برده مصدوعا

وما انتهت درست من انشادها حتى سكر بهرام شاه من جميل صوتها وحسن غنائها وفصيح كلامها وغريب حركاتها وتفننها بالغنج والدلال

وكان قد مضى جانب من الليل وهما في لهو وطرب وحينئذ وضع كل منهما يده بيد الآخر وانسحبا الى مكان الخلوة وهو عبارة عن مقاصير مصنوعة من خشب الصندل قائمة في نصف الحديقة تنبعث منها روائح الصندل الزكية فينشرح لها الصدر ولما دخلاها جلسا على سرير من الخشب المذكور ايضاً وعادا الى المداعبة والملاعبة ....

وبالاختصار نقول ان بهرام وزوجته صرفا ذلك الليل على حسب ما يرغبان وعند السحر استيقظ بهرام من النوم قبل زوجته فنظر في وجهها متأملاً وهي ملقية برأسها على الوسادة وغارقة في بحر نوم لذيذ فرأى وجهاً يلمع ويسطع كالقمر في ليلة تمامه ويزيده رونقاً وبهاء لانه متشرب حمرة الورد وشفتاها القرمزيتان تزيدانه زينة وكمالاً وعنقها البلوري يتلالأ ببياض بديع فوق صدر مرمري قد صنع فيه حقان من لجين جل خالقهما وجسمها جميعه مغطى بقميص ناعم رقيق من الحرير الصيني . فتوهم انها عريانة الى جانبه فلم يطق صبرًا عنها . ومع انه كان لا يرغب في ايقاظها من راحتها . لكن كيف يمكنه ان يتحمل ويصبر وهزة الصباح قد اخذته فهيجته ودفعته الى وضع الختام وحينئذ ضمها بين يديه ووضع فمه على خدها ثم جبهتها وعينيها وفمها وعنقها وبين نهديها واقام ثورة التقبيل فلم يكتف بالقليل بل تجاوز الالف وهو يطمع بالملايين ولما فتحت درست عينيها ورأت زوجها على ما هو عليه طار قلبها شعاعًا وامتلأ فرحاً وسرورًا واملت منه خيرًا في صباح يومها فلفت يديها على عنقه

وضمته اليها وقابلته بالمثل وكالت له بالكيل الذي كال لها به فزاد هيامه وفرغ صبره فصال وجال واوسع في المجال حتى حمى الميدان بالضراب والطعان وكان ما كان . وبعد نحو ساعة خرجا من السرير ودخلا الحوض للاغتسال فاقاما فيه عدة دقائق صرفاها على اللعب والسباحة وخرجا فلبسا الثياب وجلسا للراحة

وقد نظر بهرام في حاله وفكر انه في كل يوم يصرف وقته مع حورية من حواري الجنان وقد يلاقي من كل منهن صنوف الراحة والبسط والانشراح بعد ان تسمعه حكاية غريبة عجيبة فلم يسعه الا الشكر لله على هذه النعمة والسعادة المتناهية

ولما بزغت الشمس وانبسطت على وجه البسيطة نهض بهرام ولبس افخر ثياب وخرج من القصر الصندلي وسار قاصداً القصر الابيض بالابهة والاجلال كسابق عادته

وبعد ان سار بهرام قليلاً في طريق القصر الابيض رآه مفروشاً على بعد نحو ساعة تقريباً بالمفروشات الحريرية والديباجية البيضاء اللون مما ياخذ الابصار بهاؤها وزهاؤها وقد صف على الجانبين الجواري البيض يلبسن الملابس البيضاء وبيد كل واحدة منهن طبق من الفضة النقية وعليه حجارة الماس الصافي وتزين بالماس رؤوسهن واعناقهن حتى زاد جمالهن جمالاً وبياضهن بياضاً ولما رأين بهرامشاه مقبلاً لم يجسرن على النظر اليه فاطرقن باعينهن الى الارض والعرق يتصبب من وجوههن كحبات لؤلؤ فوق اطباق من عاج

ولما دخل بهرام في حدود القصر الابيض استقبله اكثر من ٢٥ جارية فسجدن له ثم سرن بين يديه بالاغاني والاناشيد الى صيوان ضرب هناك لاجل استقباله فنزل عن جواده وجلس على السرير فقدم له الجواري الالبسة البيضاء المرصعة بالماس الابيض الشفاف فلبسها وعاد الى جواده فركبه قاصداً القصر الابيض والجواري المتقدم ذكرها تسير بين يديه

ولما وصل من باب القصر اخذته الجوارى من تحت ابطيه وانزلنه عن جواده فدخل بالتكريم والتعظيم . ولنعد الان الى السيدة لغان بنت سلطان

الصين فانها على ما تقدم معنا كانت كانها حورية فرت من الجنان لا يمكن للقلم ان يصف جمالها وكمالها ويأتي بشرح بديع ما هي عليه من الحسن والجمال والقد والاعتدال والكمال وقد زادها انوارًا واشراقًا ما افرغته عليها من الملابس البيضاء البديعة المطرزة بجواهر الماس المتلالئة بشعاعها الشمسي الوهاج وعلى راسها تاج مرصع بكل ماسة كالجوزة الكبيرة ولما علمت بوصول بهرام شاه تقدمت لملاقاته بين صفين من الجواري الحسان اللابسات البياض وكانت تتنقل كالطاوس ومن اين للطاوس ان يقلد مشيتها او لغصن البان ان يعدل ميلانها او للبدر الوضاح ان يشرق لدى اشراق جبينها .. فراها بهرام ولكن كيف راها راها ضائع العقل والفكر من شدة تاثير خمرة جمالها ودلالها التي اسكرته بغتة وغيبت رشده فلم ير بدًا من الوقوف فوقف متحيرًا مندهشًا ولم تساعده رجلاهُ على التقدم فبقي جامدًا كالصنم يراقب مشي لغمان وحركاتها

وعندما نظرت لغمان اندهاش بهرام تقدمت منه وتبسمت ولكن كيف تبسمت تبسمت عن لؤلؤ ومرجان وتساقط الدر من ثناياها اسماطًا وتبع تبسمها اللطيف ان مدت عنقها الى بهرام فطوقه بساعديه وقبلها في خديها وعينيها وقد فعلت ذلك لتخلصه من الارتباك الواقع فيه ثم انها بدورها اخذت عنقه بين ساعديها وردت له فعله ثم لفا الزندين على الخصرين ودخلا الحديقة وقلب كل منهما يخفق من شدة الحب والفرح وكلما نظر بهرام الى وجهها تبسمت ومدت اليه عنقها مشيرة اليه بعينيها الاقاقطف تفاح الخدود فيسرع غير متأخر الى اجتناء تلك الاثمار اللذيذة وكانها تحسده على نعمته فتقتدي بعمله ومازالا حتى وصلا من السرير الالماسي المنصوب في وسط الحديقة فجلسا عليه جنبًا الى جنب

ولم يكن بهرام ينظر الى جهة من الجهات بل كان نظره لا ينفك عن وجه نعمان مدة ساعات وهما على ما تقدم من تقبيل وعناق ثم نظر الى امام السرير فراى حوضًا جميلاً وكبيرًا ماؤهُ صاف واي صفاء وقد تلاعب النسيم على وجهه فأثر بصفائه فعقد فوقه سلسلة من زرد وكان الرائي للماء وان كان غير عطشان لا يتمالك نفسه عن الشرب منهُ . فسر بهرام من ذلك

الحوض ومن مائه فنهض من مكانه طامحاً الى شربة منه ونزل عن السرير ·
فادركت لغمان غايته فسكتت · وتقدم بهرام فاخذ اناء من البلور الصافي كان
موضوعاً على كنار الحوض ومد يديه به قاصداً ان يملئه من الماء واذا بالاناء
قد تكسر قطعاً ووقع من يده فبغت ومد يده ليلمس الماء فراه جسماً جامداً
فامعن النظر فعلم ان لاماء في الحوض وان الذي يراه بشكل الماء هو بلور
مصنوع على شكل غريب لا يمكن ان يفرقه عن الماء ابرع الصناع وامهرهم

فرجع بهرام عن الحوض متعجباً ومخجولا والتفت الى لغمان فوجدها تتبسم
من عمله· ولما جلس الى جانبها قالت له كيف رايت ياسيدي هل اعجبتك
معرفة الصينيين فقال لها بالحقيقة انها صنعة عظيمة عجيبة فقد ظننته ماء · فقالت
له ان لهذه الصنعة حكاية جميلة وهي ان الصينيين عملوا بوقتها على الطريق
حوضاً من البلور فكان الواحد من الغرباء لا يقدر ان يفرق قط بين البلور
والماء وقد وضع على اطراف الحوض اقداح من البلور الدقيق وكان الواحد منهم يرفع
القدح ويمد يديه به قاصداً املاءه فينكسر من اصطدامه بالبلور فيخجل من
نفسه · ففي ذات يوم حضر نقاش اسمه ماني فراى الحوض وظن ان الذي
فيه ماء ولما كسر القدح علم ان لا ماء هناك فاراد ان يظهر قوة براعته بفن
النقش فرسم صورة كلب غاطس بالماء وقد جرح بطنه وخرج منه دود ملأ
الحوض فكان الرائي عند ما ياتي الحوض ويريد الماء يظهر له انه كدر وكله
دود وهوام مائية فيرجع عن الماء لايشرب · وبهذه الحيلة تمكن ماني من ان
يخلص الغرباء من الخجل والغش · ولما راى اهل الصين ان صنعة هذا الرسام
هي فوق صنعتهم خجلوا من نفوسهم فبحثوا عن ماني واحتفوا به غاية الاحتفاء
واكرموه اكراماً لاحدّ له

فلما سمع بهرام هذه النادرة من لغمان تعجب غاية العجب · ومع استعظامه
درجات الصينيين في الصناعة فقد راى ان الغريب في عمل النقاش · وعندئذ
انهمكا بالانس والصفاء وكانت محبة بهرام لها تزيد ومال اليها اكثر من
الست اللاتي جاءهن في الايام الستة الماضية · ولما رأت لغمان تزايد عشق

ومحبة بهرام لها طار قلبها فرحاً فالتفت ساعديها على عنقه وضمته الى صدرها وقالت له العفو يا بهرامي المحبوب وسلطاني العالي الشان . لا تحبني الى هذا القدر ولا تخصص جواريك بهذا المقدار الزائد الحد من الحب . فتعجب بهرام من كلامها فقبلها في خدها وقال لها ما هذا الكلام ياحياتي ومهجتي ولماذا لا احبك ايمكن للعاشق الذي مثلي ان لا يتخذك اعز من روحه ايمكن للذي ينظر هذا الجمال العديم المثال ان يوقف نفسه عن التهور في الحب والغرام . ماذا تقولين . آه ياعيني ياليتك تعلمين نفسك كم انت جميلة ومحبوبة لكنت تعذرين محبك ولا تلومينه على حبه . ماذا تقصدين بمنعي عن ان اخصك باعلى درجة الحب

فحرك كلام بهرام احساسات زوجته وامتلأت اعينها بالدموع على غير قصد منها وقالت لبهرام وقلبها يختلج آه ياسيدي ومعبودي اني اخاف من الدهر الظالم لاني عندما رايت محبتك الشديدة لجاريتك المملوكة لك خفت على نفسي لان عوائد العالم هي من حكم الدهر فالشيء الذي يحب زائداً فلا بد ان يصاب اما بفراق او ببرودة دم من جهته فالان لا اطمع بزيادة حب من ملك نظيرك ملك السبعة اقاليم العالم كي لا يقع بيننا فراق او برودة دم مع ان الانسان اذا رغب او لم يرغب فالدهر القادر لا يقف عند حده ولا يراعى جانب كبير او صغير في حكمه

فتأثر بهرام من كلام زوجته وقال لها آه ياروحي لغمان وملاكتي السموية لقد احرقت قلبي ورميت النار في كبدي فلا يمكن ان يقوى على فراقنا غير الموت لا سمح الله . فانا لا انفصل عنك مطلقاً فاطردي هذه الاوهام من خاطرك لان حبك وعشقك ملتصقان بي منذ الازل وقد دخلا فوادي راضعين اياه مع اللبن منذ ولادتي وقد كتب الله قبل ان انظر بعيني هذه الدنيا انك ستكونين زوجتي ومحبوبتي فلا يمكن لحبك ان يخرج من فوادي الا حال خروج روحي والا مادامت الروح في الجسد لا يمكن لحبك ان ينفصل عنها ثم عاد فضمها الى صدره ثانياً وثالثاً وقال لها . دعي ياحبيبتي وساكنة فوادي

هذا الكلام ودعينا نغتنم فرصة اللذات ونقتطف عن الخدود ورود المسرات واسمعيني من فمك الشهي المبسم حكاية حسنة فازيد بها ممنونيتي منك ومن اهتمامك بسروري ونماء حظي . فاجابت لغمان طلبه في الحال بعد ان دعت له بالبقاء وطول العمر

﴿ الحكاية السابعة ﴾

وبدأت الملكة لغمان بنت سلطان الصين صاحب الاقليم السابع في حكايتها قائلة ان الحكاية الاتية سمعتها من والدتي في حين صبوتي وذلك انها قالت لي دعوت الى وليمة ذات مرة جميع نساء الوزراء والكبراء والاعيان فامرت بنصب الاسرة والكراسي حول كنار الحوض الموجود في وسط الحديقة الغناء الواسعة المحيطة بالقصر ولما اجتمع نساء الشرفاء المومى اليهن شغلن بالحظ والانشراح واللعب والمزاح واللهو والسرور والانغام والحبور وكانت احدى اولئك النساء وهي فتاة جميلة قد ارسلت بنظرها الى اطراف تلك الحديقة فكأن خطر على بالها امر فصارت تارة تبسم وتارة تظهر عليها علائم الحيرة (فقالت والدتي) ولما رايتها على تلك الحال قلت لها على سبيل الهزل على ما ارى ان حديقتنا لم تعجبك . فاجابت الفتاة بلسان الخجل والاعتذار . استغفر الله ياسيدتي من لا تعجبه هذه الحديقة وهي كجنة الخلد مع انه لو سمح لي ان اصرف عمري كله فيها لكان ذلك نعمة كبرى ومنة عظمى في عيني . فقلت لها ان كان كذلك فلماذا نظرت في الحديقة وتبسمت تبسماً معنوياً . فاجابتني الصبية العفو ياسيدتي . هل ان حالتي التي حملتك على الظن بان الحديقة لم تعجبني مع انه جال في خاطري امر حملني على التبسم واظهار ما بدأ مني

وعليه قلت لها الا يمكن لك بيان الامر الذي جال في خاطرك . فاستحت الفتاة وسكتت وحينئذ قلت في نفسي لا بد من امر غريب وحكاية عجيبة فملت الى الوقوف على امرها فرجوتها قائلة ما الموجب للحياء ولا احد غريب هنا فاطلعينا

على السبب الذي حملك على التبسم والا فاعتبر في انك تزدرين بالحديقة لانها لم تعجبك · فزاد خجل الفتاة بزيادة من هـذا الكلام وقالت · كلا · كلا يامولاتي ليس من الحديقة فانها غاية في الجمال والكمال وان كنت ترغبين ان احدثك بالسبب فاصغي لي لاشرحه · ثم اخذت في سرد حكايتها فقالت

ان جاريتكم بنت الوزير فلان المتوفي فلما كان عمري ١٤ سنة في حياة ابي ذهبت مع عـدة من بنات الوزراء للتنزه فخرجنا من المدينة وطفنا مقدار ساعتين ومن بعد ذلك صادفنا في ضاحية المدينة حديقة كبيرة وعالية ورأينا على بابها شيخًا كبيرًا جالسًا · وحينئذ دفعنا الشوق والرغبة في التنزه فملنا اليها ودخلناها فلما رآنا الشيخ قام الينا وسـلم علينا غير اننا لم نحفل بالشيخ البواب وعلا منا الضحك عليه · وما لبثنا ان دخلنا كلنا الحديقة حتى اسرعنا الى الباب فاقفلناه من الداخل وتركناه في الخارج فاحتدم من ذلك غيظًا وجعل يقرع الباب ويضربه بشدة مدة ساعة دون ان نلتفت اليه او نفتح له وحينئذ ترك الحديقة وذهب

اما نحن فطفنا في الحديقة واكنافها وبالحقيقة كانت عديمة المثال واسعة جدًا طويلة ومصونة بحائط مرتفع من كل جهاتها وفيها الورد والياسمين وكل انواع الزهور وقد نصب شجر السرو بترتيب في كل اطرافها وهي طويلة وقد التحفت اغصانها واوراقها ببعضها البعض واقيمت كسدٍ منيع وبينها وبين حائط الحديقة على الدائر فسحة يبلغ اتساعها الثلاثين قـدماً وطرف الفسحة الى حد عشر اقدام تزين بالزهور والخضر وكذلك الطريق الآخر · قد كسي على بعد عشر اقـدام بالازهار البديعة وفي الوسط اي بين الطرفين ترك طريق للتمشي والتنزه يبلغ عشر اقدام ايضًا · وقد حفرت جـداول الماء عند اسفل شجر السرو وخط لها طريقان في الطرفين وكان الماء صافيًا وبراقًا وهكذا قد صف الشجر ايضًا صفوفًا صفوفًا. وترك بينها الفسحات منقسمة الى ثلاثة اقسام كل قسم عشر اقدام فالقسم الاوسط ترك للتمشي والجانبان تغطيا بالزهور والخضر وقد عرش على بعضها شجر الكرم وتدلى فيها العنب عناقيد عناقيد وبعضها

عرش عليه اصناف اخر من الدوالي كاليقطين ونحوها وقد تدلى ثمرها حتى لم يعد في وسع الانسان تقريباً الجلوس تحتها . واذا اتينا الى وسط الحديقة وجدنا حوضاً وسيعاً كثير النوافر وقد صف حوله الشجر بانتظام وتزينت باوراقها والتحفت ببعضها والبعض حتى صارت كانها قصر مبني وقد احدثت الشمس في الحوض وما بين تلك الاشجار حباً رفيعاً لولئياً اي كانت تظهر كحبات اللولوء فوق سطح الماء ومن كنار الحوض الى حد الاشجار ترك مقدار عشرين قدماً تبلط بالمرمر الصافي وتزين بالمفروشات المنوعة . وكان يظهر في طرف الحديقة خرابة قصر قديم قد تركت من زمان لا يعرف اوله بصفة اثر قديم . اي كان متروكاً على حاله وفي احدى الجهات كان شجر التفاح والاجاص و باقي انواع الاشجار ذات الاثمار اللذيذة يتدلى منها الثمر ناضجاً على احب ما تشتهي العين

ولما دخلنا الحديقة المذكورة طفناها في كل طرف متفرجين عليها فاعجبتنا جداً لانها كانت محكمة ورأينا من المناسب صرف تلك الليلة فيها وكان كل شيء موجوداً فيها وقد احضرنا معنا كثيراً من انواع الشراب والمآكل وآلات الطرب كالعود والطنبور والناي . فبعد ان اقفلنا باب الحديقة جيداً عدنا فطفناها ثانية باحثين اذا كان يوجد طريق آخر للدخول اليها من غير الباب فلم نر طريقاً الا من جهة مرور الماء وحيث كان من الممكن دخول شخص من هناك رتبنا قهرمانتين من قهرماناتنا كحارستين عليه تتناوبان الحراسة واعطيناهما المآكل وكل ما تحتاجان اليه واوصيناهما بشدة المراقبة والسهر ثم اتينا الى الحوض فجلسنا حوله واخذنا بمعاطاة كؤوس الانس والصفاء بعد ان القينا الاغطية عنا فكان بعضنا يدير الاقداح وبعضنا يرقص وبعضنا يغني باصوات جميلة وبعضنا يضرب على الآلات

انتهى الجزء السابع والجزء الثامن من قصة بهرام شاه ويليه التاسع ان شاء الله

الجزء التاسع

من قصة بهرام شاه ابن ازدشير شاه

والحاصل اننا كنا كالحور في الجنان نفرح ونلعب ومع هذا فكنا جميعنا فتيات في حال زهونا وصبوتنا وما منا الا من تفضح البدر حسناً وكمالاً ولذلك كانت كل واحدة منا مع كثرة وجود اسباب الحظ والصفاء ترى نفسها غير مسرورة لعدم وجود ذكر ولكن ما الفائدة فالمحافظة على الناموس امر ضروري لنا . قلت ان الناموس امر ضروري لاننا مضطرات للمحافظة على ناموسنا لاننا لو بحثنا عن ذكر واتينا به ذاك المكان لبطل فرحنا ولا امكن لواحدة منا ان تخرج صوتها او تكشف وجهها على مع اعتقادنا بان اختلاط الذكور بنا يلذنا ويضطربنا ويشفي قلوبنا

ولما لم يكن بيننا ذكر اخذنا وظائف الذكور فصار بعضنا يعانق البعض الآخر ويقبله في العيون والخدود والاعناق والنهود الى غير ذلك مما يطيب للصبايا في اوان نضج اثمارهن فكن كمن يهيج النار لاننا لم نتلذذ كما نحب ولا اشتفى لنا فؤاد لكن ما الفائدة وليس باليد حيلة . فاكتفينا بهذه التسلية التقليدية ... فكنا ننشد الاشعار الغزلية والابيات الغرامية ونتهيج بها الى الدخول في ابواب العشق ... فكانت تدفعنا الى الحمل على بعضنا البعض لاطفاء جمرة الشهوات من لف ايدٍ على اعناق وارتشاف ثغور وامتصاص نهود وضم خصور . ولا انكر عليك ان مجلسنا كان كاملاً ولكنه بالحقيقة كان محتاجاً الى ذكور وادخال الذكر بيننا مستحيل لان كل واحدة منا كانت تطلب الذكر ولو وجد لهربت منه حياء من الباقيات وخوفاً من ثلم عرضها بخلاف لو وجد معها في خلوة اذ ان التستر ضروري لربات الخدور . وبقينا على مثل ما تقدم الى ان مر نحو ساعة من الليل تقريباً

وحينئذ جاءنا القهرمانتان اللتان اقمناهما للحراسة وكانت احداهما قهرمانتي

فتعجبنا من مجيئهما وتركهما الحراسة وسألناهما عن السبب فاجابتانا ان اخلاقنا ضاقت من الانتظار فاتينا للتسلية والاشتراك معكن

ولما كنا سكارى لا نعي على شيء لم نعترض عليهما ولا لمناهما وبعد ان اقامتا برهة معنا اعتمدنا ان نرسل واحدة فواحدة للحراسة فعند ما تأتي الينا الواحدة تذهب الثانية وبعد ان تقيم معنا ساعة تذهب الى الحراسة مكان رفيقتها

ولنترك الكلام عنا وعما كنا فيه من الحظ والسرور ولنرجع الى صاحب الحديقة فاننا كنا نجهله ولا نعلم الحديقة لمن ولا فكرنا به قط بل كنا جالسين نأكل ونشرب ونتسلى ونلعب وكانت الحديقة لواحد من الوزراء القدماء توفى وترك ولداً بين السابعة عشرة والثامنة عشرة وكان جميلاً وبديع المنظر وقد اتصلت الحديقة اليه بالارث الشرعي وكان من عادته ان يأتي في الاسبوع مرتين يتفقدها ويتنزه بها فصادف انه جاء في نفس الليلة التي كنا نحن فيها وفي علمه ان الباب مفتوحاً فرآه مقفلاً قفلاً محكماً ولم يرَ البواب هناك فوقف متعجباً ثم طرق اذنيه صوت العود والاناشيد فزاد تعجبه من ذلك . فتلاعبت به الافكار وصار يقول في نفسه من يا ترى في الحديقة . هل ان الجنائني دعا بعض اصحابه واجتمعوا على السكر والخمر ... لكن لا يمكن ان يكون ذلك لان الجنائني عجوز لا يمكن ان يفعل شيئاً من هذا فانه منذ صباه وهو في خدمة الحديقة ولم يبد منه امر مثل هذا . فاذاً من يا ترى داخلها .. لا يبعد ان يكون جماعة من الجن اجتمعوا لفرح في الحديقة .. وتقلبت عليه الاوهام وخطر له الف خاطر ... واخيراً اعتمد على الدخول فقرع الباب بعنف مدة ساعة فلم يسمعه احد ولا فتح الباب فزادت حيرته واخذ في ان يطوف حول الحديقة يبحث عن طريق يدخل منه ولما لم يرَ مدخلاً الا من محل دخول الماء حيث اقمنا قهرمانتينا كحارسين . ولما راتاه ظنتاه لصاً فضربتاه بالعصي التي بايديهما فخاف ابن الوزير ظاناً انهما من الجن ووقع من خوفه الى الارض . فربطت القهرمانتان يديه . وبعد بضع دقائق عاد ابن الوزير الى نفسه فرأى نفسه مربوطاً فندم على مجيئه الى ذلك المكان

وحينئذ قالت له قهرمانتي . اظننت ايها اللص الخبيث ان المكان خاليًا هنا حتى اتيت للسرقة والليل لم يكد يسود بعد فمن ياترى يقدر ان يخلصك من ايدينا

فاجاب ابن الوزير بحيرة وتعجب . انا لست لصًا ولا سارقًا اني صاحب هذه الحديقة وهي ملكي . وقد اتيت لافتقدها واتنزه فيها كعادتي فوجدت بابها مقفلاً والجنائني غائبًا عنها فتحيرت من ذلك ولما لم يكن طريقًا الاَّ من هذا المكان دخلت غير خائف . ففي البداية لم تصدقه القهرمانة انه صاحب الحديقة فسألته عن اسمه واصله وفصله . فاخبرها بذاته وبكل ما هو موجود في الحديقة فصدقته وفكت له يديه واعتذرت اليه متندمة وقالت له اني لم اكن اعرفك ياولدي فارجوك العفو اولاً ثم اخبرك ان جميع بنات الوكلاء والوزراء قد اتين هذه الحديقة وبقين لاجل صرف هذا الليل فيها . وحيث اننا قد تعدينا عليك وكدرناك دون ان نعرفك فاكرامًا لخاطرك اخذك الى مكان قريب منهن فاختفي هناك بحيث تراهن ولا يرينك واية فتاة اعجبتك فيهن اخبرني عنها فاحضرها اليك فتتسلى معها هذه الليلة . فلما سمع ابن الوزير كلام قهرمانتي زاد حيرة وتفكرًا وصار يقول في نفسه هل ياترى ما تقوله صحيح ام كذب

اما القهرمانة فقد ادركت من اطراق ابن الوزير انه مرتاب في كلامها فقالت له لماذا هذا التفكر اني اريد ان اعمل معك معروفًا فلا ترتب في شيء فهلم امامي ولا تضيع هذه الفرصة فوافقها وجاء الى احدى زوايا الخرابة القديمة فاختفى فيها وصار ينظر من ثقب فيها الى الحوض فراى حواري الجنة مجتمعات وقد غاب عقله وفكره من جراء ما راى ... فالحق بيده .. ايمكن ان يرانا احد من الرجال ونحن على ما نحن عليه ولا يتحير ويتيه عقله

وما وصلت السيدة لغان بنت ملك الصين صاحب الاقليم السابع في حكايتها الى هذا الحد حتى فرغ صبر بهرام شاه فضمها وقبلها في عينيها وخديها وقال لها بالحقيقة ان القلب والعقل لا يتحملان وكيف يمكن للمرء ان يثبت على حاله

بعقله عند ما يراكن وقد اعطيتن من فضل الطبيعة جاذبية القلوب وخصص جنسكن باللطف والظرف حتى ترفعتن به على سائر المخلوقات فهل من ذي قلب لا يحب وهل من عاقل ولو كان سليمان في حكمته لا يسلمكن قياده كل ذلك بتدبير من الله ليشوق المرء اليكن ويرغب فيكن ومع ان المحب يتصور ان الضمة والرشفة والقبلة تطفي لهيباً وتشفي آواماً ولكن مهما اكثر منها يرى نيران الحب في قلبه قد زادت في الغليان فسبحان من اعطاكن هذا السلطان وبعد ذلك سالها ان تتم حكايتها . فافرغت لغمان كل ما عندها من دواعي الحب وقامت بالف حركة مرضية بين غنج وقصف وضم ومن ثم قالت . اي بهرامي المحبوب ان والدتي قالت لي ان الامراة قالت لها ان الفتى صاحب الحديقة جاء الى خرابة القصر القديم فاختفى فيها وصار ينظر الينا من نافذة صغيرة فيها وما لبث ان راي جمعيتنا وما نحن عليه من الحظ والصفا اذ كدنا نصل الى حالة التهتك حتى تاه عقله وضاق صبره وتحرك به كل ساكن وهو ينقل بنظره من واحدة الى ثانية كل هذا ونحن لاعلم لنا به بل كنا مشتغلين بصفانا منهمكين بحظنا ناسين الدنيا ومن عليها وكنا جميعنا جالسات تجاه خرابة القصر المذكورة نرى منها فتمكن ابن الوزير القديم ان يرانا جيداً ويدقق في كل واحدة منا وبعد ذلك ... العفو ما ياربي ... اين كان مخبأ لي ... فبالصدفة قد اعجبته انا ووقعت في قلبه وتعشقني دون كل البنات عند اول لحظة رأني بها وفيما هو على هذه الحال جاءته قهرمانتي وقالت له قل ياولدي من التي اعجبتك من البنات . فقال لها الرحمة يا اماه ماذا اقول هل الذي اراه في هذه الليلة حقيقة ام رؤيا ام سحر سحر به عقلي ما هذا المجلس الغريب وكم هو جميل ولقد ضم الجمال برمته . ليست حديقة فقط بل الف حديقة مثلها بل الدنيا باجمعها فدية لاقدامهن الرحمة العفو يا والدتي اخبريني من هذه الفتاة الجالسة عند حافة الحوض وهي تبسم عن ثغر كالدر النظيم وبيدها القدح مزمعة ان تشربه وهي تتمايل بعنقها كالطاوس لقد اغارت على قلبي وسلبت مهجتي وما املكه من الحواس . يا لله كم هي جميلة . الرحمة ياسيدتي الرحمة . اخبريني

من هي وبنت من . فلما رأت القهرمانة اني اعجبته سرّت سروراً لا مزيد فوقه وقالت له كن براحة يا ولدي لا تحمل هماً ولا تاسف فانا الآن احضرها اليك فتتسلى معها الى الصباح ومهما شئت ان تفعل فافعل ثم تركته وجاءت اما ابن الوزير فوقع في الهم والارتباك وهو يقول في نفسه هل ما تقوله العجوز صحيح وممكن كلا . لا يمكن ان يتم .. لا بد انها تنصب لي شركاً ... من اين لي ان انال القمر وانا على الحضيض . اواه . يا ليتني لم ادخل الحديقة هذه الليلة . كان يحادث نفسه بهذا وعيناه عليّ وقلبه يلتهب من شدة حبه لي وغرامه بي . فلندعه الآن ونأتي الى الحيلة التي احتالت عليّ بها العجوز

فلما فارقت العجوز ابن الوزير وجاءت نحونا قالت لنا لقد انتهى دورها بالحراسة فارسلت عجوزاً ثانية في مكانها . ودنت مني وجلست بجانبي وانا غارقة ببحر الهرج والمرج كبقية البنات وما منا الا والخمرة قد ملأت دماغها حتى انستها الدنيا فكنا نقبل بعضنا البعض ونتبادل الضمات وشدات الخصور .... وكنت اقول اواه لو عرفت صديقاً يوافيني الى هذه الجنة لكنت اروي فوادي واتخلص من عذاب التحرق الواقعة فيه . لان التصاق البنات ببعضهن البعض كان يزيدهن تحرقاً ويحرك فيهن السواكن المستترة في دواخلهن . وفيما انا اتأوه واتمني ان يكون لي رفيق او حبيب حاضراً معي وقريباً مني ادنت العجوز راسها من اذني وقالت لي لو كنت اجد لك الآن ذكراً ظريفاً لطيفاً ماذا تعطيني فلما سمعت هذه البشارة من العجوز كدت اغيب عن الوجود من شدة الفرح ومع اني كنت في حالة سكر قوي لم يغب عن ذهني انه اذا كان اجتماعي بالشاب والتقائي به على مرأى من البنات ابقى محرومة من نعمة التلذذ معه ولا اتمكن من شفاء غليلي لان الذي اتمناه واتحرق عليه تتمناه الجميع ويتحرقن عليه فاذا راينهن ووقع بين ايديهن تخاطفنه وتمنته كل واحدة لنفسها . فقلت لقهرمانتي سراً اصمت الان لا تكلميني ولا تدعي البنات يدركن شيئاً من هذا او يعلمن به فاذا كان يوجد شاب كما تقولين فانا اسير اليه واجتمع به على خلوة

فقالت لي القهرمانة انهضي اذًا بتحيل واذهبي الى الخرابة ترين غرضك ٠ ثم اعرضت عني ٠ ولما سمعت كلام العجوز وعرفت ان بالقرب مني ذكرًا اخذ الفرح مني كل ماخذ وجعل قلبي يضرب واحساساتي تتحرك وسهل لي السكر الفاضح والحظ المتوفر كل صعب فانفردت عن البنات واخذت في ان اطوف من خلفهن متظاهرة بالرغبة في التمشي للافراج حتى قربت من القصر القديم فتخللته بفرح وشوق غير حاسبة حساب امر من الامور ٠ وكان القمر اوانئذ في الخامسة عشر وقد بعث بنوره الى تلك الخرابة فتخلل جدرانها وانفرش على بساطها وحالما دخلتها وقعت عيني على ذاك الفتى اليافع فداومت المسير اليه وحالما رآني خف لاستقبالي الى ان صار احدنا مقابل الآخر وفي الحال مد كل منا يديه ولفها على غير انتباه على عنق الآخر وكان قلبه يدق ويختلج فيجاوبه قلبي الملتصق به بدقات عنيفة ناتجة عن الخوف والاضطراب ٠ وهكذا جلسنا نحن الاثنين في داخل ذاك القصر على ما نحن عليه من الخوف والرغبة وبدأنا بالتسلي لكننا كنا كالخرس لا هو فاه بكلمة ولا انا فتحت شفتي بل كنا نرتجف ونضطرب وقلوبنا تخفق ومعارم درجة الخوف اللازم ان تلحق بنا في مثل تلك الساعة ومع ذلك فكان يقبلني فاقبله ويضمني فاضمه ويلتصق بي فالتصق به ٠٠٠٠ لكن لا صوت ولا كلمة الا خوف يتزايد ٠ ولم نكن نعلم من اين ياتينا الخوف وحال اضطرابنا كان العرق يتصبب منا الى ان تشجع ابن الوزير على نوع ما ومد يده للتكة وما كادت العقدة تنحل حتى سمعنا حركة وقرقعة حدثت بالقرب منا فتوهمنا ان احدًا شعر بامرنا ففاجئنا فباسرع من البرق انفصلنا وانصرف كل منا الى ناحية ولا اعلم كيف هرب ابن الوزير لشدة خوفي وخلجان قلبي بل اعرف من نفسي اني اسرعت الى ربط تكتي وخرجت من الخرابة وانا معتقدة ان عينًا ترانا وطفت قليلاً حول البنات ثم اختلطت بهن وجلست بينهن واذا هن على ما كن عليه من الانس والصفاء كان لا علم لهنَّ بشيء قط ٠ وهذا زاد في تعجبي واضطرابي وقد غصت بالافكار قائلة في نفسي يا للعجب ما تلك الحركة وعن اي شيء حدثت وقد اطمأن بالي على نوع ما وهدأ خلجان

قلبي ولكن لا ازال افكر في تلك الحركة اقول هل رآنا احد يا ترى لا اظن · ما هـذا الامر · ما الذي صادفنه حلاوة غريبة ولكن دون فائدة · اواه من الدهر الغادر لم يتركني اتمم هنائي · وفيما انا على مثل هذه الافكار اذم الزمان الظالم كانت ظواهري تدل على تعبي · فادركت القهرمانة حالتي فتقدمت مني وهمست في اذني قائلة · ماذا جرى لك يابنيتي · فاجبتها اواه من الدهر ياماه فلا يمكنه ان يترك انسانًا في هنائه اواه كم انا قليلة الحظ لقد حرمت من النعمة ويئست من الهناء · فكررت عليَّ السؤال قائلة · تكلمي يابنيتي تكلمي لا تختشي ماذا حدث لك · ولما الحت عليَّ قلت لها ماذا حدث فبعد ان وصلت اللقمة الى الفم وقعت فاننا ما عزمنا على الالتصاق الا سمعنا صوت حركة بالقرب منا فاجفلنا من الخوف وهرب كل منا الى ناحية

وكان قد مرَّ على ذاك الوقت مقدار نصف ساعة جاءت القهرمانة التي كانت تخفر اذا نهت دورهـا وجاء الدور لقهرمانتي فنهضت وسارت تفتش على ابن الوزير

اما انا فبقيت غائصة بافكاري لاني حالما رايت ابن الوزير اصبحت عاشقة له مغرمة به افكر باعتدال قوامه ونعومة خده وحسن طالعه وكيف انه مسكين لما دبت به الحماسة وعزم على اقتناص طيره اجفل وافلت منه واجفل هو ايضًا وكان قلبي طائرًا فوق تلك الحديقة يفتش عليه وانا اومل الاجتماع به ثانية ملقية باتكالي على العجوز وكان من اللازم ان امتنع عن الشرب كي لا ازيد سكرًا فوق سكري ولا اغيب عن معرفة الصواب وماذا يجب ان اعمل كي لا تفلت النعمة من يدي ثانية اذا عادت لي ولكني عدت فاشتغلت بالشرب واعيني تضرب الى جهة الخرابة · اما العجوز فانها ما زالت تبحث على ابن الوزير حتى االتقت به فقالت له ماذا جرى لك ياولدي وماذا وقع عليك فاخذ الغلام في ان يرتجف ويضطرب وقال لها العفو يا اماه اني لا اعلم ماذا جرى لي فانني بينما كنت جالسًا مع الفتاة نتحادث سمعت صوتًا يقول · تشاط · باط · فخفت وهرب كل منا الى ناحية · فذهبت العجوز متعجبة الى جهة الخرابة لترى

ما هو سبب الصوت الذي سمعناه يردد . تشاط . باط . فرات ان الغربان قد فرخت في اعلاه فوقع من افراخها بعض على الارض فسمع لها هذا الصوت . ولما تاكدت القهرمانة الخبر ضحكت علينا لشدة خوفنا وعادت الى ابن الوزير فاخبرته بالقصة فندم على ما وقع منه وخجل من نفسه . وحينئذ قالت له القهرمانة لا تفتكر يا ولدي فاذهب الآن واجلس في مكان آخر وانا ارسل لك الفتاة حبيبتك . فارتمى على يديها يقبلهما وقال لها اني ذاهب لاجلس تحت شجرة السرو هذه فارحميني وتممي معروفك معي . ثم ذهب الى تحت الشجرة وجلس هناك

اما القهرمانة فانها بعد ان صرفت نصف ساعتها جاءت وارسلت القهرمانة الثانية لتخفر بدورها . ولما رأيت قهرمانتي تقدمت اليها وقلت لها الرحمة عجلي بالخبر هل شاهدت حبيبي . فقالت لي نعم وجدته ما شاء الله عليك كم انت جسورة لقد وقع الى الارض من اعلى الخرابة بعض افراخ الغربان فهربتم منها فانفعلت عند سماعي كلامها وخجلت وندمت على ضياع الوقت ولم اتمالك نفسي من الضحك . ثم سئلت القهرمانة اين ينتظرني الآن . فقالت لي تحت شجرة من السرو . واشارت الى تلك الشجرة فطار قلبي شعاعاً وانفصلت بخفة عن البنات وسرت لنحو تلك الشجرة وانا ارتجف ... من اي شيء ارتجف ... لا اعلم ... وحالما رآني ابن الوزير مقبلة اليه دنا مني فاستقبلني وحالاً عانقنا بعضنا البعض . ولكن لشدة الخوف لم يقدر احدنا على فتح شفته او التكلم بكلمة . فجلسنا تحت الشجرة واخذنا بالمداعبة والهناء فقد مر علينا بضع دقائق لم يمر علي في زماني اكثر منها لذة انقضت بين عناق وتقبيل وشم وضم ثم انفتح فمي بالكلمة الاولى التي خاطبت بها ابن الوزير فقلت له . الرحمة اسرع افعل ما انت فاعل فلم يبق وقت . فالتصق ابن الوزير بي وهو يقول ما اجمل وما الذ هذه النعمة التي حصلت عليها في هذه الليلة ثم مد يديه الى التكة وما لبث ان حل العقدة حتى سمعنا صوتاً بجانبنا يقول . بام . بام . اراه . ماذا جرى لنا وماذا وقع علينا . فاضطرب كل منا وارتجف

وتوهمت ان البنات باجمعهن قد ادركننا ولحق به ايضاً ما لحق بي واسرعنا بالانفصال وهرب كل منا الى ناحية وانا اقطع بوجود عيون شاهدتنا على ما كنا عليه تحت الشجرة وحالما وصلت من البنات وجدتهن على حالهن من الحظ والانشراح يشربن ويتعانقن ويتباوسن ونهد كل واحدة بفم الثانية الخ ... وكان بعض البنات قد شاهدن حالتي واضطرابي واصفرار وجهي فسألنني . ماذا دهاك هذه الليلة . فقلت لهن لا اعلم دعوني بحالي لا تشغلن بي فما في الامر باس . فقد دخت وانقلبت الدنيا بي ولم ارَ لي فرجاً "الاّ بالتقيء" . فصدقنني وقلن مسكينة لاجلد لها على الشرب فقد أثرت الخمرة في رأسها فداخت . اما انا فكنت في حالة تكاد تخرج لها روحي .. آه من اعمال الدهر الغادر . لا اعرف كيف كانت ظواهري . غصت بالافكار البعيدة وانا من القهر والحيرة لا اهتدي الى الطريقة الواجب السلوك فيها . اصبحت عاشقة ابن الوزير . وكنت حين ملاقاتي به امرغ خدي على خده فاشعر به ناعماً باكثر من خدي ومن نظري اليه في نور القمر كان يتبين له انه امرد لا نبات بعارضيه وانه كالبنت البكر لم يقده بعد الحب لغيري . ولذلك فرغ صبري وتلون وجهي بألوان الكآبة واليأس . فادركت قهرمانتي انه لا بد ان يكون حدث لي حادث آخر فدنت مني وسألتني عن السبب . فقلت لها . الرحمة يا أماه لا اعرف سبباً لسوء البخت الحاصل لي في هذه الليلة . اواه يا ليتني لم ادخل هذه الحديقة ولا رايت هذا الفتى . المساعدة بحياتك لانه على ما يظهر لي جميل ولطيف وناعم البدن . ما الفائدة ان الدهر يعاكسني في وصاله .. اواه ماذا اعمل يا مدبرتي ومشيرتي . انظري لي طريقة خذي لي خبراً عن محبوبي . انظري هل هو مكدر مما حدث لا ريب انه مكدر . وكنت اتوقع عليها وارجوها بالاشارة وانا اغفل البنات كي لا يلحظن شيئاً من امري . ولما رات العجوز حالتي واضطرابي نهضت تفتش على ابن الوزير وبقيت انا على ما انا عليه من القلق والتهاب الفواد واعيني تدور في اطراف الحديقة انتظر عودة القهرمانة اما القهرمانة فقد فتشت على ابن الوزير في الحديقة حتى وجدته جالساً تحت احدى اشجار السرو فلما رآها آتية اليه اخذته الرجفة من الخوف

والحياء فانعطفت اليه وقالت لهُ لتخلصهُ من الحالة الموجود فيها ماذا جرى لك يا ولدي ما هذه الحال التي اشاهدك فيها كانك لم تعرف ولا سمعت من احد عن الحب والغرام . اليس من العيب عليك ان تضيع جسارتك واقدامك ففي المرة الاولى بسبب تحريك اجنحة بعض افراخ الغربان التي وقعت من اعلى القصر وقع الرعب في قلبك وقلبها وهربتما كل واحدٍ الى جهة ففي هذه المرة ماذا حدث . وكان ابن الوزير قد هدأ باله على نوع ما فقال الرحمة يا أُماه . اني اعرف واسمع عن الحب والغرام انما الروح عزيزة فاني اخاف ان اقع في ورطة واقود لنفسي المصيبة متى افتضح الامر . فقالت لهُ . ما هذا الخوف يا ابني فالحديقة لك وانت تعلم انها محفوظة ومصانة فلا يمكن دخول احدٍ اليها في مثل هذا الوقت . ولا بد ان الذي حدث في هذه المرة يماثل المرة الاولى . فقال لها لا اعلم والذي اعلمه اني بينما كنت مع محبوبتي في الذهناه وعند اهم نقطة سمعنا اصواتًا تقول . يام . بأم . وليس مرة واحدة بل تكررت بسرعة عدة مرات فهربنا خوفًا من الفضيحة . فتقدمت القهرمانة بجسارة الى تلك الجهة التي كنا فيها و بحثت عن سبب الصوت فوجدت ان الفيران تسلقت الشجرة فكانت تقطع باسنانها قشر الشجرة فيقع الى الارض فيحدث عنه هذا الصوت . فلما رات هذه الحال كادت تقع الى الارض من شدة الضحك وقادت ابن الوزير من يده وقالت لهُ انظر هذا الذي خفت منهُ . وعندما رأى ابن الوزير قشر الشجرة اخذ في ان يضحك على نفسه وقد ندم على ضياع الوقت وصار العرق يتصبب من جبينه لخجله من العجوز على جبنه وقلة شجاعته

واذ ذاك اخذت القهرمانة في ان تسليه وتطيب خاطره . فقالت لهُ لا تتكدر يا ولدي فاذهب انا الان وارسل لك الفتاة . ثم جاءت اليَّ . وكان البنات لا يزلن على عملهن من الحظ واللهو والشرب والقصف وقد تحرشن بي عدة مرات وسألنني عن سبب جمودي وكدري فكنت اجيبهن ان رأسي توجعني من الشرب وقلة النوم . ولما حضرت قهرمانتي ارسلت القهرمانة الثانية لتخفر نوبتها وهي لا تنقطع عن الضحك وكانت تحب ان تضبط نفسها عن الضحك فلم تقدر وقربت

مني وجلست الى جانبي على حالتها من الضحك وكنت اتعجب من شدة ضحكها وكذلك البنات وقد سألنها عن السبب . فاجابتهن وهي تضحك قائلة . لقد شغلتن الآن بالانس والصفاء عن كل امرٍ وقد طردتن الخولي فمن يعلم الى اية جهة ذهب . وكذلك آباؤكن وامهاتكن لا يعلمون الآن انكن اتيتن هذا المكان والذي يزيد في ضحكي ان صاحب هذه الحديقة قد انشأها لنفسه وهو لا يعلم الآن ماذا تعملن بها . فاظهر البنات استهزاء بالقهرمانة وكلامها ولم يكترثن بحديثها . وحينئذ نهضت العجوز واتخذت صفة الساقي فملئت الاقداح وقالت . لا بد يابناتي الحسان ان لكل واحدة منكن صديقاً ومحبوباً فاقسم عليكن بعشاقكن سواء كانوا حاضرين ام غائبين ان تاخذ كل واحدة منكن قدحاً من يدي وتشرب بصحة من احبته ولا تقفن عن مداومة الحظ والصفاء لان المرء زائل عن هذه الدنيا فمكسبه منها حظه فيها . وهي تبقى على حالها فقد جاء اليها قبلنا الوف وربوات لا تحصى وذهبوا عنها كانهم لا جاءوا ولا راحوا ومن يعلم ايضاً في المستقبل كم من الملايين الذين سياتون اليها ويرحلون عنها . فما دام الامر كذلك فمن اللازم ان لا نضيع هذه الفرصة فانتن الآن في زمن لهوكن وعشقكن فاسرحن وامرحن ولا تهتممن بغير حظكن والوفاء لعشاقكن . ثم اعطت لكل واحدة قدحاً مملوءا من الخمر وكان البنات قد تأثرن من كلام القهرمانة فبعضهن اخذ القدح وشربه بحزن وكآبة وبعضهن بفرح وسرور ورجعن الى حالة الشرب وهاجت بهن دواعي الطرب فاخذن في ضم بعضهن البعض وفي الرقص والغناء . واذ ذاك دنت مني العجوز وقالت لي لماذا انت بهذا المقدار قليلة الجسارة الا تختشين ابداً من نفسك لقد خفت من فارة تنقر في قشر الشجرة فيقع الى الارض وهربت من صوت وقوعه اين شجاعتك . وبعد ان عنفتني بمثل هذا الكلام قالت لي انهضي انهضي الآن واذهبي الى هذا الغلام المسكين فقد تقطع قلبه فسليه وتسلي معه ما استطعت . ولما سمعت منها كلمة تسلي معه تحركت بي جوارحي لان عشق ابن الوزير كان يزداد بي . فقلت لها الرحمة الرحمة يا اماه اين هو الآن فاشارت لي على المكان الموجود

فيه فنهضت في الحال وخرجت من بين البنات بالحيلة · مع ان البنات لشدة ما وقع عليَّ من الارتباك والاضطراب ولحركات القهرمانة واقوالها كانهن شعرن بشيءٍ مما نحن فيه وفهمن سر المسألة · فلما خرجت من بينهن سألن العجوز قائلات · ماذا حدث لهذه البنت في هذه الليلة فالذي نراه منها الآن ما كنا نراه في غير اوقات قط · فاجابتهن·وانا ايضاً اتعجب منهـا فهي تقول لي ان راسي توجعني ولذلك اشرت عليهـا ان تدور في الحديقة فدعوها لحالها تفعل ما تشأ سواءٌ كان كلامها صحيحاً او كذباً · اما انا فاني بعد ان خرجت من بينهن سرت الى المكان الذي اشارت لي العجوز اليه مفتشة على ابن الوزير ويدي ورجلي ترتجف وقلبي يختلج · وكان باقٍ للصباح مقدار ساعتين تقريباً · وحينما رآني ابن الوزير مقبلة اليه تقدم لاستقبالي· وكنا عند مقابلتنا لبعضنا البعض نرتجف من الجهة الواحدة ونضحك لسبب ما جرى لنا من الجهة الثانية ثم عانقنا بعضنا البعض واخـذنا بالمداعبة · وما كنت اعلم حينئذٍ بانه ابن وزير لكنني كنت اشعر عند ضمه وتمريغ خدي على خديه ومشاهدتي حسنه ولطفه بعشق زائد له · وبعد ان تعانقنا على مثل ما تقدم اخذنا نبحث على مكان نتسلى به حتى اتينا سور الحديقة فجلسنا عند اسفله وتهيئنا للعمل · ومع ان الخوف كان لا يفارقنا لكننا كنا نرى لذة غريبة · وكان خوفنا يسمع اذاننا اصوات متنوعة فلم نحفل لها كالعادة لان ابن الوزير اصبح عاشقاً لي عشقاً غريباً كعشقي له ولذلك كنا نظهر لبعضنا البعض رغبة تامـة بالالتصاق فتباوسنا على الخدود والعيون وضم كل واحد منا خصر صاحبه وصدري على صدره يعد دقات قلبه ولما التهبت نار الشهوة فينا عمدنا الى حـل العقد وحالما باشرنا العمل ملتصقين الى بعضنا البعض لم يقبل الدهر الظالم ان يغفل عنا لنتم حظنا وذلك ان المحل الذي جلسنا فيه كان على حافة طريق الماء وكانت القهرمانة القائمة على الخفر بدورها قد تثقلت بالنوم وما لبث ان علا غطيطها حتى صادف ان بعض القرود والثعالب قـد التجئت الى الماء لتختفي في النهار عن اعين الناس وكان احد الثعالب قد قفز من الثغرة النائمة عليها العجوز وجاء بعجلة الى الجهة المقيمين فيها

نحن وقد اصابت اظافره وجه العجوز فخمشتها فنهضت من النوم مرعوبة واخذت تصيح وتولول · اما نحن فمن الجهة الواحدة كنا نسمع صوت خشيش الثعالب بدخولها بين النبات مذعورة ومن الجهة الثانية كان صراخ العجوز يصل الينا قويًا فقلنا في انفسنا لا شك قد فاجئونا · ولما كانت هذه المرة اشد رعبًا من المرتين السابقتين كنا لا نعلم الى اي طرف يجب ان نهرب وكيف يمكننا ان نختفي · والحاصل اننا بدون ان ينال احدنا مقصوده من الآخر فرّ كل منا الى جهة · اما قلبي فكيف كان يختلج ويضرب بشدة · وبرهة وجيزة اختلطت بالبنات ولوني اصفر كالزعفران وحاولت كثيرًا ان امنع نفسي من الارتجاف فلم اقدر · وحالما رأينني على هذه الحالة تبدلت شبهاتهن باليقين فقلن لي ماذا جرى عليكِ وما هو سبب هذا الاضطراب والقلق ان كان رأسكِ يوجعكِ نامي قليلاً عسى ينصرف عنكِ الوجع · اما انا فلم ارَ مندوحة عن التبسم وقلت لهن ماذا يهمكن امري فالشيءُ الذي اصابني لا يوجب اشغالكن عن لهوكن · ومتى نعست انام

وحينئذٍ ادركت قهرمانتي انه لا بد من بلاء جديد وقع على رأسي فغضبت ولكن لم تدع البنات يلحظن غضبها فتقدمت مني وقالت ما هذه الحالة يا ولدي ولما هذا الخوف والارتجاف ولم تتم كلامها حتى وصلت القهرمانة التي كانت تحرس وهي تصيح وتبكي وتقول · آه · انفي · اذني · وتقدمت من البنات · ولما راينا العجوز على هذه الحالة نهضنا جميعًا ونحن نقول من الخوف والتعجب هل دخل احد يا ترى الحديقة · وقلنا للعجوز ماذا جرى لك · فقالت لما كنت اخفر تسلط عليَّ سلطان النوم حتى لم اعد قادرة ان اتمالك نفسي فنمت فدخل الحديقة بعض من الثعالب او الهررة او القرود او الجرذان لا اعلم والذي اعلمه ان واحدًا منها هجم على وجهي فخدشه وهرب مع رفاقه فجعلت اصيح من الرعبة ولم يعد في امكاني البقاء هناك فاتيت الى هنا

فلما سمع البنات كلام العجوز اخذن في الضحك حتى وقعن على ظهورهن وسالت الدموع من عيونهن واللعاب من افواههن لكثرة ما ضحكن فجلست

القهرمانة وقالت لهن بجدة · اضحكن ماذا جرى عليكن فانكن في حظ وانشراح
فزاد ضحكهن وبقين مدة ربع ساعة حتى اغتاظت العجوز وخرجت من بينهن
وجلست في زاوية واخذت بالبكاء · فنهض البنات لاجل التسلي واتين اليها
وهن على حالهن من الضحك وصالحوها بالف حركة هزلية · لكن لما ذهبن اليها
بقيت انا وقهرمانتي لوحدنا فدنت مني وقالت لي لقد سمعت ما جرى فلا لزوم
للاستفسار منك ولا بد ان يكون ذلك هرة او ثعلب والذي فهمته انك لم تنلي
مقصودك ولن تناليه ان امركما غريب · فعانقتها في الحال لاني وجدتها
متكدرة على عدم نوال المراد اكثر مني وقلت لها الرحمة يا سندي ومعيني
لا تقطعي املي · هذه المرة فقط الرحمة المساعدة يا قهرمانتي · فكما اني اتألم
فذاك الغلام المسكين يتألم اكثر مني · اواه يا قهرمانتي كم هو لطيف وطري
البدن لا بد ان يكون من الاعيان او ابن احد الامراء · ارحميني بحقك
مرة واحدة فقط اجمعيني به فاذا كنا في هذه المرة لا نتم عملاً فلا عدت
تساعدينا وما زلت اتوقع على العجوز حتى اجابت وقالت لي لا تاسفي فعندما
اذهب الآن ابحث عنه · واذ ذاك كان البنات قد استجلبن خاطر القهرمانة
واتين بها وسارت قهرمانتي لتخفر بدورها

اما انا فبقيت جالسة مع البنات وكنت في الظاهر اضحك معهن على العجوز
ولكن في الباطن كان فوادي يتقطع قطعة قطعة واقول ما هذا البخت الاسود
في هذه الليلة الشديدة العداوة والذي اخافه ان تنقضي الفرصة بانقضاء الليل
ولا انال وصلاً ممن شغل قلبي وبالي غرامه واما ابن الوزير فانه لما هرب مما
جرى اختفى ضمن جب لشدة الخوف لكن قهرمانتي بحثت عليه في كل مكان
حتى وجدته وما كاد يراها حتى ارتمى على قدميها وهو يقول لها الرحمة يا أماه
ما هذه المصائب التي وقعت على راسي في هذا الليل ماذا جرى يا ترى على
الفتاة المسكينة واين بقيت · اواه يا ليتني آت الى الحديقة في هذه الليلة

فاجابته القهرمانة بحدة ما شاء الله عليكم لم ار جباناً مثلك زماني بطوله حتى
ولا سمعت بضعف قلب كهذا · اليس من العار عليك · اليس من العيب ان تحسب

في مصاف الذكور . امن حركة ثعلب او هر تضطرب وتخاف . الا تختشى من نفسك على هذا الجبن و يلك كيف بعد ان وقعت بين يديك فتاة في بدء عمرها جميلة ناعمة البدن و بها اكثر مما بك من العشق والغرام وقد سلمتك نفسها لتفعل بها ما تريد تتركها عند مباشرة العمل مع ان اضعف الناس قلباً في ظروف كهذه يتشجع فلا يترك صيدته ولو هجم عليه الاسد الاّ بعد قضاء غرضه . فقال لها ابن الوزير أتظنين يا سيدتي ان خوفي واضطرابي ناتجين عن خوف وجبنٍ ليس الامر كما تظنين لكنني اخاف على ناموسي وناموس الفتاة الاكثر قيمة من ناموسي لان عاقبة الفضيحة وخيمة وعار علينا ومع ذلك فاذا جاءتني مرة اخرى لا اتركها قط الاّ بعد نيل المراد .

واذ ذاك رقت العجوز لحالة الغلام واخذت في ان تسليه وقالت له ما دام الامر على ما ذكرت انتظرني في مكان موافق وعند ما اعود ارسل لك الفتاة و بعد ان فكر ابن الوزير برهة قال لها فاذاً ارجوك ان ترسليها الى الخرابة لانها اوفق من سواها فوافقته العجوز على رايه وذهب الى الخرابة ينتظرني بفروغ صبر . اما البنات فمن شدة شرب الخمرة سكرن جميعاً فمنهن من نام لا يعي على امر ومنهن من تمدد على الارض بقصد النوم ولم يتبق على الشراب الا ثلاث او اربع بنات ولكنهن في سكر عميق . وفيما انا افكر فيهن وفي امري واعيني تطوف في الحديقة من جهة الى ثانية منتظرة مجيء قهرمانتي واذا بها قد جاءت فلحق بي من ذلك سرور لا مزيد عليه . و بعد ان جلست افهمتني باشارة ان ابن الوزير ينتظرني في الخرابة . ومالت الى البنات تشاغلهن بالكلام وتغافلهن عني حتى ملن اليها وشغلن بكلامها واذ ذاك نهضت قاصدة الانسحاب الى الخرابة فلحظن عليّ ذلك ومسكنني من ثوبي وقلن لي ما هذه الاحوال وماذا جرى لك في هذه الليلة فلا نراك الاّ قائمة قاعدة ذاهبة آيبة اجلسني فاستدركت الامر القهرمانة فقالت لهن دعوها يا اولادي فاني اتعجب منها في هذه الليلة مسكينة يا بنيتي ان مزاجها انحرف في هذه الليلة فالطواف قليلاً والمشي يفيدها عسى ان الله يصرف عنها ما لحق بها . و بمثل هذا الكلام خلصتني من يد البنات وسرت توّاً الى جهة الخرابة

وقلبي يكاد يطير من الفرح لمشاهدة حبيبي وانا اعد نفسي في هذه المرة بقضاء غرضي ونوال مرادي · وكان شفق الصبح قد بدأ ولم يبق لطلوع النهار الأساعة ولما صرت قريباً من الخرابة رأيت ··· اواه · ماذا رأيت · رأيت نحو اربعة او خمسة رجال واقفين يتحدثون · فخفق قلبي وهربت راجعة وانا اقول ما هذا الحظ الاسود والطالع المنحوس · وعدت الى البنات فجلست وانا ارتجف من الخوف وقد انخطف لوني في هذه المرة كثيراً · فلم تهتم العجوز في بادئ الامر لحالتي كثيراً لانها ظنت ان ما وقع في هذه المرة كان كالمرات الماضية · فنظرت اليّ نظر الغضب وقطبت حاجبيها · فاشرت اليها باصبعي ان تسكت · فقلت لها ولما صرت قريباً من الخرابة رايت وسمعت عدة من الرجال وقوفاً يتكلمون نخفت وعدت في الحال · فلحق القهرمانة من كلامي خوف فاندهاش ايضاً فنهضت في الحال وقصدت الخرابة وعند ما دنت منها رات مثلما رايت فعادت فاسرعت الخطو راجعة وهي تضطرب · فتعجب البنات من امرها وسألنها عن السبب · فقالت لهن · رايت بعضاً من الرجال وقوفاً عند الخرابة نخفت وهربت · فوقع هذا الخبر كالصاعقة على البنات فقد اصفرت خدودهن حتى صارت كالزعفران وصارت شفاههن بلون الرماد واحترن ماذا يفعلن وايقظن بقية البنات النائمات واخبرناهن بواقعة الحال فاصابهن ما اصابنا وقد تبدل سرورهن وفرحهن بكدر وحزن لاننا لا نريد ان يعلم احد بحالنا ولا نطيق ان يرى رجل وجوهنا ويفتضح امرنا · فنهضنا جميعنا ونحن نسأل بعضنا البعض ما العمل والى اين نهرب ومن هم الواقفون عند القصر

ولندع الآن البنات في خوفهن واضطرابهن ولنسر الى جهة الخرابة لنعلم من هم الرجال الذين عنده · ان الملك خرج في تلك الليله مصحوباً ببعض وزرائه وعدة من جنوده فطافوا في المدينة وفي آخر الليل صادف وصولهم الى باب الحديقة فرأوا عند بابها رجلاً عجوزاً نائماً فايقظه الملك وسأله عن حاله فصار يرجف وحكى له ما مر عليه قال له اعلم ياسيدي اني الخولي في هذه الحديقة وهي ملك فلان · فبينما كنت في هذا اليوم جالساً عند باب الحديقة جاءني نحو ثلاثين بنتاً جميعهن صبايا فدخلن الحديقة واقفلن الباب وتركنني في الخارج

فجعلت اضرب الباب بحدة وغضب مدة ساعة تقريباً دون فائدة ولما لم يفتحن الباب عدت مايوساً وذهبت الى صاحب الحديقة فلم اره ولا وجدته في بيته فماذا اعمل لم ارَ اوفق من الرجوع الى هنا فاتيت ونمت منتظراً الصباح

فتعجب الملك كثيراً من كلام الخولي واخذ يفتكر قائلاً من هؤلاء البنات ياترى ولماذا بقين في الحديقة هذه الليلة ثم سأل الخولي الا يوجد طريق آخر للدخول منه غير هذا الباب . ففكر طويلاً وقال كلا لا يوجد ممر للداخل الا من محل مجرى الماء فاخذ الملك في ان يقرع الباب بعنفٍ فلم يجبه احد واخيراً راى من المناسب الدخول من طريق الماء فاخذ معه ثلاثة من وزرائه واثنين من جنده وترك الباقين عند الباب ولما وصل من المحل المذكور وجد عنده القهرمانة تخفر فارادت هذه ان تهرب فلم يمكنها الملك بل قبض عليها وامر بربطها من يديها ورجليها ثم سألها ان تخبره الخبر فقالت له اننا دخلنا هذه الحديقة لاجل الحظ والتسلي . وحينئذٍ فتح الملك باب الحديقة وسلم العجوز لجنده وعاد يطوف في الحديقة من جهة الى ثانية حتى وصل من الخرابة فرأى هناك شخصاً مختفياً تحت الظلام

ولما رأى ابن الوزير نفسه بين يدي الملك وقع مغمياً عليه من شدة الخوف . فامر الملك في الحال ان يقيد ويسلم للعساكر . ثم جعلوا يتفرجون علينا من الخرابة . ان الامر كان سيئاً عليَّ اذ ذاك لان ابي كان قد جاء مع الملك في تلك الليلة وكان ينظر اليّ ويلاحظ حركاتي من هناك . ومع ان باقي الوزراء الذين جاؤوا مع الملك كانت بناتهم معنا لكن ابي كان اشدهم غيظاً لانه رآني قد نهضت وسرت الى جهة الخرابة ثم رجعت خائفة ومن بعدي سارت القهرمانة وعادت فاوجب ذلك قلقه وارتاب في الامر وشعر بشيءٍ مما انا فيه

وبقينا نحن على اضطرابنا مفتكرين فيما يجب ان نعمل . وكان ابي في حالة سيئة جداً حتى كاد ينشق غيظاً لشدة القهر مما رأى ولو كان يمكـ[illegible] تلك الساعة قتلنا انا وقهرمانتي لما تاخر لكن لا قدرة على الاتيان بعمل لانه موجود

مع الملك فالقول والعمل للملك . والذي رآه الملك بعد التفكر والتبصر ان لا يزعجنا لانه راى انه لا يوجد بيننا ذكر قط وليس من الحكمة مفاجئتنا ولا يمكن له ان يحبسنا فطاف الحديقة برمتها ولما لم يرَ انساناً غير ابن الوزير الذي قبض عليه تركنا على حالنا وذهب آخذاً معه ابن الوزير والقهرمانة التي كانت تخفر عند طريق الماء والوزراء الى قصره وقد سأله الوزراء الذين رأوا بناتهن في الحديقة ان يسمح لهم بالعودة الى بيوتهم فابى لانه لما كان عاقلاً وحكيماً ادرك ان لا بد للوزراء من قتل بناتهم عند عودتهن ولذلك لم يسمح لهم

اما نحن فبقينا نرتجف ونضطرب من شدة الخوف ولم نتجرأ قط على الذهاب الى جهة الخرابة فلبثنا مدة واقفين ننظر الى بعضنا البعض واحدانا تقول للثانية ارأيت كيف انتهى حظنا وهذه هي النتيجة . ولا سيما انا فان روحي قد وصلت الى شفتي لاني من الجهة الواحدة كنت افكر بابن الوزير ومن الجهة الثانية اهتم بنفسي . وبقينا على ما نحن عليه من الكدر والقلق حتى طلع النهار وبزغت الشمس . وحينئذٍ اتينا جميعنا الى جهة الخرابة فلم نرَ فيها احداً ومشينا الى جهة الباب فرأيناه مفتوحاً ثم جئنا الى طريق الماء فلم نرَ القهرمانة التي كانت تخفر فزاد قلقنا وادركنا سرَّ المسألة وفي الحال وضعنا على رأسنا الاغطية ورجعنا الى بيوتنا ولبثنا فيها ننتظر النتيجة وكنت لما عدت الى البيت ودخلت غرفتي استدعيت قهرمانتي للمشاورة والخوف متسلط عليَّ وعليها ونحن نقول من اولئك الذين جاؤا القصر يا ترى وماذا جرى على ذاك المسكين والى اين اخذوه

اما الملك فقد قاد ابن الوزير والقهرمانة الى قصره وحبسها في حجرة واقام مع وزرائه في ثانية وكان الوزراء الذين رأوا بناتهم في الحديقة ينشقون غيظاً ولا سيما والدي ولو كان الامر بيده لكان في الحال وبدون تروٍ ولا امهال قتلني واعدمني الحياة . ثم ان الملك امر باحضار ابن الوزير لحضر لبين يديه ودعا له بكل ادب واحتشام وهو يرتجف من الخوف والهلع . فسأله بغيظ وحدة . من انت وماذا كنت تعمل هذه الليلة في الحديقة . فاجابه اطال الله بعمر سيدي الملك وزاد في شوكته وقباله انا ابن فلان الوزير عبد دولتكم قديماً

ولما توفي ترك لي هذه الحديقة ميراثاً · ولما كانت عادتي ان اتي اليها لافتقدها
في الاسبوع مرتين او ثلاث مرات ذهبت في هـذه الليلة اليها حسب عادتي
فرايت الباب مقفلاً والبواب غائباً وسمعت من الداخل اصوات الغنا والضرب بالاوتار
فقرعت الباب كثيراً ولكن لم يجبني احد ولما لم يفتح الباب زاد بي قلقي وقلت
في نفسي لا بد لي ان اعلم من في الحديقة هل هم من الانس او من الجن ·
فدخلت من جهة مرور الماء ورايت البنات قد اجتمعن على الانس والصفافندمت
على دخولي الحديقة ولكن ما الفائدة ولم يبق في امكاني الرجوع لاني عند ما
قصدت العودة من المكان الذي دخلت منهُ وجدت الامراة العجوز جالسة تخفر
هناك فاتيت الى الخرابة واقمت فيها انتظر النهاية الى ان شرفتم ورايتموني ولما سمع
الملك من ابن الوزير هذا الكلام اطرق الى الارض مقدار ساعة وقد تبين
من كلامه الصدق ولا يترتب عليه قصاص لانهُ صاحب الحديقة وقد راه منفرداً
لوحده ولم يرهُ مختلطاً مع البنات وانما كان يشتبه في امر واحدٍ فقط وهو انهُ راني
لما اتيت نحو الخرابة واجفلت راجعة وكذلك رأى قهرمانتي وقد هربت عند ما
رأتهم في الخرابة ولذلك ارسل ابن الوزير الى حجرة منفردة وامر باحضار
القهرمانة · ولم تكن هذه المسكينة تعلم شيئاً مما كان في الخرابة فسألها الملك
من هم الذين في الحديقة وماذا كنتم تعملون هناك في هذه الليلة فدعت له
ولدولته وقالت له لما كان العدل والامان ناشراً لواءه في ظلكم السعيد ذهب
بنات الوزراء للانس والسرور في الحديقة ولم يكن بينهن ذكر قط حتى ولا خادم
وكذلك اطرق الملك برهة · اما ابي فكان يسمع الكلام الى الآخر وحينئذ
قال للملك لا بد ان ابن الوزير قد كذب وانكر الحقيقة فلا بد من وجود
امر خفي · لاننا عند ما كنا في الخرابة ارادت واحدة من البنات ان تأتي
اليها ولا بد انها كانت آتية لاجل الغلام · فقال الملك هذا هو الواقع لكن
لا يوجد برهان ظاهر يدلنا عليه هل يا ترى عرف احد بنت من الفتاة · فاجابه ابي
والعرق يتصبب من جبينه لشدة الحياء والخجل هي بنتي وكان وهو يتكلم والملك
يلاحظ حالته وقد ادرك شدة قلقه واضطرابه فلم يدعه يتم كلامه حتى نهض واقفاً وقال

للوزراء انتظروا هنا الى ان اعود ثم اخذ ابي من يده وقاده الى خلوة وقال له ان البنت هي بنتك اليس كذلك ٠ اجاب نعم ٠ قال ما دام الامر كذلك فكيف التدبير لان الغلام لم يعترف بشيء من ذلك وليس بيدنا اثبات عليه ولو فرض ان الاثنين اعترفا به ايمكن افشاء هذا الامر وايصاله لاذان رعاع الرعية واعيانها فاطرق ابي الى الارض متفكرًا وقد رأى ان الحق بيد الملك وان من الحكمة والعقل كتم هذا الامر ٠ وكان يفكر ايضاً بايجاد طريقة لتدبير هذه المسئلة ليبقى شرفه محفوظاً ٠ وحينئذٍ امر الملك باحضار ابن الوزير الى بين يديه ثانياً ولما صار امامه سأله قائلاً ٠ اريد ان اسألك سؤالاً فاذا اجبت عليه بالصدق سعيت في خلاصك ونفعك واذا حاولت ولم تقل الصحيح لا اطمع لك بالخلاص ٠ فانت ابن وزير ومن الممكن ان تجلس في مكان ابيك فلا يليق بالوزراء ان يقولوا الكذب ٠ فقل الان الصحيح ٠ لما كنا في الخرابة جاءت نحوها واحدة من البنات ولا بد انها كانت تبغى الاجتماع باحد فمن هو يا ترى الذي كانت آتية اليه تكلم يا ولدي الصحيح فتنجو لان في الصدق السلامة وفي الكذب الندامة ٠ وحينئذٍ غاص ابن الوزير متفكرًا عدة دقائق وقد رأى من ملاينة الملك ووعده له ان الصدق خير من النكران ولا سيما ان ما جرى بينه وبيني وان كان من الوقوعات الغريبة لكن لم يتم قضاء الغرض ولم تزل بكارتي على حالها وخطر له ان هذه الحكاية لا بد ان تسر الملك واخيرًا رفع رأسه ودعا للملك بفصاحة لسان وقال له نعم يا سيدي ان ما قلته لكم في بادىء الامر لم يكن فيه كذب قط ٠ وانما لو اعرضت لكم جميع ما وقع على رأسي في هذه الليلة لا بد انكم تتعجبون بزيادة ٠ وذلك اني ما لبثت ان دخلت من طريق الماء حتى رأتني القهرمانة التي كانت تخفر اوانئذٍ فتوهمت اني لص فهجمت عليَّ بالعصا وحيث ظننتها ساحرة خفت كثيرًا ووقعت الى الارض فربطت العجوز يدي ورجلي وانا ارتجف من الخوف وبعد ساعة عدت الى نفسي فوجدت رجلي ويدي مربوطة فزاد خوفي واضطرابي فقالت لي العجوز حينئذٍ اظننت ايها اللص ان المكان خالٍ هنا ٠ فقلت لها ٠ اني لست بلصٍ واقسم

لك يا خالتاه ان الحديقة هي ملكي وقد اتيت لانتقدها . فسألتني عن بعض اشياء في الحديقة فاخبرتها عنها فثبت لديها قولي وفي الحال حات رباطي واعتذرت اليَّ وقالت لي لا ترضيني ان بنات الوزراء قد اتين في هذه الليلة الى هذا المكان وهن فيه على الحظ والسرور فهلمَّ تفرج عليهن ومن اعجبتك اخبرني عنها لارسلها اليك فتسلى معها الى الصباح

ولما وصل ابن الوزير الى هذا الحد من حكايته ادرك ابي المعنى وصار ينظر الى الارض بحدة وحيرةٍ واما ابن الوزير فبقي على كلامهِ وقد قال وحالما سمعت كلام القهرمانة حملني الشباب على مطاوعتها فرضيت باشارتها وذهبت واياها الى الخرابة وارسلت بنظري الى البنات فكدت اغيب عن الوجود لما شاهدتهُ من حسنهن ولا اقول الكذب ان واحدة منهنَّ اعجبتني فاشرت للعجوز عنها ففي الحال ذهبت وارسلتها اليَّ

ولما سمع الملك وابي كلام ابن الوزير ظنا بان الامر قد قضي وانه قد فعل بي منكراً افقطب الاثنان حاجبيهما واخذ وجهاهما بالتلون فادرك ابن الوزير حالتهما وما توهماه فاضطر الى الاسراع بالتكلم ليزيل خوفهما وقلقهما ويفهمهما ان الامر لم يقضَ فقال نعم ارسلت العجوز البنت فجلست الى جانبي وتحركت فينا الرغبة الى قضاء الغرض فاردنا المباشرة فطرق اذاننا صوت حركة تقول (تشاط باط) فاجفلنا وهربنا وسار كل منا في ناحية وقد ظننا ان احداً فاجئنا وعادت الفتاة فجلست بين رفيقاتها وسرت انا فجلست تحت احدى اشجار السرو وقلبي يخفق ويختلج . وفيما انا على ذلك جاءتني العجوز وسألتني عن السبب فاخبرتها به فذهبت الى الخرابة ورأت هناك بعض افراخ الغر بان تضرب باجنحتها فخرج عنها هذا الصوت فعادت اليَّ واخبرتني ثم ذهبت لترسل لي الفتاة ثانياً ولكي لا اطيل الامر اقول ان الصبية اتت فجلسنا هذه المرة تحت شجرة من السرو كالاول ولم يلتصق احدنا بالآخر حتى سمعنا صوتاً يقول (بام . بام) فهلعت قلوبنا من الخوف وتوهمنا ان الناس يروننا فهربنا وعادت هي الى رفيقاتها فجلست معهن ولما اتت العجوز رات ان الصوت صوت فار ينقر في قشر الشجرة والحاصل في المرة الثالثة جاءتني الصبية ايضاً ولم نأت عملاً لاننا قبل ان نبدأ دخل

علينا الثعالب والقرود فخفنا وهربنا . وفي المرة الرابعة ذهبت الى الخرابة وسارت العجوز لارسالها اليَّ وما لبثت ان وطئت الخرابة حتى شرفتم وقبضتم عليَّ . فهذا هو الصدق والله شهيد

ولما سمع الملك وابي هذا الكلام من ابن الوزير تعجبا غاية العجب ولا سيما الملك فقد تأمل كثيرًا فيما جرى والتفت الى ابي وقال لهُ . وقائع غريبة . فهذا هو الصحيح وقد قنعت الآن بانهُ قال الصدق لاننا لما كنا في الخرابة جاءت البنت للمرة الرابعة ولما راتنا في مكان ابن الوزير هربت . والان الذي اراهُ موافقًا في هذه المسألة انهُ من حيث ان ابن الوزير هذا قد راى بنتك وهي قد راتهُ ورغب كل منهما بالاخر ولكنهما لم ينالا مرامًا فانا اعين ابن الوزير وزيرًا لي واضفهُ الى الوزراء وتزف عليه انت ابنتك على مقتضى السنة والشرع . فرضي ابي بامر الملك وسلم الامر اليه . واما ابن الوزير فانهُ لما سمع هذه البشارة بانهُ سيتزوج بي ويتعين وزيرًا القى بنفسه على رجلي الملك يقبلهما ودموع الفرح تتساقط من عينيه ولم يعد يعرف كيف يجب عليه ان يفصح بشكران الملك وقد قال لا اعرف باي لسان اشكر عدلكم ورحمتكم لانني بينما كنت ارى نفسي مستحقًا العقوبة وانتظر الجزاء على سوء فعلي عاملتموني بمنتهى الرحمة والشفقة

فسرَّ الملك كثيرًا من كلامه وقال له ها اني منذ الآن قد نصبتك وزيرًا ثانيًا ورفعت حماك الى رتبة الوزير الاول . ولما راى ابي نفسه بعد ان كان الوزير الثالث في الدولة ترقى الى رتبة الوزير الاول واصبح صهره الوزير الثاني فرح فرحًا لا يوصف وكذلك ابن الوزير وقبلا ذيل الملك وشكراه على نعمته ودعيا له ولدولته بطول العمر والبقاء . وحينئذٍ زاد الملك في كرمه وتعطفه بان قال لهما وكذلك فمصروف الفرح جميعه يكون من خزينتي واصدر امري منذ الآن ان يكون الفرح شاملاً المدينة سبعة ايام وسبعة ليالٍ والزينات قائمة فيها . فلم يعد يعرف كل من ابي وابن الوزير كيف يجيبان الملك فاسكتهما الفرح واذ ذاك خرج الملك بهما من الخلوة وامر باطلاق القهرمانة التي كانت محبوسة واحسن الى كل من ابي وابن الوزير بخلعة سنية ولكي لا يسيئ باقي الوزراء الظن بيناتهم حكى لهم قصة ابن الوزير معي وامرهم

بغض النظر عن مفاتحتهن . وبعد ذلك رجع ابي الى البيت وهو من شدة السرور والفرح في حالة غير معتادة . ولما جاء البيت دخل احدى الغرف ودعاني اليه فخفق قلبي وخفت كثيراً وصار لوني اصفر كالزعفران وقد ظننت ان ابتسامه وبشاشته ناتجين عن الغضب الداخلي المضطرم في فؤاده . وحالما رآني اشار الى كرسي بجانبه وقال لي هلم يا بنتي هلمّ فاجلسي فجلست وانا بحالة خجلٍ وقلق شديدة . ثم التفت اليّ فقال لي . اين يابنتي تنزهت في هذه الليلة . فاجبته وانا مطرقة الى الارض وقلت . نعم لقد ذهبت مع بنات الوزراء الى احدى الحدائق وبقينا فيها مع بعضنا البعض . قال اعرف انكم كنتم في الحديقة لكن لماذا هربتم من امور لا تخيف ولا يجب الهرب منها . فلما سمعت هذا الكلام من ابي وصلت روحي الى صدري ووقعت على قدمي ابي . واذ ذاك تحركت به عواطف الشفقة الابوية فرفعني عن الارض وقال لي لا تخفي يابنتي فحيث ان ناموسك بقي محفوظاً فلا بأس عليك لكن اخبريني بكل ما وقع لك في الحديقة . ولما تبين لي ان ابي مطلعاً على الخبر لم يعد في امكاني الكذب فحكيت له القصة بتمامها . فقال لي لقد قلت الصدق . ثم قصّ عليّ تتمة الخبر واعلمني كيف انه ذهب مع الملك والوزراء الى الحديقة وشاهدونا هناك وقبض الملك على ابن الوزير والعجوز واتى بهما الى قصره ومن استنطاق ابن الوزير عرف كل ما توقع وكيف ان الملك عامله بالرحمة فعفا عنه وقلده منصب الوزير الثاني وجعل ابي الوزير الاول وفوق كل ذلك فقد امر الملك بان يعقد لي على ابن الوزير وان تزين المدينة وتقام الافراح فيها مدة سبعة ايام

ولا اقدر ان اخبرك ياسيدتي عن الفرح الذي لحق بي في تلك الساعة من خبر ابي ولم اعد قادرة على التكلم فرميت نفسي على رجلي ابي اقبلهما فاخذني اليه وقبلني في جبيني ووجه اليّ النصائح المملوءة بالحب والحكمة . ومن ثم بناء على امر الملك زينت المدينة سبعة ايام وسبعة ليال وعقد لي على ابن الوزير وحينئذ نال كل منا ما تمناه من الآخر بدون خوف ولا وجل والتصقنا الى بعضنا البعض متلذذين بلذات الوصال ولم يقوَ على تفريقنا لا (نشاط باط) ولا (بام . بام) وكنا كلما افتكرنا باحوالنا فنتعجب مما وقع علينا ونضحك على انفسنا

وقد مر علينا نحو خمس سنين على هذه الحالة وبعدها توفي ابي فنصب في مكانه زوجي وبقي في منصب لوزارة الاول مدة سبع سنين ثم توفي الملك فتولى مكانه ولي عهده وهو الملك الحالي وبعد ثلاث او اربع سنين من توليه عزل زوجي عن وظيفته والآن لا يزال معزولاً . ولهذا رأيتني ياسيدتي انظر الى اطراف هذه الحديقة متذكرة واضحك في نفسي على ما وقع لنا فيها من الامور المضحكة

وبعد ان حكت الملكة لغان بنت ملك الصين صاحب الاقليم السابع هذه الحكاية لبهرام شاه قالت له . ولما حكت تلك الامرأة حكايتها لوالدتي تعجبت والدتي منها غاية العجب وقالت لها حيث ان الحكاية التي حكيتها لي سرتني جداً واعجبتني فانا اعيد لزوجك منصبه في الوزارة . وحالما سمعت المرأة هذه البشرى من فم والدتي طارت من الفرح والقت نفسها على رجليها . ولما عادت والدتي الى البيت حكت الحكاية لابي من اولها الى آخرها فاعجبته كثيراً وفي الحال احضر زوج المرأة واعاده الى منصب الوزارة الاول ودام على سعادته الى الآن بعد ان بقي مدة معزولاً مطروداً

والقصد من حكايتي هذه ياسيدي ان الانسان الذي يسود بخته بحكم الاقدار اذا صبر وتحمل فبول ذلك السواد بالبياض واشرق بدر اقباله من ظلام اليأس والقنوط ولاجل ذلك توصف الشمس بالبياض دليلاً على السعادة وبالحقيقة ان اللون الابيض جميل جداً . ومن حيث ان النهار ابيض الطلعة ينظر فيه كل عملٍ والوجه الابيض في الانسان دلالة على تفضيله على سواه بحكمة الخالق . انظر الآن هذا اللون الابيض الصافي ما اجمله واشهاه . وحالاً كشفت على صدرها الابيض البلوري وابرزت نهديها كحقين من لجين على صفيحة من فضة . فطار عقل بهرام شاه من رأسه وفي الحال ضمها اليه وقد فرغ صبره فلم ينتظر المساء بل التصق بها ونال منها وصلاً شهياً ... وعاد بهرام شاه وزوجته الى الانس والصفاء حتى اقبل المساء وحينئذٍ مدت سفرة مرصعة بالالماس وعليها الطعام المتنوع فاخذا بمناولة الطعام ولما فرغا من الاكل عادا الى تعاطي كؤوس الانس والصفاء الى ان دنا وقت المنام فانسحبا الى غرفة المنام وهناك ترك بهرام شاه

اباه وامه والتصق بامرأته ... وما من شيء عجيب في ذلك ... فلم يقع بينهما الا ما هو معلوم من كل انسان . فقد غرقا في بحور اللذات الى ان انقضى الليل الستار واقبل النهار الفضاح

وعند الصباح نهضت لغمان قبل بهرام شاه ورفعت الغطاء عن وجهه واخذت في ان تتأمل في جماله وحسن طاعته . وكان بهرام اوانئذٍ في الخامسة والعشرين اي في معظم وقت الشبوبية جميلاً للغاية ومن نعمة الله قد حصل على الملك الواسع والشجاعة النادرة المثال والعقل والذكاء المفرطين والجمال الغير موجود في سواه . فلما رات لغمان انوار محيا زوجها تلالئ بالبهاء والكمال لم تقدر ان تضبط نفسها فارتمت عليه وجعلت تقبله على غير فكر فاستيقظ بهرام من نومه وشاهد بدرًا يدور فوقه فمال الى الاستصباح كجاري عادته . فضم لغمان اليه وطوقها بزنديه وقضى منها وطرًا وبعد ساعة نهض من مكانه فاغتسل ولبس ثيابه وودع زوجته وركب بموكبه محفوفًا بالعظمة والاجلال وسار راسًا الى قصر الاحكام فدخله بعظمة فارسية حتى جاء التخت وجلس عليه

ولما رآه الوزراء ورجال الحاشية وقفوا جميعاً بين يديه لتأدية فروض الدعاء وبعد ان تقدم كل بدوره وادى الواجب عليه وعاد فوقف في مكانه امرهم بهرام بالجلوس موجهاً اليهم عنايته والتفاته . ثم انهم كرروا الدعاء بطول العمر له ولدولته وجلسوا في اماكنهم واطرقوا رؤوسهم الى الارض منتظرين امره

وفي تلك الساعة دخل على بهرام شاه رئيس حجابه فقبل الارض بين يديه ودعا له بدوام العظمة والاجلال واخبره ان رسولاً جاء ويستأذن بالدخول عليه فسأله من اي البلد الرسول وما هي رسالته فاجاب الحاجب لا اعلم ولم يرض ان يخبرني بحاله فتعجب بهرامشاه وامر باحضار الرسول . فاحضر اليه على الاعزاز والاكرام فاشار اليه ان يجلس في مكان معهود . ولما رأى الرسول عظمة ومهابة بهرامشاه وقع الخوف والارهاب في قلبه فتقدم من العرش فقبله وقبل الارض ودعا بافصح كلام واطلق لسانه ثم اخرج من جيبه رسالة دفعها اليه وانسحب الى الوراء وجلس في المكان الذي اراه اياه بهرامشاه . اما

بهرامشاه فتناول الرسالة وفتحها وقرأها وبعد ان وعب مضمونها اعطاها لرئيس وزرائه وامره ان يقرأها بصوت عالٍ · فاخذها الوزير في الحال ووقف في مكانه وتلاها بصوت جهوري سمعه جميع الحضور

مضمون الرسالة

اطال الله بعمر ولدنا بهرامشاه وزاد في دولته اليمن والاقبال وخصه بدوام السعادة وحسن الاستقبال كما خصه بالشجاعة والاقدام وعلو المنزلة على كل الانام ووسع ملكه الى اطراف الدنيا حتى ملك السبعة اقاليم بالسيف القويم وقبض بكفه على السبعة بدور · اللاتي لم يخلق مثلهن منذ سالف الدهور دام مجدك بالسعد محفوظاً وملكك بالانس محفوفاً آمين

وبعده لما كان جل رغبتنا النظر الى بديع محياك الباهر الجمال اتفقنا بواسطة الرسل نحن آباء زوجاتك على زيارة بلادك والتشرف بناديك وعينا موضعاً لاجتماعنا الجهة الفلانية وارسلنا اليك هذه الرسالة منتظرين صدور امرك العالي حفظك الله ودام بقاك

الامضاء الامضاء الامضاء الامضاء الامضاء الامضاء

حاكم الصين قيصر الروم ملك الهند حاكم الغرب حاكم خوارزم حاكم صقلاب

ولما قرئت الرسالة على الحضار نهضوا جميعاً فقبلوا ذيل العرش ودعوا له بدوام العز واتساع الملك وكثرة البنين ثم عادوا فجلسوا في اماكنهم

اما بهرام شاه فقد شكر الله في قلبه على ما وصل اليه من العظمة حتى زاره اعظم ملوكها بوقت واحدٍ وامر في الحال بتهيئة حفلة الاستقبال · وفي صباح اليوم التالي اجتمع عند باب قصر الحكومة جميع الوزراء والاعيان وامراء الدولة ومامورها الاوائل بالملابس المذهبة والخيول المطهمة المسرجة بسروج مرصعة محجرة بالحجارة الكريمة وكذلك بهرام شاه جاء مدججاً بالسلاح من راسه الى قدمه راكباً فوق جوادٍ لا نظير له على وجه البسيطة لابساً ثوباً ملوكياً مخصوصاً بملوك الفرس تساوي قيمته خزائن الدول وفوق راسه التاج المشهور

الجامع لاغلى واثمن خمر كريم في العالم · وحينئذٍ خرج بهرام لاستقبال آباء زوجاته محاطًا بذاك الموكب العظيم

وكذلك اتصل الخبر بملوك الاقاليم ان بهرامشاه خرج للقائهم فركبوا خيولهم بالعظمة والاجلال وتقدموا لجهة المدينة · اما اهالي المدينة فخرجوا للفرجة من كبيرهم حتى صغيرهم · و بالطبع ان مثل هذه الفرجة لا تترك لان اجتماع سبعة ملوك امر عظيم مبهج · ولما ظهر بهرامشاه للملوك نزلوا جميعهم عن خيولهم وتقدموا لاستقباله فقرب منهم ولم ينزل عن جواده ويفعل كما فعلوا بل بقي راكبًا مغرورًا بشجاعته وعظمته وقد سلم عليهم بشوكة وكبر فتقدموا منه وقبلوا ركابه· وبالحقيقة ان ذلك امر كبير · فما هـذه النعمة الجليلة التي نالها بهرامشاه · و بعد ان ترحب بهم غاية الترحاب وتبادلت بينهم جمل التجملات والمدائح سألهم الركوب فوق خيولهم ففعلوها وعاد بهرام الى جهة المدينة في مقدمتهم · وكان المنظر مبهجًا للغاية ومستحقًا للفرجة فبهرام الاسد الكاسر كان مدججًا بالسلاح لحد اسنانه وعليه وعلى رأسه من الجواهر ما لا يثمن بثمن ويسير خلفه ستة ملوك بالملابس الذهبية وعلى رؤوسهم التيجان المرصعة وهم مع صغر سنه (لانه كان اوانئذٍ في الخامسة والعشرين) ما كانوا يتجرأون على مخاطبته بل كانوا مطرقين برؤوسهم الى الارض بينما كان هو يخاطبهم ملتفتًا الى اليمين والى الشمال بعظمة وابهة نادرتي المثال · · · ومما يدل على ذلك ما هو مثبوت في سجلات ملوك الفرس وفي التواريخ العديدة من انه لم يأتِ الى الدنيا قط سلطان عظيم مثل (بهرام كور) وعلى مقتضى قول سجل الملوك كان يقال لبهرام رستم شاه ومعنى رستم في لغة الفرس (بطل صنديد) لأنه كان شجاعًا و باسلاً قويًا مع عقل وذكاء وحكمة مفرطة ·

ومع ذلك فقد مال الى الانس والصفا والانشغاف بذوات القدود اكثر من باقي الملوك ·· وقد امتد عمرهُ فزيادة عن ذلك ماذا يكون لقد سار في اول ستة ملوك من اكبر ملوك العالم مترفعًا عليهم و بالنظر لتعقلهِ يسلم نفسهُ للكبر والخيلاء لكنهُ كان محافظًا بابهتهِ على العوائد الفارسية ولذلك لم يجسر

الملوك على مساواته ومحادثته والنظر في وجهه ولا تجرأ احد منهم على ان يسأله سؤالاً . وعلى هذا الوجه جاؤا المدينة ودخلوا القصر وقد اسرع السلاطين بالنزول عن خيولهم وارتموا امام بهرام شاه فلم يمنعهم ولا اعتذر اليهم ولا قال لهم استغفر الله بل بقي على العادة محافظاً على الصولة والمهابة . ولكنهُ كان يقول في قلبه . يا الهي انت تعلم سبب حالتي هذه انها ليست من قبل الغرور . فاعفُ عني يا ربي لاني احقر عبادك لكن لما كنت قد قلدتني بارادتك هذه المملكة الواسعة فاصبح من اللازم عليَّ ان اقوم برسم السلطنة فلا تدع الخوف مني والاندهاش بي يتجاوز حدود الطعام

وبقي بهرام شاه سائراً على ما تقدم حتى وصل من عرشه فنزل عن جواده وصعد الى القصر ومن حوله وورائه الملوك والاعيان ثم دخل غرفة الردهة العظمى حيث نصبت كرسي السلطنة المرصعة بكل حجر كريم فجاس عليها وسيفهُ فوق ركبته . وجيء لهُ بالشراب فشرب وكان الملوك الستة لا يزالون واقفين عند الباب ينتظرون الامر بالدخول وهم يتحادثون مع بعضهم البعض متعجبين من شوكة بهرام واجلاله ومن سعة المدينة وعمارها وربما كانت يفتخرون بمصاهرتهم لهُ . واذ ذاك صدر امر بهرام فدخل في الاول الملك قيصر ثم ملك الصين ومن بعده سلطان الهند وتبعهُ حاكم خوارزم ومن خلفه ملك صقلاب فملك الغرب . فنهض لهم بهرام على قدميه ونزل عن كرسيه واخذ في ان يعانق الواحد بعد الاخر مسلماً عليه مترحباً به ثم جلس على كرسي صغير مجوهر واذن للملوك بالجلوس من حواليه فجلسوا على الكراسي المجوهرة التي اشار اليهم بالجلوس عليها وهم لا يفترون عن التبجيل والتعظيم والدعاء وعيونهم مطرقة الى الارض وكان كل من ملك صقلاب وخوارزم والمغرب لم يرَ بهرام بعد ولهذا كانوا مأخوذين بجماله وسلطانه وعظم هيبته وكذلك ملك الصين فانهُ وان كان جاء الى بلاد العجم واستولى عليها كما تقدم معنا في اول القصة لكنهُ لم يرهُ ولا وقف امامهُ واما ملك الهند وقيصر الروم فقد سبق ونظرا بهرام شاه وعرفاه . ولما ان استقر كل انسان بمكانه كان بهرام شاه يفكر في نفسه قائلاً ها ان هيبتي ورفعة سلطاني

قد وقعتا في قلوب الملوك فمن اللازم تجابرتهم ورعايتهم · فدار بوجهه اليهم وخاطبهم قائلاً بكل انس ورقة · اني اشكر الله الذي اراني اياكم في بلادي وشاهدتكم بخير وعافية كما اني اشكره على ادخال بلادكم تحت سلطتي وما ذلك الامنة منهُ تعالى ولهذا وجب عليَّ القيام بكل ما يرضيه · فعلي ان اقي المظلوم ولا امنع احساني عن الفقراء وان اهتم باصلاح البلاد وان اسير في هذا اليوم على الطريق المستقيم لان في يومي هذا خبرات الغد · واحتراسي في هذا اليوم يقيني من الخجل امام الله سبحانهُ وتعالى · فلا اضر نفساً لم تذنب ولا خليقة لم تجنِ من الفيل حتى النملة · ومع اقتداري فلا اطمع بمال احدٍ وسعادته · ولا اخاف احداً غير الله سبحانه وتعالى · ومن المؤكد اني اعاقب كل مجرم واعتني بكل صادق امين · واقيم البناء الجيد · واستأصل الشرش الفاسد · ولذلك اقتلع اوهام المتوهمين باجلاسي على هذا العرش واقنع القائلين حولي اني ما وجدت على السلطنة باختياري بل ان هذه اللياقة والقوة والعظمة اعطيت لي جميعها من الله حتى اميز بين الحق والباطل · ومع ذلك فشاهدي اني لا اقتل شخصاً بالحيلة والدسيسة مهما استعملت قوتي وسيفي وعدالتي

ولما سمع الملوك السبعة هذا الكلام الذي تكلم به بهرام تحيروا جميعهم من ذكائه وكياسته وفهمه وفراسته ورفعوا ايديهم لله ودعوا له بالبقاء وطول العمر ولدولته بالتقدم والارتقاء واظهروا له سرورهم وامتنانهم · وحينئذٍ اشار بهرام باحضار موائد الطعام فمدت سفرة فاخرة عليها اشهى الطعام في اوانٍ مرصعة ثمينة · فنهض بهرامشاه والحكام الستة وجلسوا حول المائدة ودارت بينهم الاحاديث وهم يشتغلون بمناولة الطعام · وكانت محبة بهرام تنمو وتعظم في قلوبهم لاعجابهم به وبسمو مداركه وترفعه عن سواه من بني البشر مع صغر سنه · وبعد مناولة الطعام رفعت السفرة وغسلوا ايديهم ومن ثم بدأوا بالانس والصفاء · وكانوا في كل كلمة وكل حركة تبدو من بهرامشاه يرون فيها الحكمة والغرابة فيتحيرون منه ويعجبون به · ثم انهم استأذنوا بهرامشاه لمشاهدة بناتهم فاذن لهم وارسل كل واحدٍ الى قصر بنته وسار هو الى القصر المعمول بلون خشب الصندل

قصر درست وبات معها على المسرة والهناء . اما الملوك فقد التقى كل واحد بابنته وسلم عليها وفرح بها ورآها كانها موجودة في جنة النعيم ولاقوا عندهن من التجملات والترحيب والشوكة والابهة مالا يوصف بقلم . وكانوا مسرورين جدًّا فرحين بحالة بناتهم وراحتهن . ومن بعد ذلك عادوا الى مجلس بهرام ثانية

والحاصل فلكي لا نطيل الكلام نقول ان الملوك صرفوا مدة شهرين عند بهرامشاه على غاية من الاكرام والاعتبار حتى كادوا ينسوا بلادهم وممالكهم وفضلوا البقاء في ذلك المكان لو امكن لهم واخيرًا سألوه ان يسمح لهم بالرجوع الى اوطانهم ففي الحال احضر الخلع الثمينة فافرغها عليهم ووهبهم خراج بلادهم لمدة ثلاث سنين واوصاهم بملازمة العدل واتباع خطة الانصاف والسير على الطريق الذي يرضي الله وعباده . وقد امر سلطان الهند ان يرسل له نحو عشرة آلاف مضرب وضارب موسيقى من بلاده من رجال ونساء . وبعد ان ودع الملوك عادوا الى بلادهم والفرح يقيمهم ويقعدهم ولما وصلوا من اوطانهم اهتم كل واحد بادارة شؤون بلاده واخذوا في ان يعاملوا رعاياهم بالعدل والرحمة على حسب ما تعلموا من بهرامشاه

اما ملك الهند فانه بناء على امر بهرامشاه انتخب من بلاده نحو عشرة آلاف نفس ما بين ذكر وانثى كلهم ماهر بالغناء وضرب الاوتار فارسلهم الى ايران فسرَّ بهم بهرامشاه وفرقهم على الاهالي وامر بانتشار اعلام الصفاء على كل بيت من بيوت المدينة وامر ان توزع عليهم مرتباتهم من خزينة الدولة . اما هو فانه بقي كعادته الاولى في كل يوم يذهب الى قصر ويبيت عند زوجة من زوجاته ولما رأى ان انهماكه بصفائه وملذاته يشغله عن مداومة النظر في احوال الرعية اقام وكيلاً عنه وزيره راست روشن وفوض اليه ادارة مصالح الدولة وانغمس كعادة ملوك الفرس باللذات والصفاء والالتصاق بالحريم ليلاً ونهارًا والتنعم بكل ما يصل اليه من اسباب التنعم . ولم يعجز ولا فتر قط ولا كلَّ ولا ملَّ . ومع هذا كله فان نساءه كن عواقر ما عدا درست فقد ولدت له ذكرًا كانت ولادته سببًا في زيادة حظوظه ومسراته وقد سماه ازدشير على

اسم ابيه . ولندع الآن بهرامشاه على صفائه وانسه ولنتكلم قليلاً عن احوال الحكومة وماذا جرى عليها بعد ان فوض بهرامشاه امور ادارتها لوزيره ونوى كل النية ان يصرف باقي عمره في اللذات والمسرات

كان الوزير راست روشن الذي قبض على ازمة حكومة ايران شريراً خائناً ظالماً عاتياً . فحالما رأى نفسه مستقلاً باعماله ولا رقيب عليه بدأ بالظلم والتعدي دون رحمة ولا شفقة . فلم يمر شهران على وكالته هذه حتى هدم بناء العدل من اساسه . ونشر رواق الظلم في كل جهة . وتبدلت الافراح ودواعي الانس التي كانت قائمة في كل منزل الى احزان ومآتم . وكان يقول . ان الشاه قد عهد اليَّ بتدبير الرعية واطلق لي الامر فالذي افعله افعله باسمه وبامره . اما الوزراء الاخر فانهم عند ما ارادوا ارجاعه للصواب عاملهم بالقسوة والنفار وقال لهم . انتم لا تدرون شيئاً ولا تفهمون امراً ان الوكالة امر عظيم ان الخير للاهالي يزيدهم عتواً وقلة حياء . انهم لم يعرفوا قيمة عدالة السلطان فنبذوها جانباً مع ان من العدالة التهديد والتخويف ويلزم للجريمة الجزاء . فاذا كنت لا اقصوهم ولا اجازيهم يضيع الملك ويخرب الشاه فلنضعفهم ولنذلهم كل يوم بالتكاليف والضرائب فيصبحون كالاغنام ومن الواجب ان لا يبقى بايديهم شيئاً وان لا يسمع الى ندائهم لان رعايانا همج متوحشون . فاذا لم يكن بايديهم سيف لا يعدون رجالاً . واذا لم يكونوا مقتدرين لا يضرون بنا ولا يخطفون ارواحنا واذا كان ملكنا نائماً فهولا مستيقظون واذا كان لا سياسة عند الملك تذهب حكومته من يده فالملك المتصف بالسياسة هو الذي دائماً يخيف اعداءه . فالانسان عليه مع السياسة ان يجري نفوذه وسلطته . ومن اللازم ان لا يغش من احدٍ ولا يصدق بصداقة احدٍ . وليتاكد الانسان ان صديقه هو سيفه . والآن فقد عهد اليَّ بهرامشاه بالوكالة على الدولة لانه امين مني ولو لم يرَ فيَّ الحكمة والدراية كما يجب لما خولني الاستقلال التام. وما دام سيفه وقلبي متحدين لا ادعه يندم . فاذا تكلمت انا قبل هو فاياً قلت اقبضوا عليه يفعل واياً قلت دعوه يدعه

ومن بعد ان فرع الوزير من كلامه قال له احد الوزراء استعمل عقلك وحكمتك فاذا كان قصدك ان تفعل كما نقول فكل عمل تعمله تندم عليه فيما بعد لانك وانت في حال وكالتك ترقبك عين ملكنا بهرام . وما انتهى هذا الوزير من كلامه حتى امتلأ الوكيل من الغضب فزجره وصاح به قائلاً سد فاك ايها الجاهل الخائن لقد اضعت عقلك ولو لم تفقد الادراك لما تكلمت بمثل هذا الكلام . وفي الحال امر بالقبض على الوزير المومى اليه . ومن بعد ان القاه في السجن بغير ذنبٍ ولاجريمةٍ امر ان تضبط املاكه وموجوداته فنهبها وامتلكها جميعها وفي اليوم الثاني عزل باقي الوزراء من مناصبهم واحداً بعد واحدٍ واستولى على املاكهم ومن ثم بدأ بعزل سائر رجال الدولة فكان يحبس بعضهم وينفي بعضهم وكان يامر ايضاً بقتل من يقاومه او يعترض عليه . ومد يده الى خزينة الدولة فكان يصرف كل ما تصل اليهِ يده منها واستبد في الرعية وفي احوال المملكة فاذا قال احرقوا هذا يحرقونه وافعلوا بذا كذا يفعلون ومع ان السرور كان في الاول دائراً في كل بيت انعكست الحال وصار يسمع من كل بيت بل من كل كوخ انات الرجال وبكاء النساء . وقد جمع هذا الوكيل الشرير حوله كل خبيث ومحتال . وكان اينما سمع باسم غني من الاهالي حبسه وضبط امواله واملاكه او قتله او نفاه الى بلاد بعيدة واستولى على كل اشيائه . وقد استبد وظلم الى اخر درجة من الظلم والاستبداد وفعل في الرعية افعالاً لا يفعلها اكلة لحوم البشر

ولما رأى الاهالي هذه الاحوال تحيروا ماذا يفعلون فكان بعضهم يدعي على بهرامشاه وبعضهم يتأوه ويقول اين بهرامشاه وما كانوا يرون لهم فرجاً بغير الانين والبكاء وكما تقدم كان الوكيل قد نظف دوائر الحكومة من الوزراء الاوائل والمأمورين المعينين من قبل بهرامشاه لثقته بهم وبدلهم برجال اشرار لصوص على شاكلته فاخذوا في ان ينهبوا الاهالي ويبتزوا اموالهم ويظلموا فيهم ظلماً فاحشاً حتى في عدة سنين لم يبقَ غنياً في كل ايران فاصبحوا فقراء باكين بالكاد يحصلون قوت يومهم . ومن المقرر ان هكذا ظلم وهكذا استبداد لا يحتاج الى مدة طويلة لخراب البلاد بل يكفيه خمسة عشر يوماً . كل هذا

والوزير الوكيل يرى ان ما يفعلهُ هو عدل وعين الواجب ان يعمل في الرعية ليقدر ان يضبط زمامها · ومن المقرر ان تأثيرات الظلم في البلاد تقود الى الخراب بسرعة ولا يمكن العدل ان يعيدها الى حالها بمدة طويلة · يعني ان عمار البلاد ونجاح العباد اللذين يقومان بالعدل وسهر الحكام واجتهادهم في مدة خمسين سنة يهدمها الظلم و يبيدها باقل من خمسين يوماً وربما بخمسين ساعة والعكس مستحيل في ذلك · ومن هذا كان الاهالي والجند مثقلين بالظلم متحيرين لا يقدر ان يشكي بعضهم لبعض خوفاً من ان تنقل الجواسيس شكاويهم الى الحكام فيعدمون في الحال وما من سبيل لهم للوصول الى بهرام شاه ملكهم الذي يجهل كل هذه الامور غيرعالم بها بل كل همهِ والتفاتهِ كان الى ملذاته وملاهيهِ والاختفاء عن عيون الناس بين جواريهِ وحرمهِ كعادة ملوك الفرس في الزمن القديم

وفي النهاية زاد الظلم في الاهالي كثيراً و باتوا غير قادرين على التحمل فاختاروا الموت في الفلوات على البقاء على هذه الحال لامال بايديهم ولاهم قادرون على الفلاحة والزراعة فكل املاكهم واموالهم ومجوهراتهم صارت بيد الوزير ورفاقهِ ورجال الدولة الحاليين ومع كل ذلك يلاحقونهم بالضرائب والاثقال الاميرية الظالمة ولهذا لم يروا بدًّا من المهاجرة فهاجر كل منهم الى ناحية · واكثرهم اختار البراري والصحارى سكناً لهُ او هاجر الى البلاد الغريبة تخلصاً من ظلم العمال والحكام وطمعاً باستحصال القوت لحفظ حياتهم بعد ان كادوا يخسرونها في زمن هذا الوزير الظالم العاتي القاسي حتى قلَّ عدد السكان كثيراً وخربت البلاد واي خراب · ولم يكفِ الوزير المذكور كل هذا حتى فكر بخيانة اشد واعظم فانهُ كتب كتاباً الى سلطان الصين وارسلهُ اليهِ سرًّا يقول لهُ فيهِ ان دولة بهرام شاه قد انتهت لانهُ منهمك ليلاً نهاراً بملذاتهِ ومعاشرة نسائهِ وقد ترك الحكومة وشانها حتى فرغت الخزينة وهاجر الاهالي وفرَّ الجند هذه فرصة فاغتنمها فانك بنفر قليل تقدر ان تستولي على مملكتهِ وانا اعدك وعداً صادقاً انك حال وصولك الى هنا اسلمك العرش لانهُ في يدي واكتفى بان ابقى

عليه تحت امرك وفي حوزتك

فحرك هذا الجواب طمع سلطان الصين وعزم ان يغتنم هذه الفرصة ليفتح مملكة الفرس فاسرع في ان جمع جيشاً عرمرماً وسار قاصداً به بلاد العجم ولكنهُ كان يسير بين الفرح والخوف خائفاً من بهرام شاه لانهُ يعلم عظم صولته وشدة بسالتهِ ويفرح لانهُ مزمع ان يستولي على مملكة عظيمة صاحبها في غفلة متكلاً بذلك على الوزير

وما خرج جيش الصين من الصين حتى صارت اخباره في كل الجهات وارسلت الرسل السرية من قبل وكيل بهرام في مملكة الصين الى بهرام شاه يخبره بخبر مسير الجيوش لتدويخ بلاده والاستيلاء عليها وينصح لهُ ان يخرج من بين الحريم وينظر في امر الرعية ويجازي الخائن على خيانته وكان هذا الوكيل محباً لبهرام شاه وكارهاً في وقوع النزاع بين الحكومتين. فلما اتصل الخبر ببهرام انتبه الى نفسه وخرج كالليث من عرينه وجاء الى دار الحكومة فوجدها قد انقلبت انقلاباً عظيماً كانت المدينة منذ خمس وعشرين سنة عامرة انسة زاهرة فوجدها خراباً ولم يرَ احداً من الرجال الاوائل الذين كان نصبهم للحكم والاحكام ولم يرَ في الخزينة ديناراً واحداً ولم يرَ جندياً واحداً قط من جنوده الابطال فطار عقلهُ من رأسهِ وافتقد وزراءه الامناء فلم يرَ لاحد منهم اثراً فسأل عن السبب فلم يهده احد الى الحقيقة ولا قدر احد من الاهالي في بادئ الامر ان يتقدم اليه بشكوى خوفاً من الوزير الوكيل العام ولا تجرأ احد ان يخبرهُ بما كان من عمل ذاك الظالم وقد اجابه الوزير انه في السنة الفلانية جدبت الارض ووقع القحط في كل ارض فارس والتاجر الفلاني افلس فهرب والوزير الفلاني مات والآخر سافر وصار يعدد اموراً واعتذارات ما انزل الله بها من سلطان حتى احتار بهرام شاه في امره وعاد الى قصره حزيناً كئيباً ولم يأخذه نوم كل تلك الليلة

وفي الصباح ركب جواده وخرج لوحده في ضواحي المدينة وهو مرتبك الافكار لا يعرف كيف يجب ان يفعل وقد ضاق عليه رحيب الفضاء واخذ يطوف من مكان الى آخر وبالكاد كان يرى احداً في تلك النواحي التي

كانت تزدحم باقدام الآتين الى المدينة والخارجين منها ولما تضاحى النهار اشتد عليه العطش فلم يهتدِ الى ماء ليشرب وفيما هو على هذه الحالة رأى دخانًا عن بعد فمال الى جهته طمعًا بالماء ولما وصل وجد هناك راعي غنم عند خيمة صغيرة وامام الخيمة شجرة وفي اسفل الشجرة راى كلبًا معلقًا فتعجب بهرامشاه من ذلك ووقف متحيرًا

ولما رأى الراعي بهرامشاه وعليه سمة الوقار والاجلال نهض في الحال ومسك الجواد لينزله عنه وقد ظنه من رجال وكيل المملكة فارتمى على قدميه وقال له الرحمة ياسيدي اشفق على شيخوختي لم يبقَ عندي الا هذه الاغنام فزادت حيرة بهرامشاه وقال له ماذا تقول يا ابي ماذا اعمل بغنمك قد اتيتك ضيفًا اطلب اليك شربة ماء فقام الراعي واحضر للملك اناء مملوءًا من الماء فتناول بهرامشاه الاناء وقال للشيخ اني اتعجب يا ابي من امرٍ واحدٍ واريد ان اسألك عنه فاذا كنت لا تخبرني بحقيقته لا اشرب لك ماء بل ارجع من حيث اتيت فقال له اخبرني يا ابني مما تتعجب فاني اصدقك الجواب فسأله بهرام اريد ان اعرف لماذا شنقت هذا الكلب في الشجرة هل اتى ذنبًا استحق الاعدام بسببه وحينئذٍ جلس الراعي امام بهرام شاه وقال له . اعلم ياولدي ان ذنب هذا الكلب عظيم جدًا . كان في الاول امينًا وحريصًا وطائعًا يحمي الغنم من الذئب فلا يفقد منها واحدة حتى كثيرًا ما اعهد اليه بالحراسة عليها وانام مطمئنًا مرتاحًا عليها فلا يدع الذئاب تصل اليها ولكن منذ نحو شهر تقريبًا افتقدت غنمي فوجدتها ناقصة سبعًا فتعجبت لذلك غاية العجب ثم عددتها بعد ذلك عدة مرات فرأيتها ترجع تمامًا وبعد اسبوع عددتها ايضًا فوجدتها ناقصة فزادت حيرتي وقلت في نفسي لا بد من وقوع امر غريب فاخذت من ذلك اليوم بالسهر والتحري لاقف على سبب ضياع غنمي الى ان كان اليوم الماضي ذهبت الى المرعى وامامي الغنم حتى وصلنا من الكلاء فبدأت ترعاه وتظاهرت كأني غارق بالنوم واذا بي سمعت حركة الكلب وقد سار من مكانه الى جهة ذئب اقبل من بعيدٍ ولما التقيا التحما ببعضهما وكان كلبي ذكرًا وتلك انثى

فبعد ان فرغ من عمله جاءت انثى الذئب من الغنم فاختارت اسمنها وخفت به والكلب متغاضٍ عنها كانها كانت تسمح له بحق السكوت فلم احتمل هذه الخيانة من كلب اقمته حارساً على غنمي فباعها طمعاً بقضاء شهوته فقبضت في الحال على الكلب وجازيته بالشنق وهذا جزاء من لا يسهر على رعيته وبقيت اتبع انثى الذئب حتى قتلتها ايضاً

فلما سمع بهرامشاه كلام الراعي انتبه الى نفسه كانه هب من رقادٍ عميق وقال في نفسه ان كلام الراعي اكبر نصيحة لي ومنه تعلمت كيف يجب ان انصرف وفي الحال شرب الماء حتى اروى ظماءه وعاد الى المدينة والغضب يقيمه ويقعده وبات تلك الليلة على مقالي الجمر الى ان كان الصباح نهض من نومه فلبس ثوباً احمر وخرج الى دار الاحكام وكان في ذاك الزمان اذا لبس الملك ثوباً احمر استدل الشعب على غضبه وانتقامه ولما جلس على سريره امر ان يدعى اليه جميع الوكلاء والوزراء والقواد واشاع ان في عزمه المباحثة والتدبير في شأن طمع ملك الصين في الاستيلاء على بلاد ايران فحضر اليه جميع عظماء المملكة وهم في خوف عظيم فجلس كل في مكانه ثم بعث ايضاً فاحضر الوجهاء والقواد حتى غص المكان بالخاصة والعامة وكلهم منتظر الملك وحينئذٍ التفت بهرام شاه امام تلك الجماهير الى وكيله الذي كان اميناً على بلاده فرآه يرتجف وقد اصفر وجهه حتى صار كهيئة الموتى فقال له والغضب يلعب به اي وكيلي الصادق الامين قد اتيت الآن اناقشك الحساب فاخبرني اين هو ملكي وعظمة دولتي اين جنود مملكتي اين اموال وجواهر خزينتي اين رعاياي الذين سلمتك ايام لتسوسهم بالعدل والانصاف فاذا كنت لا ترعى الجميل الذي عاملتك به الا تخاف من الله القادر المنتقم فاذا كنت انا غفلت عن حقوق العباد فالله الذي خلقهم الا يسألك عنهم اجبني في الحال . فوقع الخمول على الوكيل وانعقد لسانه عن الجواب لشدة خوفه واضطرابه فبقي صامتاً كالصخرة الصماء . وحينئذٍ وقف بهرام شاه والسيف في يده فلطمه على وجهه وامر ان يقبض عليه وعلى رفاقه الوزراء الذين اطاعوه في ظلمه وان يقيدوهم بالحديد ويلقوهم في الحبس . ثم

امر في الحال ان يطوف المنادون في المدينة ليبشروا الشعب بان ملكهم قد عاد من غفلته ورجع لعرشه لصيانة حقوقهم فمن منهم له حق على الوكيل ورفاقه او على احد من رجال الحكومة فليحضر الى امام بهرام شاه ويعرض امره لديه دون خوف ولا وجل وهو مزمع ان يعيد لكل ذي حق حقه ويقاص الظالمين على ظلمهم . فوقعت هذه البشرى على الاهالي وقوعًا حسنًا وشعروا بالفرح العظيم واملوا باصلاح احوالهم فهجموا على دار الحكومة افواجًا افواجًا وقد ارتفعت اصواتهم بالدعاء لبهرام شاه ولدولته بالعز والاقبال وما منهم الّا من تظلم وشكا من كبير القوم حتى صغيرهم وبهرام يسمع شكاويهم ويطيب بخواطرهم وقد ذهب بنفسه الى بيت الوكيل فوجده مشحونًا بالجواهر والذهب فاخرجها كلها وصار يفرق على الناس ويوصل لكل انسان حقه من مال او عقار فسر الاهالي سرورًا لا مزيد عليه وانتشرت هذه البشرى في كل انحاء المملكة فأخذ الذين هاجروا يعودون الى البلاد حتى في ظرف شهر عاد الاهالي الى اعمالهم والجند الى حاله القديم وتنظمت احوال الدولة واقيم الحكماء والعقلاء لتدبير شؤون الرعية . ثم ان بهرام شاه ذهب بنفسه الى السجون فوجدها مشحونة بالمسجونين وكلهم يتظلم ويستغيث فاستدعى سبعة انفار من السجن واوقفهم بين يديه وسألهم ان يعرض عليه كل منهم سبب سجنه

شكوى المظلوم الاول

وقف المظلوم الاول بين يدي بهرام شاه وبعد ان دعا له ولدولته بالبقاء قال اعلم يا سيدي اني من اعظم تجار المدينة اعتبارًا ففي ذات يوم عزمت ان ارسل اخي بتجارة فاعددت له البضائع اللازمة وقبل ان يخرج اتصل الخبر بالوكيل فاستدعى اخي وقال له انت ولا شك جاسوس ومرادك ان تذهب الى اعداء المملكة وتطلعهم على احوالها . وبدون ان يسمع جوابه او يصغى الى جوابه امر بقتله ثم احضرني بين يديه واتهمني بتهمة اخي والقاني في السجن وضبط كل اموالي واملاكي ولي الآن مقدار سنة في السجن على ما رايت .

شكوى المظلوم الثاني

ثم تقدم احد المظلومين فقبل عرش الملك وقال اعلم يا سيدي ان ابي ترك لي حديقة غناء عامرة بالاشجار والاثمار لا يوجد مثلها في بلاد فارس وكان ابي مولعًا بها صرف كل حياته وامواله في انشائها فبلغ امرها لوكيلك فاستدعاني وفي الحال القاني في السجن وضبطها مني بدعوى ان ابي اغتصبها من املاك الحكومة ولي الآن مقدار سنتين في السجن

شكوى المظلوم الثالث

ولما حضر الرجل الثالث امام بهرام شاه قال له انا ياسيدي رجل من اهل المدينة وتجارها مولع بالاسفار والسياحة وقد سافرت عنها منذ زمن طويل بقصد الربح والمكسب ثم عدت اليها ومعي قسماً وافرًا من الجواهر والحجارة الكريمة فعرضتها للبيع فاتصل خبرها بالوكيل فاستدعاني واخذها مني فسألته ان يدفع لي ثمنها لانها تعب عمري فاعتبر طلبي الثمن جريمة فالقاني في السجن ولي الآن ثلاث سنوات اتعذب فيه

شكوى المظلوم الرابع

وبعد هذا تقدم المظلوم الرابع وقال اطال الله بعمر سيدي الملك انا رجل من الذين اخذ واحدًا من المطربين الهنود فربيته واعتنيت به حتى صار آية في الكمال والجمال فسمع به الوكيل فاخذه مني قصرًا والقاني في السجن منذ اربع سنين

شكوى المظلوم الخامس

وجيء بالرجل الخامس لامام الملك فقال له اما انا ياسيدي فكنت محافظًا للمدينة منذ زمان طويل ولما رأيت ظلم الوزير وكيلك بالرعية تكدرت ولكن لا اقدر على عمل ماذا يخرج من يدي فالذي اقدر عليه هو معاملة الذين يسجنهم

معاملة حسنة فكنت ارفق بهم واوصي الموكلين بحراستهم ان يعتنوا براحتهم فاتصل الخبر اخيراً بالوكيل فاستدعاني وقال لي انك رجل غني جداً وقد تاكدت ان غناك ناتج عن دفائن وكنوز استخرجتها من الارض وفي الحال امر بضبط اموالي وكل ما املك والقاني في السجن وبقيت فيه خمس سنين حتى اخرجتني

شكوى المظلوم السادس

فدنا المظلوم السادس وقبل الارض بين يدي بهرامشاه وقال له انا يامولاي القائد فلان وقد خدمت الحكومة مدة طويلة ولما ظهرت الثورة الفلانية امرتم في الاول بالقبض عليّ وقتلي لكن بعد ان ثبت لديكم براءتي وامانتي انعمتم عليّ بالقرية الفلانية وعينتم لي معاشاً دائماً وذلك من كرمكم وحلمكم ففي ذات يوم حضرت لاقبض معاشي كجاري العادة فاحضرني الوكيل بين يديه وقال لي لماذا تطلب المعاش هل فتحت قلعة جديدة او استوليت على مملكة ومع ذلك فاننا لم نعد في حاجة لرجال الحرب فاطرد الجند الذين تحت قيادتك واذهب الى حيث شئت فقلت له ان كان سيدي بهرامشاه قد انهمك بملذاته ونسائه ولم يعلم ماهو جارٍ في بلاده فانا اسير اليه واعرض عليه امري فقبض عليّ والقاني في السجن ولي فيه ست سنوات

شكوى المظلوم السابع

واخيراً تقدم الرجل السابع وقال لبهرام شاه انا كما تراني شيخ حسن وقد رأيت ما جرى في المملكة فانسحبت الى خلوة اتعبد لله وادعي لسيدي بهرامشاه بطول العمر واسأله تعالى ان ينتشله من غفلته ويعيده لرعيته . ففي ذات يوم استدعاني الوكيل وتهددني واتهمني باني ادعو عليه واتمنى ابادته ثم القاني في السجن فاقمت فيه مدة سبع سنين

فعرف بهرام شاه ان باقي المسجونين لا بد ان يكونوا من هذا القبيل قد حبسوا ظلماً دون رحمة ولا محاكمة فامر باخراجهم جميعهم وفرق عليهم الاموال

الطائلة ورد اليهم الاملاك التي ضبطت منهم . ومن بعد ذلك امر ان يعد المحبوسون الذين اتفقوا على خراب المملكة فاخبر ان عددهم ثلاثمائة نفس فامر ان ينصب في ميدان المدينة ثلاثمائة مشنقة : وفي اليوم المعين اطلق مناديًا ينادي في المدينة ان بهرام شاه عزم على شنق الظلام الخائنين ويدعو الناس للفرجة والتشفي فتسارع الناس من عالٍ ودون الى ساحة المدينة ولما رفع الخائنون على الاخشاب ضج الناس بالدعاء لبهرام شاه وهجموا على الوكيل ورفاقه يرمونهم بالحجارة ويتمنون لو يقطعونهم باسنانهم اربًا اربا . ومن ثم خاطب بهرام شاه الاهالي بصوت عالٍ وقال لهم هكذا سمح الله ان تكون اخرة الذين يظلمون العباد فليعتبر خلفاؤهم والذين عهد اليهم بتدبير عباد الله . فتكرر الدعاء لبهرام شاه ولدولته وانصرف الناس مسرورين بهلاك الظالمين

ولنرجع الى جيش الصين فان الملك قبل ان يصل من حدود ايران بلغه ان بهرام شاه هب من رقاده وعاد الى ادارة مصالح رعيته بيده فتوقف عن السير وبعث بالجواسيس يتجسسون حال بهرام شاه ووكيله فعادوا اليه بالاخبار الاكيدة واعلموه بكل اما رآه وسمعوه في ايران وقد شاهدوه بعيونهم وهو كالاسد العرين ينظم الجيوش ويتهيأ للحرب بعد ان اهلك الوزير واتباعه فوقع الرعب في قلب ملك الصين وارسل الهدايا والتحف الى بهرام شاه وكتب اليه كتابًا يعتذر فيه ويخبره بخيانة وكيله وارسل الجواب الذي ارسله اليه وسأله الانتباه لنفسه ومجازاة الغادرين فقبل بهرام شاه الهدايا واعاد الرسل معززين مكرمين

وبعد ان انتهى بهرام شاه من كل ما تقدم افتكر بالراعي الذي علمه كيف يجب ان يتصرف وكيف يترتب عليه ليرضى رعيته ويصونها من الذئاب الخاطفة فارسل واستدعاه اليه وخلع عليه الخلع السنية وغمره بالعطايا واقامه في وظيفة مستشاره الخاص . وبناء على راي هذا المستشار الامين هدم قصور نسائه السبعة وجمعهن كلهن الى قصر واحد وشغل من ذلك الحين بروءية مصالح الشعب وجلب الخير لبلاده ورعاياه سهر وعلى الامن العام سهر الاب على اولاده حتى عمرت البلاد اكثر مما كانت في الاول بكثير وزاد غنى الاهالي وسرورهم وتضاعف

الصادر والوارد وصارت مملكة الفرس في ظرف اثني عشر او ثلاث عشر سنة جنة الهناء والراحة وكان العدل منتشرًا فيها عظيماً ولم يعد للظلم اثر قط · وشاخ بهرام شاه اي تجاوز الستين سنة ودائمًا يفكر بالموت وباليوم الاخير وكلما تذكر ما وقع على رعاياه من الظلم والجور بسبب تهامله والتهائه بحظوظه تنسكب الدموع من عينيه فيستغفر الله ويسأله العفو والغفران عن ذنوبه · الى ان كان ذات يوم ضاق صدره وشعر بثقل على عاتقه فخرج للصيد مع بعض وزرائه وفرسانه ولما تبطنوا القفار بدأ بالقنص · وحينئذٍ وقعت عين بهرام شاه على غزال فطارده ففر من امامه فتاثره ومن خلفه ثلاثة فرسان ولا زال في اثره حتى غاب عن وزرائه وحاشيته وفي النهاية لجأ الغزال الى مغارة ضيقة فدخلها ليختبي فيها فتبعه بهرام شاه ودخل بجواده المغارة ولما وصل الفرسان الثلاثة الذين كانوا في اثره الى باب المغارة وجدوها ضيقة لا يمكن للانسان ان يدخل فيها وحده بدون جواد فتعجبوا لانهم راوهُ رأى العين قد دخل فيها فوقفوا عند الباب متحيرين مبهوتين حتى وصل الوزراء و باقي الفرسان المتاخرين فلم يروا بهرام شاه وراواالفرسان الثلاثة على تلك الحالة من الحيرة فسالوهم عن بهرام شاه فاخبروهم انهُ دخل المغارة بجواده فلم يصدقوا ولما يئسوا من وجود بهرام شاه قبضوا على الفرسان الثلاثة وعادوا الى المدينة فاخبروا بالخبر فخرج الاهالي من كبيرهم الى صغيرهم حتى جاؤوا باب المغارة · وكذلك والدة بهرام شاه فانها كادت تغيب عن الصواب وانفطرت مرارتها ونهضت مسرعة حتى جاءت المغارة المذكورة فوجدت ان الاهالي يزدحمون عندها وقد ملؤا الفضاء وحينئذٍ امرت ان تحفر المغارة · وعلى رواية من روى انهم لازموا الحفر مدة اربعين يومًا حتى انتهوا الى الماء ومع ذلك لم يروا اثرًا لبهرام شاه ولا لجواده ولا للغزال الذي قاده الى هناك · وكانوا كل يوم يستحضرون الفرسان الثلاثة للاستنطاق ويعذبونهم بالضرب الشديد فيغلظون الايمان انهم رأوا بهرام شاه دخل بجواده في باب المغارة وتوارى عن نظرهم وفي النهاية ثبت ان ما كان هو بامر الله جلّ جلاله وان بهرام شاه اخذ الى حيث قادته العناية عند حلول يومه الاخير وان تعذيبهم للفرسان الثلاثة ظلم وجور · واخيرًا اجلسوا

في مكانه ابنه ازدشير شاه فسار على خطة ابيه واما نساء بهرام شاه السبع فمنهن من بقيت في ايران ومنهن من عادت الى بلاد ابيها · وهكذا انتهت حياة هذا الملك العظيم وكان عبرة للملوك والحكام

انتهت قصة بهرام شاه والحمد لله اولاً وآخراً

(ثمنها خمسة فرنكات)



« اعتذار »

اعلنت في خلال السنة الماضية مباشرتي طبع هذه القصة وكان في نيتي اتمامها بوقت قصير الاّ ان الدهر ابى الا معاكستي فرماني بمصائب جمة انتهت بفقد ولديّ شاب وصبية فادمى فقدهما فؤادي بعد ان اشغل مرضهما افكاري حتى تبددت ولم اعد قادرًا على السرعة في طبعها ومع كل ذلك فقد قمت بالواجب حيث اتممت الطبع فتأخر بضعة اشهر اسامح عليه في جنب هذا العذر العظيم · والكريم من عذر

كتاب الف يوم يوم

هو كتاب يقارن كتاب الف ليلة وليلة ويفوقه بآداب الحكايات وحسن اساليبها وضع اصله في اللغة الهندية ثم ترجم وطبع في اكثر اللغات الاجنبية ولكنه لم يطبع الى الآن في لغتنا العربية الشريفة ولذلك عربته وباشرت طبعه بعد ان قسمته الى عشرة اجزاء وجعلت كل جزء ثمانين صفحة من حرف هذا الاعلان وفي كل جزء عدة رسوم بحسب الاقتضاء · وجعلت قيمة الاشتراك به سبعة فرنكات فقط تدفع سلفًا ليد كاتبه

نخله قلفاط

قصة فيروز شاه

قد عزمت بحوله تعالى على اعادة طبع هذه القصة طبعاً نظيفاً على ورق جيد بعد تصحيح ما وقع من الاغلاط فيها وهي اربعة مجلدات كل مجلد ستة اجزاء وكل جزء ثماني واربعون صفحة من حرف هذا الاعلان وقيمة الاشتراك بها وحدها ثمانية فرنكات تدفع سلفاً واثنى عشر فرنكاً مع قصة اولاد الملك بهمن تطلب من مؤلفها نخله

قلفاط

قصة

(اولاد الملك بهمن)

لقد سألنا الكثير طبع هذه القصة التي وعدنا في آخر قصة فيروز شاه (الطبعة الاولى) اننا سنطبعها وقد انتهى تأليفها وقدمت الى المطبعة لتطبع في عشرين جزءاً كل جزء اربعون صفحة من حرف هذا الاعلان وقد فتحنا لها باباً للاشتراك وعينا قيمة الاشتراك بها عن النسخة الواحدة ثمانية فرنكات . تطلب من مؤلفها نخله

قلفاط

مطبعة السلام بشارع كلوت بك بمصر